

مجلد صالح الدقر

تلفون ۲۲۹۷۷

فصل
ccvv

 v.2
الجيلالي، عبد الرحمن بن محمد .
الحذاء العام . . .

965
J61A
V.2

~~31 May 69~~

~~OCT 1 68~~

~~AUG 28 68~~

~~SEP 1 64~~

~~-1 Feb 64~~

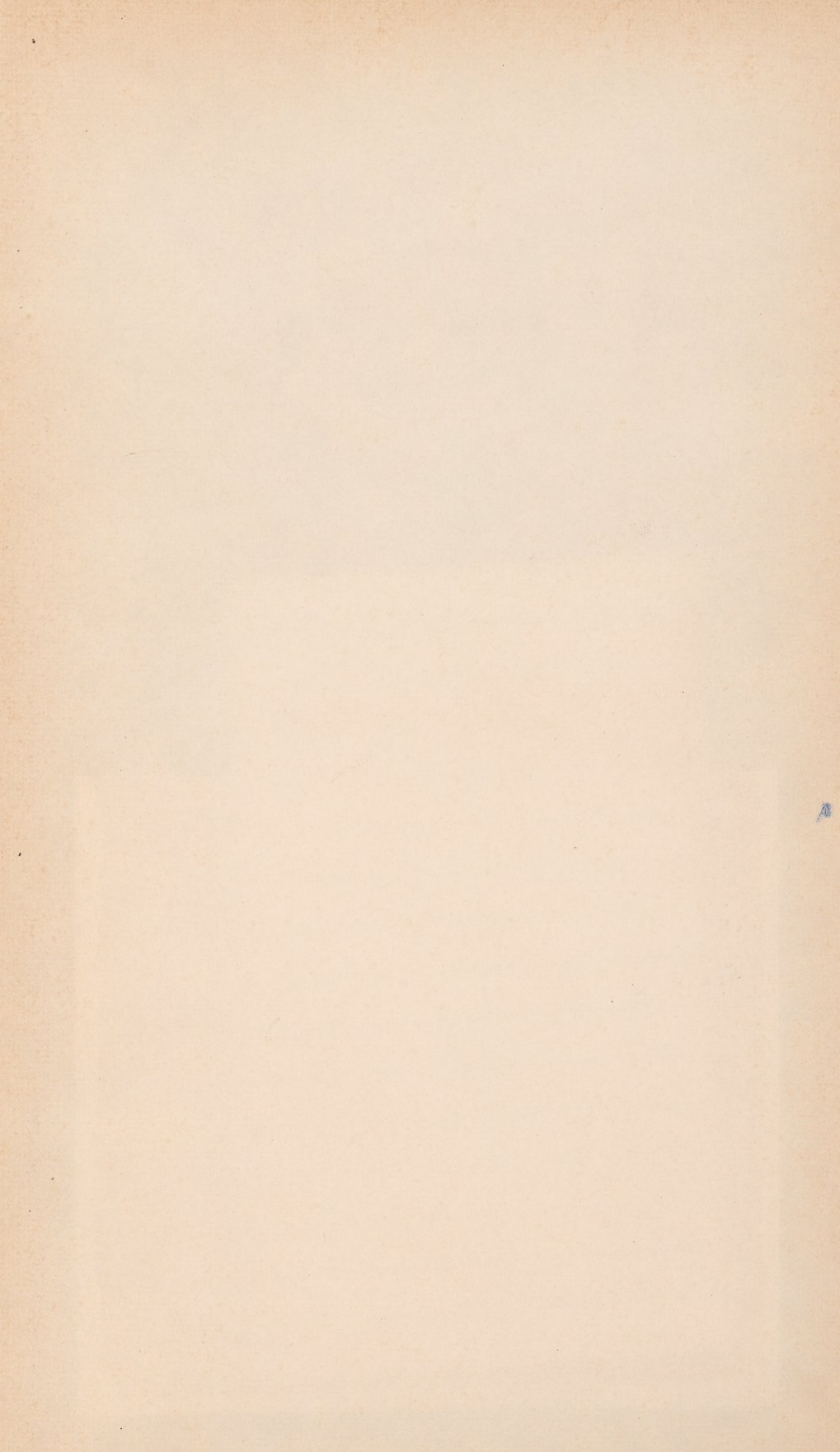
~~FEB 1 62~~

~~-6 May 65~~

~~-1 Jun 64~~

~~1 OCT 61~~

~~17 APR 1974~~



عبد الرحمن بن محمد البخيدالى

منازل البحار العظمى

يشتمل على ايجاز واف مفصل لتاريخ اقطار الجزائر فى جميع اطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والادبية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية مع تراجم العبقريين وارباب القرائح من مشاهير الجزائريين منذ اقدم العصور الى الآن .

الجزء الثانى

يحتوى على خريطين تاريخيتين وخمس لوحات مصورة

ماكان فى هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندى من اخبارهم طرف
المعمرى

الطبعة الاولى

المطبعة العربية - الجزائر

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على جميع الانبياء والمرسلين وعلى
الصحابة والتابعين ، وتابع التابعين لهم باحسان الى يوم الدين
اما بعد ، فلقد علم قراء الجزء الاول من كتابنا هذا

تاريخ الجزائر العام

انه قد احتوى على تاريخ هذا القطر الجزائري الكريم من الشمال الافريقي الذي هو
واسطة عقد المغرب العربي منذ العصر الحجري القديم فيما قبل التاريخ ، ثم منذ
وجد التاريخ وانتظمه في سلكه ورصفه في ديوانه الى قرب نهاية القرون الوسطى ، اي
منتهى دولة الموحدين سنة ٦٦٨هـ - ١٢٦٩م

وها أنا اليوم بفضل الله وعونه اقدم للقراء الكرام هواة التاريخ ورواد العلم
والمعرفة الجزء الثاني من تاريخنا هذا كاملا غير منقوص ولا معقوص ، متمشيا
فيه على نسق ما عهده القراء منى في الجزء الاول من وضوح في التعبير ، وسهولة
في الاسلوب واطراد في الفصول ، وانتظام في العرض ؛ واستيعاب في الجمع ، واحكام
في الوضع ، وصراحة في الحكم ، متحاشيا كل انحياز وامتياز ؛ مستمدا العون
والتوفيق من الباري جل جلاله ، انه هو العليم الخبير ذو القوة المتين ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم

المؤلف

الجزائر } ١٦ جادى الاولى ١٣٧٥ هـ
ربض العين الزرقاء } ٣١ ديسمبر ١٩٥٥ م

الدولة الحفصية

٦٢٧-٩٤٣ هـ

١٢٢٩-١٥٣٦ م

نشأتها

لقد مر بنا في الجزء الاول ان دولة الموحدين استمرت قابضة على صولجان الملك ووحدة الشمال الافريقي طيلة مدة قرن ونصف ؛ ولقد اكتسب المغرب الاسلامي يومئذ بوحدة هذه بأسا وقوة تمكن بهما من نشر نفوذه السياسي على بلاد الاندلس وخضع له كل من دول ضفاف هذا البحر الابيض المتوسط وأمامه شرقا وغربا ، ولم يزل الموحدون في اوج عزهم وشاهق سلطانهم الى ان تصدع شملهم في «وقعة العقاب» بالاندلس ٦٠٩ هـ (١٢١٢ م) فاضطرب يومئذ حبل الدولة وأذنت أيامها بالذهاب ، فخرج عنها ولاية النواحي وظهر العصيان من رؤساء العشائر فاستبدوا بالادارة ونما فيهم الشعور بالقوة الفردية على حين ضعف الدولة فتفككت حينئذ وحدة الشمال الافريقي واشرقت فيه ثلاث امارات اوقل هي ثلاث دول اسلامية مغربية متزاحمة على جذب طرف حبله متنازعة نشر نفوذها على هذا القطر والاستحواذ عليه ؛ فكلها تحاول الاستقلال به وبسط نفوذها وسلطانها عليه ؛ ولتكافؤ القوات - او ضعفها ؟ - لم يخلص بتمامه الى اى دولة من هذه الدول الثلاث ، واخيرا توزعت - مرغمة - فيما بينها ؛ فكان شرقيه لبنى ابي حفص وغربيه لبنى مرين وواسطة عقده - الجزائر - لبنى زيان من بنى عبد الواد ؛ ووقعت الجزائر مرارا في قبضة الحفصيين وبنى مرين ايضا وامتد نفوذهم اليها ونشروا سلطانهم على نواح منها برهة من الدهر ، فمن هم هؤلاء الحفصيون ... ؟

ينسب هؤلاء الحفصيون الى رجل هو من خاصة ابن تومرت واحد مردييه العشرة السابقين الى مبايعته ونصرته في غربته الذين قامت على كواهاهم اركان دولة الموحدين فأحكموا قواعدها وشيدوا اركانها ؛ ذلكم هو ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي - نسبة الى قبيلة هنتاتمة من المصامدة بالمغرب الاقصى - برهن ابو حفص هذا على كفاءته ومقدرته السياسية والادارية في جميع الاعمال والولايات التي تولاهم الدولة الموحدين بالمغرب الاقصى والاندلس فاستحق عن جدارة ما تبواه من المقام السامي والاصطفاء بهذه الدولة ، وذل بمكانه هذا الى وفاته سنة ٥٧١ هـ (١١٧٥ م) فتنقلت الولاية في عقبه الى ان تولى عرش الموحدين الخليفة محمد الناصر بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن فعقد على ولاية تونس لابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص يوم ١٠ شوال ٦٠٣ هـ (١٠ ماي ١٢٠٧ م)، وكان ابو محمد هذا متزوجا بعمة الخليفة ، فاستمر في ولايته على تونس الى وفاته سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) فورثه في امارته هذه ولده عبد الرحمن مستبدا بها الى ان افضت امارتها الى ابي زكرياء يحيى بن الشيخ ابي محمد بن عبد الواحد بن ابي حفص سنة ٦٢٧ هـ (١٢٢٩ م) وكان ملكا عادلا عالما عاملا اديبا ، فاعلن استقلاله عن دولة الموحدين رافضا لدعوتهم واستبد بأعمال تونس والقيروان ، وخضعت له الجزائر وبويع له بكثير من بلاد الاندلس واستصرخ بها آخرون ؛ ثم تداول بعده بنوه ملك المغربين : الاوسط والادنى

نظامها الحكومى

كان بحكم استقرار رؤساء هذه الدولة فى حاضرة تونس ان اتخذ ملوكها هذه المدينة عاصمة لمملكتهم المغربية ؛ وحكومتها مستقلة تماما تحت رعاية ملكها الملقب اولا بالامير ثم بالخليفة استثنائا بهذا اللقب عن ملوك دولة بنى عبد المؤمن الموحدية ، ثم تواضع ملوك هذه الدولة امام قداسة لقب الخلافة فاتخذوا اسم «السلطان» (١) شارة لهم . وولاية الملك فيهم غالبا تكون بالعهد من السلطان السابق ، وتارة تكون بالغلبة والقهر ؛ وتمتاز صكوك الاوامر السلطانية وما يصدر عن اذن الملك من رسائل ومناشير بوضع «العلامة» فى اعلا الكتاب بالقلم الغليظ بعد البسملة ، وهى « الحمد لله والشكر لله » ، كما قد توضع ايضا فى ختام بعض الرسوم ، ولكن اشارة هذه العلامة موظف خاص بالقصر وقد تضاف الى « القهرمان » وهو صاحب اشغال السلطان والمكلف ايضا بضبط الحسابات وحصر الذخيرة وتموين القصر وجميع ما يحتاج اليه السلطان فى نفسه من رزق وعطاء الخ وتجتمع جميع مصالح الحكومة واعمالها الادارية فى ثلاث وزارات : الجيش ، القضاء ، المال ، والجيش عندهم مختلط من العرب والبربر وغيرهم وفيه من الافرنج ايضا ؛ وقد بلغ عدد الفرسان ايام ابى زكرياء الاول الى سبعين الف فارس ؛ ولم يكن اهتمام هذه الدولة بانشاء الاساطيل وتجهيزها بالشكمت والسلاح بأقل من اهتمام غيرها من الدول المعاصرة لها يومئذ ، وكان مركز الاسطول الحفصى بالجزائر ميناء بونة - عنابة - وبالساحل التونسى ايضا . واما ديوان الاموال فانه منوط بصاحب الاشغال ، ولصاحب هذه الحطة النظر فى مالية الدولة من دخل وخرج وهو المسؤول عن استخلاص الاموال والمحاسبة باسم الحكومة وله التفويض التام والسيطرة المطلقة على جميع من دونه مرتبة من ولاية

(١) ان اول من تلقب من ملوك الاسلام بهذا اللقب هو السلطان محمود بن سبكتكين صاحب غزنة ، لقبه به الخليفة العباسى القادر بالله ٣٨١-٤٢٢ هـ (٩٩١-١٠٣٠ م)

المراتب الادارية ، ويشترط فيه ان يكون من عصابة الموحدين الاولين ، ولقد بلغت ثروة خزينة الحكومة ايام ابي زكرياء يحيى الاول نحو التسعة عشر مليون ديناراً (١) وهو ما يقدر بما ينيف على أربعة وثلاثين مليار فرنك ، وليس هذا المبلغ بالهين اذا قيس بضيق المملكة وبما كانت عليه خزائن الدول المعاصرة يومئذ ؛ واغلب موارد الخزينة الحفصية من الزكاة والحراج والجبايات ؛ واكثر عملتها الدولة ونقودها مضروبة بالمدن الجزائرية كبجاية وقسنطينة والجزائر وتنس ؛ وهي متنوعة الى ذهب وفضة ، والى فلوس نحاسية احدثها الساطان ابو زكرياء الاول ، وكان لا يحصل على رآسة القلم في الدولة الا من يحسن الانشاء العربي ويجيد صناعة الكتابة والترسيل مع شرط الامانة وكتمان الاسرار ، ولم يشترطوا النسب في صاحب هذه الخطة كعادتهم في سائر الولايات والمناصب الرئيسية لقلعة او فقد الاكفاء فبهم بسبب رطانة السنتهم وما يغلب عليهم من العجمة وتخلف المملكة ، وجميع اعمال الدولة كانت تدون باللسان العربي المبين ، وهو ما حمل حكومة جمهورية (بيزا) الايطالية على وضع نص المعاهدة التجارية التي قدمتها للدولة الحفصية سنة ٥٦٦ هـ (١٢٦٥ م) باللغة العربية ويختص ؛ رئيس الشرطة من بين موظفي الحكومة بلقب «الحاكم» ؛ وهناك «المحتسب» المكلف باصلاح الهيئة الاجتماعية والمسؤول عن الاسواق والمتاجر والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛

وكان مما امتازت به دولته الحفصيين ان وجد بها منصب وزير الرأى والمشورة ، وهو الملقب لديهم بـ «شيخ الموحدين» المشرف على جميع شؤون الدولة مما قل اوجل ؛ واخيرا اسندت هذه الخطة الى «الحاجب» كما جعلت له وزارة الحرب ايضاً ؛ وبذلك اصبحت خطة «الحجابية» هي اكبر المناصب

الحكومية في هذه الدولة . (١) وكان نظام الاقطاع يومئذ معمولا به عند كثير من الدول الاسلامية كما هو في غيرها ايضا ؛ فانه كثيرا ما اضطرت الحكومة الحفصية عسكريا الى اقطاع بعض جهات من ممتلكاتها الى بعض القبائل العربية المناصرة ، ثم انه لافرق بين هذه الدولة وبين غيرها ممن تقدمها من دول المغرب الاسلامي ، فهي تسير حسب سابقتها مستمسكة في سياستها العمومية بسنة الموحدين حتى كاد ان لا يوجد ، هنالك فرق بين الحكومتين اذا استثنينا بعض الفروق الطفيفة

حدود الجزائر الحفصية

الجزائر الحفصية هي عبارة اليوم عن مقاطعتي الجزائر وقسنطينة مع جزء من مقاطعة وهران ؛ وهي تنقسم الى اربع ولايات : ولاية بونة - عنابة - ، وولاية بجاية ، وولاية قسنطينة ، وولاية الزاب وقاعدته مدينة بسكرة وتارة مقرة من بلاد الحفصة ، ويمتد خط الجنوب الى ما وراء بلاد وارجلن - واركلة - ، وكثيرا ما راينا اختلاف عمال هذه الولايات الجزائرية على الحكومة المركزية حيث قاموا بعدة وقائع حرية حاولوا بها اخذ البيعة لانفسهم والاستبداد بالملك فتدخلت الحدود واختلفت الخطوط والنخوم المرسومة لمملكة الجزائر الحفصية

(١) قال ابن خلدون : ومعنى الحجابة - في دولتنا بالمغرب - الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وبين اهل دولته لا يشاركه في ذلك احد . ج ٧ ص ٤١٨ فهو بمنزلة كبير الامناء في الدول العربية اليوم

كيف كان استيلاء الحفصيين على الجزائر

كان اول ما وقع من التراب الجزائري بيد الحفصيين ولاية قسنطينة وبجاية فاستسلم اهلها الى السلطان ابي زكرياء الحفصى سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) فأسربنو حفص عمال هاتين المقاطعتين وذهبوا بهم الى تونس ؛ ثم فى سنة ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ م) كان استيلاؤهم على ولاية الجزائر ونواحي شلف والبطحاء - البسيط الذى بين مدينة غيليزان وسهل وادى شلف - وما الى ذلك من الجهات الغربية الزناتية؛ وقد جعل التصرف فى هذه الجهات لاقارب السلطان الحفصى وبنى عمه ؛ وفى سنة ٦٥٩ هـ (١٢٦١ م) جهز السلطان المستنصر اخاه عمر بن ابي زكرياء الاول للقضاء على سلطة الفقيه ابي على الملباني المتسلط يومئذ على عمل «مليانة» فتقدم عمر المذكور صحبة «مغبدون بن فرندة» النصراني الى مليانة ونصبا عليها المجانيق وضيقا عليها الحصار فأعطت المدينة مقادتها لبنى حفص واستسلمت لهم يوم عيد الفطر - ٢٩ اوط - من التاريخ فعقد السلطان آن ذاك لاختيه عمر على ولاية بجاية مكافأة له على انتصاره وتغلبه هذا ، ولكن عمر استعفى اخاه من هذه التولية فاعفاه

فتح ولاية تلمسان

لقد كان لمبايعة خليفة الموحدين على السعيد من بنى عبد المؤمن بمراكش اضطراب كبير ادى الى نقض البيعة وشق العصا فى كثير من ارجاء المغرب ، فكانت هذه فرصة لخروج ولاية النواحي عن الخليفة وبنو طاعته ، وكان من بينهم عبد الله بن زكرياء الهزرجى صاحب تلمسان ، فنشأ عن ذلك بينه وبين يغمراس (١) الزياني المتحيز يومئذ لبنى عبد المؤمن خلاف ونزاع كبير افضى الى تسلط يغمراس على تلمسان

(١) ضبطه ابن خلدون في مواضع من تاريخه بالحركات مرة : بفتح الياء والغين وسكون الميم بعدها راء مفتوحة ثم الف بعدها سين مفتوحة فنون ساكنة ؛ ومرة بكسر الغين والسين

وبينما الحال على ذلك اذ وفد على السلطان ابي زكرياء الحفصى نخبة من رؤساء بنى توجين ومغراوة مستصرخين به ضد يغمراسن ؛ ولقد كان لبنى توجين ملك مايين قلعة «سعيدة» غربا الى «المدينة» شرقا وكانت لهم قلعة بنى سلامة (١) ومنداس (٢) ووانشريس . فتخذ ابو زكرياء ذلك وسيلة ووصلة للقضاء على عرش الموحدين المحتضرومن والاهم من رؤساء النواحي وولات الجهات ، فنزل في شوال ٦٣٩هـ (افريل ١٢٤٢م) بمليانة ، ومنها راسل يغمراسن في الاذعان لطاعة الدولة الحفصية فأبى ؛ ويومئذ احاطت جيوش الحفصيين بتلمسان فضيقت حصارها وبالغت في التتكيل باهلها فخرج يغمراسن من باب العقبة لرد عادية بنى حفص فانهزم ونجاهو بنفسه الى الصحراء ، وسقطت تلمسان بيد الحفصيين آخر المحرم ٦٤٠هـ (جوليت ١٢٤٢م) ودخلها يومئذ ابو زكرياء فرد عنها عادية جندة وكف أيديهم عن النهب والسلب

المباينة بالخلافة

منذ نهاية القرن السادس الهجرى - اواخر الثانى عشر الميلادى - والعالم الاسلامى بالشرق والمغرب كانه يتمخض في قلق واضطراب مترقبا ماعسى ان يحدث او يقع من التحولات السياسية العامة الناتجة عن اتحادامم النصرانية في حروبها الصليبية التى كادت ان تعصف بالـ عالم الاسلامى اجمع ؛ وما كان كذلك من اتحاد قبائل التتر برئاسة جنكيز خان وشروعها في الزحف على غرب بلاد آسيا وجنوبها واحتلالها لبلاد الصين سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) ؛ وتصعد الاسر القابضة على زمام

(١) هى على سته كيلوميترا الى الجنوب الغربى من مدينة فرتدة من مقاطعة وهران وفيها تفرغ مؤرخنا العظيم عبد الرحمن بن خلدون للعلم والدرس فسكن بقصر ابي بكر بن عريف اربع سنوات وهناك شرع في وضع تاريخه الكبير فأكمل به مقدمته العجيبة ،

(٢) غربى تيارت وجنوب مدينة غيليزان - بين وانشريس وجبل كزول الواقع على عشرة كيلومترات بالجنوب الغربى من مدينة تيارت الحالية

بقية الباقية من بعض المدن الاسلامية؛ والامبراطورية الساجوقية يومئذ قد انقرضت من بلاد فارس ، ومثلها الدولة الغزنوية ايضا بعد قضائها على الدولة الجديدة القائمة بأفغانستان الشرقية فاسقطتها من شاهق عزها حوالى سنة ٥٤٥هـ (١١٥٠م)؛ وانقراض عائلة زنكى فى الموصل ، وملوك مصر والشام يومئذ فى شقاق وتناحر وافتراق؛ وفى بغداد من الخلاف الطائفى والمذهبي القائم بين اهل السنة والشيعة، بل وبين مذاهب اهل السنة انفسهم كالخلاف والجدل الواقع ايضا بين الحنابلة والحنفية قد بلغ اشده ... وعم ذلك سائر طبقات الشعب العراقى وارث مدنيت العالم ... ! فدعا ذلك كله الى بسط نفوذ الاجنبى ونشر سلطانه على الشرق الاسلامى ، وفعلا اكتسح التتر معالم الحضارة الاسلامية وحطم عواصم المدينة الشرقية ، وكان ذلك الفتك الذريع بالانسانية الذى لم يسجل التاريخ فيما عهدناه حوادث افضع منها منذ تحدث عن البشر الى يوم الناس هذا - اذا استثنينا حوادث (اتيلا) ونهاية الاندلس الاسلامية ! ... وسقطت بغداد قلب العالم الاسلامى النابض بيد التتر سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) وذهبت بذهابها تلك المدينة الزاهرة المشرقة ، وسقطت الخلافة العباسية بسقوطها

وفى المغرب الاسلامى كذلك فان ساطان الامويين بالاندلس قد انهيار منذ سنة ٤٢٢هـ (١٠٣١م) وتشتت وحدتهم السياسية فتوزعها ملوك الطوائف بينهم ، فقام بكل ناحية منها امير المؤمنين ومنبر ! ... فاشتد حينئذ الشعور الاسلامى العام فأعلن حاجته الاكيدة الى زعيم دينى ورئيس سياسى تجتمع لديه جميع السلطات المدنية والعسكرية ، وكان من المقدران وجدت دولة الحفصيين يومئذ صلبة العصا ، قوية الاساطين ، وثيقة الاركان ، فتأكدت مبايعتها على الناس ، فأطاعها اهل سبتة وفاس وطنجة وسجلماسة - تافيلالت - ؛ ومكناسة بعدما قتل اهلها عامل الموحدىن عليها سنة ٦٤٣هـ (١٢٤٥م) وبعث اهل مكة ببيعتهم الى الساطان المنتصر سنة ٦٥٧هـ (١٢٥٩م) وهى بانشاء عبد الحق بن سبعين فقرئت على الناس ، وبايع بنو مرين تقيمة ريثما استوثق

الامر لسلطانهم يعقوب المريني فنبذوا عهد الحفصيين ؛ ودخل اهل مدينة شيلة وغيرها من بلاد الاندلس في دعوة الحفصيين ايضا فاخترق حينئذ صيتمهم البلاد وخشيتهم امم اوروبا فباتت تخطب ودهم وابرمت في ذلك معاهدات سلام بينها وبين القصر الحفصى ، منها معاهدة «فريديريك» امبراطور الالمان لمدة عشر سنوات ومعاهدة «اوهان سطوفان» ملك صقلية وهلم جرا ويومئذ تلقب السلطان ابو عبد الله محمد بن السلطان ابي زكرياء يحيى الاول بأمر المؤمنين ، وتسمى بالمستنصر بالله الواثق .

ترص يغمراسن وانتصاره

لا يعزب عن القارئ الكريم ما قدمناه من حال انهزام يغمراسن الزياني عن تلمسان ايام غزو الحفصيين لها سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤٢م) وما كان من فراره منها والتجائه الى الصحراء الخ ... وبعدما تأكد يغمراسن من اطباق الكثير من سادة العالم الاسلامي ودوله شرقا وغربا على مبايعة ملك الحفصيين بالخلافة اعتصم بالدهاء والتدبير في الانتصار فبعث بوالدته - سوط النساء - الى ابي زكرياء الحفصى لتقديم مراسيم البيعة نيابة عنه فاقبلها ابو زكرياء راضيا عن ولدها ، فاغتصمت الوالدة يومئذ هذه الفرصة وقدمت للسلطان اقتراحا يتضمن طلب العفو عن يغمراسن والمساحة له بالعودة الى رئاسة قومه من بني عبد الواد تحت طاعة الخليفة ، فأمضى لها ابو زكرياء ذلك كله ، واذن في عودة يغمراسن الى امارته على شروط بينهما وتمت عقدة المبايعة على ذلك وعاد يغمراسن الى تلمسان واخذ يتصرف في اهلها واموالها التي كانت تقدر بمائة الف دينار سنويا: وكان السلطان الحفصى ادرك ما يكرهه يغمراسن في صدره من الحقد والضغينة على ملك الحفصيين ، فأقطع القطائع حول تلمسان واحداث امارات في بني توجين ومغراوة وجاء ببني سليم الى نواحي بونة - عناية - فأسكنهم بها الى ارض الجريد واغدق عليهم من الاموال ما غمرهم به وجعلهم حاجزا بينه وبين خصمائه ومنافسيه فكانوا ردة

المملكة وحصنها الحصين

ومالئث ابو زكرياء بعد ذلك الاقليلا حتى فاجأه اجله وهو بمحلته في بونة فتوفي ليلة الجمعة ١٢ جمادى الثانية ٦٤٧ هـ (٢٢ سبتمبر ١٢٤٩ م) ودفن من الغد بجامع بونة . وكان يغمر اسن قد عاد بعد الى تلمسان بموجب نصوص المعاهدة التي عقدها مع الملك الراحل ؛ ولم يبرح قومه ان اجتمعوا حوله واخذوا معه في الانقضاض على المدن الجزائرية وغزوها وفتحوها مدينة مدينة ، واقتحموا مليانته سنة ٦٦٨ هـ (١٢٦٩ م) ، ثم وقعت بلدة المدية بايديهم سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) ، وهكذا اخذ الزبانيون في امتلاك القطر الجزائري تدريجيا حتى استولوا عليه باسره كما سنذكره فيما يأتي من تاريخهم

اضطرابات وفتن

كان مما اشاعه الناس يومئذ ان الخليفة المستنصر الحفصي عازم على الفتك بابن عمه ابى القاسم بن ابى زيد لما بلغه عنه من رفض بيعته والخروج عن الطاعة ؛ وباغت الاشاعة هذه الى ابى القاسم فخشى على نفسه ، فخرج من تونس سنة ٦٦١ هـ (١٢٦٢ م) الى نواحي قسنطينة ملتجئا بشبل بن موسى بن محمد رئيس الدواودة - اشياح بنى بن غانية واعداء الموحدين والحفصيين - وهناك بايعه هؤلاء القوم وبرزوا معه لغزو البلاد الجزائرية فأحدثوا بها اضطرابا كبيرا واضرارا عظيمة اضررت بالجميع واشتد يومئذ غضب السلطان على ابى القاسم ، فأرعد وابرق وبیت قتله ، فارتاع لذلك ابو القاسم وتراجع الى تلمسان متواريا ومنها ركب بمرسى هنين الى الاندلس ، ثم التحق بالمغرب الاقصى فأقام بتينمليل حيث مصدر دعوة الموحدين ، ثم عاد الى تلمسان فتوفي بها

مقاومة العصاة المنشقين

كانت حوادث ابي القاسم بن ابي زيد وحركة الدواودة من رياح ، سببا في خروج السلطان المستنصر الاول بنفسه من تونس سنة ٦٦٤ هـ (١٢٦٥ م) على رأس جيشه العظيم ونزوله بأماكن الفتنة ومواطن الثورة بالقطر الجزائري ، وقضائه على المنشقين بها ، واستمر السلطان متقلبا في البلاد مستقصيا بذور الفتنة ومناجم الخلاف حتى نزل على الدواودة ففر رئيسهم شبل بن موسى وخرج بقومه الى القفر فاحتل السلطان يومئذ بلادهم ونزل بمدينة «المسيلة» - المحمدية - آخر مواطن رياح ، وهناك وفد عليه محمد بن عبد القوى امير بنى توحين مجدداً لطاعته ، فآمره السلطان واقطعه مدينة «مقرة» و «اوماش» من اعمال الزاب الجزائري ، واستمر المستنصر في زحفه على الدواودة الى ان ظفر بهم بمدينة «تقاوس» - بالقاف المعقودة - فبدد شملهم وانتهدت اسلحتهم ، وقبض السلطان على رؤوس الفتنة فضربت اعناقهم ونقلت الى بسكرة فنصبت بها ، واما الاشلاء فانها تركت حيث قتلوا فنصبت كذلك متفرقة بالامكنة التي بويج فيها ابو القاسم بن ابي زيد الثائر بنواحي تقاوس والمسيلة وغيرها ؛ واغذ السلطان سيرة فاجتاح بقية النواحي المشاقة ، فمنحه القوم اكتافهم مجتازين «وادي شدي» - جدي - فطاردهم الجيوش الحفصية الى ان تجاوزت بهم مفاوز الصحراء ثم عادت مع السلطان الى تونس انتقاض مدينة الجزائر وفتحها

جاءه اهل مدينة الجزائر بنبد طاعتهم ايام ان ظهر ضعف الحفصيين امام حملة زناته عليهم حوالى سنة ٦٦٩ هـ (١٢٧٠ م) ولقد حاول الجزائريون بذلك الاستبداد بحكم بلادهم والتوصل الى تأسيس مملكة جزائرية بحتة ؛ فهاجمهم يومئذ عامل بجاية «ابو هلال الهنتاتي» واطال حصار مدينة الجزائر نحو سنة ثم عاد منهزما الى مركزه ؛ وبقيت الجزائر في هذه الفترة مستقلة حرة الى ان غزتها

جيوش بنى حفص سنة ٦٧٤هـ (١٢٧٥م) بقيادة ابى الحسن بن ياسين ومناصرة حامية بجاية، وخرج معها الاسطول الحفصى فانحصرت الجزائر من جميع جهاتها ودخلتها الجيوش الحفصية مشخنة فى اهلها قتلا ونهباً وسلباً ، فاستسلمت المدينة حينئذ واذعنت لطاعة الحفصيين : واخذت مشيختها ورؤساؤها فغلوا واسروا ثم نوقلوا الى تونس مصفدين فاعتقلوا هنالك بالقصبة الى وفاة المستنصر سنة ٦٧٥هـ (١٢٧٧م) فعفا عنهم ولده الواثق يومئذ

مبايعة الجزائر لابي اسحاق الاول

كان ابو اسحاق ابراهيم بن ابى زكرياء يحيى الاول مقيماً بمدينة تلمسان ، ولما توفى اخوه المستنصر نهض مطالباً بملك اخيه مناقضاً للواثق الذى اخذ البيعة لنفسه بعد وفاة والده ؛ وكان اول من بايعه على الملك مضيفه يغمراسن بن زبان صاحب تلمسان ؛ وصادف ان كان اهل بجاية منشقين على والى الاشغال عندهم فقتلوه واستدعوا ابا اسحاق يحثونه على ولاية العرش ، فانتقل اليهم أبو اسحاق ودخل بجاية آخر شهر ذى القعدة سنة ٦٧٧هـ (افريل ١٢٧٩م) فاجتمع عليه اهلها وبايعوه بالملك؛ فغزا بهم قسنطينة فامتنعت عليه ، وهنالك بعث الواثق جيوشه لمقاتلة عمه هذا، وما كادت الجيوش تتصل بالزاب الجزائرى حتى تقدمت بنفسها الى ابى اسحاق فبايعته بالملك وكتبت فى ذلك وثيقة بعثت بها الى الواثق بتونس، فتنازل مكرها عن العرش وخلف نفسه غرة ربيع الاول ٦٧٨هـ (١٢ جوليط ١٢٧٩م) ، فكانت الجزائر بذلك هى اول من بايع السلطان ابا اسحاق واول من اعترف له بحقه على العرش

ظهور ابن ابى حمارة الدعى

هو رجل من اهل المسيلة ، وكان مسكن آبائه ببجاية فنشأ بها ، واسمه احمد بن مرزوق ، ولقد سولت له نفسه يوما ان يدعى -اثما وزورا- انه من بيت الملك

وانه من ابناء الواثق الحفصي ، وكان هنالك من الموالي من ايده في دعواه هذه ونهضوا معه ضد ابي اسحاق ابراهيم الاول فدخل الناس في طاعته وتغاب على السلطان بهائيه ومكره فامتلك نواحي طرابلس واحتل تونس واتخذ لنفسه لقب «المعتمد على الله» ، وخرج ابو اسحاق من تونس مع ولده ابي زكرياء طريدا آخر شوال ٦٨١ هـ (جانفي ١٢٨٣ م) محاولا الالتجاء الى قسنطينة فمنعه عنها واليها خشية خروج الامر من يده ، فتوجه السلطان الطربد الى ولده ابي فارس امير بجاية ، فاعترضه ومنعه من النزول عليه وصرفه الى مكان آخر واجبره بالنزاع له عن العرش ؛ وجاء ابن ابي عمارة غازيا بجاية فحمل عليها في صفر سنة ٦٨٢ هـ [ماي ١٣٨٣ م] وقتل ابا فارس في اخوته ، فانتقل السلطان الطريد ابو اسحاق يومئذ من اعمال بجاية مع ولده ابي زكرياء متوجها الى تلمسان ، واحتل ابن ابي عمارة المدينة واخذ البيعة لنفسه ، وبعث بمن ادرك ابا اسحاق بجبل بني غبرين فردة مأسورا الى بجاية وهنالك قتل السلطان صبرا في اخر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٢ هـ [جوان ١٢٨٣ م] ونجا ولده ابو زكرياء الى تلمسان ؛ ثم بعد حين انكشف حال ابن ابي عمارة واقتضح للناس تزويره وتحققوا تدجيله وانه دعي في بيت الملك فتألبوا ضده ونقضوا بيعته فقتلوه سنة ٦٨٣ هـ [١٢٨٤ م] وتولى الملك يومئذ المستنصر الثاني

انفصال الجزائر عن الحكومة المركزية

كان هنالك شخصيتان متنافستان بالقصر الحفصي وهما الحاجب ابو الحسن بن سيد الناس وابو عبد الله الفزازي ؛ فكلاهما كان يزاحم صاحبه في نيل الخسوة والمنزلة والمقام الرفيع عند السلطان ، ولقد لاحظا الحاجب المذكور انه مغبوط الجانب مهتم بالمقام عند السلطان بجانب صاحبه الفزازي ، فأضمر للمستنصر حسيكته وأبطن له غلا ، وكان من المقدر يومئذ ان يوجد ابو زكرياء يحيى بن ابراهيم - عم المستنصر - بتلمسان مطالبا بعرش والده ، فالتحق به ابو الحسن فبايعه واخذ

له البيعة من الناس واقام له ابنة الملك وشعار السلطنة وخرج معه في جمع حاشد الى اعمال قسنطينة فطافوا بتلك الولاية ، وكان اذ ذاك اهل بجاية في اضطراب ونزاع فلما رأوا ابا زكرياء بادروا الى تقديم بيعتهم اليه فاحتل ابو زكرياء يومئذ بجاية سنة ٦٨٤ هـ [١٢٨٥م] وبايعه اهل مدينة الجزائر والزاب ، فرسخ يومئذ قدم ابي زكرياء بمملكة الجزائر فأورثها بنيه ، واصبحت المملكة الحفصية مجزأة الى جزئين ، قسم شرقي وعاصمته تونس ، وقسم غربي بالمغرب الاوسط تتزعمه حاضرتا قسنطينة وبجاية ، وهكذا استمر الامر بالقطر الجزائري الى سنة ٦٩٤ هـ [١٢٩٤م] - وعند ابن خلدون ان ذلك وقع سنة ٧٠٧ هـ - . . . حيث انتقض اهل مدينة الجزائر على عاملهم فأطروده واستبدوا بولايتهم جاعلين امرهم بيد «ابن علان» فمكث هذا اربعة عشر سنة حاميا للمدينة واحوازها إلى العهد الزياني ، وضلت البقية من القطر الجزائري ما بين مدوحزر بين ملوك الحفصيين وامراء الجزائر وولاتها الى ان دعا ابو بكر خالد بن يحيى الحفصي الى نفسه سنة ٧١١ هـ [١٣١١م] وتلقب بالمتوكل على الله ، فيخالف عليه والى بجاية عبد الرحمن بن خلوف فقتل السلطان غدرا في السنة التالية واحتل ابو بكر بجاية واذعنت تونس لطاعة ابن اللحياني وعادت الدولة الى انقسامها ثانيا ، وهكذا الى سنة ٧١٨ هـ [١٣١٨م] فحاز ابو بكر ولاية تونس واعاد وحدة الدولة الى نصابها وجمع بين القطرين الشقيقين : تونس والجزائر اعتداه الافرنج على مدينة الجزائر

بينما الامر ما ذكرنا في الجزائر اذ فاجأها الافرنج بحملة بحرية عنيفة سنة ٦٨٦ هـ [١٢٨٧م] يقودها «روحي دولوريا» فحطموا مدينة «القالة» واتهبوا اموالها وتركوها كجوف حمار . . . ثم اعدوا عليها الكرة سنة ٦٨٩ هـ (١٢٩٠م) وحاصروا معها في هذه المرة مدينة بونة ايضا ، واسروا اهلها ، فاستبسل الجيش الحفصي وشمر عن ساق الحرب فاندحر الافرنج عن الجزائر

امارة بنى مزنى (١) بسكرة

كانت اماراة الزاب الى هذا العهد لبنى رومان ، وهى من اغنى امارات الجزائر واضخمها لذلك العهد وتمتد حدودها من المسيلة ونقاوس شمالا الى واركلة - وارجلن - ووادى ريغ جنوبا ، ومن «الدوسن» غربا الى بادس شرقا؛ وتبعد مدينة بادس هذه عن بسكرة بنحو ثلاثين ومائة كيلومترا وتقرب من (خقة سيدى ناجى) بنحو العشر كيلومترات ؛

استمر بنورمان على ولايتهم هذه الى عصر السلطان ابى اسحاق ابراهيم الاول فاتزعا منها وجعلها للفضل بن على جد بنى مزنى ، حيث قام بنصرته وتأيد دعوته، فشكر له السلطان موقفه هذا وولاه إمارة الزاب هذه سنة ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م) ثم كانت فى عقبه ؛ وحسنت سيرة بنى مزنى واحسنوا التدبير فعاشوا وعاش الناس معهم فى ارغد عيش ، وهم تارة مقيمون بسكرة وتارة بمقرة من بلاد الحضة ، وكان طبيعيا ان ينشأ عن ذلك من ذوى الاخلاق السافلة والامراض النفسانية الخبيثة حسد وضغينة فاوغروا صدر السلطان على بنى مزنى واضرموا غيظه ، فاضطرب لذلك شأن امراء هذا البيت وانتقضت أمورهم فتذبذبوا فى سيرهم وسلوكهم السياسى ، واصبحوا تارة بجانب الحفصيين ، تارة مع بنى زيان ، وحيانا نجدهم منقادين لبنى مرين ملوك المغرب الاقصى ، وكثيرا ما اشتبه عليهم الامر فنراهم فى ان واحد يبايعون اميرا ويتقضون عليه فى نفس الوقت وهكذا ذهب بنو مزنى فى تيار من عاصفة الاهواء السياسية المختلفة التى ادت بهم الى الاضمحلال ، فغزاهم السلطان ابو فارس عزوز الحفصى واقتحم مدينة بسكرة يوم السبت ١٧ جمادى الثانية ٨٠٤ هـ (٢٢ جانفي ١٤٠٢ م) وقضى على هذه الاسرة بعدما امضت فى حكم الزاب ما ينيف على قرن وربع ، وكان من اشهر رجالها: الفضل بن على وابنه المنصور وولده يوسف ، وعلى ، وحسن ، وأحمد ،

حزب السنية وابن مزني

كان بمدينة «طولقة» من عمل بسكرة رجل من عرب رباح اسمه «سعادة» وهو من بطن «مسلم» أو «رحمان» اشتهر بين قومه وعشيرته بالعلم والصلاح أخذوا على نفسه القيام بالحسبة - يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ؛ فاجتمع عليه الناس وكثر حوله الاتباع والتحق به بعض رؤساء العرب من الدواودة كشيخ بني محمد بن مسعود ؛ واولاد سباع ، واولاد ادريس ، ورجالات العطف وغيرهم في كثير من اتباعهم ومرؤسيهم من المستضعفين ، وكلهم عاهد «سعادة» على التزام طريقته والاخذ بمبدأه فتشكلت يومئذ حوله هالة من الخاصة والعامة اشتهروا باسم «السنية» أو «السقية» كما كان يدعوهم هو ، فلما استكملت هذه الجماعة قوتها واشتدت شوكتها اخذت في شن الغارات على العصاة المحاربين وقطاع الطرق المعتدين ، وكان شيخهم هذا متشددا على الولاة والحكام كثير المؤاخذة لهم على ما يأتونه من حيف او جور؛ ولقد بلغ عامل الزاب يوما وهو يومئذ المنصور بن فضل بن مزني - ان زعيم السنية هذا ينكر عليه اعماله وخاصة وقع الظلمات والمكس على الرعية ، فطوى على عداوته احشاء صدره وعزم على الفتك به لولا تصلب حزب السنية في وجه العامل وصدده عن مرادة ، وكان ذلك مما زاد في انتشار صيت الشيخ سعادة وانتصار الناس له فبايعوه على اقامة السنة او الموت دونه ، فاشتد من ذلك غضب ابن مزني على السنية واذنهم بالحرب مستنفرا حلفاءه من رؤساء العشائر وولاة الحفصيين ، ومستنصر بالامير خالد بن ابي زكرياء الحفصي والى بجاية ، فجاءته الجنود من كل صوب ، واوز الى اهل طولقة بالقبض على الزعيم سعادة فامتنع عنهم ، واخذ في تأسيس رباطه بتملك الانحاء على غرار مناهج عبدالله بن ياسين في انشاء دولة المرابطين او ابن تومرت في انشاء دولة الموحدين ؛ فكان ذلك حصنه المنيع الذي التجأ اليه اتباعه ريثما تكاملت قواهم فزحفوا على مدينة بسكرة واحرقوا بها وحاصروها سنة ٣٠٣ هـ (١٣٠٣ م) وقطعوا نخيلها وشددوا في تضيقهم على اهلها وبذلوا

غاية جهدهم لفتحها فاستعصت عليهم ثم اعادوا غزوها فخابوا ورجعوا عنها مرتين ،
ويومئذ ٧٠٥ هـ (١٣٠٥ م) اقل سعادة بقومه الى مشاتيهم ، فمكثوا في رباطهم
بزاب طولقة ريثما تهبأت لهم الاسباب فغزوا مدينة «مليلي» احدى مدن بسكرة ،
فاستصرخ اهلها بابن مزني فانجدتهم عساكرة المخيمة هناك ، واشتد اوار الحرب
بين طائفة السنية وجنود الامير ، فاسفرت الواقعة عن قتل الزعيم سعادة وحمل
رأسه الى ابن مزني ، فاستشاط لذلك غضب اتباعه فاندفعوا في حملة عنيفة بقيادة
ابى يحيى بن احمد شيخ اولاد محرز - من الدواودة - الى عاصمة الزاب -
بسكرة - فشنوا غارتهم عليها وقطعوا نخيلها وحملوا وطيس الحرب فعظمت
الفتنة واشتد القتال ، فكان فيمن وجد قتيلا بحومة الوغى على بن منصور بن
مزني ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) واخذ بعض رؤساء قومه فاسروا وفيهم من احرق بالنار
وسكنت الحرب مدة تمكن فيها السنية من نشر مبادئهم الاصلاحية تحت اشراف
رئيسهم الدينى الشيخ ابى عبد الله محمد بن الازرق المقرئ ؛

استمر امر السنية على ذلك وهم يترقبون الفرص ويرصدون الخلس ، الى ان
جاءهم المدد من ناحية «ريغ» فاعادوا حصار بسكرة سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ م) تحت
امرة على بن احمد شيخ اولاد محمد - من الدواودة - واطالوا حصار عاصمة الزاب
اشهرا واخيرا عجزوا عن اقتحامها فرجعوا الى مراكزهم ؛ ونزل الشيخ ابن
الازرق مدينة بسكرة باستدعاء من صاحبها يوسف بن مزني - تفريقا لامر السنية -
وعرض عليه قضاءها فاجابه الى ذلك ؛ وانسحب يومئذ حزب السنية من الميدان وانتشر
عقده ولم يبق له ذر الا عند من يتخذة كوسيلة للتوصل به عند العامة الى قبض الصدقات
والزكاة والنذر باسم القيام بتغيير المنكر . وان «برج سعادة» المعروف الى اليوم قرب
مدينة طولقة هو مكان الرباط الذى اسسه الزعيم «سعادة» وذلك لقول ابن خلدون :
واوعز - اى ابن مزني - الى اهل طولقة بالقبض على سعادة فخرج منها وابتنى بأنحائها
زاوية ونزل بها هو واصحابه واقام المرباط سعادة بزوايته من زاب

طولقة ، ولقد بقى من عقب سعادة على عهد ابن خلدون بالزاوية المذكورة بنون وحفدة يوجب لهم ابن مزني الرعاية وتعرف لهم اعراب الفلاة من رياح حقا في اجازة من يجيزونه من اهل السابلة [١]

الجزائر بين الحفصيين والمرينيين

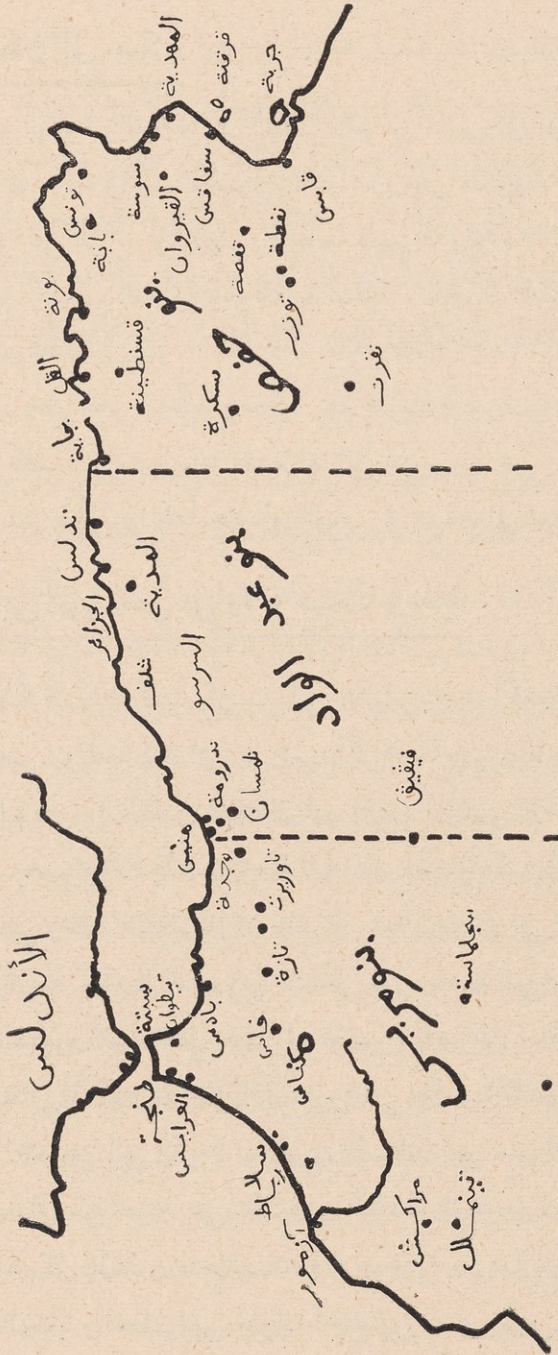
ذهبت دولة الموحيدين العظيمة التي كانت تعرف كيف تسوس رعاياها العرب المتهالكين على الرئاسة وتركت بعدها اضطرابا عظيما بين تلك القبائل العربية المتشوقة الى مناصب الحكم المتفرقة يومئذ تارة هنا وتارة هناك تجرى وراء كل ناعق ترى فيه نيل مرادها والحصول على اغراضها ، فطوراً نراها تسير في ركاب الحفصيين ، وطوراً نجدها منحازة الى بنى مرين ، وتارة تكون في جانب الزيانيين ، كل ذلك تفعله لغاية واحدة هي الحصول على الرئاسة ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة ، فكانت حملات الاعراب هذه شديدة على الحفصيين ، وتعددت يومئذ الوقائع الثورية وانتشرت الفوضى وعمت الفتن لا في الجزائر فحسب بل بالمغرب الاسلامي كله ، وعجز الحفصيون عن رد عادية هؤلاء الاعراب فضاخوا بهم ذرعا فاضطروا الى الاستنجاد بدولة بنى مرين ، فجاءت هذه حامية للدولة المستنجدة فاحتلت اولاتلمسان سنة ٦٩٩هـ (١٣٠٠م) بدون ان تحفظ للحفصيين حرمة ، بل لم يكتف بذلك السلطان ابو يحيى المريني فحاصر ايضا بجاية سنة ٧٠١هـ (١٣٠١م) .

ثم في سنة ٧٢٨ هـ (١٣٢٧ م) حدث من الفتن ما اضطرب لها بال السلطان الحفصى حيث ظهر في اسرته من ينازعه في الحكم مطالباً بالعرش ، مستصراً عليه بنى عبد الواد الزيانيين ملوك تلمسان ، فاستصرخ الملك الحفصى يومئذ بالسلطان ابى سعيد المرينى على ان يقاسمه ولاية تلمسان - ان انتصر على اهلها - فكان الامر كذلك واقتسمت اوطان بنى عبد الواد بين بنى حنص وبنى مريـن وتم ذلك بينهما سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م)

واخذت حيثئذ مطامع المرينيين تتسع وأنظارهم تشوف الى حيازة المغرب الاوسط - الجزائر - ، وما كادت تمضى خمس سنوات حتى تحرك السلطان ابو الحسن المرينى من عاصمة فاس ، قاصدا غزو الجزائر ، فاقتحم تلمسان عنوة يوم ٢٧ رمضان ٧٣٧ هـ (٣٠ افريل ١٣٣٧ م) وقد اربى يومئذ عدد القتلى على ثمانين الف قتيل ، ومنذ ذلك اخذ شأن المرينيين يرتفع ويعلو بالمغرب الاوسط ونفوذهم ينتشر شيئا فشيئا حتى عم سلطانهم القطر المغربى كله وذلك فى مدة لا تزيد على عشر سنوات ، وحكموا تونس ايضا مدة عامين ونصف ثم عادت الى اصحابها الحفصيين ، واستعاد الفضل بن يحيى الحفصى مدينة بجاية وقسنطينة فاحتلها يوم الجمعة غرة المحرم سنة ٧٤٩ هـ [فاتح افريل ١٣٤٨ م] ؛ وسقطت ولاية تلمسان بيد ابى عنان المرينى فاحتلها سنة ٧٥٣ هـ [١٣٥٢ م] وبلغ الى المدينة ، ثم بعد سنتين فتحت لهم بجاية ثم قسنطينة وبونة سنة ٧٥٨ هـ [١٣٥٦ م]

وفى شوال ٧٦١ هـ [اوط ١٣٦٠ م] ازمع الحفصيون واجمعوا على استرجاع ملكهم الضائع بالمغرب الاوسط ، فنازل ابو عبد الله الحفصى مدينة بجاية فامتنعت عليه فداب على المكافحة وثابر على متابعة الفتح بتكرار دشن الغارات عليها حتى فتحها فى رمضان ٧٦٥ هـ [جوان ١٣٦٤ م] ، وبعد شهرين نازل مدينه تدلس - دلس - فاقتكها من يد الزيانيين ، ثم استعادها السلطان ابو حمو الثانى كما سنذكره فيما يلى من تاريخ الدولة الزيانية وانزل بها حاميته وعقد السلم مع ابى

عبد الله الحفصى واصهر اليها في ابنته ، ثم عاد الحفصيون فاحتلوا تلمسان مرة اخرى واستعادوا اليهم ملك بسكرة وقسنطينة وبايعهم اهل المدينة ومليانة وتنس ، وهكذا اصبحت الجزائر تتمقل بين ايدى ملوك المغرب الاسلامى يتهافتون عليها تهافت الفراش على السراج ولم يكن لها فى هذه الاونة استقلال بالحكم الا برهة قليلة من الزمن قام فيها بعض ولاة العواصم المستبدين فتظاهروا فيها بمظهر الملك ؛ وظلت كذلك الى ان تمحض حكمها لبني عبد الواد الزيانيين



خريطة المغرب الاسلامي منذ القرن السابع الهجري الى اواسط العاشر

حركة السلطان الى بسكرة

لقد بلغت النخوة والتهيه بعامل الزاب احمد بن مزني الى ان استشرفت نفسه الى الامتناع من اداء واجب الخراج للدولة ورفض طاعتها محتميا بالاعراب القاطنين بضواحي الزاب والتلول ، وخاصة منهم الدواودة الذين طالما اسخطوا الحكومة عليهم بأعمالهم العدائية ومواقفهم السلبية ، فتحرك السلطان ابو العباس احمد الاول الى قاعدة الزاب - بسكرة - سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) فجاءها في جيش عظيم حتى ازدحم الناس بالجند وضاقوا بهم ذرعا ، وضرب عليها الحصار وكانت هنالك مقتلة عظيمة دامت اياما خضع لها ابن مزني واذعن لسلطان الحفصيين فكفت عنه ايدي الجند وانكفأ عنه ابو العباس في قومه الى تونس

تنازع امراء بني ابي حفص على ولاية قسنطينة وبجاية

كانت ولاية قسنطينة لابي بكر بن ابي العباس احمد الحفصي ، فنازعه عليها ابن عمه الامير ابو عبد الله محمد بن ابي زكرياء صاحب بونة - عنابة - وحاصرها سنة ٧٩٦ هـ [١٣٩٤ م] فانتصر السلطان ابو فارس الحفصي لاخيه ابي بكر ووقع بابن عمه صاحب بونة ، فذهب يومئذ ابو عبد الله ملتجئا الى فاس مستصرخا سلطانها المريني ومكث هنالك الى ان عقد له سلطان مرين على جيش عظيم زحف به على بجاية سنة ٨١٠ هـ [١٤٠٧ م] فانتصر على صاحبها ابي يحيى فعزله وولى مكانه ولده المنصور ثم ارتحل عنها الى تونس منتقما من سلطانها ابي فارس ؛ فخالفها السلطان المذكور الى بجاية فأقصى عن حكمها المنصور وجعل ولايتها لابن اخيه احمد بن ابي بكر ، ثم انبرى لمقاتلة ابي عبد الله فظفر به فقتله وبعث برأسه الى من نصبه على باب فاس اغاضة لمؤيدة وناصره سلطان بني مرين ، وتقدم الى تلمسان فاحتلها سنة ٨١٢ هـ [١٤٠٩ م] ثم كانت هدنة وصلاح تبودلت فيه الهدايا والتحف بين ملوك الحفصيين وبني مرين

ولما انتصب السلطان ابو عمرو عثمان على عرش تونس مكان اخيه المنتصر المتوفى سنة ٨٣٩ هـ [١٤٣٥ م] قام في وجهه صاحب بجاية وهو يومئذ على بن عبد العزيز . فامتنع عن مبايعته مدعيا انه احق بالملك من عمه ، وقد شايعه على ذلك فقيه بجاية منصور بن على بن عثمان ؛ فنشأت عن ذلك حروب وخطوب انهزم فيها صاحب بجاية وامتلكتها السلطان ابو عمرو في جمادى الثانية سنة ٨٤٣ هـ [نوفمبر ١٤٣٩ م] فولى عليها ابن عمه عبد المؤمن بن احمد الاول

مشاركاة الجزائر في هزم الصليبيين

كان لانهمز ام النصراري عن انطاكية واستيلاء سلطان مصر الملك بيبرس البندقداري على بلاد سورية امتعاض شديد وغيط عظيم اورثهم شجوا وشجنا ، فقامت لديهم قيامة الاحزان وارسلوا الى البابا «كليمنضوس الرابع» يطلبون منه المساعدة والمعاونة على القتال باسم الصليب - كذبوا زورا - ؛ فأرسل هو بدوره منشورا الى جميع ملوك اوربا يستنفرهم ويستنفرهم الى ايقاد حرب صليبية ثامنة لاختارهم من المسلمين ، فكان اول من لبى نداء البابا ملك فرنسا لويس التاسع St Louis واخذ في تجهيز العساكر والاساطيل لذلك ، وبعد استشارة اصحابه ووقوع المداولات بينهم في تعيين البلاد التي تقصدها الحملة الصليبية وقع الاتفاق على مهاجمة تونس بدعوى ان اهل المغرب طامتعوا على بحرية فرنسا وغيرها ؛ فسارت الحملة بقيادة الملك لويس المذكور ونزلت بأقراض مدينة قرطاجنة من الساحل التونسي ، وكان عدد جيش الصليبيين زهاء ستة آلاف فارس وثلاثين الفا من الرجال ، وبلغت اساطيلهم ثلاثمائة قطعة ما بين كبار وصغار ، فنادى حينئذ السلطان الحفصى ابو عبد الله محمد المستنصر الاول في الناس بالاستعداد والنفير العام ، وارسل الى جميع الممالك التابعة له - ومنها الجزائر - يطلب المدد ، فوافقه الامداد من كل ناحية ، وجاءه ابو هلال عياد صاحب بجاية في جموعه وسرح اليه محمد بن عبد القوي عسكر بني توحين لنظر ابنه زيان ، وجاءت جموع العرب وهوارة وولها صة - سكان بسيط بونمة -

وسدويكش وهم سكان مواطن صنهاجة بالبساط الواقعة بين قسنطينة وبجاية - وامده ايضا ملوك المغرب من زناتة واحتدمت الحرب في منتصف المحرم ٦٦٩ هـ (٥ سبتمبر ١٢٧٠ م) ونشب هناك بين الفريقين قتال عنيف مات فيه عدد عظيم من الطرفين وغدا ملك فرانسوا قتيلا ، قيل انه مات حتف أنفه ، وقيل انه اصابه سهم غرب فقتله ، وقيل اصابه مرض الوباء ، ويقال ايضا وهو بعيد ان السلطان بعث اليه مع ابن جرام الدلاصي بسيف مسموم كان فيه مهلكه [١] فانسحب الصليبيون يومئذ عن تونس منهزمين وكفى الله المؤمنين القتال

مقاومة القرصنة الاروية

لقد بلغ من عتو قراصنة الغرب واصوصه ان اصبحوا يجوبون هذا البحر ويعترضون مراكب المسلمين فيها فيتخطفون الناس من اهل المغرب ويسعونهم باسواق اوروبا بيع السوائم ، فكشرا ماحدثنا التاريخ عن بحارة اوروبيين كانوا يستغلون حركتهم التجارية لارتكاب القرصنة ؛ فان المؤرخ المسيحي «دوماس لاطري» يقول ان في سنة ٥٩٦ هـ (١٢٠٠ م) هجمت سفينتان من بيزا على مراكب اسلامية واسرت ركابها وانهكت اعراض النساء ووضعت يدها على ما صادفته من عروض ومتاع ؛ ويكفي ان نعيد للأذهان كما يقول المؤلف المذكور : آلاف المزارعين والملاكين العرب الذين اختطفوا في قباس عام ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) وجربة عام ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م) وطرابلس عام ٧٥٦ هـ (١٣٥٥ م) ثم بيعوا في اسواق الرقيق باوروبا

وبان اول من انبرى لمقاومة هذه القرصنة الاروية ورد عاديها عن سواحل المسلمين بالمغرب اهل بجاية فانهم قد كالوا لهؤلاء القراصنة كيلا بكيل ، فاتخذوا مثلهم الاساطيل للغزو وأخذوا في الهجوم علي سواحل الافرنج مثل جنوة والبندقية وسواحل ايطاليا واسبانيا ، فغنموا واسروا ، وكثر يومئذ عدد

(١) راجع ابن خلدون ج ٦ ص ٢٩٠ ٢٩٤ والخبار السنية ص ٢٦٧-٢٧٠ ط مصر ١٣١٧ هـ

الاسرى في بجاية حتى اشتد لغتهم وصخبهم بالمدينة من أثر اجترار السلاسل والاعلال ؛ ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ولم تعدم الانسانية بحمد الله رجالا عاملين على المحافظة على شرفها والسموبها الى مقامها الجديرة به في هذه الحياة ؛ فلقد كان لعملية القرصنة هذه استياء عظيم في قلوب الافارقة المسلمين فعملوا على عقد معاهدات بينهم وبين دول هذا البحر من الغربيين ؛ وحرصوا على توفير الضمانات وفرض التعويضات على الخسائر التي تلحق رعايا الطرفين من جراء اعتداء القرصنة ؛ فتعهدت جميع الدول التي ابرمت تلك الوثائق بالعمل المشترك لاستئصال القرصنة ، ولقد نصت معاهدة (صيو) في فصلها التاسع عشر على انه اذا ما اضطر الموحدون الى تجهيز مركب لمطاردة احد القرصنة الجنوبيين فان جمهورية جنوة يجب عليها اذ ذاك ان تجهز بدورها مركبا للمساهمة في هذه المطاردة ، وقد ادى الامر بالطرفين - استئصالا لارباح القرصنة العفنة - الى تحضير بيع الغنائم والاسرى وتسريح هؤلاء عاجلا بدون فداء ، بل قرر الجانبان معا اتلاف مصادرة اموال القرصنة الذين يهاجمون رعايا الدول المتحالفة ، ولكن بالرغم عن كل ذلك ظلت كل من اوربا وافريقية تعجان بالاسرى المسلمين والمسيحيين ، ولقدوازن المؤرخ «لاطرى» وقابل في كتابه المذكور بين فظائع القرصنة المسيحية وفظائع القرصنة الاسلامية ، فلاحظ ان المسيحيين يتحملون قسطا وافرا من النهب والتدمير الذي ارتكب باسم القرصنة البحرية والذي نسب الى المغاربة وحدهم (١) ؛ وما كان من حق المؤرخ المذكور ان ينسب هذا العمل الشنيع الى الاديان او يسميه بها ، فالقرصنة ليست هي في شيء من الدين ، فلا هي مسيحية ولا اسلامية ، وانما هي تطاول على الغير حسبا في الاثرة والغلبة ، وقد تكون دفاعا وذبا عن الحمى وحيثئذ تلحق بباب الجهاد والحرب ولكل منهما حدود وقوانين

الاسلام والنصرانية بالمغرب

جاء في المعاهدة التي ابرمها السلطان المستنصر الحفصي سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠م) مع ملك فرانسافليب الجريء، وشارل دوق انجو، وتيبو ملك نافار، ن للرهبان والقساوسة المسيحيين الاقامة بالمملكة الحفصية تحت رعاية الدولة الاسلامية، ولهم اتخاذ الكنائس والاديرة لاقامة شعائرهم الدينية وطقوسهم التقليدية والقاء المواعظ الخ... كما لو انهم كانوا في ديارهم وبين اظهر قومهم، واعطيت لهم الارض الكافية لذلك؛ فتكاثر يومئذ عدد النصارى ببجاية وغيرها من بلاد الجزائر وتونس وطرابلس، وانتشرت معابدهم بها، وذلك غاية في التسامح وفي التاريخ المذكور سقطت جزيرة «ميورقة» بيد «يعقوب» الاول ملك «اراغون» فذهب اليها الراهب الفرنسي «ريموندلول» فوجدها صالحة لبث تعاليم المسيحية ونشر مبادئ مذهبه «الفرانسيسكي» (١) فابتنى بهاديرا لاجتماع الطائفة به واتخذ مركزاً للتبشير بعقيدته، وفيه اخذ في درس اللغة العربية ليستعين بها على تنصير المسلمين بالمغرب، ولقد بلغ هذا الراهب من الجراءة والحماسة الى ان اتى بحنقه في تونس عاصمة المملكة الحفصية وطفق يطعن في الاسلام ويستنقص رسوله الكريم فهم بقتله المسلمون لولا ان ادركته عناية السلطان الحفصي فانتشله من ايدي الرعية وانقذه من الردى وابقاه اسيراً بتونس مدة، ثم اطلق السلطان كبله وفك اسره فارتحل يومئذ الى مدينة الجزائر، ومنها انتقل الى بجاية واستمر يعمل بها على خطته المعهودة في نشر دعوته التبشيرية معلنا عداوته للاسلام فقتل هنالك يوم ١٧ ربيع الاول ٧١٥ هـ (٢١ جوان ١٣١٥م)

(١) اسمه القديس الايطالى «فرانسوا داسيز» المولود سنة ١١٨٢ والمتوفى سنة ١٢٢٦م وكان تأسيس مذهبه هذا سنة ١٢٠٩م

المعتقدات والمذاهب الدينية

ما برح المسلمون في مشارق الارض ومغاربها ينظرون الى علماء الاسلام وائمة مذاهبه والمجتهدين منهم واختلاف اقوالهم وآرائهم في احكامهم وشرائعهم الا كنظرهم الى مذهب واحد وامام واحد، من غير تكبر ولا تعصب ولا تحيز ولا اعتراض؛ فليس عندهم ترجيح لهذا عن ذاك ولا تفضل بين امام وامام او مذهب دون مذهب فالكل على هدى من ربهم ورحمة، والشريعة بينهم كالبحر من اى الجوانب اغترفت منه فهو واحد، وان ما ورد عن هؤلاء الاعلام من الاختلاف في الفتوى وبعض الفروع انما كان عن اجتهاد وجد ودأب منهم رضي الله عنهم في خدمة هذا الدين الحنيف رحمة بالمسلمين، وقد كان سفيان الثوري رحمه الله تعالى يقول: لا تقولوا اختلف العلماء في كذا وقولوا قد وسع العلماء على الامة بكذا؛ اذ كلهم يعرفون من معين واحد سماوى كله خير وبركة، واستمر الحال على ذلك الى ان حدث تقليد اهل المذاهب في القرن الرابع الهجرى وابتدا الجدل.

وبينا المسلمون على ذلك في تقليدهم هذا مطمئنين خاشعين الى ربهم اذ فوجئوا بحادثة وقعت بمصر ايام دولة المماليك البحرية، اختلف فيها الملك الظاهر «بيبرس» العلائى البندقدارى ٦٥٨-٦٧٦ هـ ١٢٦٠-١٢٧٧ م وشيخ الاسلام الوزير تقي الدين بن بنت الاعز، فذهب كل منهما غير مذهب صاحبه، واغتنم حسدة الشيخ ومنافسوه فرصة هذا الخلاف المستحدث فزينوا للسلطان قول الحنفية في المسألة اعتراضا على الشيخ تقي الدين الذى كان يرى رأى الشافعية فيها، وكان يومئذ لا يلى القضاء ولا يقدم للحكم بين الناس في مصر الا الشافعية. اتباعا لما كان عليه الايوبيون من قبل، فتوسع السلطان الظاهر يومئذ ٦٦٥ هـ ١٢٦٦ م في ديوان القضاء وجعله لاربعة فقهاء من اهل المذاهب الاربعة: شافعي وحنفي ومالكي وحنبلي، وافتي فقهاء الامصار بوجوب تقليد اصحاب هذه المذاهب خاصة وتحريم ما عداها، واقامت لاهلها الخوانق والزوايا والربط، وحسبت

باسمها الاوقاف وعودى من تمذهب بغيرها وانكر عليه . ولم يول قاض ولا قبلت شهادة احد ولا قدم للخطابة او التدريس او الامامة بالمساجد احد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب الاربعة (١) ولا ادرى ما حجتهم في ايجابهم تقليد البعض من ائمة المذاهب دون البعض ، وكلهم عالم وكلهم مجتهد؟ ... ولعل الائمة الذين رغبوا عن اقوالهم وعن مسائلهم الاجتهادية الشرعية هم اعلم بتلك المسائل او - ببعضها - من غيرهم ؟ ... ومن يدري ؟

.... وكان ما ارادوا وانصرف الناس يومئذ الى تقليد الائمة الاربعة واجتهدوا في استنباط الاحكام واستخراج النصوص الفقهية وتفريع المسائل الشرعية على مقتضى قواعد المذاهب الاربعة ، وتحول اليها طلاب الوظائف والمتطلعون الى نيل الحلا وحيازة المناصب البارزة في الدولة (٢) وكان من المصادفة ان ظهر وقتئذ بمصر رجل زعم انه ولد الخليفة الظاهر بن الناصر العباسي ، وانه نجا بنفسه من مذبح المغول ببغداد ، وبعد ان ثبت نسبه لدى حكومة مصر رسميا بايعه السلطان بالخلافة - تبركا - ولقبه « بالمستنصر بالله » او « الحاكم بأمر الله » ، فتوهم البعض من سكان الامصار والممالك الاسلامية ان ما اشتهر بمصر من وجوب الاقتصار على تقليد هذه المذاهب الاربعة خاصة انما كان صادرا عن اذن الخليفة العباسي المقيم يومئذ هناك ، فامثلوا واطاعوا لدولة المماليك واقتصروا منذ ذلك العهد في اخذ

[١] خطط المقرئى ج ٢ ص ٣٤٤ ط بولاق ١٢٧٠هـ . ولقطة العجلان ص ٢٣٤ ط استانبول

١٢٩٦هـ

[٢] كان الشيخ محمد بن الدهان البغدادي المتوفى سنة ٥٩٠هـ ١١٩٤م حنبليا فتشفع ، ثم تحنف حين طلب الخليفة نحويا يعلم ولده النحو ، ثم عاد الى مذهب الشافعية حين شغرت وظيفة التدريس بالنظامية وكان من شرط صاحبها ان يكون المدرس بها شافعيًا ، ولم يكن عهدئذ احد اعلم منه بالفقه والنحو ، وكان الامام ابو حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ ١٣٤٤م ظاهريا ثم تشفع حين انتقل الى المشرق ، فتسولى تدريس التفسير بالمنصورية والاقراء بالجامع الاقر بالقاهرة ، وكان يقول : محال ان يرجع عن مذهب الظاهر من علق بذهنه .

احكامهم الشرعية عن فقهاء هذه المذاهب خاصة والغناء كل ما عداها ، ولم يشذ في ذلك سوى الزيدية باليمن ، والشيعية بفارس والعراق ، والاباضية بعمان والمغرب فتمسك كل من هؤلاء بمذهبه ، وما شذ هؤلاء الطوائف الثلاث عن الامثال لهذا الامر الا لكونهم لا يرون صحة امامة العباسيين ولا يعترفون بخلافتهم . ومنذ يومئذ انفردت المذاهب الاربعة بالانتشار والتمسك في البلاد واخذ غيرها في الاندثار والتقلص تدريجيا الى ان اصبحت الامر على ما هو عليه الحال الى الآن (١)

(١) يذكر علماء الاحصاء ان اكثر المذاهب ذيوها وانتشارا في العالم الاسلامي اليوم هو مذهب ابي حنيفة ، فانه الغالب على بلاد الهند وان اتباعه هنالك يقدرون بنحو ٤٨ مليون مسلم ، ويكثر مقلدوه ايضا في بلاد العراق والشام والافغان والتركيستان — الشرقية والغربية — والقوقاز ، وهو الغالب ايضا على الاتراك والالبانيين ، وسكان البلقان والاتحاد السوفيتي ، وفي البرازيل بأمريكا الجنوبية نحو الخمسة والعشرين الف مسلم حنفي ، ويقدر الجميع بنحو ١١٨ مليوناً حنفيًا . ويلي في الذبوع والانتشار مذهب الشافعية ، فهو الغالب على القطر المصري — ما عدا الصعيد فأتاه اهل مالكية — وعلى بلاد فلسطين وبلاد الاكراد وأرمينية ، واكثر السنية من اهل فارس شافعية — وفيهم الحنفية — (والاغلبية عندهم شيعة) وجميع مسلمي جزيرة سرنديب - سيلان - جزائر الفيليبين وجاوة وما جاورها من الحزركلهم شافعية ، وكذلك اهل الهند الصينية واستراليا واهل عسير والسنين في اليمن وحضرموت - عدا عدن - فان فيها بعض الحنفيين ، كما انه يغلب ايضا على أهل الحجاز مع مذهب الحنابلة ، ويتبعه نحو الربع من مسلمي الشام ، ويكثر اتباعه بالعراق - اعني بعد المذهب الحنفي - ويتبعه في الهند نحو المليون مسلم ، وفي تركيا نحو المليون ونصف شافعية كما انه يوجد بقلة في جهات اخرى ، ويقدر المجموع بنحو ٧٣ مليون .

ويليه في نسبة عدد الاتباع المذهب المالكي فانه الغالب على اهل المغرب الاسلامي وارض الصعيد والسودان والكويت وقطر والبحرين ، وله اتباع ومقلدون في العراق والحجاز وفلسطين واكثر اهل السنة في الاحساء مالكية وحنابلة ، ويقدر مجموع المالكية بنحو ثلاثين مليون .

اما الحنابلة فانهم اظهر ما يكون ينجدهم والحجاز بجانب المذهب الشافعي كما هم فلسطين ايضا ، ونحو الربع من اهل السنة بالشام حنابلة ، وهذا المذهب اتباع قليلون بقطر والبحرين من النازحين الى هذه البلاد من نجد ، ويقدر عدد اتباع المذهب الحنابي اليوم بنحو ٢٠٠٠٠ نسمة . وفي الجزائر اليوم بجانب المالكية نحو الاربعين الف اباضي ، وبإضافة ما يجربه من اباضية وهم ٢٠٠٠٠ نسمة ، وما بعمان ٥٩٧٦٠٠ نسمة ، وما بجبل نفوسة بالقطر الطرابلسي ٤٨٠٠٠ نسمة ، كان مجموع عدد الاباضية زهاء ٧٠٥٦٠٠ نسمة .

وانظر ما قدمناه من كلامنا حول حركة المذاهب الاسلامية وتطورها بالجزائر في الجزء الاول صفحة ١٧٧-٢٠١-٢١٩-٢٥٧-٢٦٤-٢٩٤-٣٢٧-٣٥٠-٣٨١

وان هذا العمل وان كان فيه نوع من جمع كلمة المسلمين وتوحيد اتجاههم وصد لتلاعب المغرضين وارباب الدعاوى العريضة فان فيه ايضا تضيقا لسعة الفقه الاسلامي وتحجيرا للافكار الحرة وقتلا للنشاط والبحث العلمى وتعطيلا للشريعة بحمل الاكفاء من الناس على ترك الاجتهاد في تفهم الكتاب والسنة واستنباط الاحكام على ما توجه مقتضيات الحياة وعلى ما يقتضيه تقدم العلم وترقى العقل البشرى واتساع مدارك ومدارجه وما يتجدد مع الزمن من حوادث ونوازل، وفيه كذلك تسفيه لآراء المتقدمين وطعن في جميع ما ذهبوا اليه من آراء كان لا يراها اصحاب المذاهب الاربعة، في حين انهم كلهم كانوا لا يرون فيما عالجوه من شؤون المجتمع وما بذلوه من وسع في الذب عن حقيقة الدين وما انفقوه من جهود جبارة في استنباط الاحكام والاستدلال عليها بصحيح الكتاب والسنة وتدوينها لخدمة دين الاسلام الخالد الذي لا يسعم كل ما عرف من مذاهبي - جميعها - الى اليوم فكيف يسعم الاقتصار على هذه الاربعة فقط !.... وفي ذلك ايضا من الجلود المميت للقرائح، والتضييع للعلم بالغاء ما احتفظ به الاولاء من اثر صحيح او اجتهاد صائب، ورحم الله شيخ الاسلام زكرياء الانصارى حيث قال : « اياكم ان تبادروا الى الانكار على قول مجتهد او تخطئته الا بعد احاطتكم بأدلة الشريعة كلها ومعرفتكم بجميع لغات العرب التى احتوت عليها الشريعة ومعرفتكم بمعانيها وطرقها، فاذا احطتكم بها كما ذكرنا ولم تجدوا ذلك الامر الذى انكرتموه فحيثنذ لكم الانكار والخير لكم، واني لكم بذلك » ؟!..... وبالفعل انعدم يومئذ الاجتهاد واغلق بابه بالمغرب الاسلامي كما ذكره العز بن عبد السلام - ٦٦٠هـ - ١٢٦١م - وقل انصاره بالمشرق ايضا .

ولو راجعنا رجال هذه المذاهب الاربعة انفسهم واستشروناهم فيما احدثه

المحدثون حول مذاهبهم لما وجدنا فيهم واحدا - رحمهم الله تعالى - يرى هذا التحجير او قل التضيق ...! فهذا امام دار الهجرة مالك بن انس نراه ينهى الخليفة ابا جعفر المنصور عما وجه اليه عزيمته من حمل الناس على مذهبه قائلا: « لا تفعل ذلك يا امير المؤمنين ، فان الناس قد سبقت اليهم اقاويل ، وسمعوا احاديث ، ورووا روايات ، واخذ كل قوم بما سبق اليهم ، ودانوا الله تعالى به ، فدع الناس وما اختار اهل كل بلد منهم لانفسهم » ، وكذلك نجد الامام هذا نفسه يؤكد في دفع الخليفة هرون الرشيد عما هم به هو الاخر ايضا من تعليق كتاب الموطأ في الكعبة وحمل الناس على ما فيه ، فقال « يا امير المؤمنين لا تفعل فان اختلاف العلماء رحمة من الله على هذه الامة فكل يتبع ما صح لديه عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله ، وان اصحاب رسول الله اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلاد وكل مصيب » فقال لما الرشيد : وفقك الله يا ابا عبد الله ...! ولقد صح عن الشافعي ايضا انه نهى الناس عن التقيد حتى بمذهبي ، وهكذا كان منهاج جميع ائمة السلف رحمهم الله تعالى ، فلم يبلغنا عن احد منهم انه امر اصحابه بالتزام مذهب او الاقتصار على مذهب واحد معين ، بل المنقول والمقرر عنهم جميعهم انهم كانوا يحثون اصحابهم على الاجتهاد في اخذ الاحكام من مصدر الشريعة المطهرة ، وكانوا يرون ان التقصير في هذا معصية واشراف على خطر عظيم ، ذلك لان الحوادث والوقائع في المعاملات لا تتناهى فلا بد اذا من الاجتهاد او الاخذ بجميع مذاهب الاسلام على الاقل ، نعم انهم كانوا يعملون بقتوى بعضهم بعضا ولكن كلهم لسان واحد يقول : اذا صح الحديث فذاك مذهبي ، فما معنى اذا هذا التضيق ؟! ... اللهم الا ان يقال ان ذلك كان موقتا وفي ظروف مخصوصة منعنا لتسرب التعاليم الدخيلة في الاسلام فمسلم .

ويتصل بهذا ما يرجع الى مباحث اصول الدين وتشعب الجدل الديني في العقائد واختلاف ارباب الفرق والطوائف الاسلامية في المعتقدات وتضارب

انظار ائمة مذاهب علم الكلام واهل الاعتزال كما هو السائد يومئذ بالمشرق ، فان ذلك كله لم يكن منه شيء بالمغرب ، وخاصة في الجزائر فانها بريئة من ذلك ، والناس فيها على عقيدة مذهب السنة والجماعة حسب اصول مذهب الاشعري وتعاليمه التي جاء بها ابن تومرت من المشرق الى هذه الديار ، الا ما كان من جماعة الاباضية فان عقيدتهم ترمي الى الخارجية (١)

وما كان اتحاد الناس هنا بالجزائر والمغرب قاطبة في عقيدتهم الاشعرية وبعدهم عن الآراء الاخرى الا لشمسكهم بمذهب مالك ، وفي ذلك يقول عياض : « وقد نظرنا طويلا في اخبار الفقهاء وقرانا ما صنف في اخبارهم الى يومنا هذا ، فلم نر مذهبا من المذاهب غير -يعنى المالكي- اسلم منه ، فان فيهم الجهمية -والرافضة- والخوارج -والمرجئة- والشيعا -الا مذهب مالك فانا ما سمعنا ان احدا ممن قلد مذهبه قال بشيء من البدع » (٢)

وفي هذا العصر ايضا اخذت الطرق الصوفية تنتشر باشتهار رجالها المؤسسين في المشرق والمغرب ، كالقادرية المنسوبة الى الشيخ عبد القادر الجيلاني المتوفي سنة ٥٦١هـ - ١١٦٦م والشاذلية المنسوبة الى الشيخ ابي الحسن الشاذلي المتوفي سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م ، والنقشبندية المنسوبة الى الشيخ خواجه بهاء الدين نقشبند المتوفي سنة ٧٩١هـ - ١٣٨٩م والى هذه الطرق الثلاثة يرجع سند جل طرق المتصوفة المنتشرة اليوم بالمغرب الاسلامي وغيره ، وكان يومئذ حدوث وظيفة او قل منصب شيخ المشايخ بمصر ، احداثها السلطان صلاح الدين الايوبي ، غير ان الجزائر بقيت نازحة عن الفكرة الطرقية هذه ولم تتأثر بها بهذه الصفة التي هي عليها اليوم الا منذ العهد التركي العثماني فقط .

(١) انظر الجزء الاول من الكتاب ص ١٧٨ و ٢٠١ والملل والنحل للشهر ستاني ج ١ ص

١٨٠ ط مصر ١٣١٧هـ

(٢) مقدمة كتاب المدارك ص ١٩ ط باليرمو ١٩١٠م

اجل انه لم تكن ارض الجزائر منعزلة تماما او خلوا عن الفكرة الصوفية وطريق القوم ، الا ان علماء الشريعة بها كانوا بالمرصاد لاصحاب الشطحات والخرافات المبتدعة فلم يجراً يوماً على ادعاء الطريق ما لم يكن حقا هو على قدم الجنيد واضرابه ، واليك صورة مصغرة عن موقف علماء الجزائر تجاه هذه الطبقة من الناس :

روى الغبريني في عنوانه عن عالم بجاية الشيخ ابي الحسن عبيد الله الازدي المتوفي بها سنة ٦٩١هـ-١٢٩٢م قال انه كان متنزها عن مقالة المتلبسين وشعوذة المشعوذين غير مسامح في شيء مما يخالف ظاهر الشريعة ولا عامل على شطحات المتصوفة ، ولقد مضى بمسجده ابوا الحسن الفقير (١) المعروف بالطيار مع صاحب له من الفقراء ، ودخلوا عليه في وقت يحيا فيه المسجد ، فجلسوا من غير تحية فأمرهم بالتحية فقال له الطيار « ولذكر الله اكبر » وامتنع من الركوع ووقع بينه وبينهم في هذا كلام ، ولما ظهر منهم التوقف مع هذا المقال وعدم النزوع عن هذه الحال وقع العمل على نفيهم الى المغرب واخراجهم من البلد ؛ والنفي في حق هؤلاء وامثالهم قليل وانما الواجب ان يعاملوا بأسوء التمثيل ، وهؤلاء جملة اغبياء لا علم ولا عمل ولا تصوف ولا فهم وهم مع ذلك يجهلون الناس ويعتقدون ان مبناهم على اساس [٢]

(١) هو لقب عام لاتباع طرق المتصوفة عندنا بالجزائر

(٢) عنوان الدراية ص ٦٣

الثقافة والحضارة والعمران

لم تحد هذه الدولة في خطتها التمدنية عن ما قدمناه في تاريخ دولة الموحدين وكيف تحيد عنها وقد درجت من مهدها وتفرعت من ايكته وتغذت بلبنائها... فان معالم حضارة الحفصيين قائمة الى اليوم وآثارهم مشاهدة باقية بدار سلطانهم ومركز حكمهم - تونس - الى الآن؛ فهذه قلاع ومناور وتكنات، وهذه معاهد وقصور ومرستانات، وتلك مساجد ومدارس ودور كتب واسواق وحمامات، وهي كلها تمتاز بطابعها الحفصي وشكلها الانداسي الجميل المرتكز في تخطيطها على فن المعمار الصنهاجي وبنيات بني الاغلب.

والملاحظ على هذه الدولة انها قليلة الآثار بالجزائر وانها قصرت عنايتها العمرانية بعاصمتها ملكها - تونس - دون بقية مملكتها المتسعة بالجزائر اللهم الا شيء تافه يسير كضيعة فرفار التي احدثها بالزاب الغربي السلطان ابو العباس احمد الاول ٧٧٢هـ - ١٣٧٠م وتوسيع قصبة قسنطينة وجامعها الكبير سنة ٨١٦هـ - ١٤١٣م على عهد يحيى المنتخب، وتأسيس مسجد واركله - وارجلان - بالجنوب الجزائري المرسوم على مأذنته اسم الامير ابي زكرياء الاول فقط، ولا اعلم لهذه الدولة من آثار لها بالجزائر باقية غير هذه ولعل عذرهما في ذلك هو انصراف الحكومة يومئذ الى اخماد الفتن والثورات بالمغربين - الاوسط والادنى - واشتغال ولاية الامر بانقسام المملكة بين الجزائر وتونس واهتمامهم برد عادية المزارحين لهم من بنى مرين ومنافسيهم من بني زيان وشيوخ العرب ورؤساء القبائل البربرية الخ... وايا ما كان فان فضل بني ابي حفص على فن المعمار لا ينكر.

اما عن الاقتصاد فان الجزائر كانت مزدهرة بما فيها من اسواق قائمة وتجارة رائجة في انواع الحبوب والتمور والماشية والصوف، وخاصة بمدينة قسنطينة وبجاية وسطيف وميلة والقلعة وارض الزاب، وسير القوافل كان يومئذ منظماً ما بين الجزائر والسودان، وكذلك المواصلات بحرا ما بين المملكة

الحفصية والولايات الاطالية كقطلونية وصقلية وجنوة ؛ فانه كان لهذه الدول الغربية معاهدات وعلاقات تجارية مع الجزائر وتونس وكانت لها محطات ومستودعات لتبادل التجارة منبهة بكامل سواحل الشمال الافريقي كمركز بونة وبجاية، فمن هذه كانت تستورد حاجياتها الضرورية من حبوب وزيت وسمك وصوف ومرجان وانواع البسط والجلد الخ .. وذلك ما كانت الجزائر ولا تزال تغله الى الآن، وان المملكة الحفصية كانت بدورها كذلك تستورد من الخارج انواع الزجاج والمصوغ وادوات الحديد الصناعية الخ . . فازداد بذلك ثراء الرعية ، وبلغت ثروة اسرة القائد نبيل عشرين قنطارا ذهباً ناضاً ومثلها من قيمة الجواهر والعقار والاثاث ...!

وفي الميدان العلمي نرى التعليم يومئذ منتشر بالكتاتيب والمساجد التي هي معاهد الاسلام العلمية منذ وضع الرسول نفسه صلى الله عليه وسلم حجر مسجد الاسلام بالمدينة من اول يوم الى الآن، وكفينا ان نعلم ان ما ذكره ابن خلدون في مقدمته الحافلة من انواع جميع العلوم والمعارف والفنون والصناعات انما كانت كلها تدرس بالمساجد ، ولقد تلقاها هو نفسه في المساجد، وكان رحمه الله يتطوع بنفسه لنثقيف طلبة العلم بالتدريس في مساجد الجزائر كما يؤخذ من سيرته في بجاية بمسجد القصبة على عهد ولايته الحجابة لامراء هذه الدولة، تلك هي المساجد التي هدمها وخربها الاستعمار واخلى بقيتها من المدرسين ...! وان حركة التأليف كانت مطردة بالجزائر كما تشهد بذلك كتب التراجم وفهارس العلماء ، فان مقدمة ابن خلدون وضعها مؤلفها بالجزائر بقلعة بني سلامة بالجنوب الغربي قرب مدينة «فرندة» من مقاطعة وهران سنة ٧٧٦هـ (١٣٧٤م)، وان كلام الامام عبد الرحمن الثعالبي - واحمد المغراوي - واحمد بن يونس القسنطيني - وابي العباس احمد بن اديس البجائي - وحمزة بن محمد البجائي - ومحمد ابن احمد الوانوفي - ومحمد بن عبد القوي البجائي - وبنته رقية - ومحمد المقاسي - ومنصور بن محمد المتناني - وناصر بن احمد بن مزني - واسرة

المشد إلى في آخرين من العبقرين النبغاء الذين لا يقلون عن هؤلاء ثقافة وعلماً وأدباً
كلهم انجبتهم الجزائر الحفصية ، وإذا كان أبو علي المسيلي المعروف بأبي حامد الصغير
حين يشار إليه بالتفرد في العلم يقول : أدركت ببجاية ما ينيف على تسعين مفتياً
ما منهم من يعرف الحسن بن علي المسيلي من يكون ، فما ظنك بالادباء والنحاة
والمحدثين وغيرهم (١)

ويحدثنا الغبريني في عنوانه بشيء من التفصيل عن كتب الدراسة والفنون التي
كانت تدرس عهدئذ بالجزائر ، فهو يذكر لنا من دواوين امهات الفقه موطأ الامام
مالك والتهذيب للبرادعي والجلاب والتلقين للقاضي عبد الوهاب البغدادى -
ومختصر بن ابي زيد ورسالته الشهيرة - والمدونة وكتاب عبد الله بن عبد الحكم -
والتفريع لابن الجلاب - والتبصرة للخمى - وكتب ابن العربي والمازرى والقاضى عياض -
ولم يكن يومئذ يعرف بالجزائر او غيرها من بلاد المغرب مختصر خليل حتى
جاء به محمد بن الفتوح التلمساني سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢ م) فاقبل عليه الناس وعنوا
به وتناولوه بالشرح والتدريس مكتفين به عن بقية دواوين الفقه المالكي وامهاته
وفي الاصلين كتاب الارشاد لامام الحرمين والمستصفي للغزالي - والمعالم -
وكتاب الباقلاني وابن فورك - والسنن للشافعى - وكتاب ابيث بن سعد البصرى -
وجامع الخيرات لسفيان بن عيينة

وفي التفسير كتاب الكشف للزخشري واحكام القرآن لابي الحسن علي بن
محمد الطبرى - والكشف والبيان عن تفسير القرآن لابي اسحاق احمد الثعلبي
والتحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل لابي العباس المهدوى -
والوحيز في شرح كتاب الله العزيز لابن عطية المحاربى الغرناطى

وفي الحديث كل الصحاح - ما عدا ابن ماجة فانه لم يذكره الغبريني في
برنامج - وكتاب التمهيد لابن عبد البر القرطبى ، والمتنقى للباجسى ،

والمختار الجامع بين المنتقى والاستذكار للقاضي ابي عبد الله محمد بن عبد الحق
التلمساني ومسند احمد بن حنبل

واما علوم اللغة والادب فانها كانت تدرس بالجزائر في كتاب سيوية
والايضاح لابي على الفارسي - والجل للزجاجي - والعقد الفريد لابن عبد ربه -
وزهر الاداب للحصري - والقانون لابي موسى الجزولي - والمفصل للزحشرى -
وادب الكتاب لابي محمد بن قتيبة - وامالى القالى - وديوان الحماسة لابي تمام
وشعره وشعر المتنبي وابي العلاء ومقامات الحريري - ومقصورة ابن دريد

واما التصوف فانه كان يدرس في كتاب قوت القلوب لابي طالب المكي -
والرسالة المنسوبة للقسيري - وكتب ابي الفرج بن الجوزي - ورسالة فضل مكة
لابي سعيد الحسن بن ابي الحسن البصري

واما عن صناعة الطب فانها كانت - كما يقول الغبريني - اشد الصنائع ضياعا في
بلادنا ذلك لانها يتعرضها الغث والسمين ولا يقع بينهما التمييز الا عند القليل
من الناس؛ وهو يذكر لنا من كتب الطب المتداولة بينهم كتاب القانون لابن سينا
وارجوزته المشهورة في الطب ، وكان ممن برع في هذه الصناعة واشتهر امره
يومئذ بالجزائر الطبيب ابن اندراس فانه كان ماهرا في علمه باحثا محيدا تصدر لاقراء
العربية والطب ببجاية وكانت دروسه ومجالسه العلمية حافلة بأذكاء الطلبة واعيان
العلماء ويجرى فيها من الابحاث الدقيقة ما يعز وجوده في بطون الكتب ، وكان
ابن اندراس هذا على راس الاطباء المختصين بقصر الامارة في بجاية وبها وضع
ارجوزته في الادوية ، ثم استدعاه المستنصر الحفصي الى تونس فسلكه في طبقة
اطبائه المختصين به (١)

ولم يذكر لنا الغبريني عن كتب الفلسفة والمعقول شيئا سوى علم المنطق فانه ذكر بأنه كان يدرس عندهم على طريقة الفارابي وابن سينا وغيرهما من الاقدمين والمحدثين والمتوسطين ، وذكر من كتب المعقول المتداولة بينهم كتاب النجاة والاشارات والتنبيهات وكلها لابن سينا. والذي يبدو من كلام المقرئ في ازهار الرياض وابن خلدون في مقدمته انه لم يكن ببلاد المغرب يومئذ تحقق تام وتمكن من ناصية فنون الفلسفة والعلوم العقلية ؛ بحيث اننا لا نكاد نجد من آثارها ورسومها بالجزائر في هذا العصر الا قليلا عند امثال القاضى محمد بن ابراهيم الاصولي واضرابه، ذلك ان اهلها مع قلتهم كانوا مضطهدين من قبل علماء النقل الجامدين المتزمطين (١)

ويحدثنا التاريخ عن فخامة مكتبة الدولة الحفصية بما لم يعهد مثله يومئذ عند اى حكومة من الدول المعاصرة بالمغرب - وخاصة في اوربا - فان عدد كتب المكتبة الدولية بلغ الى ست وثلاثين الف مجلد ؛ (٢) بينما كانت مكتبة باريس في مفتتح القرن الرابع عشر الميلادى لا تزيد على بضع عشرات من الكتب ، ومثلها كذلك مكتبة «اوكسفور» Oxford من بلاد الانكليز فانها عهدئذ عبارة عن صندوق واحد فيه بضع مجلدات مجعولة تحت رحمة رئيس رهبان كنيسة مريم

ورغم كل ما ذكرنا من تقدم الحضارة وتوفر اسباب الثقافة والمدنية في هذا العصر فقد سجل التاريخ عجز دولة الحفصيين عن وقاية المغرب من سقوطه من قمتة مجده الشامخ التى تبوأها ايام دولة الموحدين ، ولكل امة اجل

(١) مقدمة ابن خلدون ص ٢٣٤ وازهار الرياض ج ٣ ص ٢٦

(٢) مما يذكره التاريخ بكل اسى ان هذه الكتب التى جمعها ابو زكرياء الاول تفرقت وبيعت سوق الكتبيين بتونس أيام حركة اللحياني الى قابس اوائل سنة ٧١٧هـ ١٣١٧م ؛ ولقد كان من حسن الحظ ان عوضها الامراء بعده بمكتبات شتى

انهيار الجزائر الحفصية

لم تزل الدولة الحفصية حاکمة على القطر الجزائري الى ان دهمها الشقاء ونخر عظمها الخلاف والافتراق وظهر في الولاة والرؤساء حب الترف والاسراف والانهماك في الشهوات، فذهبت هيبتهم من الصدور وخلت عن توقيرهم النفوس، فاستطاع بالدولة سماع سوء وخفت نشاطها السياسي، وشعر الاجانب بضعفها فارتاح لها اهل الحروب الصليبية فهاجمها لويس التاسع ملك فرنسا ومات هنالك بتونس كما تقدم؛ وهاجمها ايضا كارلوس صاحب صقلية؛ وذهب اليه يومئذ بالاسبان الذين انتصروا يومئذ على المسلمين بالاندلس الى غزو القطر الجزائري فاحتلوا المرسى الكبير بوهران سنة ٩١٠هـ (١٥٠٤م) وزحفوا نحو تلمسان ومستغانم وتنداس - دلس - وبجاية واستولوا على قلعة مرسى «الجزائر» فهدموا منها منارها الذي انشأه المسلمون لمراقبة العدو منه وبنوا مكانه حصن «البنين» وقد كان ذلك سنة ٩١٦هـ (١٥١٠م) بقيادة «الكونت دونافار»؛ ويومئذ خرج الى الجزائر الحفصى المقيم بقسنطينة متواريا الى قلعة بنى عباس فاستقر بها الى ان ظهر الاتراك العثمانيون بتونس فقاوهم السلطان الحفصى الحسن بن محمد مستعينا عليهم بالاسبان؛ فتحولوا عنه الى مدينة «جيجل» بالجزائر ففتحوها سنة ٩١٩هـ (١٥١٣م). وكانت ولاية بونة لاحمد بن الحسن الحفصى فنزل عنها للاسبان جزاء حمايتهم ودفاعهم عن تونس ضد الاتراك. وبقي هو مقيما بها الى ان بويع له بالملك مكان ابيه سنة ٩٤٣هـ (١٥٣٦م) فانتقل يومئذ الى تونس، وكان ذلك آخر العهد بالدولة الحفصية في الجزائر

وتمكن البرتغاليون يومئذ من احتلال بعض المراكز الهامة من الشمال الافريق فأقلموا فيه محارس وحصونا، واضحت الاراضى الداخلية نهبا متنازعا بين بداء الاعراب والقبائل البربرية - او قل المغربية - المستقلة التى كانت تأبى الخضوع والطاعة لنظام الدول الوطنية الحاكمة، فضلت متحاربة متنافرة تفسح للاجنبى

فرصة النصر والظفر ؛ وكان ذلك كله سببا مباشرا في تدهور الدولة الحفصية واضمحلال سلطانها وتضعف كيائها ، فسقطت نهائيا بيد الاتراك الفاتحين يوم ٢٥ جمادى الاولى سنة ٩٨١ هـ (٢٤ سبتمبر ١٥٧٣ م) واسر آخر ملوكها محمد بن الحسن فنقل من تونس الى استانبول وبقي هنالك الى وفاته بها ، وباتتقاله انقرضت دولة الحفصيين من المغرب بعد ما حكمت ٣٥٤ سنة قضت منها بالجزائر ٣١٥ سنة

ولاية الجزائر وزعمائها

كان من اشهر ولاية الجزائر - فاتحة عهد الدولة الحفصية - الامير ابو زكرياء عيسى الاول ، حيث ولاه والده ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ولاية بجاية ، وجعل وزارته ليحيى بن صالح بن ابراهيم ، ومشورته لابن ابي مهدي ، وجبايته لعبد الحق بن ياسين ، وعقد للعباس بن منديل على بلاده مغراوة بشلف وكانت حاضرتها مليانة ، ومنحه بها شبه استقلال وتصرف داخلي ، فاتخذ العباس ذلك ذريعة لاطهار ابنته الملك وشارة السلطان . وكان يومئذ عبد القوي بن العباس بن منكوش على ولاية توجين

ولما فتح السلطان ابوزكرياء الاول مقاطعة قسنطينة سنة ٦٢٨ هـ (١٢٣٠ م) اقطعها لبنى النعمان - هم من قبيلة هنتاتة بالمغرب الاقصى - لم يزالوا ولاية بها الى ان نكبوا على يد السلطان المستنصر سنة ٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م فتولاها يومئذ ابن كلداسن - من مشيخة الموحدين - فأقام هو بتونس وانا ببا بكر بن موسى بن عيسى الكومي المعروف بابن الوزير ، فمكث هذا بقسنطينة الى ان عين من طرف المستنصر محافظا بها

ولما استبد ابو علي الملياني بعاصمة مغراوة - مليانة - سنة ٦٥٩ هـ - ١٢٦١ م هجر له السلطان المستنصر الاول اخاه الامير عمر فأخضعه ، وفي عودة الامير من غزاته هذه وافا - وهو بطريقه - الى تونس - عقد الولاية على بجاية جزاء بطولته

وموقفه الحربى ضد الثائر المليانى المستبد بمغراوة ؛ فامتنع عمر من قبول هذه الولاية واستغنى اخاه السلطان منها فأعفاه وولى عليها يومئذ ابا هلال عياد بن سعيد الهنتاتى ، فمكث بها الى وفاته بقرية بنى ورار سنة ٦٧٣-١٢٧٤ م ، فخلفه عليها ولده محمد ، فخشى السلطان استبداده فأشرك معه فى العمل ابا العلاء ادريس بن عبد الملك الغافقى وجعله على اشغال بجاية ، وكان ذلك بسعى من اخيه كاتب الدولة ابن الجبير ؛ فوجد محمد بن هلال فى ذلك مضايقة له ، فعمل على التخلص من ابي العلاء بقتله فى ذى القعدة ٦٧٧ هـ-مارس ١٢٧٩ م

ويقول الغربينى انه لما انفصل جيش بجاية مع جيش افريقية لحصار مليانة ، وبقيت البلاد شاغرة عاث المفسدون فى الخارج وافسدوه وامتدت الايدى ووقع هرج عظيم ، فقام بأمر الناس قاضى بجاية وامام جامعها الاعظم الشيخ ابو العباس احمد بن محمد بن الغماز الانصارى ووقف خير موقف وحفر الحفير على البلاد وشيد ما احتاج الى التشييد من الاسوار وظهر من عقله وفضله ونبله وجده واجتهاده ما حمد به امره وجل به قدره (١) فعد بذلك من زعماء الجزائر ورؤسائها العاملين ؛ اما قسنطينة فقد كان على راس قيادة جيوشها فى التاريخ-ايام الواثق (٦٧٥-٧٨٠هـ) ١٢٧٧-٧٩م- عبد العزيز بن عيسى بن داود الهنتاتى

وفى سنة ٦٧٩ هـ-١٢٨٠ م ولى السلطان ابراهيم الاول ولده الاكبر ابا فارس عبد العزيز على بجاية ، وجعل حجابته لمحمد بن ابى بكر بن خلدون جد المؤرخ الاقرب ، ولم تكد تمر ثلاثة اشهر وثلاثة عشر يوما على حجابة ابن خلدون هذا حتى قتل على يد ابن ابى عمارة الداعى . وفى سنة ٦٨١ هـ-١٢٨٢ م قتل عامل قسنطينة ابو بكر بن الوزير اقتصاصا منه بسبب خلع طاعته وثورته ضد الحفصيين ، وكان قتله على يد عبد العزيز الهنتاتى قائد الجيوش الاعلى بقسنطينة ؛ وجعل مكانه ابو محمد بن بوقيان الهرغى

وفي سنة ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م عاد يحيى بن ابراهيم لامتلاك بجاية بمساعدة
الدواودة ، فانتصر في حركته هذه واستقل بمملكة الجزائر وكان بذلك اول من
قسم المملكة الحفصية الى شطرين : غربية وشرقية ؛ واتخذ لنفسه لقب « المنتخب
لاحياء دين الله » وجعل حجابته **لابى الحسن بن سيد الناس الاشبيلي** فلما توفي
الحاجب المذكور ٦٩٠-١٢٩١م خلفه ابو القاسم بن ابى حى الاندلسى ؛ وفي سنة
٦٩٨هـ - ١٢٩٨م عهد المنتخب لابنه خالد بولاية عهده وولاه على قسنطينة ؛ وكانت
اقامة المنتخب تارة بقسنطينة وتارة ببجاية ، ولم يزل كذلك الى ان وافاه اجله ببجاية
سنة ٧٠٠هـ - ١٣٠٠م . وبعد وفاته انتقل ولده خالد الى بجاية فاستوزر بها يحيى
ابن ابى الاعلام ، وجعل القيام بشؤون دولته لابى عبد الرحمن بن غمر ، وولى
قسنطينة على بن الامير الهمداني صهر الحاجب بن ابى حى ؛ وفي سنة ٧٠٥هـ -
١٣٠٥م عزل الحاجب المذكور بتهمة موالاته لابى عصيدة خصم الامير خالد
وتولى مكانه ابو عبد الرحمن يعقوب بن غمر السلمى ؛ ويومئذ غير ابن الامير
سياسته تعصبا لصهره وحول وجهته نحو ابى عصيدة فدعا له ونادى باسمه ملكا ،
فنهض الامير خالد الى قسنطينة فقتل عاملها المذكور واستعاد قسنطينة اطاعته

ولما انتقل الامير ابو البقاء خالد بن يحيى الى تونس سنة ٧٠٩هـ - ١٣٠٩م عقد
لعبد الرحمن بن المزور يعقوب بن خلوف الصنهاجى على بجاية تحت رعاية واشراف
الحاجب ابن غمر ، وبسعي من الحاجب المذكور عقد لاخته ابى بكر بن يحيى
على قسنطينة وكان قد ولد ونشأ بها ؛ ولما صار الامر الى السلطان ابى بكر
هذا الملقب بـ (المتموكل على الله) وانتقل من قسنطينة الى تونس سنة ٧١٨هـ -
١٣١٨م استقل الحاجب بن غمر بولاية قسنطينة وما والاها من التراب
الجزائرى الى ان توفي بعد ذلك بسنة ، فولى السلطان يومئذ اعمال الجزائر لبلبيه ؛
فجعل ولاية قسنطينة لابى عبد الله محمد المزداد والناشى بها ؛ وبجاية لابى زكريا
يحيى ؛ وبوننة - غابطة - للفضل ؛ وبعث معهم الحجاب والوزراء والقادة ؛

ثم تولى على اعمال قسنطينة الامير ابو العباس احمد بن السلطان ابي يحيى ابي بكر ٧٣٥هـ - ١٣٣٤م وكان على حجابته ابو القاسم بن عبومن مشيخة الموحدون وفي سنة ٧٤٠هـ - ١٣٣٩م هلك محمد بن السلطان ابي يحيى ابي بكر عامل قسنطينة . فتولى مكانه ولده ابو زيد عبد الرحمن تحت كفالة مولاها نيل . ولما هلك ابوزكرياء والي بجاية نجل السلطان سنة ٧٤٦هـ - ١٣٤٥م قدم البجائيون مكانه ابنه محمداً ، وكان حاجبه فارح الملعوجي بن سيد الناس ، واستمر ابو زيد ومحمد على ولايتهما هذه الى يوم استيلاء ابي الحسن المريني على المملكة الحفصية سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٦م فشردهم ابناء بني ابي حفص ، ونقل محمداً الى ندرومة وعبد الرحمن واخوته الى وجدة . وابقى صهره الفضل ببونة .

وفي سنة ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م نهض ابو زيد عبد الرحمن بن محمد من عمله بقسنطينة فدخل بونة مستنصراً عمه الفضل واجلب على تونس تاركا ولايته لاخته ابي العباس احمد . ثم بعد سنة وقعت ولاية قسنطينة بيد المرينيين فقبضوا عليه ونقلوه الى سبتة .

وفي سنة ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م اقطع ابو العباس امير بجاية ولد اخيه ابا عبدالله محمداً اعمال بونة ، واشتهر من رؤساء الحند ببجاية يومئذ القائد البشير وفي رمضان سنة ٧٦٥هـ - جوان ١٣٦٤م احتل الامير محمد ببجاية وافتكها بمعاونة بني مرين من يدعمه ابي اسحاق ابراهيم ؛ واستدعى لحجابه مفضرة المغرب الاسلامي عبد الرحمن بن خلدون وكان عبد الرحمن هذا يومئذ صحبة السلطان ابي سالم المريني بفاس . فبعث بأخيه يحيى كنائب عنه ومحافظ على الرسم الى ان عاد اخوه عبد الرحمن بن خلدون من الاندلس فاستقل بحمل اعباء الملك وتدير السياسة ببجاية ، وباشر بنفسه التدريس والخطابة بجامع قصبتهما نحو سنتين الى ان سعى به خصومه ومنافسوه الى السلطان ابي العباس احمد فخرج ابن خلدون من بجاية الى بسكرة بعد ما عاش في كنف الجزائر وتحت رعاية ملوكها الحفصيين

نحو سنتين ، ولما انتقل السلطان الى تونس ٧٧٢هـ - ١٢٧٠م استحب معه اخاه ابا زكرياء ونقله من ولاية بونمة الى منصب الحجابة بتونس ، وجعل مكانه ولده محمدا ومن هنا بعث السلطان بولديه محمد و ابراهيم الى الجزائر فجعل الاول على بجاية والثاني على قسنطينة ، وارسل معهما القادة والحجاب .

وفي سنة ٧٧٣ هـ - ١٣٧١ م عقد السلطان على قسنطينة للقائد بشير ، وبعد وفاته سنة ٧٧٩ - ١٣٧٧ م جعل السلطان هذه الولاية لولده ابي اسحاق ابراهيم مستقلا بها ، وقد كان بها من قبل تحت وصاية القائد نبيل لمكان صغره . ولما توفي الامير محمد صاحب بجاية سنة ٧٨٥ هـ - ١٣٨٣ م خلفه في منصبه ولده احمد اما اخوه ابراهيم صاحب قسنطينة فانه توفي بعد اخيه بثاني سنوات فخلفه في ولايته كاتبه ابراهيم بن يوسف الغماري ٧٩٣ هـ - ١٣٩١ م

وبعد ان استولى السلطان عزوز الحفصي على قسنطينة واحتلها في رمضان ٧٩٨ هـ جوان ١٣٩٦ م قدم لقيادة الجند بها قائده نبلا ، وجعل على قصبتها الشيخ قاسم بن احمد بن تافراكين التينملي ، وولى اخاه زكرياء على بونة ثم نازل بعد ذلك نواحي لوراس فضل الطريق هو وجنده وكاد ان يهلك .

وفي سنة ٨١٠هـ - ١٤٠٧م انتصر المرينيون للامير محمد الحفصي المنهزم اليهم فأمدوه بالاسلحة والعتاد الحربي ، حتى اشتد ساعده وعظم باسه فتقوى بذلك على فتح بجاية ، وعقد لابنه المنصور عليها ، فنهض السلطان عزوز لمقاومة الامير محمد الى ان ظفر به فقتله في المحرم ٨١٢ هـ - ماي ١٤٠٩ م واسر ولده المنصور وجعل ولاية بجاية لابي البقاء خالد ، ثم عزل ابو البقاء هذا بالمعتمد بن السلطان ابي فارس سنة ٨٢٤ هـ - ١٤٢١ م ثم عزل كذلك المعتمد سنة ٨٣٤ هـ - ١٤٣٠م وتولى مكانه القائد ابو نعيم رضوان مملوك السلطان .

وفي هذه السنة قتل الذواودة قائد قسنطينة جاء الخير في معركة كانت بينهم فعقد السلطان ابو فارس لمملوكه محمود عليها ، فدخلها في ثاني عشر رجب

ثامن افريل- من سنته هذه ؛ وفي سنة ٨٣٧هـ-١٤٣٣م ولى السلطان محمد المنتصر على قسنطينة أخاه ابا عمر عثمان وجعل ولاية بجاية لعمه ابي الحسن على بن عزوز ابي فارس . وفي سنة ٨٤٠ هـ - ١٤٣٦ م تنازع والي قسنطينة عثمان اخ المنتصر مع عمه علي بن عزوز صاحب بجاية على الملك فتحاربا وكان النصر بينهما سجالا واخيرا تغلب عثمان على عمه ودخل بجاية فى جمادى الثانية ٨٤٣ هـ - نوفمبر ١٤٣٩م فولى عليها ابن عمه عبد المؤمن بن احمد فاغتيل هذا اوائل سنة ٨٤٦ هـ ١٤٤٢م وخلفه اخوه ابو محمد عبد الملك ؛ كما تولاها كذلك محمد ابن فرج سنة خمسين . ثم فى سنة ٨٥٦ هـ - ١٤٥٢ م اعتقل عبد الملك بن احمد بتونس وتولى مكانه احد موالي السلطان ، فأصبحت الجزائر يومئذ بيد الموالي ، وفى هذه السنة كانت ولاية بسكرة للقائد ابي زيد عبد الرحمن الكلاعي .

واشتهر من رؤساء تبسة فى سنة ٧٥٣ هـ - ١٣٥٢ م محمد بن عبدون ، ومن رؤساء عرب رياح المقيمين بضواحي قسنطينة وبجاية حوالي سنة ٧٨٨ هـ ١٣٨٦ م يعقوب بن علي بن احمد ؛ وفى سنة ٨٥٩ هـ - ١٤٥٥ م عقد السلطان لولده عبد العزيز على بجاية واضاف اليه كذلك ولاية قسنطينة واعمال بسكرة وتقرت ، وفى سنة ٨٦٧ هـ - ١٤٦٢ م عقد السلطان حفيدة محمد المنصور بن محمد المسعود على ولاية قسنطينة وجعل بين يديه مزوارا القائد ابا علي منصور الصبان ، والقائد بشيرا على المدينة .

وكانت رآسة الزاب لبني مزني ، اشتهر منهم الفضل بن علي وولده المنصور وابنه يوسف وعلي وحسن وأحمد ؛ ورآسة بني تليلان المعروفين باسم اولاد ثابت المقيمين بجبلهم المطل على القل شمال ميلة وقسنطينة للحسن بن ابراهيم بن ابي بكر ابن ثابت ، وآخرهم على ورآسة قبائل سدويكش بالبسائط الواقعة بين قسنطينة وبجاية هي لاولاد سواق ثم كانت لبني سيلين ، وكان من اشهر الرؤساء فى اولاد سواق علي بن علاوة بن سواق ، ثم ابنأؤه : طاحمة فيحيى

فمنديل الذي عزله السلطان ابو بكر وادال من بني علاوة بني عمهم اولاد يوسف بن حو بن سواق . وممن اشتهر من رؤساء احياء سدويكش القاطنين بجبل بابور وما اليه من نواحي بجاية : صخر بن موسى ، اختصه السلطان ابو يحيى بهذه الرئاسة وكانت له مقامات في خدمته وعرف بالوفاء لابنه الامير ابي حفص ، فلم يزل معه الى ان اوقع بنو مري بن بناحية قابس فقطعه السلطان ابو الحسن المريني من خلاف ثم هلك ، فيخلفه حينئذ ابنه عبد الله وكان له شأن في خدمة صاحب بجاية الى ان هلك اعوام الثمانين فيخلفه ابنه محمد [١]

وكانت رئاسة وادي ريغ ، بالجنوب الجزائري ، للدواودة ، اشتهر منهم عميد الله بن يوسف بن عبد الله ، ثم ابنائوه داود فيوسف فمسعود ، ثم الحسن بن مسعود ثم ابنه احمد الذي تولى رئاسة قومه على عهد ابن خلدون ؛ وحاضرتهم يومئذ مدينة تقرت . وكان يوسف بن حسن ايضا من بيت مشيختها فامتنع يوما من اداء جبايته للسلطان ابي عمر وعثمان سنة ٨٥٣ هـ - ١٤٤٩ م فاقبح عليه السلطان المدينة واسره في بنيه واهله وذويه . ورئاسة تماسين ، من وادي ريغ كذلك كانت لبني ابراهيم الريغين ، ورئاسة وارقلمة لابي بكر بن موسى بن سليمان بن بني ابي غبول - فخذ من بني وكير احدى بطون بني واركلمة - اما رئاسة ولهاسة ببسيط بونمة هي لعسكر بن بظان من بني عريف ، ورأسته لواته بنواحي بجاية كانت لولد راجح بن صواب اللواتي ، ومشيجة قبيلته بني ايراتن الزواوية كانت لبني عبد الصمد ، وقد ترأست فيهم امرأة تدعى شمس ، كان لها عشرة بنين . ويبدو ان آخر ولاية الحفصيين بالجزائر هو الامير احمد بن الحسن ، ولي اعمال بونمة ايام والده السلطان الحسن بن محمد الى ان نبذ التونسيون عهد والده ويابعوا ولده المذكور مكانه سنة ٨٤٣ هـ - ١٥٣٦ م كما تقدم الالمام الى ذلك . اما عن رئاسة البحر وقيادة الاسطول الحفصي فاني لم اقف على تسمية رجال هذا السلك سوى اسم زيدون بن فرحون مع انه كان لهذا الاسطول حركة مستمرة بهذا البحر

ملوك الدولة الحفصية

تاريخ التولية

١٢٢٩ هـ ١٢٢٧ م	ابوزكرياء يحيى (الاول)
١٢٤٩ هـ ١٢٤٧ م	ابوعبد الله محمد (الاول) المنتصر
١٢٧٧ هـ ١٢٧٥ م	ابوزكرياء يحيى (الثاني) الواثق
١٢٧٩ هـ ١٢٧٨ م	ابواسحاق ابراهيم (الاول)
١٢٧٣ هـ ١٢٧١ م	احمد بن مرزوق بن ابي عمارة (الدعى)
١٢٨٤ هـ ١٢٨٣ م	ابوحفص عمر (الاول) المستنصر
١٢٨٤ هـ ١٢٨٣ م	ابوزكرياء يحيى المنتخب لاحياء دين الله
١٢٩٥ هـ ١٢٩٤ م	ابوعبد الله (ابوعصيدة) محمد (الثاني) المنتصر
١٢٩٥ م ٦٩٩	ابوالبقاء خالد الناصر (الاول) - ببجاية ، ثم انفرد بالحكم -
١٣٠٩ هـ ٧٠٩	ابوبكر (الاول) الشهيد - ببجاية ، ثم انفرد بالحكم -
١٣٠٩ هـ ٧٠٩	ابوالبقاء (الاول) الناصر
١٣١١ هـ ٧١١	ابوبكر (الثاني) المتوكل - بقسنطينة وبجاية -
١٣١٧ هـ ٧١٧	ابويحيى زكرياء اللحياني
١٣١٧ هـ ٧١٧	ابوضربة محمد (الثالث) المستنصر
١٣١٨ هـ ٧١٨	ابويحيى ابوبكر (الثاني) المتوكل
١٣٤٦ هـ ٧٤٧	ابوحفص عمر (الثاني)
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ابوالعباس احمد (الاول) الفضل - بقسنطينة وبجاية -
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ابوزيد عبد الرحمن - بقسنطينة -
١٣٤٨ هـ ٧٤٩	ابوعبد الله محمد المنصور - ببجاية -
١٣٤٩ هـ ٧٥٠	ابوالعباس احمد (الاول) المتوكل - نهائيا -

تاريخ التولية

١٣٥٠ هـ	١٣٥١ هـ	ابو اسحاق ابراهيم (الثاني) المنتصر
١٣٦٠ هـ	١٣٦١ هـ	ابو عبد الله محمد المنصور - ببجاية -
١٣٦٨ هـ	١٣٦٩ هـ	ابو البقاء خالد (الثاني)
١٣٧٠ هـ	١٣٧١ هـ	ابو العباس احمد (الثاني) المنتصر
١٣٩٣ هـ	١٣٩٤ هـ	ابو فارس عبد العزيز - عزوز - (المتوكل)
١٤٣٤ هـ	١٤٣٥ هـ	ابو عبد الله محمد (الرابع) المنتصر
١٤٣٥ هـ	١٤٣٦ هـ	ابو عمرو عثمان
١٤٨٨ هـ	١٤٨٩ هـ	ابو زكرياء يحيى (الثالث)
١٤٩٣ هـ	١٤٩٤ هـ	ابو عبد الله محمد (الخامس) المتوكل
١٥٢٥ هـ	١٥٢٦ هـ	ابو عبد الله محمد الحسن - بن محمد الخامس -
١٥٤١ هـ	١٥٤٢ هـ	ابو العباس احمد (الثالث) بن الحسن

مشاهير الجزائريين

يحيى بن عبد المعطى

٥٦٢٨هـ - ١٢٣١م

هو ابو الحسن زين الدين ابوزكرياء يحيى بن عبد المعطى بن عبد النور الجزائري الزواوى، منتمى اصله من قبيلة (آفراوسن) بزواوة؛ ترجم له ابن خلكان ترجمة حافلة، وقال انه : كان احداً عَصْرَه، مبرزاً في علوم العربية شاعراً محسناً كثير الحفظ، وكان من جملة محفوظاته كتاب الصحاح للجوهري، ولد ابن معطى بالجزائر سنة ٥٦٤هـ - ١١٦٩م واخذ العلم عن مشائخ بلده وتفقه بالمذهب المالكي على الشيخ ابي موسى الجزولي، ثم انتقل الى المشرق فتشفع ثم تحنف، فكان في ذلك مثل ابن مالك وابي حيان حين خرجا من المغرب، ولم يأت اولئك ببعد، فقد راينا كثيراً ممن غير مذهبه من العلماء الاعلام وانتقل الى مذهب آخر، كالشيخ محمد بن الدهان النحوي كما تقدمت الاشارة اليه، والخطيب البغدادي الحافظ المشهور فانه كان حنبلياً ثم تشفع، وابن فارس صاحب المجمل في اللغة، كان شافعيّاً ثم انتقل الى مذهب مالك، وابن دقيق العيد كان مالكيّاً ثم تحول الى مذهب الشافعية. في آخرين كثيرين

سكن الشيخ ابن معطى دمشق فسمع بها من ابن عساكر، واقرأ بها النحو فانتفع به خلق كثير، وولاه الملك المعظم مصالح الجامع، ثم ان الملك الكامل بمصر رغب اليه في الانتقال الى القاهرة فانتقل الشيخ الى بلاد الكنانة وتصدر هنالك لاملأ الادب العربي وتدرسه بجامعة العتيق فالتف يومئذ حوله الطلبة واحتفلوا لدروسه واقبل عليه الناس يعظمونه ويكبرون علمه وادبه فأخذوا عنه علماً كثيراً وادباً جماً، واجرى له الملك على ذلك جرايته، فأكب المترجم على

التدريس والتأليف فتخرج عنه عدد عظيم . وكان مما وضعه من التأليف الفيتة في النحو المشهورة باسم الدررة الالفيه في علم العربية وهى التى اشار اليها ابن مالك النحوى فى دباحة خلاصته واثنى عليه فيها ؛ وهى منظومة من بحر ين بعضها من السريع وبعضها من الرجز ، طالعها :

يقول راجى ربه الغفور يحيى بن معطى بن عبد النور

وهى مطبوعة بمصر ، وللعلماء عليها شروح كثيرة اشهرها شرح الشريشى ؛ وله كتاب الفصول ، وكتاب العقود والقوانين فى النحو ، وحواش على اصول ابن السراج فى النحو ، وشرح على كتاب الجمل للزجاجى فى النحو ، وشرح لايسات سيبويه نظما ، كما نظم الجهمرة لابن دريد فى اللغة ونظم كتابا فى العروض ، وله قصيدة فى القراآت السبع وديوان خطب ، وكتاب المثلث ، وعنى اخيرا بنظم كتاب الصحاح للجوهري فتوفى ولم يكمله ، ويروى له من الشعر قوله عن نفسه متواضعا :

قالوا تلقب زين الدين فهو له نعت جميل به قد زين الامنا

فقلت لا تعذلوه ان ذا لقب وقف على كل بحس والدليل انا ...!

ولم يزل الشيخ على حاله وخطته العلمية موفور الكرامة الى ان وافاه اجله فتوفى رحمه الله بالقاهرة سلخ ذى القعدة سنة ٦٢٨هـ - ٢٩ سبتمبر ١٢٣١م ودفن من الغد على شفير الحندق قرب تربة الامام الشافعى رضى الله عنه

عبد الرحمن بن السطاح

١٢٣١ هـ - ٥٦٢٩

هو ابو زيد وابو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن ابي بكر المعروف بابن السطاح
 اصله من مدينة الجزائر وسكن بجاية ثم انتقل في طلب العلم الى الاندلس فدخل
 اشبيلية واخذ بها عن ابي الحسن بن زرقون و ابي بكر بن طاحمة النحوي و ابي
 عبد الرحمن بن علي بن طرفة ؛ ومنها انتقل الى مرسية فاتصل بها بابن القاسم
 الطرسوني فأخذ عنه مقامات الحريري وكتبها اخرى في الادب و علم الاحكام ،
 وهنالك اذن له المشائخ في التعليم فجلس بها للاقراء سنة ٦١٨ هـ - ١٢٢١ م وكان
 يشتغل فيها بعقد الشروط و تحرير الصكوك وله في ذلك القدم الراسخة والباع
 الطويل فتقدم بذلك على ارباب هذا الشأن في الاندلس ، ثم عاد الى بجاية سنة
 ٦٢٣ هـ - ١٢٢٦ م فانقطع بها لتدريس العلم محترفا مهنة التوثيق ، فأخذ عنه جماعة
 منهم ابو عبد الله الصدي ، وابو عبد الله بن الطراز. ثم كانت وفاته رحمه الله سنة

٥٦٢٩ هـ - ١٢٣١ م

احمد بن هلال العروضي

٥٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م

الاديب الكبير واللغوي الحجة ابو العباس احمد بن هلال العروضي ، من اهل
 مدينة الجزائر ففيها نشأ وبها تعام وقرأ ثم انتقل الى بجاية فاجتهد في تحصيل
 فنون الشعر والقوافي وتخصص في فن العروض حتى اشتهر به فدعى بالعروضي ،
 وارتحل الى الاندلس فسكن مرسية وعنه اخذ اهلها العروض ومكث بها الى وفاته

رحمه الله سنة ٥٦٤٠ هـ - ١٢٤٢ م

عبد الله بن السكات

٦٤١ هـ - ١٢٤٣ م

هو الامام القاضي ابو محمد عبد الله بن حجاج بن عبد الله بن يوسف المعروف بابن السكات من اشهر بيوتات مدينة الجزائر العريقة في المجد الحائز على رئاسة العلم ايضا بها ، كان والده من قضاة العدل بهذه المدينة .

ولد مترجمنا بالجزائر في شهر صفر سنة ٥٦٢ هـ - ديسمبر ١١٦٦ م وبها نشأ وتعلم وكان من اشهر مشائخه بها والده والشيخ ابو عبد الله بن الحسن الجزائري : انتقل المترجم الى الاندلس فلقى بمالقة ابا الحجاج بن الشيخ فسمع منه كتاب الاحكام لعبد الحق الاشيلي وغيره من مؤلفات الاندلسيين الفقهية والادبية . واخذ ايضا عن الامام ابن العربي ، وله رواية عن ابي موسى الجزولي . ثم انتقل الى بجاية فتولى قضاءها بعد تأخير ابي عبد الله محمد بن ابراهيم الاصولي المتوفي سنة ٦١٢ هـ - ١٢١٦ م والمترجم له في الجزء الاول من كتابنا هذا صفحة ٣٩٦ وطالت مدته في القضاء وعلى طول مدته في هذه الولاية فإنه لم يتناول من مرتبه شيئا لطعامه وانما كان ينفقه في الصدقة وصلته اهل البر ، وما كان يطعم الا من شيء كان يتناول من عقار له ببلدة الجزائر ورثه عن ابيه ، وكان مشهورا بالعلم والفضل والعفاف عادلا في احكامه مشاورا لاهل العلم فاخذ عنه اناس ؛ وتوفي رحمه الله يوم التاسع والعشرين من شهر جمادى الاولى سنة ٦٤١ هـ - ١٥ نوفمبر ١٢٤٣ م وترك خمسة اولاد كل منهم ساد وحاز المراتب العليا وأفاد .

محمد بن منداس

١٢٤٣هـ - ١٢٤٥م

هو ابو عبد الله محمد بن قاسم بن منداس ، اصله من بلدة آشير ، وولد بمدينة الجزائر فاتح جمادى الاولى سنة ٥٥٧ هـ - ١٨ افريل ١١٦٢م وفيها نشأ وترعرع وتأدب؛ اخذ عن الشيخ ابي محمد بن عبد الله وعلي بن عتيق، وعن نخبة من ذوى الفضل ، ولما ورد الشيخ ابو موسى الجزولي على مدينة الجزائر سنة ٥٨٠ هـ ١١٨٤م لازمه الشيخ ابن منداس واخذ عنه علوم اللغة والادب . كما انه لقي في رحلته الى قابس الشيخ ابا القاسم بن مركان آخر من روى عن ابي عبد الله المازرى ؛ ثم عاد ابن منداس الى بلدة الجزائر مجتهدا في نشر فنون من العلم وخاصة علوم الحديث فكان ممن اخذ عنه ابو عبد الله بن الابار ، وكانت وفاته رحمه الله فاتح شهر المحرم ٦٤٣ هـ - ٢٩ ماي ١٢٤٥م .

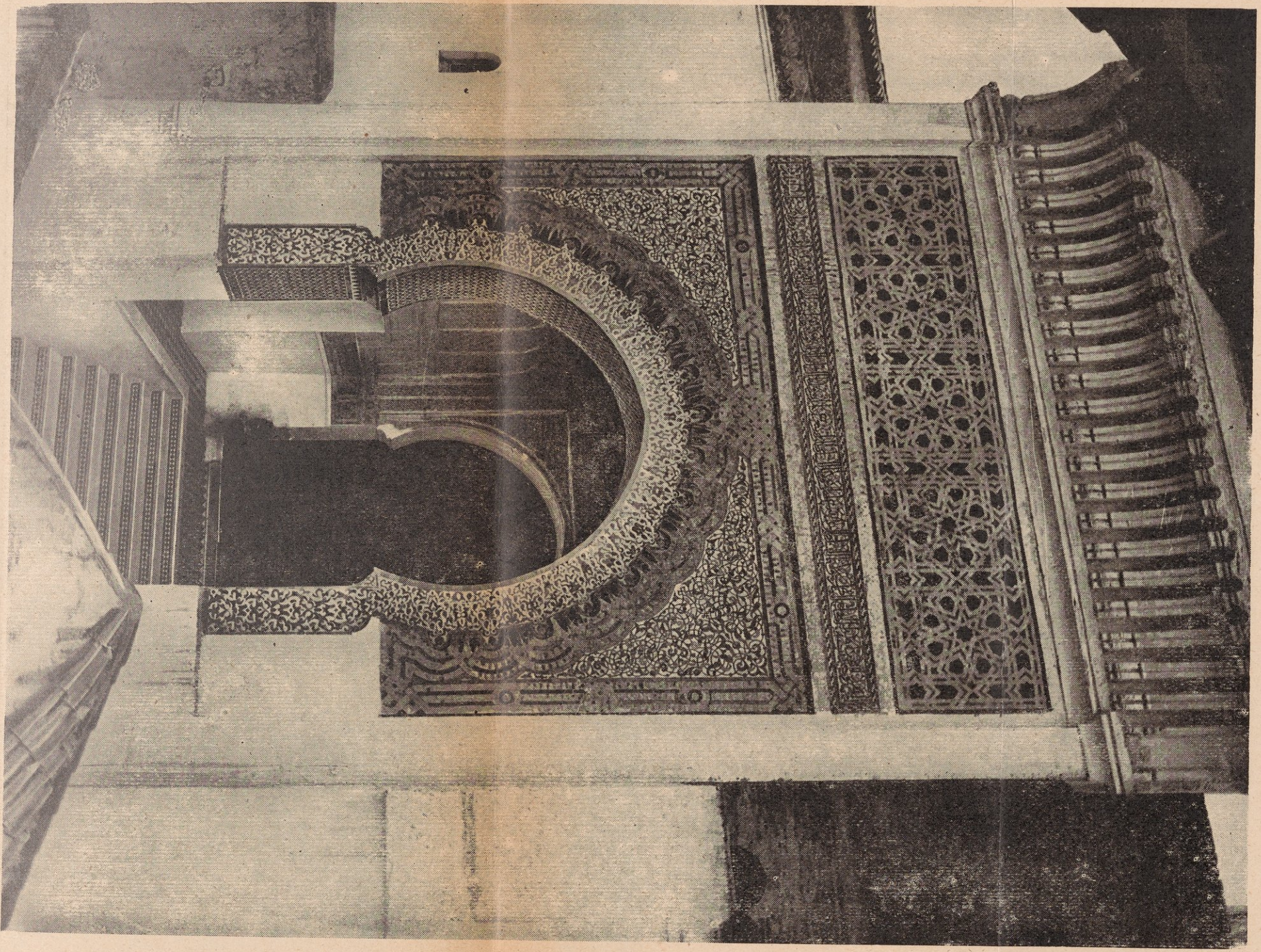
محمد بن الحسن القلعي

٦٧٣ هـ - ١٢٧٤ م

هو عميد اهل الادب وزعيمهم بالجزائر وفحل من فحول الشعراء وامراء البيان وجهابذة العلماء المحققين الراسخين في العلم : العلامة الشيخ ابو عبد الله محمد بن الحسن بن علي بن ميمون التميمي القلعي . نسبة الى قلعة بني حماد (١) التي كان جده ميمون قاضيا بها .

نشأ المترجم بمدينة الجزائر فقرأ على جلة علمائها كالشيخ ابي عبد الله بن منداس الآنف الذكر وغيره ومنها انتقل الى بجاية فاجتهد في تحصيل العلم والادب بها واستوطن هنالك فتخرج على يد اساتذتها الكبار منهم الشيخ ابو الحسن الحرالي ، والفقيه ابو الحسن بن ابي نصر ، والفقيه ابو بكر بن محرز ، والفقيه ابو المطرف بن عميرة وابو زيد بن السطاح في آخرين من نخبة الادباء والعلماء

(١) برع الشيخ في فنون كثيرة من العلم وخاصة الادب فانه كان آية في تحريره غزير المادة فيه تقرأ عليه جميع امهات كتب الادب والشعر فيقوم على جميعها احسن قيام ، وكان يحضر محاسنه الكثير من فضلاء الطلبة ونبھائهم ، وكثيرا ما كانت تعرض عليه المسائل العويصة والمشاكل المختلفة في التفسير والحديث وغريب الشعر وغيره فيتصدى لشرحها وتحليلها بكيفية عجيبة مما لا يكاد يوجد عند غيره من العلماء بل ولا في نواذر الكتب ايضا ؛ ومن تلامذته المشهورين ابو العباس احمد الغبريني مؤلف «عنوان الدراية» فقد لازمه اكثر من عشر سنين واستفاد منه علما كثيرا وادباً جمّاً وسطر اعترافه بفضل شيخه هذا في عنوانه فقال : وهو افضل من لقيت في علم العربية لزممت عليه القراءة ما ينيف على عشرة اعوام واستمتعت به كثيرا



باب مسجد سیدی ابی مدین بالعباد - تلمسان

واستفدت منها كثيرا ، قرأت عليه الايضاح من فاتحتها الى خاتمته ، وقرات عليه جملة من الامالي وزهر الاداب ومن المقامات وقصائد متخيرات من شعر حبيب ومن شعر المتنبي وحضرت قراءة المفصل ؛ وكان رحمه الله محبا في التعليل ؛ وله من التأليف كتاب سماه بالموضح في علم النحو ، وحدق العيون في تنقيح القانون - لعلمه قانون ابى موسى الجزولى ؟ - ونشر الخفي في مشكلات ابى علي ؛ هو على الايضاح . وكان يؤثره على غيره من الكتب ١١

وكان قدس الله روحه سخى الدمع سريع العبرة . فيه فضل وسخاء ومروءة وانتزاء ، وكانت يده ويد الطلبة في كتبه سواء لا مزية له عليهم ، بارع الخط جيد الشعر مكشرا منه يسلك فيه طريق ابى تمام حبيب بن اوس ، وكان صديقه الاديب ابو عبد الله محمد بن احمد الاريسى المعروف بالجزائري شيخ كتبة الديوان ببجاية يسلك في شعره سلوك المتنبي ، وكانا يتراسلان بحيد المنشور وبديع المنظوم . فمن شعر المترجم القلعي قوله في طالع قصيدة في مدح الحضرة النبوية :

امن اجل ان بانوا فؤادك مغرم	وقلبك خفاق ودمعك يسجم
وما ذاك الا ان جسمك منجد	وقلبك مع من سار في الركب متهم
ومن قائل في نظمها متعجبا	وجسم بلا قلب فكيف رايتم ؟ ..
ولا عجب ان فارق الجسم قلبه	فحيث ثوى المحبوب يثوى المقيم
وما ضرهم لو ودعوا يوم اودعوا	فؤادى بتذكار الصبا يضرم
عساهم كما ابدوا صدودا وجفوة	يعودون للوصل الذي كنت اعلم
وانى لادعو الله دعوة مذب	عسى انظر البيت العتيق والشم
فيا طول شوقي للنبي وصحبه	ويا شد ما يلقي الفؤاد ويحكم

وتحتوى هذه المقطوعة على ثمانية عشر بيتا . وله موشحات حسنة ؛ ولقد شرع بنفسه في جمع شعره وتدوينه عام ثلاثين وستمائة هجرية وعاش بعد ذلك ثلاثا واربعين سنة فلو تم له تدوين شعره كله لكان في مجلدات كثيرة ؛ ويقول

الغبريني انه كان منه بأيدى الناس كثير (١) وتوفي رحمه الله ببجاية سنة ١٢٧٣هـ - ١٢٧٤م

ومن شعر صديقه الاريسي الجزائرى المذكور قوله فى طالع مقطوعة يتحنن فيها الى ارض الحجاز

ادرها فقد هبت نسيمه دارين	ونم بسر الروض نشر الرياحين
وقام خطيب الورق يدعو هزيله	وغنى فأغنى عن ضروب التلاحين
وذكر ايام الصبابة والصبأ	ولذة عيش كان لى غير ممنون
فشار كمين الوجد من مستقره	وبحت بسر بين جنبى مخزون

وكلاهما شاعر فحل مكثر ولهما فى مختلف اغراض الشعر وفنونهما كل ما هو حسن جيد ، وكلاهما يعدان من كبار ادباء الجزائر فى اواسط القرن السابع الهجرى رحمهما الله

ابوزيان ناصر بن مزني

٨٢٣هـ - ١٤٢٠م

العالم المقرئ والمؤرخ الفقيه الشيخ ناصر بن احمد بن يوسف بن منصور بن فضل بن علي بن احمد بن حسين بن عبد المعطي بن الحسين بن مزني الفزارى البسكري، يكنى بابي زيان وابي علي ولد ببسكرة في المحرم سنة ٧٨١هـ - افريل ١٣٧٩م من اسرة كريمة هي منتهى راسة الزاب ومعقد آماله ، اذ كانت اماره ببسكرة وارض الحفصة بيدها منذ تولاها جده الفضل بن علي (١)

اشتغل المترجم بالعالم اولا في بلده فأخذ القراءات عن ابي الحسن علي بن عبد الرحمن التوزري ، وكان يعظمه جدا ؛ واخذ الفقه عن الامام بن عرفة وابي فارس عبد العزيز بن يحيى الغساني البرحي ، ومحمد بن علي ابراهيم الخطيب ، وعيسى بن احمد الغبريني وسمع عليه الصحيح

انتقل ابن مزني هذا الى مصر سنة ٣٠٨هـ - ١٤٠٠م فحج في هذه السنة ونكب في كثير من ماله وكتبه في جملة ما اصاب ركب المغاربة من النهب يومئذ ؛ واتفق ان نكبت اسرته في هذه السنة ايضا ببسكرة فعزل والده عن الامارة ونزل السلطان الحفصي ببسكرة فحطم بيت ابن مزني ، فاستقر لذلك المترجم بالقاهرة وكان بها يومئذ صديق آبائه العلامة الامام عبد الرحمن بن خلدون فعطف عليه وسعى له لدى من بيده الامر حتى نزل بالشيخونية ، وبها سمع صحيح البخاري على التقي الدجوي ، ولازم الشيخ ابن حجر مدة طويلة فاستفاد كل منهما من علم صاحبه ؛ ولا ابن مزني هذا عناية خاصة واهتمام كبير بالتاريخ واخبار الرواة ، جماعة لذلك ضابطا له مكثرا منه وقد شرع في جمع تاريخ كبير للرواة لم يجمع احد مثله ، ولم يقدر له تبسيضه فقد اصيب في بصره سنة ٨٢٢هـ ١٤١٩م

وانتقل من الشيخونية الى البرقوقية وطالت علمته وعاجلته المنية فتوفي رحمه الله يوم ٢٠ شعبان ٨٢٣ هـ - ٣٠ اوط ١٤٢٠ م ولم يكمله ، يقول ابن حجر انه لو اتم كتابه المذكور في التاريخ لكان مائة مجلد ! فانه جمع منه في مسوداته ما لا يعد ولا يدخل تحت الحد ؛ ومات ففترقت مسودته شذر مذر ، ولعل اكثرها عمل بطائن مجلدات ! . وذكره المقرئ في عقوده فقال ان صاحب الترجمة كان يتردد اليه ، وقال رحمه الله ما ذا فقدنا من فوائد غرضه الله الجنة

احمد بن ابي القاسم الحلوف

٨٩٩ هـ - ١٤٩٤ م

هو شهاب الدين ابو العباس احمد بن ابي القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الحلوف الحميري ، انتقلت اسرته من مدينة فاس الى الجزائر فسكنت مدينة قسنطينة ، وبها كان مولد مترجمنا في ثالث المحرم سنة ٨٢٩ هـ (منتصف نوفمبر ١٤٢٥ م) وذهب به والده صبييا الى مكة فجاور هنالك اربع سنين ثم انتقل به الى بيت المقدس وبها حفظ ولده القرآن الكريم وكتبها جملة في فنون مختلفة وبما ان الولد كان متضلعا من فنون الادب والفقه فأخذ ولده بدراسة ما عنده من العلم ، ثم تركه يمتزج بمشيخة المشرق ، فاتصل المترجم بأي القاسم النويري ولازمه فأخذ عنه الفقه وعلوم اللغة والاصول وغيرها وانتفع به ، كما انه اخذ روايته في القراءات وعلوم القرآن عن الشهاب بن رسلان والعز القديسي وماهر وغيرهم ، ثم انتقل الى القاهرة ؛ والظاهر ان ذلك كان بعد وفاة والده بالقدس الشريف ٨٥٩ هـ - ١٤٥٥ م وهناك اجتمع بالعز عبد السلام البغدادي فاخذ عنه النحو والصرف والمنطق ؛ وكان ممن اخذ عنه العربية ببلاد المغرب احمد السلاوي ويقول عنه : انه احفظ من لقيه بها

واستقر مترجمنا بالمغرب مشتهرا بين اعيان علمائه بالادب والعلوم الغزير متعاطيا لنظم الشعر الرقيق الفحل ، فاستكتبه المولى المسعود بن عثمان حفيد ابي فارس الحنصلي ، وقدم الى القاهرة غير ما مرة ومنها رحلته اليها بمناسبة حجه سنة ٨٧٧ هـ ١٤٧٢ م فاجتمع فيها بالامام السخاوي وجرت بينهما محاورات ادبية ذكرها السخاوي في تاريخه «الضوء اللامع» وقال في وصفه : ولقيته مودعا له وهو حسن الشكالة والابهة ظاهر النعمية ، طلق العبارة بليغا بارعا في الادب ومتعلقاته ويذكر بطرف وميل الى البزة وما يلائمها ، كتب عنه غير واحد بالقاهرة والاسكندرية ومما كتب عنه من نظم ما ضمن فيه قول ابن الاحرر صاحب الاندلس :

افاتكته اللحظ التي سلبت نسكي على اي حال كان لابدي منك
فاما بذل وهو اليق باللهوى واما بعز وهو اليق بالملك

فقال محمد

اماط الهوى عن واضحي برقع النسك فوجدت من اهواه عن هوة الشرك
فقلت وقد افقت لحاظك بالفتك افاتكته اللحظ التي سلبت نسكي

على اي حال كان لابدي منك

يمينا بنجم القرط منك اذا هوى وخال على عرش ووجبتك استوى
لئن لم تفي لا بد للقلب ما نوى فاما بذل وهو اليق باللهوى

واما بعز وهو اليق بالملك

ولاشتهار مترجمنا بجودة الشعر والكتابة عرف بين أدياء عصره بذى الصناعتين ، فهو حقا من امراء الشعر المتفنين وفحول الادب العربي البارعين طويل النفس ضليع في فن القريض ، له ديوان شعر خاص بمدح الحضرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام توجبه بمقدمة حافلة تدل على رسوخ قدمه وتمكنه من ناصية اختصاصه وتعلقه الشديد بالجناب النبوى الشريف ؛ ولقد والله

ابدع في منظومه ومشوره ايما ابداع وجاء بما لم يوفق اليه غيره من ائمة هذا الشأن كالבוصري واضرا به من شعراء المديح، فان قصائدها كلها عيون وكلها تتدفق سلاسة وطبعا، وان اقصر قصيدة فيه لا تقل عن مئات الابيات .

والشعر في هذا الغرض كما لا يخفى هو من اصعب الاغراض على الشعراء، وذلك لعلو مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم وتسامى منزلته التي لا تداني ولا ترام وكل مدح او اطراء في جنبه عليه الصلاة والسلام يعد تقصيرا، ولذلك تجنبه فحول الشعراء المتقدمين كابي تمام والبحري والمتنبي وغيرهم من صاغة القريض ورواض القوافي ولله در ابن الفارض حيث يقول :

وعلى تقنن واصفي بمدحهم يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وديوانه هذا بحمد الله هو مما ازدانت به مكتبتنا المتواضعة ، وهو بخط جميل في ست واربعين ومائتي صفحة من القطع الكبير ؛ وذكر لي ان له ديوانا مطبوعا ببسروت سنة ١٨٧٣م ولا ادري اهو نفس المخطوط الذي ذكرناه ام غيره حيث لم اقف عليه، واكثر اشعاره رحمه الله في مدح السلطان ابي عمرو عثمان بن ابي عبد الله الحفصي فله فيه القصائد الرائنة الشائقة .

اما تأليفه من غير الديوان المذكور فله في العروض : تحرير الميزان لتصحيح الاوزان ، وبديعية ميمية سماها مواهب البديع في علم البديع ؛ ولم عليها شرح حسن ، ورجز في تصريف الاسماء والافعال سماه جامع الاقوال في صيغ الافعال، وله في علم الفرائض كتاب عمدة الفاض ؛ كما يوجد له بمكتبة باريس وبرلين ولندن وبطرسبورج ديوان مخطوط مرتب على حروف الهجاء، وله موشح مستعمل في مكتبة برلين ؛ وكانت وفاته رحمه الله بتونس سنة ٨٩٩ هـ - ١٤٩٤ م ودفن هناك بقرية سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه .

جدول تاريخي

٦٢٧ - ٩٤٣ هـ (١٢٢٩ - ١٥٣٦ م)

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٢٢٧ هـ ١٢٢٩ م	تأسيس الدولة الحفصية
١٢٣٠ هـ ١٢٢٨ م	اذعان مقاطعتي قسنطينة وبجاية للدولة الحفصية
١٢٣٨ هـ ١٢٣٦ م	نجاح الحفصيين في فتح اعمال الجزائر الغربية
١٢٤٢ هـ ١٢٤٠ م	الاستيلاء الحفصي على تلمسان
١٢٤٥ هـ ١٢٤٣ م	المبايعة بالخلافة
١٢٤٩ هـ ١٢٤٧ م	وفاة السلطان ابي زكرياء الاول ببونة ودفنه بجانب الشيخ ابي مروان ثم نقله الى قسنطينة حيث مدفنه الآن
٩٢٦٢ هـ ٩٢٦١ م	حوادث ابي القاسم بن ابي زيد الحفصي بالجزائر
١٢٦٥ هـ ١٢٦٤ م	حركة السلطان المستنصر الاول الى قمم المنشقين بالجزائر
١٢٦٩ هـ ١٢٦٨ م	تمكن يغمراسن بن زيان من استرجاع مملكته الغربية
١٢٧٠ هـ ١٢٦٩ م	مشاركة الجزائريين في دفع عادية الصليبيين عن المغرب ؛ وانتقاض اهل مدينة الجزائر وقتيحها
١٢٧٩ هـ ١٢٧٧ م	ولاية ابي اسحاق الاول على بجاية ثم على عرش الملك بمبايعة الجزائريين
١٢٩٣ هـ ١٢٩٢ م	ولادة السلطان ابي بكر الثاني بقسنطينة
١٢٧٩ هـ ١٢٧٨ م	ولاية بني مزني امارة الزاب الجزائري
١٢٨٣ هـ ١٢٨١ م	ظهور الزعيم ابن ابي عمارة الجزائري وقتله
١١٨٥ هـ ١١٨٤ م	انفصال القطر الجزائري واستقلاله عن السلطة المركزية

أهم الحوادث

تاريخ الحوادث

اعتداء الافرنج على الساحل الجزائري	١٢٨٦ هـ ١٢٨٧ م
ابتداء النزاع بين الحفصيين وبنى مرين على الجزائر	١٢٩٩ هـ ١٢٩٩ م
نشوب الخلاف بين طائفة «السنية» وامير الزاب : ابن مزنى	١٣٠٣ هـ ١٣٠٣ م
ابطال وضع التاج عند ملوك هذه الدولة	١٣١٧ هـ ١٣١٧ م
ولادة السلطان ابى العباس احمد الثانى بقسنطينة	١٣٢٨ هـ ١٣٢٩ م
احتلال السلطان ابى الحسن المرينى لتلمسان	١٣٣٧ هـ ١٣٣٧ م
استعادة الحكومة المركزية لمملكة الجزائر	١٣٦٠ هـ ١٣٦١ م
عصيان ابن مزنى - امير الزاب - وحركة السلطان اليه	١٣٤٨ هـ ١٣٤٨ م
تنزع امراء بنى ابى حفص على ولاية قسنطينة وبجاية	١٣٩٤ هـ ١٣٩٤ م
القضاء على امارة بنى مزنى ببسكرة	١٤٠٢ هـ ١٤٠٢ م
ظهور القرصنة الاسبانية بالسواحل الجزائرية	١٥٠٤ هـ ١٥٠٤ م
اقامة الاسبان لحصن «البنين» بشعر مدينة الجزائر	١٥١٠ هـ ١٥١٠ م
ظهور الاتراك العثمانيين بالميدان	١٥١٣ هـ ١٥١٣ م
سقوط الجزائر الحفصية	١٥٣٦ هـ ١٥٣٦ م

الدولة المرينية

٦٦٨-٧٩٦ هـ

١٢٦٩-١٣٩٣ م

بنو مرين ...؟

المرينيون هم فيخذ من بطون القبيلة البربرية العظيمة زناتة؛ كانت مساكنهم ومواطنهم وراء تلمسان جنوبا الى نواحي سجلماسة - تافيلالت - وبصحراء فيقيق الى ارجاء الاغواط؛ وهم قوم مرهوب جانبهم، شديد باسهم، كثير جمعهم يظاهون في مجتمعهم امته العرب والفرس واليونان، وان الذين تولوا الملك منهم فرعان يتسبان الى جرثومة واحدة: بنو وزير قبيل بني عبد الحق، وبنو واطاس. ولقد ابل قبيل بني مرين هذا في نصرة الموحدين على خصومهم بني صنهاجة وغيرهم - ثم كانت بينهما ضغائن وحزازات منشأها التزاحم على الملك والتنافس على الرئاسة، ولم يزل هؤلاء المرينيين يشيرون على حين ضعف دولة الموحدين قتنا وغارات بأرجاء المغرب الاقصى حتى اقتحموا تله سنة ٦١٠ هـ (١٢١٣ م) واستمروا في سيرهم الى الامام متصرين الى ان فتح اميرهم ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق مدينة مراکش يوم عاشوراء سنة ٦٦٨ هـ (٩ سبتمبر ١٢٦٩ م) فقضى بذلك على عرش الموحدين.

نظامها الحكومي

الدولة المرينية مغربية في كل شيء وهي لذلك لم تكن لتختلف أو تتخلف في خططها السياسية بل وفي جميع نظمها الادارية والقضائية والمالية والحرية عن من تقدمها من دول الاسلام بالمغرب الا قليلا (١) فالعاصمة فاس والسلطان هو دائما مصدر السلطة العليا، ويلقب بأمر المسلمين تأدبا وتمييزا له عن لقب الخليفة بالشرق، وفيهم من تلقب بأمر المؤمنين وأولهم أبو عنان، والحاجب عندهم يدعونه «المزوار» وهو المقدم على الجنادرية العاملين في المحافظة على الأمن العام، ولما أيضا الاختصاص بالوقوف لدى باب السلطان وحمل الناس على التزام مراتبهم، ولاعمال الجبايات ديوان تحت إدارة متصرف من بني مرين إليه يرجع تصحيح الحسابات والمحاسبة على جميع دخل الحكومة وخرجها وهو المسؤول عن ذلك كله، وليس هناك من يتعقبه أو يراجعه في عمله الا السلطان نفسه أو الوزير الذي يعتبر الرئيس الحربي الاعلى؛ وللدولة عملة مضروبة باسم ملو لها. وخطة لكتابتة منقسمة عندهم الى قسمين: قسم خاص بأسرار الدولة وتسيير سياستها الداخلية والخارجية وقسم للمسائل العمومية والمكاتبات والمناشير، وكثيرا ما تولى هذه الخطة ادباء من الاندلس بخلاف القضاء فانه دائما مقصور على المغاربة وذلك ما يدلنا على شدة عناية أبناء البلاد بالفقه دون الادب، وقد تكون هناك نظرة خاصة بنظام الحكم؟...

أما نظام الحرب والجيش فإنه كان حسب ما يبدو من تواريخ المغرب والاندلس في ذلك العصر ان لكل ثمانية من الجند ناظرا يعقد له عقدة ولكل خمسة ناظر عريف يعقد له بند. وعلى كل خمسة عرفاء نقيب يعقد له لواء، وعلى كل خمسة نقيب قائد يعقد له علم، وعلى كل خمسة من القواد أمير يعقد له راية وفي العسكر المريني كثير من مرتزقة الافرنج والعبيد، كما انه كان لهذه الدولة اسطول ضخم عظمت شوكته بهذا البحر، وخاصة على عهد السلطان أبي الحسن

المريني فانه خرج من تونس الى المغرب في ستائة سفينة ، وذلك ما جعل المؤرخ الفرنسي « اندرى جوليان » يصف هذا الملك بانه كان من اقوى الملوك واعظم السلاطين على الاطلاق في القرن الرابع عشر

وللجند شعار يحملونه في المعترك والحرب وهو راية صغيرة من كتان ابيض ، وفي ذهابهم الى القتال يتقدمهم غالباً منشد يتغنى بتلحين خاص وانغام موسيقية منسجمة تدعى عندهم بـ « تاصوكايت » وهى خاصة بوقت البروز للقتال والسير الى الحرب ، وبين يديه طبل يضرب عليه منشدا اشعار الفخر والحماسة ؛ وهو تقريبا صنيع ما تفعله جنود الدول المعاصرة اليوم في خروجها للوغى ؛ وليس هناك ما يمتاز به هذه الدولة في صفة قتالها ومجالدتها العدو في الحرب عن دول المغرب يومئذ سوى انها سبقتهم الى استعمال البارود وهندام النفط القاذف بحصى الحديد وقوس الزيار ، وهى قوس عظيمة النزع توقر على احد عشر بغلا

حدود الجزائر المرينية

ان الحدود الجزائرية في ذلك العصر هى عينها المعروفة اليوم بحدودها الثلاثة : الشمالية والجنوبية والغربية؛ الا ان الحد الشرقى منها فانه كان تارة يمتد الى تونس وتارة لا يتعدى حدود اعمال قسنطينة وبجاية (انظر الخريطة صفحة ٢٧)

المرينيون وبنو عبد الواد

لم تكن دولة بنى مرين الناشئة لترضى بمجاورة قبيل بنى عبد الواد المنافس وذلك لتحقيقها بالمكانة التى يتبوأها هذا القبيل في ميدان السياسة والحرب بالمغرب الاوسط؛ فنشأت عن ذلك عداوة بين القبيلتين واحقاد كان مبعثها المنافسة على رآسة زناتة والتشوف الى السلطان المطلق على المغرب الاسلامى ، ومن ذلك لم تر الجزائر طيلة هذه المجاورة الحتمية مسالمة قط ...!

الزحف على مملكة تلمسان

ولما اشرفت سفينة العراك والحرب بالاندلس على شفا المنحدر والغرق، وانكشف لملوك بنى مرين ان ساعة انهزام دولة الاسلام هناك قد حانت او كادت، وكان شعور الدولة المرينية بالمسؤولية العظمى الملقاة على كاهلها يومئذ قد تضاعفت بحكم انها سيدة العدوتين وانها وارثة عرش الموحدين الذين طالما خضعت لعرشهم الاندلس بما فيها من رعايا وملوك، وشريف وصعلوك، فساءها ان تقع السكارثة بالاندلس على مرأى ومسمع منها بدون ان تكون قد اتخذت لهذه الحال المتوقعة عدتها، او تحتاط لها على الاقل لكيلا تتهم بين الامم بالاهمال وعدم الصلاحية للملك، فاهتمت وقتئذ بالعمل على مزيد الاقتراب من الساحل الشرقى باتخاذ عاصمة ثانية لها بالمغرب الاوسط ليتيسر لها الدفاع عن ارض الاندلس، فحاولت فتح الجزائر من ناحيتها الغربية، ويممت تلمسان فهاجمتها عدة مرات فانهمزمت وكانت الغلبة دائما لحليفة ملوكها بنى زيان، وذلك ماجعل السلطان ابا يوسف يعقوب المرينى يتوعددهم بضرب الحصار الشديد عليهم والقضاء على امارتهم بها، وفعلا نشبت الحرب بين ابي يحيى المرينى ويغمراس الزباني بأحواز وجدة سنة ٦٤٧هـ - ١٢٥٠م وكانت الوقائع هائلة انهزم فيها يغمراسن هزيمة شنعاء؛ وهذه اول حرب نظامية كانت بين بنى زيان وبنى مرين

ثم تجددت المعارك بينهم بوادى تلاغ فى منتصف المحرم ٦٦٦هـ (اكتوبر ١٢٦٧م) وقد قارب السلطان ابو يوسف الفتح لولا ان هنالك عزيمة ظهرت من جانب الزينيين فصابروا على المقاومة والدفاع عن حرهم فمال يومئذ ابو يوسف الى الصلح وعاد الى فاس

ثم انه فى منتصف رجب سنة ٦٧٠هـ (فيفري ١٢٧٢م) كانت بينهما وقعة وادى ايسلى الآتى تفصيلها، فحصرت تلمسان مدة ثلاثة اشهر وثلاثة ايام وانطلقت بها ايدى الجيش المرينى فعاث فيها الجند بما شاء... ثم كف السلطان ايديهم عنها وسعى

في جمع الشمل ومصالحة يغمراسن امير بنى عبد الواد وتم ذلك بينهم سنة ٦٧٣هـ (١٢٧٤م) فسر لذلك سلطان مرين واطهر سروره بما تصدق به من مال كثير شكراً لله عز وجل على ذلك، ثم انه في هذه السنة نفسها غزا سجلماسة -تافيلالت- فاقترحها يوم الجمعة ٣ ربيع الاول (٦ سبتمبر) وقتل بها سادة بنى عبد الواد وامر بصلبهم على اسوار المدينة وفيهم قائدها عبد الملك العبد الوادى ، ثم عاد السلطان الى مراکش ؛ وهذا ما حمل يغمراسن على نقض الصلح ومحاربة بنى مرين في وقعة الملعب المشهورة بأحواز تلمسان سنة ٦٨٠هـ (١٢٨١م) التى ادت الى حصار تلمسان ايضا وانهمز بنى عبد الواد ثم كانت هدنة بين السلطان يعقوب المرينى وعثمان بن يغمراسن الزياني سنة ٦٨٤هـ (١٢٨٥م)

وفي ربيع الثانى سنة ٦٨٩هـ (ماى ١٢٩٠م) عزم السلطان يوسف بن يعقوب المرينى على المسير الى غزو تلمسان وفتحها بسبب ايواء صاحبها لبعض الثوار على دولة مرين ، ولقد حاول من قبل استسلام هؤلاء الثوار المشاغبيين من يد بنى زيان فلم يسمحوا له بذلك؛ وحينئذ تقدم بنو مرين لحصار تلمسان ونصبوا عليها المجانيق واطلقت ايدى الجند فيها فعبثوا بها واخذوها بالنهب والتخريب ثم اقلعوا عنها ؛ وان كل ما كان بعد ذلك من عداوة او ضغينة بين بنى مرين وبنى زيان او واقعة حربية انما كان منشؤها هذه الحادثة

وفي سنة ٦٩٤هـ (١٢٩٤م) استصرخ ثابت بن منديل رئيس مغراوة بالسلطان يوسف بن يعقوب المرينى مستشفعا به لدى ملك تلمسان عثمان بن يغمراسن فى رد هجماته وكف عادية قومه عنه ؛ فأرسل يوسف بشفاعته فى ذلك الى عثمان فرفضها ؛ ويومئذ خرج يوسف لغزو تلمسان سنة ٦٩٥هـ (١٢٩٥م) انتقاما لشرفه ومر فى طريقه على مدينة وجدة فحطم اسوارها وحاصر ندرومة اربعين يوما فامتنعت عنه ثم عاد الى مركزه

وفي السنة بعدها هاجم سلطان مرين اعمال تلمسان مشددا عليها الخناق ثم

نصب عليها قوس الزيار في رجب سنة ٦٩٧ هـ (افريل ١٢٩٨ م) وانهاالت عليها جنوده فخضعت له يومئذ مدينة ندرومة، وهنين، ووهران، ومزگران؛ وفتحت مازونة ومستغانم وبرشك وونشريس ومليانة والمدينة وتنس وشرشال؛ واذعن ابن علان صاحب مدينة الجزائر لسلطان مرين فجاء مبايعا؛ ومن ثمة اخذ ظل حكومة بنى زيان يتقلص عن مملكة الجزائر، واخذت البلاد الجزائرية تسقط شيئا فشيئا بيد دولة مرين الى ان امتلكت جميعها سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٣ م) واصبح المغرب الاوسط يدين بطاعته اليها ما عدا مدينة تلمسان فانها -- في هذه المرة -- لوحدها احتفظت بمركزها السياسى واستقلالها الداخلى .

ويلاحظ انه قد كان لهذه الوقائع والحروب اثر كبير في قفر جهات عديدة ونواح كثيرة من بلاد المغرب وخاصة اصقاع انفا - الدار البيضاء - واقطارها، فأخذ حينئذ السلطان يعقوب بن عبد الحق سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م) في نقل عدد وافر من سكان الجزائر اليها، وكان اغلبهم من البربر؛ واتخذ منهم رعاة لشيء الدولة وساسة لابلها، ومنذ اشتهرت هذه الطائفة الجزائرية المنتقلة باسم «الشاوية» وتأكد يومئذ امتزاج الشعب الجزائري بأهل المغرب الاقصى وازداد بذلك ارتباطا وتشبثا

وقعة وادي ابسلى

ليس هنالك من شيء يحمل على معادات بنى مرين لبنى عبد الواد الزيانيين سوى المزاحمة على الملك وحب الرأسة والاستئثار بها؛ ومن اجل ذلك مد يغمراسن يده اولا للموحدين وربط صلته بهم تفخيما لدولته وتشجيذا لشوكرته وارهابا لمنافسيه

ويومئذ حشد السلطان ابويوسف يعقوب المرينى جنوده وخرج بنفسه محفوفا بجيشه العظيم غازيا تلمسان غرة صفر ٦٦٩ هـ (سبتمبر ١٢٨٠ م) وما كاد يتصل بتراب الجزائر ويقرب من تلمسان حتى وافاه سفير السلطان ابن الاحمر يستصرخه لنصر الاسلام وحماية المسلمين ودفع عادية العدو عنهم بالانداس، فحال ذلك بينه

وبين المسير الى تلمسان ، وجمع مشيخة الدولة وارباب الشورى يستشيرهم في الامر ، فاتفقت كلمتهم جميعا على تقديم انجاد الاندلس وحمايتها فعدل السلطان يومئذ عن خطته المرسومة ، وراسل صاحب تلمسان في الصالح فامتنع واكد متابعة الحرب ؛ فالتحمت المعارك الشديدة بينه وبين بنى مرين بوادى ايسلى من بسائط وجدة وعلى مقربة منها ، وذلك فى منتصف رجب ٦٧٠ هـ (١٢٧٢م) فانهمز الزيانيون فى هذه الواقعة شر هزيمة وفر يغمراسن عن محلته واضرمت فيها النيران وقتل ولده فارس ، واخذ السلطان ابويوسف فى استقصاء وتبعية اثر يغمراسن فى البلاد الى ان حال بينهما الظلام فأتى السلطان مدينة وجدة وامر بهدمها فعفت آثارها

وقعة وادى تافنة

ولما حل المرينيون بالاندلس وامتلكوا شطرا منها اخذت عقارب الحسد تدب فى قلوب ملوك الاندلس من بنى الاحمر وانتشر بينهم داء الاثرة فعمد سلطانهم الى يغمراسن الزياني طالبا مودته وصداقته وواصله بهدايا اندلسية فخمة واموال عظيمة على ان يشغل عنه ملوك بنى مرين بمشاغبتهم واحداث مشاكل لهم بالمغرب ؛ وما كاد يشيع خبر اتصال اهل الاندلس بيغمراسن حتى بادر السلطان ابويوسف المرينى الى طلب الصلح من صاحب تلمسان وكاتبه فى ذلك سنة ٦٧٨ هـ (١٢٨٠م) فتعصب يغمراسن لفكرته متصلبا فى عداوته ، فوابأته مرين مدة ثلاثة اشهر ثم اعادت سعيها فى طلب الصلح ، فامتنع بنو زيان كذلك ولم يقبلوا فى ذلك قولاً لبني مرين فتحرك هؤلاء يومئذ للقتال وكان الميدان بينهم وادى تافنة ، فالتصرت مرين على بنى عبد الواد واتهبت محلة يغمراسن فتشتت امواله وهدمت قبابه

تأسيس حاضرة المنصورة

لقد كان حصار السلطان ابي يعقوب المريني لمدينة تلمسان من اضعف واشد ما عرفه التاريخ في حصار مدينة، وقد طال الحصار ثمان سنين وثلاثة اشهر واياما ، مات فيها نحو العشرين ومائة الف شخص ، واكل الناس يومئذ الحيف والكلاب والقطط والفيران واشلاء الموتى ، وبلغ ثمن الفأر عشرة دراهم (١)

وفي تلك الاثناء شرع السلطان ابو يعقوب المريني في اقامة بناء وأنشاء حاضرة المنصورة على نحو اربع كيلومترات غربى تلمسان ، وكان ذلك في فصل الشتاء من سنة ٦٩٨ هـ (١٢٩٩م) جعلها السلطان معتصما لجنده المعسكر والمحاصر لعاصمة بنى زيان ، وسمّاها «المحلة المنصورة» او تلمسان الجديدة ، وكان فيما انشئ بها يومئذ قصر الملك حيال الجامع الذى تخلف منه اليوم جزء او قل هو طلل من انقاض منارته القائمة على بابه ، ويقال انه كان بأعلاها تفاقيح من الذهب الخالص يقدر ثمنها بسبعمائة دينار ، وكان حول القصر سور يفصله عن سكنى الرعية ، وحول ذلك السور ابنتت المنازل والقصور الانيقة والحمامات العمومية والفنادق والاسواق واجريت المياة بالبساتين وانشئت بها دور الاسعاف الخ... ثم احيطت المنصورة هذه بسور انشأته الحكومة المرينية سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢) لحمايتها من الطواريء فاصبحت بعد ذلك من اعمر الامصار الجزائرية وابدعها جمالا، قال ابن مرزوق الخطيب: «منصورة تلمسان التى لم ير الراؤون مثلها، ولا وصف الواصفون مثل وصفها، واما قصرها ومسكن الامام بها فقد رايت كثيرا ممن دخلها من المتجولين ممن راي مباني العراق ومباني مصر والشام والمباني القديمة فى الاندلس ومراكش اجمعوا كلهم على ان الذى اجتمع فيه لم يجتمع فى غيره، وبحق ما قالوه، واما دار الفتح والبستنة وما اتصل بهما والمشور فما اظن المعمور اشتمل على مثلها فاجا الله من خربها»

وهو يعنى بذلك بنى عبد الواد حينما خربوها وحطموا قصورها ودمروها سنة ٧٠٧ هـ (١٣٠٧ م) انتقاما لانفسهم من بنى مرين وطمسوا لمعالم الهوان والذل بأرضهم

معركة مرسى الرؤوس

ولما طال الحصار بتلمسان واشتدت وطأتها على اهلها بنى عبد الواد ٦٩٨ هـ [١٢٩٩ م] استجاش السلطان عثمان بن يغمراسن الزياني بصهرة ابى زكرياء الحفصى صاحب بجاية ، فبعث هذا بالنجدة اليه يقودها اخوه يحيى ، وما كادت الحامية تبلغ غايتها حتى اعترضتها جيوش مرين بجبل الزاب فاستلحموا هنالك وكانت الدبرة على حامية بجاية ؛ ولوفرة ما تساقط هنالك من القتلى والجرحى سميت هذه الملاحمة بمعركة مرسى الرؤوس ؛ وارتاح لها امراء المملكة الحفصية الشرقية - تونس - فاستنصروا بنى مرين واستظهروا بهم على حصار بجاية ، وكان ذلك سببا فى تنكر سلطان بنى زيان للاسرة المالكة الحفصية فرفض دعوتهم واسقط ذكرهم من المنابر . وفى ذلك الاثناء كان سقوط مدينة المدينة بيد بنى مرين فاحتلوها وبنوا فيها حصنا استمر هنالك قائما الى عهد الاحتلال الفرنسى

تنازل بنى مرين عن ولاية تلمسان

كان اغتيال السلطان ابى يعقوب يوسف المرينى سنة ٧٠٦ هـ [١٣٠٦ م] سببا مباشرا فى افراج مرين عن تلمسان وانفكاك الحصار عن اهلها؛ ففرقت يومئذ جنودهم واختلفت كلمتهم بموت ملكهم ابى يعقوب ، وتنازع على العرش المرينى كل من ولده واخيه وحفيده ابى ثابت عامر بن عبد الله ؛ واستند الحفيد هذا الى بنى زيان مستظهرا بهم على مزاحميه ، فحالفهم على تنازل مرين وتخليها عن المملكة التلمسانية ان هو انتصر على خصميه وجلس على العرش ؛ فكان الامر كذلك ، وبيع ابوناث هذا بتلمسان الجديدة المنصورة فتخلى يومئذ لبنى زيان عن امارتهم

وذهب يوم ١٥ شوال ٧٠٧ هـ [٩ أفريل ١٣٠٧ م] غازيا عرب رياح المقيمين بقلعة
ابى طوبل والجزائر ففضى وطره منهم ثم عاد الى قاعدة فاس

نقض الصلح

وفي سنة ٧١٤ هـ [١٣١٤ م] نقض السلطان ابوسعيد عثمان المريني الصلح المنعقد بين
امارة تلمسان وحكومة فاس ، واغار على عاصمة الزيانيين فاكتسح اقطارها وبلغ
الملعب ، فانتهكت حرمت اهل تلك النواحي واقتحمت بعض المعاقل ، ثم عاد
السلطان الى فاس ، واستمر بعد ذلك الزحف المريني على تلمسان ست دفعات

تحالف بنى مرين والحفصيين ضد تلمسان

استغاث السلطان الحفصى بابى سعيد المريني على رد غارة بنى زيان عن
الجزائر الحفصية سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) فتظاهرت الدولتان يومئذ وتحالفتا ضد
بنى عبد الواد واحكما هذا التظاهر بالتصاهر ، ومات ابوسعيد دون بلوغ امنيته
فخلفه ولده السلطان ابوالحسن وبعث من حينه الى ابى تاشفين ملك تلمسان
ينافح عن مملكة اصهاره الحفصيين ، ويأمره بالتخلي عن كل ما وصلت اليه يده من
ملك الحفصيين . وينهاه كذلك عن الاستمرار فى الزحف ؛ فرفض كل ذلك
ابوتاشفين واستمر سائرا على خطته ، وحينئذ تظاهروا المرينيون وبنو ابى حفص ضده
وتوحدت القوات العسكرية فاكتنفته احدى الدولتين من الشرق والاخرى من
الغرب وهجمت الاساطيل المرينية سواحل الجزائر وحملت الجنود على تلمسان
فتجاوزتها الى تسالة - قرب سيدي بلعباس - ونزلت هنالك فى شعبان ٧٣٢ هـ (أفريل
١٣٣٢ م) وبذلك استعادت الدولة الحفصية ملكها المسلوب بالجزائر ما عدا مدينة
تلمسان فانها بقيت محافظة على استقلالها

الوثوب على عمالي الجزائر ووهران

اجمع السلطان ابوالحسن المريني على اقتحام الاعمال الجزائرية فبرز اليها سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٤م) وبعد ان حاصر وجدة واستولى عليها تقدم الى ندرومة وهنين - فوضة تلمسان - فبايعته هنالك البطون والقبائل خاضعة، ثم تقدم الى وهران فاحتلها سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) وخضعت لسلطانه تلك الاصقاع بأجمعها وتبعته في ذلك عمالة الجزائر مدينة مدينة سوى تلمسان

القضاء على امارة بنى زيان

وبعد ما انتهى السلطان ابوالحسن عملية الفتح بالجزائر التفت الى مدينة تلمسان حيث بقيت منجزة الى بنى عبد الواد فتجهز اليها سنة ٧٣٧هـ (١٣٣٦م) عازما على فتحها، فخذق حولها وضرب عليها الحصار وسكن المنصورة بعد ما ادخل عليها بعض الاصلاحات الضرورية واحاطها يومئذ بسور محكم ثم اوقد نار الحرب على بنى عبد الواد فتعددت المعارك بينهم وكان الحرب فيها سجالا فصبر لها ابوالحسن حتى انتصر في النهاية واقتحم تلمسان يوم الاربعاء ٢٨ رمضان من سنته (٣٠ افريل ١٣٣٧م) وقضى بذلك على امارة بنى زيان

فتح لاعمال الشرقية

اضطرب حبل الدولة الحفصية اثر موت ملكها ابي يحيى - المتوكل - ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) فنشأت عن ذاك فتن ومشاكل وخاصة حول تولي الملك، فنشط لذلك امراء البيت الحفصي واخذ كل في جذب طرف حبل الرئاسة اليه يسعى في تحصيلها بكل وسيلة؛ وفيهم من ذهب مغريا دولة مرين بالانقضاء على دولة الحفصيين واطهر في ذلك رغبة شديدة والحاج، وكان السلطان ابوالحسن المريني يتحين لها الفرص من قبل لو لا مكان السلطان ابي يحيى من ولايته وصهره . فتجهز يومئذ ابوالحسن لهذا

الفتح بجهازه وجاء محتشدا فاقترح وهران في صفر ٧٤٨ هـ (ماي ١٣٤٧ م) وبنا فيها برج الاحمر ، وامر بانشاء برج المرسى ايضا ؛ واحتل مدينة الجزائر فعمل على تشريد الثعالب من بسيط متيجة الى المغرب الاقصى ونزل ولاية قسنطينة وبجاية فعزل عنهما ولاية الحفصيين وولى عليهما قبيلة من بني مرين ، ثم تقدم الى تونس فاحتلها في موكب عظيم يوم الاربعاء ٨ جمادى الثانية - سبتمبر - يقول ابن خلدون : انه لم ير يوم مثله فيما علقناه . وفر عنها اذ ذاك سلطانها ابو حفص الثاني فيمن اجتمع اليه من اولاد مهامل فلاحقت بهم جنود ابي الحسن فأوقعت بهم وتردى ابو حفص قتيلا ؛ وفي هذا اليوم تم لبني مرين - كما تم للموحدين قبلهم - الاستيلاء على المغرب الاسلامي بأقطار الثلاثة : المغرب الاقصى والجزائر وتونس

ثورة بني عبد الواد

اخفقت سياسة بني مرين مع العرب في المملكة التونسية واساء بعض العمال في سلوكهم ومعاملاتهم للرعية ، فنار الناس على السلطة المحلية واثاروا ضدها نغم الفتنة واصلتوا سيف المقاومة فانهمزمت مرين سنة ٧٤٩ هـ (١٣٤٨ م) بنواحي القيروان وبالاثر اجتمع بنو عبد الواد بظاهر تونس وبايعوا ابا سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان ، وتحالفوا مع مغراوة وتوجين ، وارتحلوا نحو الجزائر في خمسمائة فارس ولحق بهم في الطريق من مغراوة ضعف ذلك ، وهم في سيرهم هذا آخذين في مقابلة رؤساء بني مرين واستمروا على ذلك منتصرين حتى دخلوا تلمسان يوم ٢٢ جمادى الثانية ٧٤٩ هـ (١٧ سبتمبر ١٣٤٨ م) فالحقوا القبض على عامل المرينيين بها المستبد ابي سعيد عثمان بن يحيى بن محمد بن جرار العبد الوادي فأودعوه السجن الى ان مات . وفي اثناء ذلك استولى على بن راشد من آل ثابت بن منديل المغراوي على ما كان لسلفه من الملك بوطن شلف ،

وغلب على مليانة وتنس وبرشك وشرشال وانتزى اعياص الملك بمواطنهم . ولم يبق يومئذ بيد مرين في الجزائر سوى مدينة وهران وونشريس ، واتفق ان كان حاضرا بأحواز تلمسان يومئذ ابو عنان بن السلطان ابي الحسن المريني فأظهر استبداده بالحكم متوقعا انتصار والده عليها فخاب ، واخلف ريعيا مظنته

عودة الجزائر لبنى عبد الواد

عاد السلطان ابو الحسن المريني من تونس بعد الاستيلاء في شوال سنة ٧٥٠ هـ [ديسمبر ١٣٤٩م] في ستائة سفينة يريد الجزائر ، وكانت يومئذ زواجر ورياح وعواصف بحرية فغرقت مراكب السلطان المريني ما بين سواحل داس وبجاية وكان فيمن هلك من حاشية السلطان ودائرتة الخاصة نحو الاربعمئة عالم ، ولم يكن لينجو من هذا الموت الزؤام سوى ابي الحسن في شردمة قليلة من رجال بلاطه دفعت بهم الرياح فأوقعتهم بمرقا الجزائر فكان هذا الحادث اكبر كارثة اصيبت بها الدولة المرينية في اسطولها ؛ ويومئذ انتهز بنو عبد الواد هذه الفرصة واستعدوا في شهر ربيع الاول ٧٥١ هـ - ماي ١٣٥٠م لاسترجاع مملكتهم وامارتهم الجزائرية فتجهزوا تحت راية زعيمهم ابي ثابت الزياني فخضعت لطاعتهم يومئذ نواحي منداس والسرسو وتيطرى وحمزة ، ثم قفلوا الى تلمسان فدخلوها في شهر رجب - سبتمبر - فنهض يومئذ ابو الحسن مع ولده الناصر مقاتلا بنى عبد الواد وكان هؤلاء قد حالفوا قبيلة مغراوة العتيدة ، فتتصر ابو الحسن اولا على اهل المدينة ومليانة ونواحيها ، ثم كانت عليه الدبرة فقهره ابو ثابت الزياني ، كما انهزم ولده الناصر ايضا امام علي بن راشد رئيس مغراوة ، وكانت الوقعة الكبرى بينهم بسهولة شلف يوم الاربعاء ١٠ شعبان [١٣ اكتوبر] فقتل الناصر المريني وفر والده السلطان الى جبل العمور ثم اصحر من هنالك الى سجلماسة وانتصر بنو عبد الواد وخلصت لهم ارض الجزائر وجاس على عرشها يومئذ ٧٥٢ م (١٣٥١م) السلطان ابو ثابت الزياني

استيلاء السلطان أبي عنان على أعمال تلمسان

توفي السلطان ابو الحسن المريني سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) فخلفه ولده ابو عنان فارس ، وان اول ما تقدم اليه من الاعمال وبشره ان غزا يومئذ تلمسان ، وكان ذلك في السنة الثانية من ولايته ، فبرز لمقاومته السلطان ابوسعيد عثمان الزياني وكان اللقاء بين الفريقين في سهل «انكاد» في شهر جمادى الاول (جوان) انهزم فيها بنو عبد الواد واسر ملكهم عثمان ثم قتل ، فنهض اخوه ابو ثابت بمغراوة في نواحي شلف ، واشتد سعيهم الحرب بينه وبين الوزير فارس بن ميمون المريني فانكسر ابو ثابت وذهب منهزما نحو بجاية وهناك القى القبض عليه واحتل المرينيون مدينة الجزائر في شهر رجب - اوط - ثم حل سلطانهم بالمدينة فأطرد منها ولادة بني عبد الواد وعملهم وقتل هنالك طائفة من وزرائهم ورؤسائهم ثم عاد بالزعيم ابي ثابت الى تلمسان فقتلها بها

تملك بجاية

وفد ابو عبد الله الحفصي امير بجاية صحبة وزيرة الحاجب فارح على السلطان ابي عنان وهو يومئذ بالمدينة في شعبان ٧٥٣هـ (سبتمبر ١٣٥٢م) وكان موجب هذه الوفادة : الاستعانة ببني مرين على اهالي بجاية في تمردهم على السلطان وامتناعهم من دفع الجباية ، فاستمع السلطان شكواه هذه واوعز اليه بالواسطة من زين له التنازل عن ولاية بجاية على ان يعوضه السلطان عنها غيرها ما شاء من بلاد المغرب ؛ فكان الامر كذلك ونزل ابو عبد الله عن ولايته فعقد له السلطان ابو عنان على مكناسة الزيتون وصارت بجاية لعمر بن علي الوطاسي

انقراض بجاية ، وفتح قسنطينة وبونة

اغتاض اهل بجاية من استيلاء السلطان المريني عليهم وساءهم منه ايضا سلوكه السياسى معهم ، فابتدوا على الثورة ، واتفق ان قدم عليهم الحاجب فارح في مأمورية له من طرف اميره الحفصى ، فاجتمع به اهل بجاية واثمروا بحاكمها الوطاسى فقتلوه في ذى الحجة ٧٥٣هـ (جانفي ١٣٥٣م) وكانت هنالك غارة شعواء بين القريقين ، فقبض سلطان مرين على ابي عبد الله الحفصى بتهمة المداخلة مع وزيره فارح ، واعتقل معه طائفة من اشراف بجاية وسادتها ممن كان ملتزما بابيه ؛ ثم لحق اهل بجاية ندم على ما فرط منهم فخشوا بوادر ابي عنان وقتكه فانقلبوا على الحاجب فارح فاغتالوه في جماعته وبعثوا براسه الى السلطان ابي عنان ؛ فعقد يومئذ لحاجبه ابي عبد الله محمد بن ابي عمرو على بجاية فجاءها في كتابه مفتتح سنة ٧٥٤هـ (فيفري ١٣٥٣م) فضبط شؤون الحكومة بها واصلاح من امرها واخذ الفتن القائمة يومئذ بأحوازها وقبض على رؤوس الفتن وموقديها من اهل بجاية فاعتقلهم وشردهم الى اقصى المغرب وكان عددهم يناهز المائتين

وفي العشرين من رجب ٧٥٨هـ (١٠ جويلي ١٣٥٧م) نازل الوزير فارس بن ميمون مدينة قسنطينة ثم لحق به السلطان ابو عنان في جم غفير من الجند فاحتلها يوم ثاني عشر شعبان - فاتح اوط - واطرد منها اميرها ابا العباس احمد بن محمد بن ابي بكر الحفصى ، وتولى عليها يومئذ المنصور بن الحاج خلوف اليباني من رجال الشورى بدولة مرين فنزل بقصبتها في شعبان من هذه السنة ؛ وفي هذه الاثناء كان استيلاء مرين ايضا على بونة - عنابة -

الجزائر بين بني عبد الواد وبني مرين

انتصر محمد الحاجب المريني فتغلب على امير قسنطينة سنة ٧٥٥ هـ (١٣٥٤م) وبقي يتقلب في وظائف مختلفة بأعمال هذه الولاية، فدخل ميلمة وبلغ الى المسيلة؛ ثم امتلك سلطان مرين بعدها بجاية وبونة الخ... وفي سنة ٧٦٠ هـ (١٣٥٩م) انتصر السلطان ابوحمو الزياني على بني مرين فانتزع منهم تلمسان؛ وفي السنة بعدها حمل السلطان ابوسالم المريني على تلمسان انتقاما من سلطانها الزياني لايوائه الزرد الى عامل درعة وقاتل اخ السلطان، فاحتشد لتلمسان في حملة شديدة في شهر رجب - ماي - واقتحمها يوم ٦ شعبان - ٢٣ جوان - فقاومه ملكها ابوحمو الثاني وابعده عنها يوم ٨ رمضان - ٢٣ جولييط -

وفي سنة ٧٧١ هـ (١٣٦٩م) وفد على السلطان عبد العزيز المريني طائفة من خواص اهل مدينة الجزائر ونواحيها يشكون اليه حيف دولة بني زيان وشططها في رسم المغرب؛ فكانت هذه فرصة سانحة لزحف عبد العزيز الى تلمسان واحتلالها يوم عاشوراء ٧٧٢ هـ (اوط ١٣٧٠م) واستولى بذلك على ملك بني زيان، وانتزع من العرب اقطاعاتهم وفرق يومئذ عماله في بلاد المغرب الاوسط بوهران ومليانة والجزائر والمدينة ووانشريس الخ..... واقام السلطان المريني بتلمسان الى ان ادركه حينئذ ووافاه حمام بهما سنة ٧٧٤ هـ [١٣٧٢م] فبويع آن ذاك ولده محمد الثاني بفاس؛ ومكث ابو سعيد عثمان بن جرار واليا على تلمسان من قبل مرين الى ان اقتحم عليه المدينة السلطان ابوحمو الثاني في شهر جمادى الاولى سنة ٧٧٦ هـ [نفسه ١٣٧٤م] فخرج منها يومئذ ابو سعيد وعادت الجزائر الى بني عبد الواد

انقسام بني مرين وتملك بني عبد الواد

كان استبداد عبد الرحمن المريني بملك مدينة مراكش وجلوسه على عرشها سنة ٧٧٦ هـ [١٣٧٤م] وخروجه عن طاعة ابن عمه سلطان فاس ابي العباس احمد بن سالم سببا في استقلال بني عبد الواد بملك تلمسان ، وذلك لاتصاف سلطانهم ابي حمو لصاحب مراكش ، وفي منتصف السنة هذه غلب صاحب فاس على ابن عمه فدخل عليه مراكش ثم التحق بتلمسان منتقما من صاحبها فانهمز ابو حمو سنة ٧٨٥ هـ [١٣٨٣م] وهدمت يومئذ اسوار المدينة وقصور الملك بها وقد كانت بحيث لا يعبر عن حسننها ... وبعث ابو العباس بولده فاحتل مدينة مليانة والجزائر ودلس ثم استرجع ابو حمو مدينة تلمسان في السنة التالية ، فعمد يومئذ ابو العباس الى الحيلة والدهاء فأوحى الى ابي تاشفين الزياني بغدر والده وقتله ليتملك ، فزين الشيطان لهذا الشق تنفيذ هذه المؤامرة الشنيعة فمات والده شهيد الغدر والخيانة واقام ابو تاشفين بتلمسان الى سنة ٧٩٥ هـ [١٣٩٢م] فامتلكها يومئذ ابو العباس سنة واحدة ثم مات فخلقه ولده عبد العزيز الثاني ، وهو الذي اطلق وثاق السلطان ابي زيان من السجن واعاد اليه اماره تلمسان ، فانفردت بملكها يومئذ هذه الاسرة الزيانية من بني عبد الواد واستمرت تحكم بها الى الفتح التركي العثماني

المذاهب والمعتقدات

كان انتصار بنى مرين الزيانيين على المصامدة الموحدين فرصة لفقهاء المالكية ، فعملوا على اعادة ريعان المذهب المالكي ونصرتة بالمغرب بعد ان قضى عليه الموحدون واستبدلوه بالمذهب الظاهري او ما سموه اجتهدا ؛ فتأسست يومئذ المدارس الحكومية وانتشر التعليم مجانا بها ، واقبل عليها الطلبة يغرفون من معينها ، ولقد نجحت الحكومة بعملها هذا يومئذ في القضاء على بعض الشخصيات والاسر النبيلة المتطلعة الى الرئاسة باسم التصوف وخدمة العلم فقضت على ما اثنىء من طرف هؤلاء من الزوايا والربط ؛ ونشأ عن هذا التزاحم بين مدارس الحكومة وزوايا المتصوفة ما كان فيه خير للعلم والدين فكان لسلك من هاتين الناحيتين فضل كبير على المجتمع المغربي من حيث خدمة الفقه المالكي بالخصوص ، فنبغ فيه فطاحل من رجال الشريعة والقانون وان لم يأخذوه بتنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب في المشرق ؛ ذلك كما يقول ابن خلدون اتغلب البداوة على اهل المغرب ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لاهل العراق فكانوا الى اهل الحجاز اميل لمناسبة البداوة ، ولهذا لم ينزل المذهب المالكي غضا عندهم (١)

ومن نبغاء الفقه بالمغرب يومئذ : عيسى التتادلى الفاسى ، فانه كتب المدونة من حفظه بعد ما استأصلها الموحدون واحرقوها كما املاها ابو الحسن على بن عشرين على طلبة العلم من حفظه ايضا ، وقوبلت هذه النسخة على اصول المدونة فلم تختلف عنها الا بواو او فاء ...!

واطردت يومئذ حركة التاليف في الفقه وتوسع الفقهاء في الفروع استنباطا وتخريجا على مقتضى قواعد المذهب المالكي . اما العقائد فانها لم تحد يوما قيد انملة عن ما تركها عليه ابن تومرت منذ جاء من المشرق بمذهب الامام الاشعري

فخامة بلاط بنى مرين

يذكر المؤرخون انه كان للسلطان ابى الحسن المرينى تعلق شديد بالحرمين الشريفين وانه اهدى للحرم الملكى فى موسم الحج لسنة ٧٣٨هـ (١٣٣٨م) مصحفاً سنياً خطه بيمينه متقن الوراقاة مهذب الصنعة ، جمع له نبغاء الفنون الجميلة فصنعوا له وعاء مزخرفاً من آبنوس مطعماً بالعاج والصندل مغشى بصفائح من ذهب مرصعة بالجواهر والياقوت ، واتخذوا له اصونمة الجلد المحكمة مرقومة بخطوط ذهبية يعلوها غلاف من الحرير والديباج الرفيع وبعث مع وفد الحاج عدداً وافراً من المال لشراء ضياع وحقول بالمشرق وتحييسها وقفاً على القراء

خرج هذا الوفد السلطانى من تلمسان وركب البحر من مرسى هنين مصحوباً بهدايا اخرى فخمة ضاحمة ارسل بها السلطان الى صاحب مصر الملك الناصر محمد بن قلاوون . وكان من جملة محتويات هذه الهدية الملكية [٨٢٥] حجراً من ياقوت ، و[١٢٨] من زمرد ، ومثلها زبرجدا ، و[٣٦٤] قطعة من المجوهرات النفيسة ؛ وحلل كثيرة منها [١٣] مذهبة ، ومن الانان [٢٠] مذهبة ايضا ، ومن الخالدى [٤٦] ، ومن القنوع المذهبة [٢٦] ، ومن المحررات المختمة [٨٠٠] ، ومن الرصان [٢٠] شقة ، ومن الاكسية الحريرية [١٨] ، ومن المشققات [١٥٠] ، ومن احارم الصوف المحررة [٢٠] ، ومن شقق الملف الرفيع [١٦] ، ومن الفضالى المتنوعة والفرش والمخاد المنبوقمة والخلل [٨٠٠] ، ومن اوجه واحسن اللحف المذهبة [٢٠] ، وحائطان حلة وحنابل [١١٢] كلها من حرير ، وفرش جلد مطرزة بالذهب والفضة ، و[١٠] سيوف محلات بالذهب منضدة بالجواهر ، واغمدتها كذلك مرصعة ، و[١٠] سروج بركاب من ذهب ، ومثلها عشرة مطروزة بالفضة ، ومهاميز من ذهب ، وثلاث ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ايضا ، ومضمتان من ذهب وخوذة حديد بذهب مكلل بالجواهر ، و[١٠] من لزمات الفضة ، و[١٠] علامات مغشاة بالذهب ، ومثلها رايات مذهبة و[١٠] امثلة

مرقومة ، و [٣٠] جلد اشرك ، و [٤٠٠] درقة لمطية منها مئتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة ؛ وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها اربعة ابواب ، وقبة اخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة ، وهي من حرير ابيض ومرابطها من حرير ملون وعمودها من عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ؛ ومن البزات الاحرار المنتقات [٣٤] بزة ، ومن عتاق الحيل العرب [٣٣٥] حصانا ، ومن البغال [١٢٠] ذكورا واناثا ، و [٧٠٠] جمل ، و [٢٢] بازا . مما كان يقدر يومئذ جميعه بمائة الف دينار . وكان اتصال هذا الوفد بالديار المصرية في اليوم الثاني من رمضان ٧٣٨ هـ (٢٤ مارس ١٣٣٨ م) قتلناه مهندمار السلطان الناصر بحفاوة واجلال مما جعل هذا اليوم في التاريخ من ايام مصر المشهوده ، وحملت الهدايا على ثلاثين قطارا من بغال النقل - عدا الجمال - وكفانا هذا حجة ودليلا في سياق الاستشهاد على فخامة بلاط الدولة المرينية وضخامة سلطاتها وكافاً للملك الناصر عن هذه الهدية الملكية الفخمة العظيمة بما يقاربها من التحف النفسية والاشياء الثمينة ، وفيها ما يستغرب جنسه وشكله فازدادت العلائق الودية بذلك بين ملوك المشرق والمغرب تأكيداً كما ازداد التضامن والارتباط الاسلامي بينهم ميثاقاً وعهداً (١) ومما يعد كذلك من رفاة هذه الدولة وتقدمها في الميدان الفني ما وجد بقصر السلطان ابي عنان من ذلك النموذج العجيب الفريد الذي يمثل شكل قلعة جبل الفتح - جبل طارق - بجميع ما احتوى عليه هذا الجبل من الابراج والحصون وغير ذلك من مظاهره العمرانية واسواره الخ.... فلا غرو اذا كان يومئذ هذا البلاط يفوق غيره من قصور قرطبة وبغداد والقاهرة ، وهذا معنى قول ابن خلدون : ان الحضارة الاندلسية انتقلت بالاندلس الى ملوك المغرب من الموحدين وزناته

(١) انظر تفاصيل هذه الهدايا والعلائق الودية والسفارات السياسية التي كانت تقع بين ملوك المشرق والمغرب في تاريخ ابن خلدون ج ٥ ص ٤٢٠ و ٤٤٠ و ٤٧٩ و ٥٠١ وفي التعريف بابن خلدون ص ٣٤١ و ٣٤٥ ط القاهرة ١٣٧٠ هـ وكتاب الاستقصاء ج ١ ص ١٧٤ و ج ٢ ص ٤٠ - ٤١ وكتاب الروضتين لابي شامة ج ٢ ص ١٧٣ ط مصر ١٢٨٨ هـ

الثقافة والحضارة والعمران

انقضى القرن الثامن الهجرى بالمغرب وطله عراك وقتن وحروب واضطرابات سياسية مختلفة اثارها النزوات السياسية والعصية القبلية بين بنى مرين ومجاورهم من بنى عبد الواد والحفصيين، ولذلك لم نكد نظفر بأثار عمرانية باقية تذكر لهذه الدولة بالجزائر سوى ما سجله التاريخ من التخریب والتدمير والنسف لما شيدته يد الحضارة الاسلامية بهذه الديار من قبل ...!

واذا حاولنا تعليل هذه الظاهرة المتجلية يومئذ في سكان المغرب، فاننا لانكاد نجد لها تعليلًا معقولًا او حالًا مطابقًا للواقع سوى فقر بعض النواحي النائية عن الحضارة ومواطن الرفاهية بالمغرب. مما جعل اهلها يزدهجون على الاماكن الحصبة ومواقع الخير

ورغم ذلك كله فانها لا تزال بعض معالم المدنية من آثار هذه الدولة ماثلة للعيان قائمة بالمغرب الأقصى والجزائر؛ ممتازة برشاقتها وشكلها الاندلسي البديع؛ فمنها بفاس المدرسة العنانية ومدرسة العطارين ومدرسة الصقارين ومدرسة الصهريرج والمدرسة المصباحية الخ ومنها بالجزائر وهي قليلة جدا كما ذكرنا لا تكاد تذكر بالنسبة الى عظمة هذه الدولة وفيخامة سلطانها واتساع عمرانها - : المسجد الجامع المتصل بضريح الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الاندلسي بضاحية العباد في تلمسان، وكذلك المدرسة المجاورة له، وكلاهما من منشآت السلطان ابي الحسن المريني سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧م) وكلاهما آيتة في فن المعمار والزخرفة والنقش؛ اما الضريح نفسه فهو من بقايا ما انشأه خليفة الموحدين محمد الناصر بن المنصور بالجزائر؛ ومنها البرج الاحمر وبرج المرسي بوهران الذان انشأهما ابو الحسن ايضا في تلك السنة، والمسجد الجامع بمستغانم ٧٤٢ هـ (١٣٤٠)؛ ويذكران بالجامع الاعظم في الجزائر جناحاهما هو من زيادات ابي الحسن. وذلكم الجامع الجميل مسجد سيدي الحلوى بتلمسان فانه مما اخرجته يد الفن المغربي

على عهد السلطان ابي عنان ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) وكذلك ما اتصل به من البناء هو مما انشئ في ذلك العصر ، كما يذكر ان الجامع الكبير بقسنطينة هو ايضا من آثار ابي عنان. وتدلنا الابحاث التاريخية على ان الجامع الجديد مركز ديوان الافتاء الحنقي اليوم بالجزائر المؤسس سنة ١٠٧٠هـ (١٦٦٠م) انما بنى على انقاض المدرسة العنانية ؛ وانه كان يعرف من قبل بجامع زاوية سيدى ابي عنان او جامع المدرسة العنانية ؟ ... ولا ادرى ما العلاقة في ذلك ؟ وكذلك قصبة بلدة المدينة فانها انشئت سنة ٧٠٤هـ (١٣٠٤م) على عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني ، ولا تزال الى اليوم بقايا من اطلال مدينة المنصورة التي اقامها هذا السلطان نفسه غربى تلمسان سنة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) تشهد بمنتهى ما بلغه فن المعمار المغربي الجزائري من الابداع والاتقان في ميدان الزخرفة والنقش واحكام البناء ، قال ابن مرزوق الخطيب « منصورة تلمسان التي لم ير الراؤون مث لها ، ولا وصف الواصفون مثل وصفها ... (١) اما عن سير الحياة الاقتصادية والحركة التجارية ، فقد كادت المتوجات المغربية ان تنحصر يومئذ في صناعة الجلد ونسج الصوف والحرير المزركش ، ولقد اشتهرت معامل الصوف المغربية في العالم حتى اشتق لها في لغة اوربا اسم Merinos - ميرينوس - وهو خاص بالنوع الجيد من الصوف ، وهى كما لا يخفى نسبة الى المرينيين ، وكذلك صناعة الجلد اشتهرت في اورويا بنسبتها الى المغرب Maroquinerie ولا تزال تعرف بهذا الاسم الى الآن .

واذا اردنا ان ننظر الى خصوصية الاقليم الجزائري في ذلك فانه يكفيننا ان نعلم ما حكاه ابن خلدوى عن الحياة العامة في مدينة المنصورة التي هى قرب تلمسان ونجعله كنموذج مصغر نطلع به على سير الحركة الاقتصادية بالجزائر في ذلك العصر ، قال :

واختط بمكان فسطاط المعسكر قصرًا لسكناء واتخذ به مسجدًا للصلاة وادار عليها السور وامر الناس بالبناء فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحبة والقصور الانيقة واتخذوا البساتين واجروا المياه ثم امر بادارة السور سياجا على ذلك سنة اثنتين وسبعين وصيرها مصرًا فكانت من اعظم الامصار والمدن واحفلها اتساع خطتها وكثرة عمران ونفاق اسواق واحتفال ببناء وتشيد منعة ، وامر باتخاذ الحمامات والمارستان وابنى مسجدا جامعًا وشيد له مأذنة رفيعة فكان من اخفد مساجد الامصار واعظمها وسماها المنصورة واستبحر عمرانها ونفقت اسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق فكانت احدى مدائن الغرب (١)

اما عن سير الحركة العلمية ونظام التعليم، فإنه يكفي ان قد عرف هذا العصر عند المؤرخين بعصر انشاء المدارس والمعاهد وترسيم العلماء والمدرسين بها، غير اننا نرى القوم يومئذ تغلب عليهم علوم الشريعة والدين، ولاحظ لهم في غيرها من الفنون العقلية الا قليلا مما جاءهم عن علماء اندلسيين او مشارقة، وذلك لان العلوم الفلسفية نشأت هنا على ايدي افراد متفرقين حركتهم الرغبة اليها فهم متفرقون لا تربطهم محالس، وهم فوق ذلك تحت رقابة من علماء الرسوم المتزمين وتكاد تلح سير الحياة العلمية ببرامجها وفي جميع مظاهرها بالمغرب يومئذ فيما سطره ابن خلدون عن نظام التعليم وطريقة المغاربة في ذلك حيث قال :

«وقد شاهدنا كثيرا من المعلمين لهذا العهد الذي ادركنا يجهلون طرق التعليم وافادته ويحضرون المتعلم في اول تعليمه المسائل المقلدة من العلم يطالبونه باحضار ذهنه في حلها، ويحسبون ذلك مرانا على التعليم وصوابا فيه، ويكلفونه رعى ذلك وتحصيله ويخلطون عليه بما يلقون له من غايات الفنون في مبادئها وقبل ان يستعد لفهمها، فان قبول العلم والاستعدادات لفهمها تنشأ تدريجيا، ويكون المتعلم اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة الا في الاقل وعلى سبيل التقريب

والاجمال وبالامثال الحسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلا قليلا بمخالفة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه والانتقال فيها من التقريب الى الاستيعاب الذى فوقه حتى تتم الملكية فى الاستعداد ثم فى التحصيل ، ويحيط هو بمسائل الفن ؛ واذا القيت عليه الغايات فى البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعيد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها وحسب ذلك من صعوبة العلم فى نفسه فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وتمادى فى هجرانه وانما اتى ذلك من سوء التعليم»

«وكادت ان تنقرض وتتقطع صناعة التعليم هذه بالمغرب لولا ان ارتحل الى المشرق من افريقية - يعنى تونس - القاضى ابوا القاسم بن زيتون لعهد واسط المائة السابعة ، فأدرك تلميذ الامام ابن الخطيب - الفخر الرازى - فأخذ عنهم ولقن تعليمهم وحنق فى العقليات والنقليات ورجع الى تونس بعلم كثير وتعليم حسن... ثم ارتحل من زواوة فى آخر المائة السابعة ابو على ناصر الدين المشدالى وادرك تلميذ ابى عمرو بن الحاجب واخذ عنهم ولقن تعليمهم وقرا مع شهاب الدين القرافى فى مجالس واحدة وحنق فى العقليات والنقليات ورجع الى المغرب بعلم كثير وتعليم مفيد ونزل بجاية واتصل بسند تعليمه فى طلبتها ، وربما انتقل الى تلمسان عمران المشدالى من تلميذه واوطنها وبث طريقته فيها ، وتلميذه لهذا العهد ببجاية وتلمسان قليل اواقل من القليل ؛ وبقيت فاس وسائر اقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان ، ولم يتصل بسند التعليم فيهم فعمس عليهم حصول الملكية والحنق فى العلوم»

وفى بيان سلوك الطلبة فى تعلمهم وخطتهم المتبعة المرسومة فى تلقينهم للعلم يقول :
« انك تجد طالب العلم منهم - المغاربة - بعد ذهاب الكثير من اعمارهم فى ملازمة المجالس العلمية سكوتا لا ينطقون ولا يفاضون ، وعنايتهم بالحفظ اكثر من الحاجة فلا يحصلون على طائل من ملكة التصرف فى العلم والتعليم ثم بعد تحصيل من يرى نفسه منهم انه قد حصل تجد ملكته قاصرة فى عليه ان فاوض

او ناظر او علم ، وما اتاهم القصور الا من قبل التعايم وانقطاع سنده ، والا فحفظهم ابلغ من حفظ سواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكية العلمية ، وليس كذلك ؛ ومما يشهد بذلك في المغرب ان المدة المعينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهى بتونس خمس سنين ، وهذه المدة بالمدارس على المتعارف هى اقل ما يتأتى فيها لطالب العلم حصول مبتغاه من الملكية العلمية او اليأس من تحصيلها فطال امدها في المغرب لهذه المدة لاجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة لامما سوى ذلك . وان ايسر الطرق للحصول على هذه الملكية العلمية والحدق في العلوم هو فتح اللسان بالمحاوراة والمناظرة في المسائل العلمية فهو الذى يقرب شأنها ويحصل مرامها »

ورغم هذا الالتواء والتعقيد في طرق التحصيل يومئذ فانه نبغ بالجزائر في هذا العصر علماء فطاحل اشتهروا بالزعامة في العلم والرئاسة في الدين كـ **كيت** العقباني والمشدالي وابن مرزوق والعبدري وابن قنفذ القسنطيني وشقرون الوهراني شيخ الحافظ الذهبي وغيرهم من اعيان علماء الجزائر

ولقد اشتهر ملوك هذه الدولة المرينية بنصرة العلم والاخذ بيد العلماء فان مجالسهم كانت لا تخلوا من طائفة كبيرة منهم وفيهم من كان لا يستغنى عنهم حضرا وسفرا كالسلطان ابي الحسن وولده ابي عنان مثلاً ؛ وخزائنهم مملوءة بمختلف المؤلفات النفيسة في شتى انواع الفنون ولم يكن ليشغلهم عن جلب الكتب الى المدارس والمساجد وتوزيعها على المعاهد العلمية شيء ، بل وحتى في اخرج المواقف واشدها فان عنايتهم دائماً وابداً مصروفة الى العلم ، فها انت ترى السلطان ابا يوسف يعقوب المريني كيف اشترط على ملك الاسبان «سانشو الرابع» في معاهدة الصلح التي عقدها معه : ان يعيد اليه جميع المخطوطات العربية التي حازها ايام استيلائه على قرطبة واشبيلية ، فبعث اليه سانشو المذكور بثلاثة عشر حملاً من الكتب ، فرقها ابو يوسف ووزعها بين خزائن مساجد المغرب ؛ وكان رحمه الله يعد ذلك

في نفسه انتصارا عظيما ما يفتخر به وانه لا يقل عن انتصاراته العظيمة في الحروب والغزوات

ويعود ابن خلدون فيحدثنا عن سير التعليم الابتدائي بالمغرب ايضا فيقول بعد تقديم الكلام على اختلاف مناهجه وطرقه وتنوع اساليبه عند الامم : « ... فأما اهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط ، واخذهم اثناء المدارس بالرسوم ومسائله واختلاف حماة القرآن فيها لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب الى ان يحذف فيه او ينقطع دونه فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة ، وهذا مذهب اهل الاوصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر امم المغرب في ولدانهم الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى الشبية وكذا في الكبير اذا رجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمرة ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم

« واما اهل افريقية - تونس - فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته اكثر مما سواه ، وعنايتهم بالخط تبع ذلك ، وبالجملة فطريقهم في تعليم القرآن اقرب الى طريقة اهل الاندلس لان سند طريقته في ذلك متصل بمشيخة الاندلس الذين اجازوا عند تغلب النصارى على شرق الاندلس واستقروا بتونس وعندهم اخذ ولدانهم بعد ذلك » ويذكر لنا ابن خلدون نتيجة ملاحظته الدقيقة في خصوصية نظام التعليم هذا بتونس والمغرب فيقول :

« فأما اهل افريقية والمغرب فأفادهم الاقتصار على القرآن القصور عن ملكة اللسان جملة ؛ وذلك ان القرآن لا ينشأ عنه في الغالب ملكة لما ان البشر مصروفون عن الاتيان بمثله ، فهم مصروفون لذلك عن الاستعمال على اساليبه

والاحتذاء بها وليس لهم ملكة في غير اساليبها فلا يحصل اصحابها ملكة في اللسان العربي وحظه الجمود في العبارات وقلة التصرف في الكلام ، وربما كان اهل افريقية في ذلك اخف من اهل المغرب لما يخالطون في تعليمهم القرآن بعبارة العلوم في قوانينها كما قلناه فيقتدرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل ، الا ان ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة لما ان اكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة»

وكما يحدثنا مؤرخنا العظيم عن حالة الخط العربي بالمغرب وسقوط صناعة نسخ الكتب يومئذ بتدهور الخط وانحاطه فيقول آسفا :

« صارت الخطوط بافريقية والمغربيين مائلة الى الرداءة بعيدة عن الجودة ، وصارت الكتب اذا انتسخت فلا فائدة تحصل لمتصفحها منها الا بالعناء والمشقة لكثرة ما يقع فيها من الفساد والتصحيف وتغيير الاشكال الخطية عن الجودة حتى لا تكاد تقرأ الا بعد عسر ، ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع بنقص الحضارة وفساد الدول »

اما عن صناعة الطب وفنون الحكمة فانها نقصت كذلك في هذا العصر لوقوف العمران وتناقضه؛ واما الغناء وفن الموسيقى فقد بقيت منه صباغة كما يقول ابن خلدون تناقلت عن بلاد الاندلس بعد ذهاب غزارتها الى بلاد العدو بافريقية والمغرب ، وانقسم على امصارها على تراجع عمرانها وتناقص دولها (١) والمعروف عن اهل الاندلس انهم اخذوا فن الغناء وورثوه عن زرباب غلام الموصليين فاليه يرجع سند فن الغناء وموسيقى اهل العواصم من الحضر باقطار المغرب الثلاثة

انهيار الجزائر المرينية

امضت دولة مرين كل ايامها بالجزائر في عراق ومقاتلة ضد مزاحمها من بنى ابي حفص وبنى عبد الواد ، بله ما كان يتجاذبها من حوادث الثوار بالمغرب الاقصى والاندلس ومحاربتها المتواصلة في رد هجوم القشتاليين والبرتغال والايطاليين عن بوعاز جبل طارق وسواحل المغرب الخ... فظهر يومئذ عجزها على القبض بادارة المغرب الاسلامي كله

ولما افضى امر الدولة الى السلطان ابي سالم ابراهيم بن ابي الحسن نفص يده من شرق مملكة الجزائر وكتب في ذلك الى المنصور بن خلوفا ليسلمها الى ابي العباس الحفصي؛ فتسلمها بنو ابي حفص في رمضان سنة ٧٦١هـ (جوليت ١٣٦٠م) وبقي غرب الجزائر متصلا بالمملكة المرينية الى ان انتصب السلطان ابو زيان بن ابي حمو الثاني على عرش تلمسان سنة ٧٩٦هـ (١٣٩٣م) فقطع دعوة المرينيين عنها كما المعنا الى ذلك فيما تقدم ، وكما سنوضحه فيما يلي ان شاء الله من تاريخ دولة بنى زيان

ويومئذ انجازت دولة مرين الى المغرب الاقصى الى ان صار ملكها الى ابي سعيد عثمان فأخذ البرتغاليون يومئذ في بسط نفوذهم ونشر سلطتهم على الشواطئ المغربية بدافع التنافس والتزاحم بينهم وبين الاسبان في سبيل الوصول الى الهند فسقطت بعض الموانئ المغربية بيد الاجانب واحتلت معظم المراتي، واهمها ، وساءت يومئذ سياسته السلطان عبد الحق بن ابي سعيد فاقسم الوزراء النفوذ بينهم والسلطة وتسلب اليهود على الادارة العليا فجازوا اسمى مناصب الدولة فكان هارون وزبرا وشاويل حاكما بفاس ، فسقطت بذلك هيبة السلطان من نفوس الرعية ووهت العلائق بينهما وتضعضت دعائم الملك فاتحل تماسكها وعم الاضطراب والفشل سائر اعضاء الدولة ورجالها المسؤولين فثارت الرعية ساخطة على السلطان عبد الحق فقتلته وقتلت معه ولائها اليهود ٨٦٩هـ (١٤٦٥م) وبقتله انتهى دور اسرة بنى عبد الحق ، وانتصب مكانها بنو ووطاس -وهم من بنى مرين ايضا-

فبقى الامر فيهم الى ان تغلب عليهم ابو عبد الله محمد الشيخ القائم بأمر الله السعدى فاحتل مدينة فاس سنة ٩٦١هـ (١٥٥٤م) فانقرضت يومئذ دولة بنى مرين بالمغرب الاقصى وحلت محالها الدولة السعدية، وذلك لثلاث وتسعين ومائتي سنة قضتها هذه الدولة في حكم المغرب الاسلامى، امضت منها بالجزائر ١٢٤ سنة، وباشرت الحكم فيها بنفسها نحو ربع قرن ثم تركتها لبنى عبد الواد فحكموها طيلة بقية هذه المدة تحت امرها وطاعتها الى ان انقردوا بها

ولاة الجزائر وزعمائها

اشتهر من ولاة الجزائر على عهد المرينيين يحيى بن سليمان العسكرى عقد له السلطان ابوالحسن على فتح القطر الجزائرى فصار اليه سنة ٧٣٦هـ (١٣٣٥م) وفتح امصاره حتى انتهى الى بلدة المدية؛ وكما عقد هذا السلطان لولديه عبد الله على مدينة الجزائر وابى عنان على تلمسان وسائر المغرب الاوسط، فتولى ذلك ابو عنان سنة ٧٤٧هـ (١٣٤٦م) وكانت اليه جبايته، كما تولى نفس هذه الولاية محمد المهدي على عهد والده ابى عنان ايضا؛ ولما ظهر انتصار بنى زيان على المرينيين وخرج ابو عنان من تلمسان سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) ترك على ولايتها عثمان بن يحيى بن جرار فدعا لنفسه اشهر الى ان دخل عليه بنو عبد الواد فاستأمن فأمنوه بعد ما عزلوه ومات من سنته، وكثيرا ما تولى مشيخة بنى عبد الواد هذه الولاية تحت طاعة بنى مرين. واشتهر من ولاة الثعالبة بمتيجة ابوالحمالات بن عايد بن ثابت بن محمد بن سباع الثعالبى هلك فى طاعون سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) فخلقه ابراهيم بن نصر بن حنيش بن ابى حميد ثابت، ولما هلك ايام ابى عنان تولى مكانه ابنه سالم. وعقد السلطان ابو عنان للحاجب محمد بن ابى عمرو على بجاية وسائر اعمالها وعلى حرب الموحدىن بقسنطينة. وقد جمع له من قبل ما بين الحجابة والقيادة والعلامة والسفارة وديوان الجند والحساب والقهرمة وسائر القاب وظائف الدولة، وحتى خصوصيات الدار، فصار ابن ابى عمرو الى بجاية

سنة ٧٥٤هـ (١٣٥٣م) وتولى زمامها الى وفاته في المحرم ٧٥٦هـ [جانفي ١٣٥٥م] فتولى بعده الوزير عبد الله بن علي بن سعيد اليباني : ثم عزل واعتقل ، فتولى مكانه القائد يحيى بن ميمون بن امصمود فتغلب عليه الحفصيون واعتقلوه بتونس سنة ٧٦٠هـ - ١٣٥٩م كما تولى علي بجاية ايضا كل من محمد بن النوار - وهو من طبقة الوزراء - وعمر بن علي بن الوزير بن ابي وطاس ؛ وابي عبد الله محمد بن الامير ابي زكرياء ولالة ابو عنان اقليم بجاية ليدفع عنه حملة ملوك تونس يومئذ ، كما انه ولي علي قسنطينة يوم أن فتحها ٧٥٨هـ [١٣٥٧م] المنصور بن الحاج خذوف اليباني المريني ، ثم امره بالنزول عنها سنة ٧٦١هـ - ١٣٥٩م وتركها للامير ابي العباس الحفصي ؛ وكان علي ولاية بونة الفضل بن يحيى فثار ضد الحكومة المركزية سنة ٧٤٩هـ (١٣٤٨م) وغلب علي قسنطينة وبجاية ؛ وكان علي ولاية دلس يحياتن بن عمر شيخ بني ونكاسن المرينيين ، وعلي ولاية الجزائر ابن علان ، وجعلت جبايتها للمسعود بن ابراهيم اليرباني من طبقة الوزراء ؛ وكان علي اعمال قسنطينة محمد بن العباس ، وعلي ولاية بسكرة يوسف بن مزني وهو صاحب زمام رياح ، ورأسه مليانة كانت لعلي بن حسون بن ابي علي الهساطي - او اليناطي ؟... - وهو احد قادة السلطان ومواليه ، اجتمع به ابن خلدون في دار حكمه بمليانة سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢م) ؛

وكانت رأسه قبائل احياء العطاف في اولاد يعقوب ، ورأسه بني عامر لصغير بن علي ، ورأسه كومية لابراهيم بن عبد الملك الولهاصي نسبة الى قبيلة ولهاصة بساحل التافنا فاستبد بهذه الولاية برهة واطرها علي بن مرين وبني عبد الواد نارا تلضي الى ان قضى عليه بنو عبد الواد فكان حاله مثل ابي سعيد عثمان بن جرار حين ولالة ابو عنان تلمسان

وكانت رآسة سدويكش - البسائط الواقعة بين قسنطينة وبجاية - لبنى علاوة بن سواق، واشهرهم مهنا بن تازير بن طلحة بن علي بن علاوة بن سواق؛ فقتله بنوعمه اولاد يوسف بن محو بن سواق، وحينئذ تراس عليهم عدوان بن عبد العزيز بن زروق بن علي بن علاوة، ثم هلك فافترق بعده امرهم . وبقيت رآسة سدويكش لاولاد يوسف المذكور؛ قال ابن خلدون « ويرادف اولاد سواق في الرآسة على بعض احياء سدويكش بنو سكين . ومواطنهم جوار لواته بجبل بابوروما اليه من نواحي بجاية ، ورآستهم في بني موسى بن ثاير ادركننا ابنه صخر بن موسى » (١)

وكان علي رآسة بنى يزيد بسهل حمزة موسى بن ابي الفضل ، وعلي رآسة وانشريس نصر بن عمر بن عثمان ، وكانت رآسة مسراته بالقلعة المطلية على البطحاء من نواحي سيق غربى نهر مينة ، لبنى عبد العزيز ، ثم انتقلت الى بنى عمهم بنى اسحاق ؛ وكانت رآسة قبيلته ونيقن الهوارية مما يلي نبسة لاولاد سليم بن عبد الواحد بن عسكر بن محمد بن بكرة ، وكانت قبلهم لسارية

وكان علي ولاية وهران القائد عبوس بن سعيد من صنائع بنى مرين ، واقطع ابو عنان وزيره ابا يعقوب ونزمار بن عريف سهل «السرسو» وقلعة ابن سلامة ومواطن من بلاد توجين - ما بين قلعة سعيدة غربا الى المدينة شرقا -

واما عن امراء البحر فانهم لم يحضروني الآن من اسمائهم سوى القائد ابي عبد الله محمد الاحمر

ملوك الدولة المرينية

بنو عبد الحق :

تاريخ التولية

١١٩٦ هـ ٥٩٢ م	ابو محمد عبد الحق بن ابي خالد محيو
١٢١٧ هـ ٦١٤ م	ابو سعيد عثمان بن عبد الحق (ادغال)
١٢٣٩ هـ ٦٣٧ م	محمد (الاول) بن عبد الحق
١٢٤٤ هـ ٦٤٢ م	ابو يحيى ابوبكر بن عبد الحق
١٢٥٨ هـ ٦٥٦ م	ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق
١٢٨٦ هـ ٦٨٥ م	ابو يعقوب يوسف بن يعقوب ، الناصر لدين الله
١٣٠٧ هـ ٧٠٦ م	ابو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
١٣٠٨ هـ ٧٠٨ م	ابو الربيع سليمان بن ابي عامر
١٣١٠ هـ ٧١٠ م	ابو سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب
١٣٣١ هـ ٧٣٢ م	ابو الحسن علي بن عثمان
١٣٤٨ هـ ٧٤٩ م	ابو عنان فارس المتوكل بن علي
١٣٥٨ هـ ٧٥٩ م	ابوزيان محمد بن فارس ابي عنان - ولي ثم عزل في الحال -
١٣٥٨ هـ ٧٥٩ م	محمد السعيد بن ابي عنان
١٣٥٩ هـ ٧٦٠ م	ابو سالم ابراهيم بن علي
١٣٦١ هـ ٧٦٢ م	ابو عامر تاشفين بن علي
١٣٦١ هـ ٧٦٣ م	عبد الحليم بن ابي علي عمر - انفرد بسجلهاسة منذ ربيع الاول -
١٣٦٢ هـ ٧٦٣ م	ابوزيان محمد (الثاني) المنتصر بن ابي عبد الرحمن
١٣٦٦ هـ ٧٦٨ م	ابو فارس عبد العزيز المستنصر بن علي
١٣٧٢ هـ ٧٧٤ م	ابوزيان محمد (الثالث) السعيد بن عبد العزيز

١٣٧٤ هـ ٥٧٧٦ م	ابوالعباس احمد المستنصر بن ابراهيم
١٣٨٤ هـ ٥٧٨٦ م	موسى بن ابي عنان
١٣٨٦ هـ ٥٧٨٨ م	ابوزيان محمد (الرابع) المنتصر بالله بن احمد
١٣٨٦ هـ ٥٧٨٨ م	ابوزيان محمد (الخامس) الواثق بالله بن ابي الفضل
١٣٨٧ هـ ٥٧٨٩ م	المستنصر - للمرة الثانية -
١٣٩٣ هـ ٥٧٩٦ م	ابوفارس احمد
١٣٩٦ هـ ٥٧٩٩ م	عبد العزيز بن احمد
١٣٩٧ هـ ٥٨٠٠ م	عبد الله بن احمد
١٣٩٨ هـ ٥٨٠١ م	ابوسعيد عثمان (الثاني) بن احمد
١٤٢٧ هـ ٥٨٣١ م	ابومالك عبد الواحد بن موسى
١٤٢٨ هـ ٥٨٣١ م	ابومحمد عبد الحق بن ابي سعيد عثمان (الثاني)

بنو وطاس:

١٤٢٨ هـ ٥٨٣١ م	ابوزكرياء يحيى بن زيان الوطاسي
١٤٤٨ هـ ٥٨٥٢ م	علي بن ابي الحجاج يوسف بن منصور
١٤٥٨ هـ ٥٨٦٣ م	محمد (الاول) - ابوزكرياء يحيى بن يحيى
١٤٧٠ هـ ٥٨٧٥ م	محمد (الثاني) الشيخ البرتقالي بن محمد (الاول)
١٥٢٤ هـ ٥٩٣١ م	احمد بن محمد (الثاني)
١٥٥٠ هـ ٥٩٥٧ م	محمد بن احمد

مشاهير الجزائريين

ابو الحسن علي الخزاعي التلمساني

٥٧٨٩ هـ - ١٣٨٧ م

هو الكاتب الكبير والاديب الشاعر المؤرخ العلامة الشيخ ابو الحسن علي بن محمد بن احمد بن موسى بن مسعود الخزاعي التلمساني، ينتمي الى اسرة هي من اعيان الاسر الاندلسية المنتقلة الى الجزائر، المشهورة هنالك بالرئاسة في السياسة والعلم والقضاء، كان والده فقيها كاتباً بارعاً فحظى عند ملوك وامراء تلمسان وجمع بين خطتي السيف والقلم فاشتهر بلقب ذى الوزارتين، انجب ولداً علياً - صاحب الترجمة - بتلمسان سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) فنشأ مقتنيا خطة آباءه واجداده النبلاء جادا في تحصيل العلم والادب، وكان من مشائخه ابن مرزوق الخطيب، والقاضي البلفيقي

برز رحمه الله في الادب والفقه والحساب والتاريخ؛ واشتهر بالايثار وكرم الاخلاق وحسن السيرة، فتنافس في مصاحبته ملوك المغربين: الاوسط والاقصى، فكتب اولا العلامة للسلطان ابي سالم ابراهيم المريني، ثم كتب في بلاط بنى زيان بتلمسان واخيرا استقر في بلاط بنى مرين كاتباً للاشغال فحاز لديهم رئاسة قلم الدولة ونال من الخضوة ما يستحقه امثاله النبغاء من العلماء عند الملوك وله من الشعر قوله لما كتب بموسى بن ابي عنان المريني فرسه بالشماعين اثر صلاة الجمعة

مولاي لا ذنب للشقراء ان عثرت	ومن يلها لعمرى فهو ظالمها
وهالها ما اعترها من مهابتكم	من اجل ذلك لم تثبت قوائمها
ولم تنزل عادة الفرسان مذركوا	تكبو الجياد ولم تنبو عزائمها
وفي النبي رسول الله اسوتنا	اعلا النيسين مقدارا وخاتمها

كتاباه فرس ابقى بسقطته في جنبه خدشة تبدو مراسمها
حتى لصلى صلاة جالسا ثبتت لنا بها سنة لاحت معالمها
صلى عليه الاله دائما ابدا ازكى صلاة تحييها نواسمها

ولم اقف على تأليف له رحمه الله سوى ذلك الكتاب العجيب الذى انفرد به بين علماء
الاسلام بتدوين تاريخ الحضارة الاسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم
واعنى به كتاب «تخريج الدلالات السمعية على ما كان فى عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الحرف والصنائع والعمليات الشرعية» وهو لعمري كتاب نفيس
فريد فى باب مستوعب لموضوعه، لم يترك فيه خطة او وظيفة او رتبة او صناعة
او حرفة او اى عمل من اعمال المجتمع الاسلامى فى ميدان المصالح الادارية
عسكرية كانت او مدنية، او شرعية او علمية، الخ... الا واثبت اصلها فى الاسلام
ودليلها من السنة وعمل الخلفاء الراشدين فيها مع التعرض الى ذكر اول من
بشر تلك الاعمال بنفسه من الصحابة او كان ممن ولاه رسول الله عليها؛ فكان
الخزاعي بذلك من اسبق العلماء الى تدوين تاريخ المدينة الاسلامية وتفصيل الحالة
الاجتماعية والسياسية والاقتصادية فى صدر الاسلام فجاء عمله هذا مفخرة من
مفاخر الجزائر التى يحق لها ان تباهى بها وتتطاول...

وكان تاريخ وضعه لهذا الكتاب الجليل سنة ٧٨٦ هـ (١٣٨٤ م) اى قبل وفاته
بثلاث سنوات، الفه برسم السلطان المتوكل على الله ابنى فارس المرينى، وكان من
حسن الاتفاق ان عثر الشيخ عبد الحى الكتانى على نسخة مخطوطة منه بخزانة
جامع الزيتونة المعمور فى تونس تحت عدد ٧٥٧٢ فادمجها فى كتابه الجامع
«التراتب الادارية...» المطبوع فى جزئين برباط الفتح سنة ١٣٤٦ هـ وكانت
 وفاة الخزاعي بمدينة فاس بعد عصر يوم الاحد الخامس من ذى القعدة سنة
 ٧٨٩ هـ (١٧ نوفمبر ١٣٨٧ م) ودفن غداة يوم الاثنين تغمده الله برحمته

ابن مرزوق الخطيب

١٣٧٩ هـ - ٧٨١ هـ

هو شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر بن مرزوق التلمساني الشهير بلقب الخطيب والجد والرئيس

كان رحمه الله آية في فنون العلم والادب والسياسة والدين ومن ابرز الشخصيات الجزائرية التي عرفها العالم في القرن الثامن الهجري ولاسيما بالمغرب والاندلس ومصر والشام ؛ كان موطن اسرته بعجيسة بزاب افريقية ، فانتقلت الى تلمسان صحبة الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الاشيلي في اواخر القرن السادس الهجري ، نزلت ضاحية العباد وسكنت هناك ملتزمة خدمة ضريح الشيخ وسدانة رباطه الى ان علا شأنها بعد ذلك وارتفع كعبها بالعلم فنه ذكر الكثير من ابنائها وكان من بينهم مترجما ابو عيد الله محمد بن مرزوق

ولد رحمه الله بتلمسان سنة ٧٨١ هـ - ١٣١٠ م وبها نشأ وتربي وحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ العلوم حتى اذا بلغ الثامنة عشرة من عمره ارتحل مع والده الى الحجاز فحج وزار وجاور وهناك اجتمع بالمشيخة فأخذ عن كثيرين من اهل الحجاز وغيرهم من قصاص تلك البقاع المطهرة ، ثم سافر منفردا بنفسه عن والده فدخل بلاد الشام ومصر فسمع وروى عن عدد عظيم من علماء المشرق هنالك كما اخذ عن علماء بجاية وفاس وتونس فكان عدد شيوخه يفوق الالفين ، وقد اودعهم كلهم فهرسته المسماة «عجالة المستوفز المستجاز» في ذكر من سمع من المشايخ دون من اجاز ، من ائمة المغرب والشام والحجاز ، « فبرز قدس الله روحه في علوم متنوعة كثيرة وخاصة منها الحديث الشريف فانه اشتهر به اكثر من غيره ، والف فيه اكثر من سواه ؛ وقد كتب من محبسه في احدى نكباته التي نكب بها : انه لا يوجد اليوم من يسند احاديث الصحاح قراءة وسماعا من باب الاسكندرية الى البرين والاندلس غيره : كما انه ذكر في احدى رسائله التي كتبها من السجن

ايضا سنة ٧٦٢هـ - ١٣٦٠م انه خطب على ثمانية واربعين منبرا في بلاد الاسلام شرقا وغربا واندلسا

وبعد ان ملا وطابه بالعلم امره والده بالعودة الى بلده لتانيس عمه محمد بن مرزوق خطيب جامع السلطان ابي الحسن بالعباد ، فانكفا راجعا الى وطنه ، وصادف ان كان يومئذ السلطان ابو الحسن المريني محاصرا لتلمسان سنة ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م فنزل الشاب العالم على عمه ولم يلبث عمه هذا ان توفي الى رحمة الله فاقامه السلطان مقام عمه المرحوم ، فابان الشاب الخطيب يومئذ عن علم واسع وادب جم ، وسياسة فائقة وحصافة نادرة وحكمة باهرة ، منقطع النظير في ذلك بين اقرانه من العلماء فاستخلصه السلطان لنفسه واصطفاه لحضرته فكان لا يفارقه حضرا وسفرا حربا وسلما ، وغدا معه الى الحرب في وقعة طريف ٧٤٠هـ - ١٣٤٠م وبعث به سفيرا الى صاحب قشتالة النصراني فغدا اليه سنة ٧٤٨هـ - ١٣٤٧م وعقد معه الصلح وفك منه الاسرى

ولما عاد ابن مرزوق من سفارته الى قشتالة طلب من السلطان ابي عنان المريني اعفائه من الخدمة وتسريحه فاعفاه ، وعاد يومئذ الى بلده تلمسان ، وقد تملكها يومئذ بنوزيان فاوفده الملك ابوسعيد الى دولة بني مرين في مهمة سياسية ، وما كاد يتصل بالبلاط المريني حتى لحق به خصوم ابي سعيد ومنافسوه في الملك فاسروه ونكبوه واودعوه السجن الى ان تداركه الله بلطفه فأحيى الى الاندلس ودخل غرناطة سنة ٧٥٢هـ - ١٣٥١م فنزل على سلطانها ابي الحجاج بن الاحمر فقربه منه واستعمله على الخطبة بجامع الحمراء فبقى عليها مدة سنتين الى ان استدعاه ابو عنان بعد مهلك ابيه واستلائه على تلمسان واعمالها فنظمه في اكابر اهل مجلسه ثم بعثه الى تونس عام ٧٥٨هـ - ١٣٥٧م ليخطب له بنت السلطان ابي يحيى ابي بكر الحفصي فردت الخطبة : ويومئذ وشى بابن مرزوق فباودعه ابو عنان السجن فكانت هذه نكبته الثانية ثم اطلقه السلطان بين يدي موته

ولما تولى السلطان ابو سالم ملك مدين اعدا للشيخ مكانته وحرمة العلمية وعلت منزلة عنده وعند رجال كامل البلاط حتى صار زمام الدولة بيده ، ثم كانت حوادث الانقلاب الحكومى سنة ٥٧٦٢هـ - ١٣٦٠م فذهب الشيخ ضحيتها فسجن للمرة الثالثة ، ثم اطلق عقاله فالتحق يومئذ بتونس سنة ٥٧٦٤هـ - ١٣٦٢م فاكرمه سلطانها ابو اسحاق وصاحب دولته ابو محمد بن تافراكين ووليا خطابة جامع الموحد بن فأقام الشيخ بتونس سنوات الى ان دفعته السياسة وحملته على مفارقتها فركب البحر فى شهر ربيع الاول ٥٧٧٣هـ - سبتمبر ١٣٧١م ملتحقا بالبلاد المصرية فنزل الاسكندرية ومنها ذهب الى القاهرة فتلقاء هنالك العلماء واكابر اعيان الدولة والامراء فأوصلوه الى السلطان الاشرف شعبان بن حسين فأجرى عليه الملك من الخيرات والمبرات ما يليق بمقامه وولاه الوظائف العلمية فخطب ودرس فى اكبر المدارس واشهرها كالشيخونية والضرغشية والنجمية الخ... ولم يزل موفور الكرامة محترما مرشحا للقضاء الى ان وافاه حمامه رحمه الله فى شهر ربيع الاول سنة ٧٨١هـ (جوان ١٣٧٩م) ودفن بمقبرة القرافة الصغرى بين الامامين ابى القاسم واشهب رحم الله الجميع

ولقد ترك رحمه الله ثروة علمية عظيمة اودعها بطون مؤلفاته الجليلة التى نأسف كثيرا لذهاب اكثرها فلم يبق لنا اليوم منها سوى قائمة اسمائها؛ منها كتابه النفيس - المسند الصحيح الحسن فى محاسن مولانا ابى الحسن - وضعه فى تورينج سيرة مخدومه السلطان ابى الحسن على بن عثمان المرينى ، توجد منه نسخة بمكتبة الاسكوريال قرب عاصمة مادريد تحت عدد (١٦١٦). ومنها فهرسته المستوفز ، المتقدمة الذكر... وشرحه على كتاب الشفاء للقاضى عياض ام يكمل ، وشرح عمدة الاحكام فى اسفار خمسة ، جمع فيه بين الفاكهاني وابن دقيق العيد مع زوائد كثيرة؛ وشرح الاحكام الصغرى لعبد الحق الاشبيل ، وازالة الحاجب عن فروع ابن الحاجب ، وكتاب تحفة الطرف ، الى الملك الاشرف ؛ والاربعين المسندة فى

الخلافة والخلفاء ، وكتاب الامامة ، وديوان خطب وقصائد ، وايضاح المراسد ،
 فيما تشتمل عليه الخلافة من الحكم والفوائد ، وشرح لصحيح البخارى ، وكتاب جمع
 فيه ما قيل فى الصبر واربعون حديثا خرجها من مرويات السلطان ابى الحسن ،
 وكتاب فى التنجيم وكتاب ضاهى به كتاب العفو والاعتذار ، وجنى الجنتين فى
 فضل الليلتين : ليلة القدر وليلة المولد ؛ توجد منه نسخة بمكتبة خاصة فى مدينة
 فاس

ومن شعره برد الله ضريحه قوله لما ركب مع السلطان ابى الحجاج بن الاحمر
 خارج الحمراء فى ايام الربيع مرتجلا :

انظر الى النوار فى اغصانه	يحكى النجوم اذ تبدت فى الملك
حبي امير المؤمنين وقال قد	عميت بصيرة من بغيرك مثلك
يا يوسف احزت الجمال بأسره	فمحاسن الايام تومى هيت لك
انت الذى سعدت به اوصافه	فيقال فيه ذا ملك او ملك

وله فى اغراض الشعر وفنون النشر كثير من القطع والفصول الجميلة التى
 تكفلت بها كتب التراجم والادب فلتراجع هنالك

احمد المغراوي

٥٨٢٠ هـ - ١٤١٧ م

هو شهاب الدين احمد بن محمد بن عبد الله المغراوي (نسبة الى قبيلة مغراوة الجزائرية) ، كان رحمه الله عالما فقيها اصوليا نحويا ، برز على كثير من كبار علماء المشرق فكانوا يحترمونه كثيرا حتى قال التقي بن قاضي شهابية « ما تركت بمصر والشام في المالكية مثله » ، كان يناظر ابن خلدون ويفتي عليه ، وكان العز بن جماعة يعظمه كثيرا ، واما هو فيقول : متى كان العز ؟ انما اشتغل على كبر وكان جنديا ، وانا اشتغلت قبله بزمان ، وروى على الشرف عيسى المالكي القاضي قال : ان المغراوي بحث مع البساطي يوما في مسألة ، فقال له اعرفها وانت في مغراوة خلف البقر ! .. فأجابه المغراوي بقوله : يا جاهل ، يا ولد (كذا) مغراوة ما فيها بقر قط ، اولئك عرب اصحاب ابل ترحل وتنزل ، واما انا فوالله العظيم هو ذاك الذي اعرفها وانت في بساط ترعى البقر ! ..

ومع فضله كما يقول السخاوي في ضوئه : كان خاملا جدا لامور ، منها انه كان ممن صحب السالمى وتمكن منه وعادى بسببه اكابر الدولة ، فلما ذهب السالمى آذوه سيما مع عدم تردده للاكابر وتحامقهم عليهم ، وقدم دمشق سنة ٨١٤ هـ ١٤١١ م ونزل بالمدرسة الزنجية واخذ عنه الطلبة وعين مدة للقضاء فلم يتم ذلك ثم عاد الى بلده وترك الاشتغال بحيث قل استحضاره ، وتوفي رحمه الله في شوال سنة

٥٨٢٠ هـ - نوفمبر ١٤١٧ م

ابراهيم بن فائد الزواوى

١٤٥٣هـ - ٨٥٧هـ

هو العالم المتقن ابو اسحاق ابراهيم بن فائد بن موسى بن عمر بن سعيد بن علال بن سعيد النبولى الزواوى ، ولد ببجبل جرجرة سنة ٧٩٦هـ - ١٣٩٤م وانتقل الى بجاية وبها قرأ القرآن الكريم ، واشتغل بها في الفقه على ابي الحسن علي بن عثمان المنجلاتي فقيه بجاية ، ثم ارتحل الى تونس فأخذ الفقه والمنطق عن ابي عبد الله الابى ، والفقه ايضا عن يعقوب الزغبى ، كما انه اخذ التفسير والفقه كذلك عن القاضى القلشائى ، والاصول عن عبد الواحد الغريانى ، ثم عاد الى جبال بجاية فأخذ علوم اللغة عن عبد العالى بن فراج ، ثم دخل قسنطينة فسكن بها ، وفيها اخذ الاصلين والمنطق عن حافظ المذهب ابي زيد عبد الرحمن الباز ، وعلم المعاني والبيان عن ابي عبد الله محمد القيسى الحكيم الاندلسى ورد عليهم حاجا ؛ والاصلين والمنطق والبيان كذلك والفقه وغالب العلوم المتداومة يومئذ بين علماء الاسلام عن ابي عبد الله بن مرزوق عالم المغرب لما قدم عليهم قسنطينة فأقام بها نحو ثمانية اشهر

ولم ينفك المترجم رحمه الله عن مزاوله العلم تعلمها وتعليمها حتى برع في جميع هذه الفنون المؤمى اليها لا سيما الفقه ، والف تفسيراً للقرآن الحكيم ، وشرحا لمختصر خليل في ثمان او ثلاث مجلدات ؟ ... سماه : تسهيل السبيل ، لمقتطف ازهار روض خليل ، وشرحاء اخر في جزئين ، سماه فيض النيل ؛ وله شرح على الفية ابن مالك في مجلد واحد ، وشرح على تلخيص المفتاح سماه تلخيص التلخيص في مجلد ؛ وحج رحمه الله مرارا وجارر ، ولقيه البقاعي في سنة ٨٥٣هـ حين حج ايضا وقال انه رجل صالح من المشهورين بين المغاربة بالدين وعليه سمت الزهاد وسكونهم ؛ وتوفي رحمه الله فيما قال ابن عزم سنة ٨٥٧هـ - ١٤٥٣م

سالم بن ابراهيم الصنهاجي

اواسط القرن التاسع الهجرى ؟.....

هو العالم النظار الامام القاضى سالم بن ابراهيم بن عيسى الصنهاجي المغربي، ولد كما ذكره السخاوى بمشدة بعد السبعين وسبعمئة تقريبا ونشأ ببجاية واشتغل بتونس الى ان تضرع في العلم وفضل فارتحل عنها سنة ٨٣٤ هـ فوقع في اسر الكفار وناظر الاساقفة ببلادهم فافحمهم ودام عندهم مدة ثم اخرجوه، وسمع بالحجاز ومصر ودمشق، قال السخاوى : وقد رايت فيمن عرض عليه ابن ابي اليمن بمكة، وحدث ودرس وافتي وكان من محفوظاته كتاب الشفاء رواه بالسماع عن الجمالين المحدثين ابن علي النويري وابن ابي بكر المرشدي رحمهما الله

تولى رحمه الله قضاء المالكية بدمشق ثم قضاء القدس ثم عاد الى الشام ، ولقد شهد له التاريخ بحسن السيرة والصرامة والحزمة ونفوذ الكلمة في القضاء مع عفة ونزاهة ؛ ولم أقف على زمان ولا مكان وفاته بالضبط رحمه الله

محمد بن عمر المليكىشى

٥٧٤٠هـ - ١٣٣٩م

الاديب الكبير والشاعر النائر ابو عبد الله محمد بن عمر بن علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر المليكىشى البجائي ثم التونسي الجزائرى ، هكذا كتب نسبه بخطه رحمه الله

اخذ علمه وادبه بالجزائر وله رحلة الى المشرق فحج وروى عن جماعة بالحجاز ومصر والاسكندرية كالرضى الطبرى سماع عليه الكتب الخمسة ، والسراج محمد بن طراد قاضى المدينة وخطيبها ، وابي محمد الدلاصى والنجم الطبرى وغيرهم ذكره الحضرمي في مشيخته فقال : « كان صدرا في الطلبة والكتاب فقيها كاتبا اديبا حاجا راوية متصوفا فاضلا صاحب خطبة الانشاء بتونس ذا تواضع واشار وقبول حسن ، له شعر رائق ، ونثر فائق ، وكتابة بليغة . وتآليف مستظرفة ، وعرفه المقرئ في نفحه نقلا عن كتاب الاكيل الزاهر لابن الخطيب فقال بعدما ذكر اصله ونسبه حسب ما تقدم ... » كاتب الخلافة ، ومشعشع الادب الذى يزرى بالسلافة . كان بطل محال ، ورب راوية وارتجال ، قدم على هذه البلاد وقد نبأ به وطنه ، وضاق ببعض الحوادث عطنه ؛ فتلوم به تلوم النسيم بين الحمائل ، وحل منها محل الطيف من الوشاح الجائل ، ولبت مدة اقامته تحت جراية واسعة ، ومبرة يانعة ، ثم أثر قطرة ، فولاه وجهه وشطره ، واستقبله دهره بالانابة ، وقلد خطة الكتابة ، فاستقامت حاله ، وحطت رحاله ، وله شعر انيق ، وتوصوف وتحقيق ، ورحلة الى الحجاز سعيها في الخير وثيق ، ونسبها في الصالحات عريق .. » حدث بعض من عنى بأخباره ، ايام مقامه بمالقة واستقراره ، انه لقي بساب الملعب من ابوابها ظمية من ظميات الانس ، وقينة من قينات هذا الجنس ، فخطب وصالها ، واتق بفؤادة نصالها ، حتى همت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف الغصن المياد ، فأبقى على نفسه وامسك ، وانف من خلع العذار بعد ما تنسك وقال :

لم انس وقفتنا بباب الملعب
 وعدت فكنت مراقبا لحديثها
 وتدللت فذللت بعد تعزز
 بدوية ابدى الجمال بوجهها
 تدنو وتبعد نفرة وتجنبها
 ودنت بلحظ فأتى لك فتر
 وارتك بابل سحرها بجفونها
 وتضاحكت فحككت بنير ثعرها
 بمنظم في عقد سمطى جوهر
 وتمايلت كالغصن اخضله الندى
 تشبه ارواح الصبابة والصبأ
 ابت الروادف ان تميل بميله
 متوجا بهلال وجه لاح في
 يا من رأى فيها محبا مغرما
 ما زال مذولى يحاول حيلة
 فأجال نار الفكر حتى أوقدت
 فتلاقت الارواح قبل جسومها

بين الرجا واليأس من متجنب
 بأذل وقفة خائف مترقب
 يأتي الغرام بكل امر معجب
 ما شئت من خد شريق مذهب
 فتكاد تحسبها مهاة الربرب
 انضى وامضى من حسام المضرب
 فسبت وحق لئلهما ان تستبى
 لمعان نور ضياء برق خلب
 عن شبه نور الاقحوان الاشنب
 ريان من ماء الشبية مخضب
 قتراله بين مشرق ومغرب
 فرست وجال كأنه في اواب
 حلل السحاب لحاجب ومحجب
 لم ينقلب الا بقلب قلب
 تدنيه من نيل المنى والمطلب
 في القلب نار تشوق وتلهب
 وكذا البسيط يكون قبل مركب

وتوفي رحمه الله بتونس غرة المحرم سنة ١٢٤٠هـ (٩ جويليت ١٣٣٩م)

جدول تاريخي

٦٦٨-٩٦١ هـ

١٢٦٩-١٥٥٤ م

اهم الحوادث

تاريخ الحوادث

تأسيس الدولة المرينية وتملكها المغرب	١٢٦٩ هـ ٦٦٨
وقعة ايسلى الشهيرة	١٢٧٢ هـ ٦٧٠
انتصار مريين بوقعة وادى التافنة	١٢٨٠ هـ ٦٧٨
انهزام بني عبد الواد في وقعة الملعب	١٢٨١ هـ ٦٨٠
فتح اعمال الجزائر	١٢٩٨ هـ ٦٩٧
انشاء حاضرة المنصورة ومعركة مرسى الرؤوس	١٢٩٩ هـ ٦٩٨
تنازل مريين عن مملكة تلمسان	١٣٠٦ هـ ٧٠٦
ابتداء الزحف على مملكة تلمسان	١٣١٤ هـ ٧١٤
تحالف بني مريين وبني ابي حفص ضد امراء تلمسان	١٣٢٩ هـ ٧٣٠
فتح عمالتى الجزائر ووهران	١٣٣٥ هـ ٧٣٦
القضاء على امارة بني زيان	١٣٣٧ هـ ٧٣٧
فتح اعمال قسنطينة وبجاية	١٣٤٧ هـ ٧٤٨
ثورة بني عبد الواد	١٣٤٨ هـ ٧٤٩
عودة الجزائر لبني عبد الواد	١٣٥٠ هـ ٧٥١
استلاء السلطان ابي عنان على اعمال تلمسان	١٣٥١ هـ ٧٥٢
امتلاك بجاية وثورة اهلها	١٣٥٢ هـ ٧٥٣
انقسام دولة مريين بين حكومتى فاس ومراكش	١٣٧٤ هـ ٧٧٦
نهاية حكومة مريين بالجزائر	١٣٩٣ هـ ٧٩٦
سقوط الدولة المرينية في قبضة السعديين	١٥٥٤ هـ ٩٦١

الدولة العبد الوادية - الزيانية-

٦٣٣-٩٦٢ هـ

١٢٣٥-١٥٥٤ م

منشأها ونشأتها

منتمى هذه الدولة الى قبيل بنى عبد الواد (١) احد بطون القبيلة الجزائرية العتيبة - زناتة - (٢) كانت مواطنهم ما بين جبال سعيدة شرقا ووادي ملوية غربا ؛ ومنهم فصيلة متوطنة بجبل اوراس ، وهم من اهل الوبر يعيشون معيشة النجعة يرتادون صحراء المغرب الاوسط ما بين مصاب - مزاب - الى ملوية وفيجيج ثم الى سجلماسة - تافيلالت - ومنها كذلك الى ارض الزاب ، وهم تلو بنى مرين فى الكثرة والقوة ، ولم يزلوا كذلك الى ان فتح الموحدون المغرب الاوسط فكانوا عوناً لهم على ذلك ، واستقروا منذ ذلك العهد بأحوار تلمسان (٣) فامتازوا هنالك ببطولتهم الحربية وشجاعتهم الادبية وحنكتهم السياسية فأحرزوا يومئذ على ثقة الموحدين ، ومنهم ملوك هذه الدولة - بنى زيان - ، واولهم يغمراسن بن زيان بن ثابت ولا مستند لمن عزاهم الى آل البيت ، فان يغمراسن نفسه لما ذكر له ذلك ورفع نسبه الى ادريس بن عبد الله الكامل ، قال برطانتهم ما معناه : « ان كان هذا صحيحا فينفعنا عند الله ، واما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا » (٤)

(١) أصله عابد الوادى صفة لجدهم المتبذل بواد هناك

(٢) انظر الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٥١ و ١٩٦

(٣) اسم بربرى مركب من كلمتين اثنتين ، اولاهما : تلم ، بكسر التاء ومعناها تجمع ، والثانية : ساف ، ومعناها اثنتين ، فهو كما ترى اسم وصفى للمدينة بالنظر الى موقعها الطبيعى حيث كانت جامعة بين الصحراء والتل

(٤) ابن خلدون ج ٧ ص ٧٢

اشتهر هذا القبيل في اول امره بمقاومته لانتشار نفوذ الموحدين ، ولما ظهر عجزه امام تيار قوات دولة بنى عبد المؤمن ووجد نفسه كناطق صخرة اذعن في النهاية واخلص في طاعته للموحدين واستعمل في ذلك براعته السياسية فأذهب عنه السخائم ونال حظوة عظيمة لدى ملوك هذه الدولة فاقطعته بلاد بنى «واماتو» وبنى «يلومي» بنواحي «وادي ميناس» واحواز غيليزان ، فتمكن بذلك يومئذ من تثبيت قدمه بتلك الجهات فمكث بها محافظا على مكانه ووحدته الذاتية والسياسية ؛ وهكذا بقي يعمل لصالحه الى ان استأنس من الحكومة ضعفا حيث اخذت ايامها في التدهور واشرفت الدولة على النهاية كما تقدم تفصيله في الجزء الاول . فتطلع بنو عبد الواد يومئذ الى التملك على المغرب الاوسط ، وعملوا على حمل الدولة الموحدية على التنازل لهم عن امارة تلمسان ، وقد نالوا ذلك بعقد الامارة لشيخ قبيلهم عهدئذ جابر بن يوسف ٦٢٧هـ - ١٢٣٠م فانتصب للحكم وادارة شؤون البلاد بنفسه وبادر الى الاشتغال بجمع فصائل بنى عبد الواد وفروعهم فأدخلهم تحت رايته فبايعه جمعهم منضويا تحت حكمه وسلطته ولم يقلت عنه يومئذ الا مدينة ندرومة فتوجه اليها سنة ٦٢٩هـ - ١٢٣٢م مشددا عليها الحصار فرماه من سورها يوسف الغفاري التلمساني بسهم فقتله ، فجلس ولده الحسن مكان ابيه محتميا في الظاهر بدولة الموحدين ثم بعد ستة اشهر من ولايته تخلى عنها لعمه عثمان بن يوسف فمكث بها نحو سنة ونصف فظهر منه زبغ في سياسته فعزله قومه وولوا مكانه اباعزة زيدان بن زيان ، فأطاعه قومه ولم يخرج عن مبايعته يومئذ سوى بنى مطهر من بنى عبد الواد فذهب لمقاتلتهم فقتلوه خارج تلمسان سنة ٦٣٣هـ (١٢٣٥م) فكانت ايامه نحو ثلاث سنوات ، وبموته انقطع نفوذ الموحدين تماما من تلمسان وبويع لاختيه يغمراسن

تملك يغمراسن بعد اختيه ابي عزة واطهر شارة الملك والسلطان واعلن استبداده واستقلاله بهذه الامارة ٦٣٣هـ (١٢٣٥م) ولم يبق للموحدين بها سوى

الخطبة ؛ فاستاء لذلك خليفة الموحدين ابو الحسن السعيد الملقب بالمعتصم وكان اهل المغرب يومئذ في ثورة عامة ضد حكومة المعتصم هذا : بنو ابي حفص شرقا وبنو مرين غربا ، فخرج المعتصم من مراکش ٦٤٥ هـ (١٢٤٧) حاشدا لجموعه الكثيرة فقصدا اولاً مكناسة الزينون وبلغ الى تازا في المحرم ٦٤٦ هـ (افريل ١٢٤٨) فأطاعته مرين ، ثم تقدم الى تلمسان فخرج اليه يغمراسن في قومه واهله معتصماً بقلعة تامز دكت - تامر جديبة - بجنوب وجدة وعلى مقربة منها ، ومن هناك بعث يغمراسن في طلب الصفح من الخليفة معتذرا اليه عما فعل فرفض المعتصم اعتذاره فجاءه الانتقام منه واسرع الى القلعة فحاصرها ثلاثة ايام ، وفي الرابع : الثلاثاء ١٠ صفر ٦٤٦ هـ (٤ جوان ١٢٤٨) امتطى الخليفة بنفسه ظهر فرس له وخرج في وقت الظهيرة مستكشفا عورة يتوصل منها الى الاستيلاء على القلعة المذكورة ، فتسلق الجبل واخذ يبحث ويتجسس خلال الديار ، وبينما هو كذلك اذ رآه يوسف الشيطان احد فرسان بني عبد الواد المنسيخين بساحة القلعة للحراسته ، واتفق ان كان يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر قرييين منه فعرفوا الخليفة فانقضوا عليه امثال العقبان وطعنه يوسف فكبّه عن فرسه ثم قضى من جراحه فدفن هنالك بالعباد ، واستلحم القوم مواليه وبعض اولاده واضطرب يومئذ جيش الموحدين وانتشرت الفوضى بينهم وعمهم القلق فتفرقوا شذرا مذر فاستولى بنو عبد الواد يومئذ على ما كان هناك من الاسلاب والغنائم والاثاث ، واختص يغمراسن بفسطاط الخليفة فكان له خاصته دون قومه ، واستولى على الذخيرة التي كانت فيه ومنها المصحف الشريف (١) الذي يقال انه احد المصاحف الاربعة التي نسخت في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعث بها الى الامصار ؛ ولم يثبت انها منسوخة بخط يده

(١) كانت اول ما ظهر هذا المصحف الشريف بالمغرب ان وجد بخزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار في خزائن دولة المرابطين فيما صار اليها من دخائر ماوك الطوائف بالاندلس ، ثم صار الى خزائن الموحدين من يد لمتونة ، فانتقل في حادثة قلعة ، « تامرزدكت »

المذكورة اعلاه الى يغمراسن بن زيان وبنى عبيد الواد من ملوك تلمسان ثم صار الى ملوك بنى مرين فيما استولوا عليه من دوائر آل زيان، وذلك عند ما تغلب السلطان ابوالحسن المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧هـ — ١٣٣٦م فحصل المصحف الشريف عنده فكان يتبرك به ويحمله في اسفاره على العادة الى سنة ٧٥٠هـ — ١٣٤٩م حيث ركب السلطان ابوالحسن البحر من تونس قافلا الى المغرب بعد استيلائه على افريقية وكان ذلك فى ابان ثورة البحر وهيجه ففرقت مراكبه وهلك نفوس كثيرة وفقدت نفائس يعز وجود مثلها، ومن ضمنها هذا المصحف الكريم فاستأثر البحر به، وكان ذلك آخر عهد المغرب ببركته؛ واليك تفاصيل ملخصة مما ذكره المقرئ فى النسخ نقلا عن رحلة ابن رشيد فيما وصف به شكل هذا المصحف الجليل وما ابدعه فى صنعته وخدمته اهل الفنون الجميلة وارباب الصناعات الميكانيكية والهندسية مما يدل على مبلغ اوج الحضارة والمدنية الباهرة يومئذ بالمغرب، قال :

« ثم انهم — اى بنى عبد المؤمن الموحدين — لما أرادوا من المبالغة فى تعظيم المصحف المذكور واستخدام البواطن والظواهر فيما يجب له من التوقير والتعزير، شرعوا فى انتخاب كسوته، واخذوا فى اختيار حلته، وتأفقوا فى استعمال احفظته، وبالغوا فى استجادة أصوته، فحشروا له الصناع المتقنين، والمهرة المتقنين، ممن كان يحضرتهم العلية، وسائر بلادهم القريبة والقريبة، فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة، من المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائين والنقاشين والمرصعين، والنجارين والزواقين والرسامين والمجلدين، وعرفاء البنائين، ولم يبق من يوصف ببراعة، او ينسب الى الحلق فى صناعة، الا أحضر للعمل فيه، والاشتغال بمعنى من معانيه، فاشتغل أهل الحيل الهندسية بعمل أمثلة مخترعة، وأشكال مبتدعة، وضمنوها من غرائب الحركات، وخفى امداد الاسباب للمسببات ما بلغوا فيه منتهى طاقتهم، واستفرغوا فيه جهد قوتهم

« فكسى المصحف كله بصوان واحد من الذهب والفضة ذى صنائع غريبة من ظاهره وباطنه لا يشبه بعضها بعضا، قد أجرى فيه من ألوان الزجاج الرومى ما لم يعهد له فى العصر الاول مثال، ولا عمر قبله بشبهه خاطر ولا بال، وله مفاصل تجتمع اليها أجزاء وتلتئم، وتتناسق عندها عجائبه وتنظم، قد أسلست للتحرك اعطافها، واحكم انشاؤها على البقية وانعطافها، ونظم على صفحته وجوانبه من فاخر الياقوت ونفيس الدر وعظيم الزمرد فانتظم عليه منها ما شاكله زهر الكواكب فى تلالؤه واتقاده، واشبهه الروض المزخرف غب سماء اقامت عن امداده، وانى هذا الصوان الموصوف رائع المنظر، آخذاً بمجامع القلب والبصر، مستوليا بصورته القرينة على جميع الصور، يدهش العقول بهاء ويحير الالباب رواء، ويكاد يقشى الناظر تألقا وضياء ... وتلطف القوم فى وجهه يكون به هذا الصوان المذكور طورا متصلا وطورا منفصلا؛ ويتأتى به للمصحف الشريف العظيم ان يبرز تارة للخصوص متبذلا وتارة للعموم متجملا اذ معارج الناس

في الاستبصار تختلف ، وكل له مقام اليه ينتهي وعندئذ يقف فعمل فيه على مشاكلة هذا القصد وتلطف في تسمية هذا الغرض المعتمد

وكسى المصحف العزيز بصوان لطيف من السندس الأخضر ذي حلية عظيمة خفيفة تلازمه في المغيب والمخضر؛ ورتب ترتيبا يأتي معه ان يكسى بالصوان الاكبر؛ فيلائمه به التماما يغطي على العين من هذا الاثر ، وكمل ذلك كله على اجل الصفات واحسنها ، وابدع المذاهب واتقنها

وصنع له محمل غريب الصنعة، بديع الشكل والصبغة، ذو مفاصل ينبوعن دقتها الادراك، ويستند بها الارتباط بين المفصلين ويصح الاشتراك، مغشى كله بضروب من الترصيع، وفنون من النقش البديع، في قطع من الآبنوس والخشب الرفيع، لم تعمل قط في زمان من الازمان، ولا انتهت قط الى ايسر نوافذ الازهان، مداربصنعة قد اجريت في صفائح الذهب، وامتدت امتداد ذوائب الشهب، وصنع لذلك المحمل كرسى يحمله عند الانتقال، ويشاركه في اكثر الاحوال، مرصع مثل ترصيعه الغريب ومشاكله في جودة التقسيم وحسن الترتيب

وصنع لذلك كله تابوت يحتوى عليه احتواء المشكاة على انوارها، والصدور على محفوظ افكارها، مكعب الشكل سام في الطول، حسن الجملة والتفصيل، بالغما شاء من التتميم في اوصاله والتكميل جار مجرى المحمل في التزيين والتجميل؛ وله في احد غواربه باب ركبت عليه دفنان قد احكم ارتتاجهما، ويسر بعد الابهام انفرجهما ، ولانفتاح هذا الباب وخروج هذا الكرسى من تلقائه وتركب المحمل عليه ما دبرت الحركات الهندسية ، وتلقيت التنبيهات القدسية ، وانتظمت العجائب المعنوية والحسية، والتأمت الذخائر النفيسة والنفسية ؛ وذلك ان بأسفل هاتين الدفتين فيصلا فيه موضع قد اعد له مفتاح لطيف يدخل فيه، فاذا ادخل ذلك المفتاح فيه واديرت به اليد انفتح الباب بانعطاف الدفتين الى داخل الدفتين من تلقائهما وخرج الكرسى من ذاته بما عليه الى اقصى غاية، وفي خلال خروج الكرسى يتحرك عليه المحمل حركة منتظمة مقترنة بحركته؛ يأتي بها من مؤخر الكرسى زحفا الى مقدمه ، فاذا اكمل الكرسى بالخروج وكمل المحمل بالتقدم عليه انغلق الباب برجوع الدفتين الى موضعهما من تلقائهما دون ان يمسهما احد ، وترتيب هذه الحركات الاربع على حركة المفتاح فقط دون تكلف شيء آخر ، فاذا ادير المفتاح الى خلاف الجهة التي ادير اليها اولاً انفتح اولاً الباب، واخذ الكرسى في الدخول والمحمل في التأخر عن مقدم الكرسى الى مؤخره، فاذا عاد بكل الى مكانه انسد الباب بالدفتين ايضا من تلقائهما، كل ذلك يترتب على حركة المفتاح كالذي كان في حال خروجه، وصحت هذه الحركات اللطيفة على اسباب ومسببات غائبة عن الحس في باطن الكرسى، وهي مما يلق وصفها، ويصعب ذكرها.....

نظامها الحكومى

اشتهرت هذه الحكومة الجزائرية فى اول نشأتها باسم «دولة بنى عبد الواد» الى ان كان عصر الاستيلاء المرينى على تلمسان سنة ٧٣٧ هـ (١٣٣٧ م) فعرفت بعد ذلك فى عصر الانبعاث على عهد السلطان ابي حمو الثانى باسم «الدولة الزيانية» نسبة الى والد يغمراسن بن زيان اول ملوك هذه الدولة

عاشت هذه الدولة مستقلة بالحكم بعيدة عن سيطرة الغير ، وعاصمتها دائما «تلمسان» ، والنفوذ الادارى فيها يعود الى السلطان الملقب بأمير المسلمين وهو دائما من بيت آل زيان ، وولايتها تكون غالبا بالعهد من الملك السابق وقد تكون بالغبلة والقهر والسطوة او العصبية القبلية ، ولم يثبت عن ملوك هذه الدولة دعوى الخلافة الا فى ايام قلائل دعت اليها الظروف وحملتهم عليها تقلبات السياسة

واشهر الموظفين فى هذه الحكومة هم الوزراء والقادة والكتاب والحجاب واصحاب الاشغال والقضاة والعمال والمحاسبون وشيوخ المدن والمحافظون ورؤساء الحمايات والشرطة؛ ولكل من هذه المناصب ديوان - او ادارة - خاصة بهذه المصلحة، واعلاها عندهم وظيفة الحجابة؛ فللحاجب الاتصال بشخص السلطان نفسه متى شاء وهو الذى ينوب عن الملك فى غيبته حربا او سلما ، ويسمى صاحب هذه الوظيفة بـ «المزوار»

واما الجيش فانه يتألف من اربعة اصناف : الاعيان وهم الرؤساء والقواد ، والقبيل وهم من مطلق رعايا بنى عبد الواد ورئيسهم يعرف باسم «الشيخ» ، والانصار وهم نخبة الجيش وخلاصته ، ومكانهم فى الزحف دائما حول السلطان محدقين به؛ والرابع المماليك وهم خليط من العرب والبربر والزنوج وغيرهم ؛ ولقد بلغ عدد الجنود من قبيلة بنى راشد فقط ما يفوق الخمسة والعشرين الف نسمة ؛ وكان للنصارى العلوج فى اول نشأة الدولة مشاركة فى الجندية وذلك ما يشبه

الفرقة الاجنبية المختلطة في الجيش الفرنسى اليوم ؛ وقد بلغ عددهم يومئذ نحو الالفى فارس ، واستمرت هذه الفرقة تعمل في الجيش الزياني الى ان اقتضت وظهت خيانتها بقتل الامير محمد اخ السلطان يغمراسن ، فحذفت اذ ذاك من سلك الجيش الزياني سنة ٦٥٢ هـ (١٢٥٤ م)

وكان لجميع فرق الجيش هذه جراية يتسلها الجند من خزينة الدولة كل بحسب مقامه ورتبته ، فان اقل ما كان يعطى الجندي الزياني : ثلاثمائة دينار شهريا ، وكان للفارس على عهد ابي حمو الثاني ثلاثة من الذهب ...؟ وعشرون برشالة من القمح ، وثلاثون من الشعير ؛ ويعطى له فرس ومهماز وسيف ورمح ، وكان عدد هؤلاء الفرسان يومئذ يفوق الخمسة عشر الف فارس

ولجميع هذه الفرق والكتائب رايات خاصة تتميز بها عن سواها وتعرف بها في يوم العرض العام بين يدي الملك في ايام معلومة من السنة ؛ وفيها يمنح الجند درجاته وترقياته في مراتب الجندية وفيها يبدي السلطان ملاحظاته العسكرية على الجند فيأخذ بأحسنها

واما التعبئة الحربية فهي يومئذ على ما تعارفه الناس بينهم من التراتيب العسكرية المعهودة في الجيش العربى : المقدمة ، ومكانها في الحرب دائما امام الملك او نائبه ، والميمنة عن يمينه ، والميسرة عن يساره ، والقلب وفيه يكون القائد الاعلى ، ووراءهم الساقة ، وبهذا سمي الجيش خميسا

واما الخزينة المالية فانها متكونة من الجباية والغنائم والمكوس والاجلاب ، وللدولة عملتها الخاصة المضروبة بتلمسان وعليها اسم ملوكها وللحكومة علاقات ومعاهدات سياسية واقتصادية مع غيرها من دول الشرق والغرب حسبما دلت على ذلك الوثائق الدبلوماسية

حدود الجزائر الزيانية

تمتد مملكة الجزائر الزيانية غربا الى مدينة وجدة وتبلغ في بعض الاحيان شرقا الى اعمال قسنطينة ودلس وبجاية وهي في ذلك تسيير حسب تقدم الدولة وانتصاراتها على منافسيها ومزاحمتها من بنى ابي حفص وبنى مرين ، وبلغت حدودها الجنوبية الغربية الى سجلماسة - تافيلالت -



ولاية السلطان يغمراسن

هو ابو يحيى يغمراسن بن ثابت من بنى «اطاع الله» ، العبد الوادى راس الاسرة الملكية الزيانية ، ولد سنة ٦٠٣ هـ (١٢٠٦ م) وبويع بالملك يوم ان توفى اخوه الامير ابو عزة زيدان : الاحد ٢٤ ذى القعدة ٦٣٣ هـ (٣١ جولييت ١٢٣٦ م) وكان معروفا بين قومه بالدهاء السياسى والشجاعة والحزم وحزالة الراى ومكارم الاخلاق واشار ذوى الفضل والعلم

تولى الملك وامر الرعية في اضطراب وقلق من ظلم الرؤساء المستبدين ، وجور الولاة والحكام المعتسفين ، فساس الشعب الجزائرى بحكمة وجدارة حتى اطمأن اليه الناس وخضعوا لحكمه العادل فبايعوه البيعة العامة واذعن اليه القاصى والدان ، ولم يمنعه يومئذ حداثة دولته الناشئة ولا ضعفها المادى من القبض على ايدى الاعداء والخصوم والاعلان بتأسيس الدولة العبد الوادية واستقلالها بالحكم رغم ما كان يحيط بها من الخطر المهدد لها من طرف الامارات المتحدة بها شرقا وغربا ، فأظهر بذلك مقدرة عظيمة وسياسة صائبة في تسيير دفة المملكة الجزائرية وسط تلك العوائق والعراقيل وقادها الى النصر

اغارة الحفصيين على تلمسان

كان من دهاء يغمراسن وحسن سياسته ان عمل على توثيق عرى الصداقة واحكام اسباب الولاء بينه وبين سلطان الموحدين سنة ٦٣٩هـ (١٢٤١م) فحصلت المؤانسة بين العاهلين وصفا بينهما الجو ؛ فاستشمر سلطان الحفصيين يومئذ ابو زكرياء بمؤامرة دبرت ضد مملكته الشرقية فكتم شعوره وعواطفه نحو يغمراسن واخذ في الاستعداد الى مهاجمة النواحي الغربية ؛ ولما استكمل استعدادده خرج بجيوشه بغتة فنزل تلمسان يوم الاربعاء ٢٩ المحرم ٦٤٠هـ (٢٩ جوان ١٢٤٢م) واحاطها باثنتي عشر الف رام مترجل من غير ما كان معه يومئذ من عدد الفرسان والركبان ، فانهز بنوعبد الواد عنها الى جبال بنى يزناسن ، ويقال انهم وقفوا لصق البلد بجبل ترني من بنى ورنيد ، واحتل الحفصيون تلمسان ، ثم كانت الهدنة ووقعت المفاوضات في عقد الصلح بانتداب والددة يغمراسن - سوط النساء - فقامت بذلك كناية عن دولة بنى زيان احسن قيام ؛ وكان فيما اشترطه الحفصيون على هذه الدولة : سهام بمائة الف دينار سنويا ، وان يذكروا بالدعاء لهم على منابر الجمعة ؛ فرضى يغمراسن بذلك وقال : تلك اعداؤهم يذكرون، عليها من شأؤوا ، واستمر على ولايته (١)

اخفاق الموحدين في حملتهم على تلمسان

اثار هذا التعاقداو الحلف الواقع بين دولة بنى زيان الناشئة ودولة بنى ابي حفص سخائم واحقادا في صدور رؤساء الدولة الموحدية وساءها انفرادهما دونها بذلك ؛ فخشيت من اتحادهما ضدها واحفظ ذلك الخليفة اباالحسن السعيد بمراكش ، فتحرك من هنالك بجيوشه سنة ٦٤٥هـ - ١٢٤٧م بقصد الايقاع بالدولتين المتعاقدين فكانت يومئذ بينه وبين يغمراسن الواقعة المشهورة حول قلعة «تامرزدكت» فانهزم فيها الموحدون كما ذكرناه قريبا

منشأ الخلاف بين بني عبد الواد وبني مرين

لا يخفى وان المغرب الاوسط - الجزائر - كان في ايام نشأة امارة بني عبد الواد الزيانية ملحقا بالدولة الحفصية، وان هذه الامارة الجزائرية كانت تابعة للحفصيين؛ وكان المرينيون يومئذ يحاولون التوسع شرق مملكتهم المغربية، فوقف في وجههم هؤلاء بنو عبد الواد الذين استشرّفوا لحكم هذه الاوطان منذ ان نزل بها سلفهم صدر دولة الموحدين؛ فكان لذلك نرى استمرار الحروب والفتن بين هذين القبيلتين طيلة مجاورتهما حسيما توجبها السنته الطبيعية في تنازع البقاء؛ وكثيرا ما انتصرت مرين على عدوتها المزاحمة غير انها لم تستطع القضاء عليها نهائيا بسبب احتمائها بقبائل من زناتة كمغراوة وبني توحين

طموح يغمراسن نحو المغرب الاقصى وخيبتها

استمر النزاع والخلاف بين دولة الموحدين المدبرة ودولة بنو مرين المقبلة واشتد ذلك بينهما سنة ٦٤٦هـ (١٢٤٨م) فتوترت العلاقات وحمل الوطيس الى ان افضى الامر بينهما الى ايقاد نار الحرب، فاستجاش الموحدون جيوش بني زيان، وكان ليغمراسن يومئذ غرض في مناهضة دولة بني مرين والقضاء عليها فمد يده الى الموحدين، وكانت الملاحمة عظيمة بوادي اسلي - من بسيط وجدة - انهزم فيها يغمراسن وترك محله للنهب والسلب؛ ثم كان استيلاء محمد بن عبد القوي سنة ٦٤٧هـ - ١٢٤٩م على جبال ونشريس وبرشك وشرشال؛ وفيها تملك ايضا محمد بن منديل المغراوي بمدينة مليانة وغيرها من الاعمال الشرقية الى سنة ٦٦٨هـ - ١٢٦٩م فاستردها منه يغمراسن قهرا

وفي سنة ٦٥٥هـ - ١٢٥٧م نهضت مرين منتقمة من بني زيان لانحيازهم الى خصمائهم الموحدين، وكانت المعركة بينهما بأبي سليط، فانهزم يغمراسن بها وتكررت عليه الهزائم فيمم نحو سجلماسة ودرعة عله يعوض بفتحهما ما فاتهما

من النصر هناك؛ وما كاد يبلغ مقصده حتى كانت مريـن قد سبقته الى تلك النواحي
يوم قبله، فسقط في يده وحاول التغلب عليهم بسلاحه فلم يفاج

ويوم ان توفي السلطان ابو بكر او ابو يحيى المريني ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م حاول
يغمراسن الاستيلاء على عرش المغرب الاقصى فقاتل بني مريـن ، فردة السلطان
يعقوب منهزما على اعقابـه، ثم تكررت الوقائع والحروب بينهم واشهرها وقعة وادي
تلاغ سنة ٦٦٦هـ (١٢٦٧م)، ووقعة ايسلي قرب وجدة ٦٧٠هـ (١٢٧١م)، ووادي
التافنا، وتامسونت، وبني بهلول.... ولقد كان النصر في جميعها لبني مريـن

المنافسة وحب الاستئثار

لقد اثار تتابع انتصارات السلطان ابي يوسف يعقوب المريني بالاندلس امتعاضا
شديدا وحسدا في قلوب ملوك غرناطة من بني الاحمر حيث توهموا بذلك القضاء
على مملكتهم الاندلسية، فسعوا حيثئذ في مشاغبتـه وعملوا على إقصائه بربط صلتهم
بملك الاسبان واوعزوا الى يغمراسن باشغال مريـن عنهم وترددت بذلك الرسل
والسفراء بين تلمسان والاندلس، فارتاح لذلك يغمراسن لحاجة في نفس يعقوب،
ووجد فيها شفاء نفسه فسعى يومئذ بكل جهوده في انزال العراقيـل والعوائق
ببني مريـن وشغلهم عن الجهاد بمشاغباتهم ومناوآتهم ، فالح عليهم يومئذ السلطان
ابو يوسف المريني في الكف عن غيه فأبى ، وحيثئذ نهضت مريـن فاوقعت ببني
زيان في معركة خرزونة سنة ٦٧٩هـ (١٢٨٠م) ثم توالى بعدها هجمات اخرى

حزم يغمراسن ونشاطه

قضى موقع دولة بنى زيان ووضعتها الطبيعية بين ممالك مريين غربا والحفصيين شرقا بأن تكون مسرجا وميدانا فسيحا المبارات بين هاتين الدولتين في جمع اقطار المغرب الاسلامى والاستيلاء على طرفيه؛ وكانت هذه الوقائع المتكررة بين دول المغرب والحوادث السياسية المتجددة هناك درسا عمليا ليغمراسن، فاخذ حينئذ في تحصين بلاده واحاطتها بما يدرأ عنها العدو، فجاء بقبيلة بنى عامر العربية من صحراء بنى يزيد واقطعها نواحي وهران وتلمسان، وكانت له هنالك خير وقاية احتسى بها عن مهاجمة خصومه المعاقيل المقيمين بسهول متيجة؛ وجاء كذلك بقبيلة حيان الهلالية فاقامها بصحراء تلمسان فكانت له حصنا منيعا من بني مريين، واسكن فريقا من عكرمة بجبل « كركرة » قبلة « السرسو » وعمل كذلك على ربط صلته بالسلطان ابي اسحاق ابراهيم الحفصي، وأكد هذه الصلة بالمصاهرة فيخطب كريمته لولده وولي عهده ابي سعيد عثمان

ثم تفرغ يغمراسن بعد ذلك لاختضاع القبائل المنشقة والمخالفة عنه من مغراوة وتوجين (١) فناهضها عدة مرات حتى استقامت له وجنحت الى السلم فكف عنها بأسه، ونزل له يومئذ عمر بن منديل المغراوى عن مدينة مليانة - عاصمة مغراوة - فاحتلها يغمراسن سنة ٦٦٨ هـ (١٢٧٠ م)

وكانت مبايعة اهل سجلماسة سنة ٦٦٢ هـ (١٢٦٣ م) ثم خرجوا عن الطاعة منسلخ صفر سنة ٦٧٣ هـ (٦ سبتمبر ١٢٧٤ م) واحتلتها يومئذ مريين عنوة، وفي سنة ٦٧٢ هـ (١٢٧٣ م) نزل عائد بن منديل واخوه ثابت اميرا مغراوة عن مدينة تنس واحوازها ليغمراسن فضمها الى مملكه

(١) مواطن مغراوة هي بشمال والنشريس ووادي شاف الى البحر، وتنتهى شرقا الى وادى السبت قرب متيجة وغربا الى البطحاء بناحية نهر مينة. اما مواطن توجين فشرقى بنى عبد الواد وجنوب مغراوة فيما بين سعيدة والمدية، ولقد بقي هاتان القبيلتان على ثورتهم طيلة ملك بنى زيان

غدر الفرقة الافرنجية بالسلطان

كان من بين الجيش الزياني فرقة من علوج النصارى تعمل مع الجند فحازت بطول مرانها ثقة السلطان وتقديره فكان يباهى بها بين جموعه في جميع مواقفه الحربية وفي السلم ايضا، وهي مع ذلك تعمل في الخفاء لقلب نظام الحكومة والقضاء على السلطان فتربصت به الدوائر حتى اذا كان يوم استعراض الجيوش على السلطان ضحى يوم الاربعاء ٢٥ ربيع الثاني ٦٦٢هـ (٢٥ فيفري ١٢٦٤م) وكان يغمراسن يومئذ قائما بباب القرمادين بعاصمة تلمسان فاعتدى عليه رئيس هذه الفرقة الاجنبية وحمل عليه السلاح وبادرت الفرقة المذكورة الى محمد بن زيان اخ يغمراسن فقتلته غدرا ونجا السلطان، وكان هنالك فزع واضطراب عظيم في الجيش فاندفع الناس حين ذاك الى القضاء على هذه الفرقة المشتملة على نحو النصارى ، فكان ذلك آخر العهد بهذه الفرقة الافرنجية ولم يستخدم بعدها أحد من نصارى الافرنج بالجندي في دول المغرب

وفاة يغمراسن

تقدم ان ذكرنا اصهار يغمراسن الى السلطان الحفصي في ابنته لولي عهد المملكة الزيانية ابي سعيد عثمان ولد يغمراسن ، وكان موعد الزفاف في ذى القعدة سنة ٦٨١هـ (مارس ١٢٨٣م) فخرج موكب العروس من تونس برئاسة الامير أبي عامر بن يغمراسن ، وما كاد ليقترب الموكب من الحدود حتى خرج السلطان نفسه لاقتباله وحمايته من غارات توجين ونزوات مغراوة ، فاتصل بالقافلة في مليانة وفي منصرفه الى تلمسان ادركه حمامه فمات بوادي «رهيو» بشلف ، وذلك يوم الاثنين ٢٩ ذى القعدة سنة ٦٨١هـ (٢٨ مارس ١٢٨٣م) فكتمت الخاصة وفاته حتى بلغت به تلمسان فاعلنت وفاته واشتغلت حينئذ بدفنه ، فكان وعمره يومئذ ٧٦ سنة ، ومدة حكمه ٤٤ سنة وخمسة اشهر واثنتا عشر يوما ، فبايع الناس يومئذ لولده ابي سعيد عثمان .

ولاية السلطان ابي سعيد عثمان

ولد السلطان ابو سعيد عثمان بن يغمراسن سنة ٦٣٩ هـ (١٢٤١ م) وكانت مبايعته بالملك بعد وفاة والده في اوائل شهر ذي الحجة سنة ٦٨١ هـ (مارس ١٢٨٣ م) : وكان ملكا شهما حسن السياسة والتدبير مقداما صبوراً على حوادث الدهر وضرباته

اشهر فتوحاته ووقائعه

وفق أبو سعيد في سلوكه السياسى الى جمع كلمة قومه واكتساب قلوب الرعية ؛ وذلك بحسن التدبير ومعرفته للاساليب المنجية والطرق المجدية ، فانتشر بذلك سلطانه على نواح كثيرة كانت متمردة عليه بالقطر الجزائرى ، وكان من غزواته الموفقة حملته على مازونة وانتزاعها من مغراوة وفتحها في منتصف رمضان ٦٨٦ هـ [اكتوبر ١٢٨٧ م] واستيلاؤه ايضا على « تفرجيت » التي كانت لتوحين ؛ واناخ في هذه السنة بعساكرة على بجاية ثم افرج عنها ، واستولى على وانشريس واخرج منها ملكها التوحينى ، واحتل مدينة تنس والمدية يوم ٢٦ ربيع الثانى ٦٨٨ هـ (٢٠ ماي ١٢٨٩ م) ، ثم تقدم في السنة بعدها الى تدويخ بلاد مغراوة فاخضعها كلها ، وحاصر مدينة برشك - بين تنس وشرشال - مدة اربعين يوما ففتحت عليه سنة ٦٩٣ هـ (١٢٩٤ م) وفر عنها صاحبها ثابت بن مندبل المغراوى فاجر الى حيث لا يعلم مكانه

ولهذا السلطان ايام ووقائع كثيرة ومواقف حازمة وقفها ضد توحين لتحالفها وتآلفها مع خصومه بنى مرين .

محاصرة تلمسان ووفاة ابي سعيد

لقد بلغ من امر العداوة المستمرة بين بنى عبد الواد وبنى مرين انه كلما سئحت فرصة لاحد الطرفين للايقاع بصاحبه الا واتتهزها أخذا بشاره واحماداً لغلته ، فتعددت الوقائع والحروب بين القبيلتين ، وكان منها هذا الحصار الطويل الذي ضرب به ابو يعقوب يوسف المريني على تلمسان بسبب ما قامت به هذه الدولة من ربط صلتها بملوك بنى الاحمر ومشابقتها على بنى مرين .

تتحرك ابو يعقوب من مدينة فاس في جمادى الثانية ٦٨٩هـ [جوان ١٢٩٠م] فنزل بذراع الصابون من ظهر تلمسان يوم الثلاثاء ٢٥ جمادى الثانية - ٦ جوليت - ومكث محاصرا للمدينة نحو ثلاثة اشهر ، فكانت هناك حروب طاحنة اشتد فيها الامر على الفريقين فانكسر فيها اولاً ابو يعقوب فاقطع عن الحصار مدبراً الى مركزة بالمغرب الاقصى ، ثم تكرر منه الهجوم على تلمسان اربع مرات ، ثم كانت الخامسة بعد انتفاض زكرياء بن يخلف المطغرى (١) قائد ندرومة في هذه المرة شرع ابو يعقوب في بناء المحلة المنصورة ٦٩٨هـ (١٢٩٩م) فاشتد يومئذ الكرب ببنى عبد الواد الزيانيين ونال منهم الجهد والعناء بما لا نظير له في تاريخ المغرب قبله ولا بعده ، بل ولا في تاريخ غيره من الامم فيما علمناه ، وناهيك انه قد طال بهم ذلك الحصار الشديد ثمانية سنين وثلاثة اشهر ... ، اضطروا فيها الى اكل الجيف والقططة والفيران حتى قيل انهم اكلوا اشلاء الموتى من الناس ؟ وخربوا السقف للموقود وغلت اسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما تجاوز حدود

(١) كثيراً ما يشتبه على الكتاب كتابة هذه الكلمة ويخطئون في رسمها ؛ فبكتبتها بعضهم كيفما اتفق ؛ تارة بالطاء وتارة بالدال بدون ترو ولا تثبت ؛ والصحيح انهما اسمان مختلفان لفظاً وخطاً لاماكن ثلاثة مختلفة ، فاما بالدال فهو اسم مكان باعمال سجناسية يقال له «مدغرة» واما بالطاء فهو اسم يقع على موضعين مختلفين ؛ احدهما بعمل تلمسان والاخر بعمل تازا وكلاهما يقال له «مطقرة»

العوائد وعجز وجدهم عنه ، فكان ثمن مكسال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقدارة اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين ، و ثمن الشخص الواحد من البقر ستون مثقالا ، ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصف واثمان اللحم من الحيف الرطل من لحم البغال والحمر بثمان المثقال ، ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال ، والرطل من الجلد البقرى مئة او مئتي بثلاثين درهما ، والهز الداجن بمثقال ونصف ، والكلب بمثله ، والفار بعشرة دراهم والحية بمثله !!! والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والواقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السم من يمثلها ومن الشحم بعشرين ومن الفول يمثلها ومن الملح بعشرة ومن الحطب كذلك ؛ والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة اثمان المثقال ، ومن الخس بعشرين درهما ، ومن اللفت بخمسة عشر درهما ، والواحدة من القناء والفقوس بأربعين درهما ، والخيار بثلاثة اثمان الدينار ، والبطيخ بثلاثين درهما ، والحبة من التين والاحاص بدرهمين ، واستهلك الناس اموالهم وموجودهم وضائق احوالهم واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصارها واتسعت خطمة مدينته المنصورة المشيدة عليها ورحل اليها التجار بالبضائع من الآفاق واستبحرت في في العمران بما لم تبلغه مدينة (١) ولقد هلك في هذا الحصار من بني عبد الواد نحو العشرين ومائة الف شخص

ورغم كل هذه الشدائد فقد ثبت بنو عبد الواد تجاه بني مرين ثبوت الجبال الراسيات مدافعين عن حرمهم بالمهيج الى ان جاءهم الفرج ؛ وفي اثناء ذلك هلك السلطان ابوسعيد عثمان الزياني وذلك لخمس سنين من الحصار ، وقد قيل انه داف السم في شرابه تفاديا من معرة الهزيمة والانكسار ، وكانت وفاته يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ٧٠٣هـ (٥ جوان ١٣٠٤م) فبويع لولده ابي زيان الاول

□

(١) ابن خلدون ج ٧ ص ٩٥-٩٦

ولاية السلطان ابي زيان الاول

هو ولد السلطان ابي سعيد عثمان ، واسمه محمد ، ولد سنة ٦٥٩هـ (١٢٦١م) وكانت مبايعته اثر وفاة والده يوم الاحد ثاني شهر ذي القعدة سنة ٧٠٣هـ (٦ جوان ١٣٠٤م) وكان مشتهرا بالنشاط والحزم ورقم الحاشية ومائة الطبع فاضلا حسن التدبير

تولى الملك في اخرج الظروف واعسر الاوقات ؛ فلقد ولي عرش بنى زيان وعاصمتهم مهددة بالانقراض ودولتهم بالانهيار وحياتهم بالاضمحلال وذلك لما نزل بهم من الحصار المربى وما نكبهم من الرزايا والفجائع والالام ؛ فتحمل عبء كل ذلك ابوزيان وحده وتزعّم قومه مجمعا رايه على الكفاح والمقاومة الى النهاية فاما ملك واما هلك وصرخ في قومه اثر مبايعته بكلمته الخالدة : تعالوا نخرج في قومنا فنستमित وبينما هو كذلك مزمعا على الحرب اذا بصوت الناعى ينعى سلطان بنى مرين ابا يعقوب يوسف صاحب الحصار

قال ابن خلدون : «وحدثني شيخنا محمد بن ابراهيم الآبلى قال جلس السلطان ابوزيان صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء في خلوة زوايا قصره واستدعى ابن حجاج خازن الزرع فسأله كم بقي من الاهراء والمطامير المختومة ؟ ... فقال له انما بقي عولة اليوم وغد ... فاستوصاه بكتمانها ، وبينما هم في ذلك دخل عليه اخوه ابوحمو فأخبروه فوجم لها وجلسوا سكوتا لا ينطقون ... واذا بالخدام «دعد» قهرمائة القصر من وصائف بنت السلطان ابي اسحاق وحظية ابيهم خرجت من القصر اليهم وحيثهم تحيتها وقالت : تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم ما لنا والبقاء ؟ ... وقد احيط بكم واسف عدوكم لاتهامكم ولم يبق الا فواق بكية لمصارعكم ، فأريحونا من معرة السبي واريحوا فينا انفسكم وقربونا الى مهالكنا ، فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم ... فالتفت ابوحمو الى اخيه وكان من الشفقة بمكان ، وقال قد صدقتك الخبر فما تنظر بهن ؟ ...

فقال يا موسى ارجئني ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا... ولا تشاورني بعدها فيهن، بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهم... وتعالى الي نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما يشاء؛ فغضب ابوحمو وانكر الارجاء في ذلك، وقال انما نحن والله تتربص المعرة بهن وبأنفسنا، وقام عنه مغضبا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء... قال ابن حجاج - خازن الزرع - وانا بمكاني بين يديه لا املك متأخرا ولا متقدما الى ان غلب عليه النوم، فما راغى الاحرسى الباب يشير الى ان اذن السلطان بمكان رسول من معسكر بنى مرين لسدة القصر، فلم اطق رجع جوابه الاباشارة، وانتبه السلطان من خفيف اشارتنا فزعا فأذنته واستدعاه فلما وقف بين يديه قال له: ان يوسف بن يعقوب هلك الساعة!.. وانا رسول حافدة ابى ثابت اليكم؛ فاستبشر السلطان واستدعى اخاه وقومه حتى ابلاغ الرسول رسالته بمسمع منهم، وكانت احدى المغربات في الايام» (١)

كان اغتيال السلطان ابى يعقوب المرينى على يد خصى من العبيد اسخطته بعض النزغات المملوكية فاعتمده في كسر بيته ومخدع نومه وطعنه بخنجر قطع امعاء؛ وقد وقع ذلك يوم الاربعاء ٧ ذي القعدة ٧٠٦هـ (١٠ماى ١٣٠٧م) فاختلقت بعده كلمة اصحابه وتشقت قومه حسب تشقت اغراض رؤسائهم فكان منهم من اعتصم بالفرار، ومنهم غير ذلك، فذهب يومئذ العناء عن آل زيان وقومهم وجميع سكان عاصمتهم فكأنما نشروا من اجداث، وكتبوا لها في سكتهم «ما اقرب فرج الله» استغرابا لحادثتها

ثم كان الصلح بين الدولتين، واعيدت لبنى عبد الواد جميع البلاد والشغور التى احتلها المرينيون بالجزائر؛ واوصى ابو ثابت المرينى بعدم التعرض لمدينة المنصورة بسوء؛ غير ان بنى عبد الواد لم يكن يستطيعوا تحمل رؤية شبحها المشؤوم فحطموها تحطيما

مقاومة القبائل المشاة

نشط السلطان ابوزيان الاول بمراقة اخيه ابي حمو الى بسط نفوذ الدولة العبد الوادية على كامل الوطن الجزائري بدون استثناء ؛ وكان اندفاعهما من تلمسان يوم الخميس ٢٠ ذى الحجة ٧٠٦ هـ - ٢٢ جوان ١٣٠٧ م فحلا بمواطن مغراوة من نواحي القطر الجزائري الغربي ؛ فأجفلت بطون مغراوة يومئذ الى الصحراء ؛ فاستولى ابوزيان على ارجاء «شلف» وذلك قبائل توجين فانضوت بأجمعها تحت طاعته ؛ واستمرت الحروب بين بني عبد الواد وبني راشد ، وما كانت لتنتهي الا لتتكرر وتسوء العلائق بينهما من جديد (١)

وعاد السلطان الى عاصمته في رمضان ٧٠٧ هـ - فيفريي ١٣٠٧ م وفي نفس هذه السنة كان القضاء على حاضرة المنصورة التي اشادها المرينيون قرب تلمسان ، فطمسها بنو زيان ومحو آثارها تفاديا من بقاء معالم العدو بينهم قائمة مرئية وفي شهر شوال - مارس - من هذه السنة توفي السلطان ابوزيان الاول اثر مرض لم يمهله اكثر من اسبوع فقط ؛ فدفن صبيحة يوم الاحد ٢١ شوال - ٢٦ افريل - وبويع لاختيه ابي حمو الاول



ولاية السلطان ابي حمو الاول

هو السلطان ابو حمو بن السلطان ابي سعيد عثمان بن السلطان يغمور اسن بن زيان ، ولد سنة ٦٦٥هـ - ١٢٦٦م وبويع بتلمسان يوم وفاة اخيه السلطان ابي زيان الاول : الاحد ٢١ شوال ٧٠٦هـ - ٢٦ افريل ١٣٠٧م - وكان شجاعا شديدا في غير مساواة : لينا في غير ضعف ؛ حازما صارما ؛ وهو اول من احدث في هذه الدولة مراسيم الملك ومصطلحات تنظيمات القصر وتشريفاته *Protocole*

غارات ابي حمو وفنوحاته

كان اول ما افتتح به ابو حمو اعماله الادارية ان سعى في مسالمة بنى مرين ومهادتهم : ثم لما اطمأن على ملكه من الناحية الغربية اشتغل بتطهير الحواشي والجوانب المحيطة به فأخذ في تذليل القبائل المنشقة عنه كمغراوة وتوحين ، فانتصر عليهم ولكنه لم يظفر بالامير المغراوي راشد بن محمد افراره ، ثم التفت نحو الشرق ، فبعث بجنوده اولا الى الزاب الجزائري فاستولى عليه سنة ٧١٠هـ - ١٣١٠م واذعنت لطاعته بلاد الجزائر الشرقية ، فقتل عنها ضل بنى ابي حفص ثم بعد سنتين خرج السلطان ابو حمو بنفسه متوجها نحو مدينة الجزائر ، فاحتل بلدة تدلس - دلس - وخضع له اميرها ابن خلوف ؛ ثم تمكن من مدينة الجزائر ، فاقصى عنها حاكمها ابن علان بعد ما استبد بها مدة اربع عشرة سنة : ودوخ جبل ابي ثابت واشاد قصر «اصفون» في مدة لا تتجاوز اربعين يوما ، وهو نفس مكان المدينة المعروفة اليوم بالساحل الشرقي الجزائري باسم - ازفون - واقام به الحامية ثم تركها منصرفا الى غزواته

القضاء على أمارة الثعالبية بمتيجة

يذكر المؤرخون انه كان بسهولة متيجة نحو الثلاثين مدينة وكلها كانت للثعالبية الذين هم من عرب المعقل؛ وكان موقف هؤلاء السياسي دائماً في جانب المرينيين ضد بنى عبد الواد، ولا سيما أيام الحصار الشديد الذي ضربه السلطان ابو يوسف يعقوب على تلمسان، وقد لاحظ ذلك منهم بنو عبد الواد فسكتوهم العداوة مصانعة الى ان حانت لهم الفرصة في هذه المرة وطعن سلطان مرين وار تقيم الحصار واسترد الزيانون مملكتهم الجزائرية فجهز يومئذ السلطان ابو حمو الاول عساكره بقيادة ابن عمه محمد بن يوسف بن يغمراسن ووجههم الى متيجة فانقضوا على الثعالبية فخرّبوا قصورهم وحطموا ديارهم وقضوا على اكثريتهم، ولم ينجو منهم يومئذ في هذه الواقعة سوى نفر قليل التجأ الى احلافه بنى مرين بالمغرب الاقصى، ومنهم من ذهب الى الصحراء ومنهم من اقام بجبال وانشريس؛ ثم حاصر الجيش العبد الوادى مدينة بجاية وضيق على صاحبها يومئذ ابى زكرياء الاوسط حليف مرين

اغارة بنى مرين وثورة الاعراب

اشتعل المغرب الاوسط في هذه الآونة نارا سبب مهاجمة مرين على مراكز اعدائهم وخصومهم الملتجئين الى تلمسان المحتممين بملوكها، فنزل السلطان ابو سعيد المرينى مدينة وجدة واكتسح بسائط تلمسان، فالتجأ بنو زيان يومئذ في صرّفه عنهم الى استعمال الحيلة والدهاء، ثم كان اندلاع الثورة من البربر والاعراب فعمت الفتنة جميع اعمال وهران، فانبرى لاطفائها يومئذ السلطان ابو حمو الاول ونزل بوادى «نهل» من شلف وهناك ابنتى قصره المعروف الى اليوم باسمه «حمو موسى» قبل ان تحرق العامة الى - عمى موسى - وهو بالجانب الشرقى من موقع «عين كرماني»، ويومئذ فر امامه راس الثوار راشد بن محمد المغراوي فذهب الى بلاد القبائل؛ فأمر ابو حمو بغزوها ايضا، فاحتلتها جيوشه ودخلت بجاية فجاست هنالك خلال الديار،

واشيدت هنالك يومئذ مدينة «آقوب» الباقية الى اليوم واذعنت جميع تلك النواحي لبنى زيان ، ثم وقعت بقبضتهم مدينة المدينة ومليانة سنة ٧١٧هـ (١٣١٧م) وفي هذا العهد اخذ الضعف يسرى في عروق القبيلة الجزائرية العتيقة : زناتة ، فابتدروا الهرم الذى هو سنة الكون في الكائنات افرادا وجماعات ، وحلت محلها الجاليات العربية المهاجرة

مصرع السلطان ابي حمو الاول

لقد عملت عوامل الغيرة والانفة اعمالها في الامير ابي تاشفين بسبب ما كان عليه والده ابو حمو من تقديم ابن اخيه ابي السرحان عليه وتدنية مجلسه منه ، بل وكثيرا ما كان يظهر ذلك امام ولده ابي تاشفين فيستشير ابا السرحان ويحادثه في شؤون الدولة واعمالها وابتوتاشفين جالس بدون ان يلتفت اليه ؛ فاستنكف ابوتاشفين لهذه الاهانة واغتاز لذلك فسخط على والده ودبر له مكيدة ذهب السلطان ضحيتها فاغتاله بعض العلوج بقصره يوم الاربعاء ٢٢ جمادى الاولى سنة ٧١٨هـ (٢٢ جوان ١٣١٨م) وتملك بعده ولده ابوشفين



ولاية السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن الاول

هو السلطان ابو تاشفين عبد الرحمن بن السلطان ابي حمو الاول ؛ ولد سنة ٦٩٢هـ (١٢٩٣م) وبويع صبيحة العيد من يوم اغتيال والده ؛ الخميس ٢٣ جمادى الاولى ٧١٨هـ (٢٣ جوان ١٣١٨م)

عرف ابوتاشفين بين ملوك هذه الدولة بميله الشديد وتعلقه بالفنون الجميلة ولا سيما فن المعمار فان له به شغفا كبيرا فأشاد الدور والقصور ، مع ما كان عليه من الامعان في الهو والقصف ؛ ولم يكن هذا كله ليعنعه من التحمل بأعباء الدولة والقيام بمهامها احسن قيام

ولما كان توليه الملك على الصفة المرعبة المتقدمة، اشتد به الحذر وخشى من الفتك به فأسرع بإبعاد جميع قرابته وذويه من انشاء يغمراسن عن حاضرة ملكه وبعث بهم الى الاندلس ، واعتقل عمه السعيد بن عثمان عنده لهذا الغرض نفسه فأبقاه بالسجن الى ان هلك فيه

القضاء على سلطة مغراوة

كان كلما تولى احد من ملوك بنى زيان الا وجعل همه الوحيد القضاء على سلطة مغراوة ، تلك القبيلة المناهضة لسلطان بنى عبد الواد ، وسار ابوتاشفين الاول على خطى اسلافه من ملوك بنى زيان ، فكان اول ما قام به من الاعمال ان اغار على هذه القبيلة المنشقة سنة ٧١٩هـ (١٣١٩م) وحاصرها في ربوة «تاوكلال» من جبل وانشريس وشدد عليها الحناق فانقطعت عنها جميع المواصلات ونفدت الميرة حتى لم يبق هنالك عندهم ما يسد به الرمق فانتشرت المجاعة بتلك الارحاء ثمانية ايام وفر زعماء مغراوة من الميدان فاقترح ابوتاشفين البلاد واخذ رئيسهم محمد بن يوسف المغراوى فقتله، ثم نازل بجاية ومنها عاد الى مركزه

فتح اعمال قسنطينة وبجاية

ما كان ليغفل بنو عبد الواد او يتناسوا تلك الحملة الشنعاء التي شنوها عليهم الحفصيون على عهد ابي زكرياء الاول سنة ٦٣٩هـ (١٢٤٢م) ، وما كانوا كذلك لتجاوزوا عن انكسار مؤسس دولتهم السلطان يغمراسن وانهزماه امام هذه الغارة الحفصية ، فمكثوا فى انتظار الفرصة ليثأروا من خصمهم حتى ايام ابى تاشفين الاول هذا حيث حدث اضطراب بين سكان اعمال قسنطينة تقوضت منه اركان الدولة الحفصية ، فخفف لذلك سلطان بنى زيان وبعث بطائفة من الجند لاستطلاع احوال التخوم الشرقية وهو بذلك - فى آن واحد - يختبر قوات الخصم الحربية المقيمة بالحدود ، فذهبت الطليعة الزيانية الى غرضها ثم عادت بالظفر والغنيمة

ويومئذ نهض ابوتاشفين ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) فأوقع بأهل قسنطينة وحاصر بجاية مرتين؛ ثم تعددت الوقائع بين بنى ابي حفص والزيانيين الى ان كان النصر فيها لبني زيان سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م)، فأقاموا لذلك «قصر بكر» ببجاية كذكرى لهذا الانتصار الباهر الذي عم القطر الجزائري، وخلص يومئذ ابو يحيى ابوبكر الثاني الحفصي الى مدينة بونة جريحا؛ ثم كان بعد ذلك بسنة الدولة استيلاء العبد الوادية على تونس

ظهور الدعوة الموحدية بوهران

نهض ابراهيم بن عبد الملك الكوفي الثائر بجبال «ترارة» من مركزه سنة ٧٤٥ هـ (١٣٤٤ م) متظاهرا باعادة عودة الموحدين واقامتها بالغرب الاوسط، فاستولى على الساحل الوهراني واحتل فرضة هنيئ وندرومة وحاصر مدينة وهران وكان بها يومئذ عبو بن سعيد بن اجانا واليا عليها من قبل الدولة الزيانية، وجاءت الحامية من تلمسان لرد حملة الثائر ابراهيم فاحفقت وسقطت وهران بيده، فأقام بها الدعوة الموحدية الى ان اغار عليها الزعيم ابوثابت وفتحها عنوة في جمادى الاولى سنة ٧٥٠ هـ (جوليس ١٣٤٩ م) وقضى على دعوة الكوفي بها وعفا عن اهلها ثم عاد الى مركزه

نهاية الدور الزياني الاول

لقد كان لانهازم الدولة الحفصية امام قوات الزيانيين سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٨ م) اثر شديد ووقع كبير في نفوس الحفصيين فاستظهروا يومئذ بالسلطان ابي سعيد المريني وتوسلوا به لاسترجاع مملكتهم من بنى عبد الواد فاستشفع لهم هذا السلطان في ذلك لدى بلاط بنى زيان فلم ينتج؛ ثم لما تولى ولده من بعده ابوالحسن - صهر بنى ابي حفص - اعاد عليه الحفصيون اقتراحهم في التوسط لدى ملوك بنى زيان في التخلي لهم عن المملكة الشرقية ففعل ابوالحسن مثل والده وقام بعرض القضية على ملوك تلمسان فاحقق في وساطته هذه ايضا؛ ويومئذ نشأت - او قل تجددت - العداوة

والبغضاء بين بنى مرين وبنى عبد الواد ، واخذ ابوالحسن فى الاستعداد للغزو ، وجاء الاسطول المرىنى غازيا سواحل تلمسان ومدافعا عن احواض بجاية ؛ ونهض ابوالحسن اواسط سنة ٧٣٥هـ (١٣٣٥م) مغيرا على المغرب الاوسط فاحتل ندرومة وهنين - فرضة تلمسان - ونزل اتسالة - بالقرب من سيدى بلعباس - وفتح وهران ومليانة وتنس والجزائر ومثلها النواحي الشرقية ، ثم نزل بالمنصورة يوم ١١ شوال - ٤ جوان - من هذه السنة ، وادار نطاق الحصار على تلمسان فاحتلها يوم الاربعاء ٢٧ رمضان ٧٣٧هـ (٢٩ افريل ١٣٣٧م) وخرج منها يومئذ ابوتاشفين فى حاشيته وابنائهم مدافعا بنفسه عن حرمة ؛ ولزم الجميع مكانهم فى الدقاع الى ان استشهد جميعهم فى الميدان وبقى ابوتاشفين منفردا فألقى عليه القبض ثم قتل يوم ٣٠ رمضان - ٢ ماي - بأمر الامير عبد الرحمن بن السلطان ابى الحسن المرىنى ؛ فكان ذلك آخر العهد بالدور الاول من ملك بنى زيان ، وعادت الجزائر الى سيادة بنى مرين وطاعتهم

ملوك الدولة الزيانية

— في الدور الاول —

تاريخ التولية

١٢٣٦ هـ ١٢٣٣ م

١٢٨٣ هـ ١٢٨١ م

١٣٠٤ هـ ١٣٠٣ م

١٣٠٨ هـ ١٣٠٧ م

١٣١٨ هـ ١٣١٨ م

ابويحيى يغمراسن بن زيان

ابوسعيد عثمان بن يغمراسن

ابوزيان محمد (الاول) بن عثمان

ابوحمو موسى (الاول) بن عثمان

ابوتاشفين عبد الرحمن (الاول) بن موسى

مشاهير الجزائريين

ابوزيد عبدالرحمن ٧٤١ هـ ١٣٤٠ م	} الاخوان ابنا الامام
ابوموسى عيسى ٧٤٩ هـ ١٣٤٩ م	

الامام محمد بن عبد الله التلمساني ابنان ، هما ابوزيد عبد الرحمن وابوموسى عيسى ، اجمع علماء التاريخ والسير والتراجم بالمغرب العربى بانه لم يكن فى زمنهما اعظم رتبة ولا اعلم منهما ، واكبرهما ابوزيد عبد الرحمن ، كلاهما اشتهر بالامامة والرئاسة فى العلم ورسوخ القدم فيه وكلاهما نشأ بمدينة برشك (١) بالساحل الغربى الجزائرى ما بين مدينة شرشال وتنس ، حيث كان والدهما اماما باحد مساجد هذه المدينة فاشتهرا يومئذ بهذه النسبة وعرفا بها

ولما استولى زيرى بن حماد المكلاى المعروف بزيرم على مدينة برشك واستبد بها سنة ٦٨٣ هـ ١٢٨٤ م رمى امام المدينة وهو والد الاخوين العالمين بتهمة احتوائه على ودیعة مالية لبعض اعداء زيرم وطالبه بها فامتنع الامام فقتله زيرم غيلة ، ويومئذ تكدر الجو واكفهرت الدنيا بعين الاخوين فحزننا لذلك وارتحلا فى اواخر القرن السابع الهجرى الى تونس حيث لقيا هنالك الاجلة من علمائها كابن القطان وابن جماعة والمرجاني الخ... كما اجتمعوا بفاس بالشيخ السطى والطنجى واليفرنى وتلاميذ ابن زيتون واصحاب ابى عبد الله بن شعيب الدكالى وغيرهم

وبعد ان انهى الاخوان رحلتهم العلمية بالمغرب العربى وانتهيا من الطواف بمجامع العلم واندية الادباء توجهوا الى بلدهما ومسقط راسهما برشك ، فلما

(١) ضبطها ابن خلدون بقله بفتح الباء الموحدة وكسر الراء وسكون الشين

بلغا اليها امتنعت عليهما لحلول زيرم المستبد بها، فانصرفا عنها الى مدينة الجزائر فأقاما فيها يثان العلم وينشران ما طوى بها من معاملته، وكان السلطان ابويعقوب يوسف المريني يومئذ محاصرا لتلمسان ذلك الحصار الطويل الشهير، وانتشرت جنوده مستحوذة على اكثر عواصم القطر الجزائري وامصاره، فارتحل الاخوان من مدينة الجزائر الى مليانة عاصمة مغراوة وكان بها الكاتب منديل بن محمد الكنانى ضابط حباية مرين، فعرف منزلتهما وعلو كعبهما في العلم فاصطفاهما وقربهما منه واتخذهما لتعليم ولده محمد، ثم استعملهما على خطة القضاء بمليانة وبعد مهلك السلطان ابى يعقوب المريني وتأكد الصلح بين بنى مرين وبنى عبد الواد وارتفع الحصار عن تلمسان انتقل الاخوان صحبة الكنانى المذكور وحلا بتلمسان فاتصلا بالسلطان ابى حمو موسى الاول فاغتبط بهما وابتنا لهما مدرسته بناحية المطهر كما يقول ابن خلدون، - او داخل باب كشوط كما عند ابن ابى مريم - وجعل لهما فيها ايوانين معدين للتدريس، وابتنى لهما بجانب المدرسة دارين للسكنى، واختصهما بالفتوى والشورى وضمهما الى خاصته واعيان مجلسه، فاقاما هنالك ملحوظين ممتازين بين اهل العلم والفضل ولما انتصر ابوحمو على بلاد مغراوة وتجاوزت طاعته الآفاق توجس منه خيفة زيرم المكلاقي فخطب مودته وامل منه الامان لنفسه ونزل له عن ولايته، وكان ابو زيد عبد الرحمن بن الامام هو سفير السلطان الى زيرم ببرشك، وكانت بينهما طائلة كما ذكرناه فاستأذن السلطان في اخذ ثأره منه فأذن له، واخذ ابو زيد يومئذ في التردد على زيرم ببرشك حتى تمكن منه فثأر منه بأبيه القتيل، وكان ذلك سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م) وصار امر ببرشك يومئذ لبنى زيان

استمر الاخوان العالمان على صحبتهما لابى حمو الاول بتلمسان الى وفاته فقر بهما اليه يومئذ ولده السلطان ابوتاشفين الاول فلازما مجلسه مدة سنتين ثم غادراه

الى المشرق ، سنة ٧٢٠ هـ (١٣٢٠ م) وهناك اجتمعنا بأكابر العلماء كالشيخ علاء الدين القونوى الذى كان يقال عنه انه لا نظير له فى العلم فى عصره ، واخذنا عن الجلال القزوينى صاحب التلخيص فى البلاغة ، وسمعا صحيح البخارى عن الشيخ الحجار ، واجتمعنا هنالك بشيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية فناظراه وظهرنا عليه ، فكان ذلك مما زاد فى محنة الشيخ

عاد ابنا الامام من المشرق وقد طار صيتهما فى الآفاق واشتهرا بالتبحر فى العلم حتى صارا يعرفان بالامامة والاجتهاد المطلق والتفرد بالرئاسة ، فانهال يومئذ عليهما الطلبة من كل حدب وصوب ، وكثر المنتسبون اليهما واللائذون بهما والآخذون عنهما حتى غصت رحاب مجالسهما العلمية بالطلبة ، فتخرج عليهما اعلام منهم العلامة الشريف التلمسانى والعلامة الخطيب ابن مرزوق - الجدد - والامام المقرئ جد صاحب النفح ، وابوعثمان العقبانى ، وابوعبد الله اليحصبى فى جماعة كثيرة ممن اخترقت شهرتهم الآفاق

عاش ابنا الامام يومئذ فى كنف السلطان ابى تاشفين الاول مبالغا فى اكرامهما وتقديرهما فلازماه فى قصره الى آخر نفس حيث استشهد فى وقعة سقوط تلمسان بيد المرينيين سنة ٧٣٧ هـ - ١٣٣٧ م

وبعد ان استولى السلطان ابو الحسن المرينى على تلمسان جاء بابنى الامام الى قصره وازدادت حضوتهما عنده حتى كاد لا يفارقهما البتة ، واحضرهما معه وقعة طريف بالاندلس آخر سنة ٧٤٠ هـ - ١٣٤٠ م

ورغم كل هذا التفوق العلمى وبعد الصيت ، فانه لم يبالغنا عن مؤلفاتهما شئ سوى ما اشار اليه اصحاب التراجم من شرح ابى زيد عبد الرحمن على مختصر ابن الحاجب الفرعى ، ويقول ابن فرحون ان لهما التصانيف المفيدة ؛ ولعلها ضاعت وسط تلك الحوادث والاضطرابات التى مني بها المغرب العربى يومئذ ...

ويذكر اهل السير ان ابا زيد عبد الرحمن اورع من اخيه موسى وانه كان يمتاز عليه بالحشية ، فقد حكي عنه ابو الفضل بن ابى مدين الكاتب وقد رآه يوما بباب السلطان ينتظر خروجه فسأله عن حاله ، فأجابه بقوله : اما الآن فأنا مشرك فقال الكاتب : اعيزك من ذلك !... فقال الشيخ : لم ارد الشرك فى التوحيد ، لكن فى التعظيم والمراقبة ، والا فأى شىء جلوسى هاهنا ؟...

وكانت وفاة ابى زيد فى العشر الاوسط من رمضان سنة ٧٤١هـ - اوائل مارس ١٣٤٠م ودفن ببلدته برشك ، وبفقده ازداد مقام اخيه رفعة عند السلطان ابى الحسن ، فعاش فى اكنافه عزيز الجانب مكرما الى ان شغل السلطان بحوادث تونس والقيروان فسرجه الى بلده فذهب اليها واقام بها قليلا فوافاه اجله فى الطاعون الجارف سنة ٧٤٩هـ - ١٣٤٩م رحمهما الله ، ويذكر ابن خلدون ان للشيخين اعقابا بقوا فى تلمسان دارحين فى مسالك تلك الكرامة ومتوقلين قلاهما طبقا عن طبق الى هذا العهد .

محمد بن ابراهيم الآبلي

٥٧٥٧ هـ - ١٣٥٦ م

هو ابو عبد الله محمد ابراهيم بن احمد الآبلي ، اصله من مدينة آبله بالشمال الغربي لمقاطعة مجريط من بلاد الاندلس ، اجاز ابوه وعمه احمد الى تلمسان فاستخدمهما السلطان ابويحيى يغمراسن بن زيان في الجندية فكان ابوه قائدا بهنين - مرفأ تلمسان -

اصهر والده ابراهيم الى ابي الحسن محمد بن غلبون المرسى قاضى تلمسان في بنته فأنجبت له مترجما محمدا

ولد المترجم بتلمسان سنة ٦٨١ هـ - ١٢٨٢ م وبها نشأ في كفالة جده القاضى فحبب اليه العلم ورغب فيه معرضا عن الجندية التى كان عليها والده ، فبرع في فنون الحكمة والتعاليم واشتغل بالمعقولات فكان فيها احد زمانه وعالم عصره واوانه وعكف الناس عليه في تعلمها وهو لا يزال في سن المراهقة

اخذ الاصلين والمنطق عن ابي موسى ابن الامام وعن جده القاضى وقرأ على ابي الحسن التنسى . ولما امتلك يوسف بن يعقوب تلمسان استخدمه فكره ذلك وسافر الى الحج آخر القرن السابع الهجرى فدخل مصر والعراق ولم يتج له القدر الا تنفاع بعلماء المشرق لمرض لازمه في سفرة فعاد الى بلده تلمسان ، وكان السلطان ابو حمو الاول قد استفحل ملكه وقد بلغه عن الآبلي تقدمه في علم الحساب فدفعه الى ضبط امواله ومشارفة عماله ، فتفادى منها الشيخ ، فأكرهه السلطان على العمل في قيادة بنى راشد من كور بلده فشمخ الآبلي بأنقمه وربأ بنفسه من ان يسخر علمه في خدمة الحكومة والمشى في ركابها ، فأعمل الحيلة في الفرار ولحق بفاس في حدود سنة عشر وسبعمئة للهجرة محتفيا عند شيخ التعاليم بها خلوف المغيلي اليهودى فاستكمل عليه فنونه الحكيمية ، ثم دخل مراکش فلزم العلامة الامام

ابا العباس احمد بن البناء ، فكرع يومئذ من علومه على اختلاف انواعها، واستدعاه شيخ الهساكرة على بن محمد بن ترميت للقراءة عليه فصعد اليه الشيخ واقام عنده مدة انتفع فيها ونفع وكثر حوله الطلبة واجمع الناس على محبته وتعظيمه وامثال امره واطاعته

ثم نزل الشيخ مدينة فاس وبها انتشر ذكره وذاع صيته وفضله وصار يعرف بعالم الدنيا وينعت بأعلم خلق الله في فنون المعقول ويذكره اهل التراجم بقولهم : المجمع على امامته الخ ... ويومئذ اثال عليه طلبته العلم من كل جهة وصوب فكثر الانتفاع به وعم نفعه البلاد

ولما فتح السلطان ابوالحسن المريني مدينة تلمسان ولقي بها العلامة موسى بن الامام ذكره له الآبى واثنى على علمه وفضله ووصفه بالتقدم على اقرانه في العلوم وذكره بأطيب الذكر فظم يومئذ ابوالحسن الى مجلسه ونظمه في سلك طبقة العلماء، وعكف الشيخ حينئذ على التدريس ومصاحبة السلطان وحضر معه وقعتى طريف والقيروان، وفي هذه المرة كان اتصال اهل تونس بالشيخ وتيسر لهم الانتفاع به

ثم طلبه السلطان ابوعنان من صاحب تونس فجاء الشيخ الى بجاية مكث بها نحو شهر أخذ عليه طلبتها كتاب مختصر ابن الحاجب في الاصول ثم التحق بابى عنان في تلمسان فنظمه في طبقة العلماء وجعله من اشياخه

وكثرة تلاميذته قال يحيى بن خلدون وهو احدهم : انى لا اعرف بالمغرب وافريقية فقيها كبيرا الا وله عليه مشيخة . ومن اشهر تلامذته السلطان ابوعنان - والمؤرخ الكبير ابن خلدون - واخوه يحيى - وابن الصباغ المكناسى - والشريف التلمسانى - والشريف الرهونى - وابن مرزوق الجدد - وابوعثمان العقبانى - وابن عرقه - والولى بن عباد في آخرين لا يعدون كثرة ، اما تأليفه فلم يرو لنا التاريخ عنها شيئا .. الا انه كان يقول : انما افسد العلم كثرة التأليف واذهبه بنيان المدارس

ومن كلامه المأثور قوله رحمه الله : لولا انقطاع الوحي لنزل فينا اكثر مما نزل في بني اسرائيل، لاننا اتينا اكثر مما أتوا.
وكانت وفاته رحمه الله بمدينة فاس في ذي القعدة سنة ٧٥٧ هـ (اكتوبر ١٣٥٦ م)

محمد بن خميس

(٧٥٨ هـ (١٣٥٩ م)

هو ابو عبد الله محمد بن عمر بن خميس التلمساني ، منتمية الى حجر ذي رعين ابي قبيلة من اليمن ولد رحمه الله سنة ٦٥٠ هـ - ١٢٥٢ م ولم يلبث ان نبغ واشتهر بين قومه بالعلم والادب والزهد وبعد الهمة ، فكان اوحده زمانه وعالم قطره واوانه ، عارفا بقنون الفلسفة والحكمة والنجامة والسيماة مؤرخا مطالعا على اخبار الفرق والطوائف على اختلاف مللها ونحلها ، كاتبا بليغا وشاعرا مقلقا وكان لغزارة علمه يوصف بين اهل العلم بشيخ الادباء

قال عنه ابن خلدون «كان لا يجارى في البلاغة والشعر» وقال ابن الخطيب في «عائد الصلوة» : كان رحمه الله نسيجا وحده زهدا وانقباضا وادبا وهمة ، حسن الشبيبة ، جميل الهيئة ، سليم الصدر ، قليل التصنع ، بعيدا عن الرياء والهوى ، عاملا على السياحة والعزلة ، عارفا بالمعارف القديمة ، مضطلعا بتفاريق النحل ، قائما على العربية والاصلين ، طبقة الوقت في الشعر ، وفحل الاوان في المطول ، اقدر الناس على اجتلاب الغريب . وقال ابن خاتمة : «كان رحمه الله من فحول الشعراء واعلام البلغاء ؛ يصرف العويس ويرتكب مستصعبات القوافي ويطير في القريض مطار ذوى القوادم الباسقة والخوافي . وقل في مدحه ابو بكر بن خطاب من ابيات

لك في البلاغة والفصاحة بعض ما
تحويه من اثر محل رسيس
نظم ونثر لا تجارى فهمهما
عزت ذاك وذا بعلم الطوسي

ويعنى الشاعر بالطوسي هنا الامام ابا حامد الغزالي ، وذلك لمكانة ابن خميس وتضلعه من الفلسفة والتصوف

حدث عنه ابن خاتمة في كتابه «مزية المزية على غيرها من البلاد الاندلسية» فقال انه علاوة على علمه وفضله : كان صنع اليدىن حاذقا ماهرا فيما يصنعه بيده ، فلقد صنع قدحا من الشمع ابدع في شكله ولطافة جوهره واتقان صنعه ، وكتب بدائر شفقه ما يلى حاكيا لسان حال القدح :

وما كنت الا زهرة في حديقة تبسم عنى ضاحكات الكعائم
تنقلت من طور لطور فها انا اقبل افواه الملوك الاعاظم

قال واهداه الى صديقه ابي عبد الله بن الحكيم وزير ملك غرناطة محمد الثالث وذلك ايام اقامة ابن خميس عنده فى آخر حياته

ولقد حل ابن خميس بغرناطة اواخر سنة ٧٠٣ هـ (١٣٠٤ م) بعد ما تجول وطاف اقطار المغرب وجلس فيها لاقراء العربية فارتفع بها صيته ، ونبه ذكره ، فضمه الوزير المذكور الى مجلسه وخصه بكرمه واحسانه ومن شعره قوله رحمه الله مقتخرا بعرويته واسلاميته

انا بنى قحطان لم نخلق لغير ر غياث ملهوف ومنعة لاجي
نقرى طلا الاعراب فى الهيجاوى اللاواء (تقرىهم على منهاج)
بسيوفنا البيض اليمانية التى طبعت لحز غلاصم ووداج
تايبى لنا الاحجام من اعدائنا يوم اللقاء طهارة الاشاج
انصار دين الهاشمى وحزبه وحماته فى الجحفل الرجراج
وحماته بنفوسهم ونفيسهم من غدر مغتال وسورة هاج
هم صفوة الخلق التى اختيرت له وسواهم همج من الاهماج
وكفى بحكمتنا اقامة حجة وبركنا من كعبة الحجاج

منا التبابعة الذين بسابهم كانت تسيخ جباة كل خراج
ولامرهم كانت تدين ممالك الا دنيا بلا جبر ولا اخراج
من يقتدح زندا فان زنادهم في الجود واريّة بلا اخراج
ابوابهم مفتوحة لضيوفهم ابدا بلا قفل ولا مزلاج

وكان السلطان ابو عنان المريني **كثير** العناية بحفظ شعرة ورواية اخباره ،
وحدث عنه يوما فقال :

اخبرني شيخنا الامام العالم العلامة وحيد زمانه ابو عبدالله محمد بن ابراهيم الآبلى
التلمساني فقال : لما توجه الشيخ الصالح الشريف ابواسحاق التتسي التلمساني الى
بلاد المشرق ، اجتمع هناك بقاضى القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد ، فكان من
قوله له : كيف حال الشيخ العالم ابى عبد الله بن خميس ؟ ... وجعل يحلّيه
بأحسن الاوصاف ويطنب في ذكر فضله ، فبقي الشيخ ابواسحاق متعجبا ! ...
وقال : من يكون هذا الذى حايتموه بهذا الحلى ولا اعرفه ببلده ؟ ... فقال له
ابن دقيق العيد هو القائل :

عجبا لها ايدوق طعم وصالها من ليس يأمل ان يمر ببالها

وتلا عليه القصيدة بطولها ، وهى تحتوى على ست واربعين بيتا ؛ قال فقلت
له ان هذا الرجل ليس عندنا بهذه الحالة التى وصفتم ، انما هو عندنا شاعر فقط ؛
فقال له : انكم لم تصفوه ، وانى لحقيق بما وصفناه به . قال ابو عنان واخبرنا
شيخنا الآبلى المذكور ان ابن دقيق العيد كان قد جعل القصيدة المذكورة بخزانة
كانت له تعلق موضع جلوسه المطالعة ، وكان يخرجها من تلك الخزانة ويكثر
تأملها والنظر فيها ، ولقد تعرفت انه لما وصلت هذه القصيدة اليه لم يقرأها حتى
قام اجلالا لها ! ...

قال ابن خاتمة : وقد جمع شعرة ودونه صاحبنا القاضي ابو عبد الله محمد بن ابراهيم الحضرمي في جزء سماه «الدر النفيس» في شعر ابن خميس» وعرف به صدر الجزء

وكانت وفاته رحمه الله اغتيا لا بغرناطة ضحوة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٨ هـ (١٤ مارس ١٣٠٩ م) طعنه الرئيس على بن نصر الشهير بالابكم فأصماه وذلك اثر الانقلاب الحكومى الذى اودى بصديق ابن خميس الوزير ابن الحكيم

ومن غريب الاتفاق وعجائب الصدف ما يقال ان الوزير المذكور كان قد اقترح على ابن خميس نظم قصيدة هائية ، فنظم مطامعها

لمن المنازل لا يجيب هواها محيت معالمها وصم صداها ...!

وكان ذلك آخر شهر رمضان ، وما كادت شمس يوم العيد تذكو وتحسر قناعها الا وهما مقتولين رحمهما الله ؛ فكان هذا البيت آخر ما صدر عنه من الشعر ، وقد اشار معناه الى منعاه

جدول تاريخي

٦٣٣-٧٣٧ هـ

١٢٣٦-١٣٣٧ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٢٣٦هـ/١٨٣٣م	تأسيس دولة بني عبد الواد ائزيانية
١٢٤٢هـ/١٨٤٠م	اغارة الحفصيين على تلمسان ومصالحتهم لبني زيان
١٢٤٧هـ/١٨٤٥م	انهزام الموحدون في زحفهم الى تلمسان
١٢٥٧هـ/١٨٥٥م	انهزام يغمراسن بن زيان في وقعة ابي سليط
١٢٥٨هـ/١٨٥٦م	خربة يغمراسن في نهضته الى المغرب الاقصى
١٢٦٤هـ/١٨٦٢م	حادثة غدر فرقة الجيش الافرنجي بالسلطان ومبايعة اهل سجلماسة
١٢٦٧هـ/١٨٦٦م	انهزام بني عبد الواد في وقعة وادي تلاغ
١٢٧٠هـ/١٨٦٨م	فتح مدينة مليانة عاصمة مغراوة
١٢٧١هـ/١٨٦٩م	هزيمة وادي اسلي
١٢٨٣هـ/١٨٨١م	وفاة السلطان يغمراسن وولاية ابنه ابي سعيد عثمان
١٢٨٧هـ/١٨٨٦م	غزو بجاية وفتح مازونة وتقرجنت
١٢٨٨هـ/١٨٨٧م	الاستيلاء على جبال وانشرس
١٢٨٩هـ/١٨٨٨م	فتح مدينة تنس والمدينة
١٢٩٠هـ/١٨٨٩م	ابتداء حصار المرسين لتلمسان
١٢٩٤هـ/١٨٩٣م	حصار الزيانين لمدينة برشك وفتحها
١٢٩٩هـ/١٨٩٨م	محاصرة بني مرين لتلمسان واشادة «المنصورة»
١٣٠٤هـ/١٩٠٣م	وفاة السلطان ابي سعيد عثمان وولاية ولده ابي زيان محمد الاول

اغتيال السلطان ابي يعقوب المريني، وارتفاع الحصار عن مدينة تلمسان؛ ومناهضة القبائل المنشقة؛ و وفاة السلطان ابي زيان	١٣٠٧هـ ٨٠٦م
محمد الاول وولاية اخيه ابي حمو الاول طمس معالم مدينة «المنصورة»	١٣٠٨هـ ٧٠٧م
فتح اعمال الزاب وتخطيط مدينة اصفون - ازفون - بالساحل الشرقي من مدينة دلس	١٣١٠هـ ٧١٠م
امتلاك تدلس - دلس - ومدينة الجزائر وسهل شلف رد هجمات بني مرين عن الجزائر وبناء قصر حمو موسى - عمي	١٣١٢هـ ٧١٢م
موسى - بالجنوب الشرقي من عين كerman؛ وانشاء مدينة آقبو امتلاك مدينتي المدينة ومليانة	١٣١٤هـ ٧١٤م
مصرع السلطان ابي حمو الاول وولاية والده ابي تاشفين الاول القضاء على قبيلة مغراوة	١٣١٧هـ ٧١٧م
طلائع بني زيان بأعمال قسنطينة الاستيلاء على شرق القطر الجزائري وتونس	١٣١٨هـ ٧١٨م
انتهاء الدور الزياني الاول باستيلاء السلطان ابي الحسن المريني على تلمسان	١٣١٩هـ ٧١٩م
	١٣٢٠هـ ٧٢٠م
	١٣٢٨هـ ٧٢٩م
	١٣٣٧هـ ٧٣٧م

سيادة بني مرين

٧٣٧ - ٧٦٠ هـ

١٣٣٧ - ١٣٥٩ م

اعاد المرينيون في هذه المرة كرتهم على شرقي المغرب الاسلامي كله، واستولوا عليه برهة من الزمن ولم تطل ايامهم بالمغرب الاوسط اكثر من ثلاث وعشرين سنة؛ ولقد حقق المؤرخون ان استيلاءهم في هذه المرة كان في صالح الوطن الجزائري ماديا وادبيا وانهم لم يعملوا يومئذ على تقويض كيان الشخصية الجزائرية كما فعلوا اول مرة بل حافظوا على جميع مظاهرها ونظمها ومقوماتها وسائر مراسيم الدولة الناشئة بها مع مسيطرة رؤساء القبائل والمشيخة غير ان ذلك كله لم يكن ليرضى دولة بني عبد الواد الجزائرية الحرة الاليتية، فسكنت مرغمة وكلما سنحت لها فرصة المقاومة نشطت لها.

نهضة بني عبد الواد

ولما استقر شأن المغربين الاوسط والاقصى لبني مرين حاولوا فتح القطر التونسي ليم لهم الاستيلاء على المغرب العربي بتمامه؛ فنهض لذلك سلطانهم ابو الحسن المريني في صفر سنة ٧٤٨ هـ (ماي ١٣٤٧ م) واتخذ معه جنودا من بني عبد الواد ومغراوة وتوجين، فاحتل بهم قسنطينة واعمالها، وبينما هو سائر في طريقه الى تونس اذا انعزلت عنه جيوش المغرب الاوسط وتركتهم في قومه ذاهبا الى الحرب فانهزم في وقعة القيروان المشهورة في المحرم ٧٤٩ هـ (افريل ١٣٤٨ م) فاستثمر بنو عبد الواد يومئذ انهزام اعدائهم بني مرين وبادروا بمبايعة ابي سعيد عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن، واهدروا كل ما كان بينهم وبين مغراوة وتوجين من دقائن الضغائن والاحقاد وارتحلوا باجمعهم نحو اوطانهم بالمغرب الاوسط، وكانوا يومئذ في نحو الخمسمائة فارس،

ولقد انضم اليهم في ممرهم على بجاية نحو هذا العدد نفسه من الناقمين على سياسة مرين؛ ورغم كل ما بذله يومئذ المرينيون في رد هؤلاء المنشقين الى الطاعة فانهم لم ينجحوا في ذلك، واستمرت الحملة الجزائرية سائرة في طريقها موقفة منتصرة الى ان بلغت سهول شلف فذهب المغراويون الى اوطانهم، وانسلت عنهم توجين كذلك منحازة الى مراكزها، وانفرد بنوعبد الواد بحمل راية المقاومة فشنوا غارتهم الشعواء على تلمسان المحتلة ففتحوها عشية يوم الاربعاء ٢٢ جمادى الثانية - ١٨ سبتمبر - من نفس هذه السنة، وقضوا على عاملها المريني ابن الجرار، وتوزع عندئذ الاخوان: ابوسعيد وابوثابت السلطة بينهما واطقسما ادارة الحكومة العليا، فاستقل ابوسعيد بالادارة المدنية، وجعل لاخته النفوذ المطلق في ادارته العسكرية وسرعان ما نهض ابوثابت مضطلعا بمحاربة الثوار ومقاومة المنشقين عن الدولة من فصائل مغراوة وغيرها، فاستعاد بذلك الى حكومته كلا من مدينة وهران وندرومة ومازونة ومواطن مغراوة وعاصمتهم مليانة، والمدينة وتنس وبرشك وشرشال والجزائر وتدلّس - دلس -؛ وكانت هنالك حروب طاحنة بنواحي وادي شلف ووادي ريهيو والعطاف وفحص حمزة، وظالما حاولت حكومة مرين اعتراض بنى عبد الواد ملحة في دفع صولتهم عن مغراوة فلم تنجح

وما كاد يطمئن بنوعبد الواد الى هذا النصر الباهر حتى فاجأهم السلطان ابوعنان فارس المريني آخر شهر ربيع الثاني ٧٥٣ هـ (١٤ جوان ١٣٥٢ م) بحملة عنيفة كان النصر فيها لبنى مرين بوقعة وادي القصب المشهورة وظفر القوم يومئذ بالامير ابى سعيد الزياني فاعتقلوه ثم بعد اسبوع قتلوه، وحشد انتقل الميدان الحربي الى سهول متيجة واحواز الجزائر، ثم عادت الحرب الى سهل شلف، وهنالك انكسرت جيوش الامير ابى ثابت الزياني فخرج متنكرا الى مدينة الجزائر ثم حل ببجاية، وكان بصحبته يومئذ جماعة منهم ابوزيان ولد اخته ابى سعيد، وموسى بن يوسف ووزيرهم يحيى بن داود، فاعترضهم قوم من زواوة فانزلوهم

عن خيلهم وانهبوا اسلابهم وتركوهم حفاة عراة يسعون على الاقدام ، ويومئذ ظفر بهم اشياع بنى مرين ، فاعتقلوهم وجاؤا بالامير ابى ثابت ووزيره يحيى فأسلوهم الى سلطان بنى مرين وكان وقتئذ حالا بالمدية فنقلهما الى تلمسان حيث قتلا معا هنالك ، وبقي ابوزيان فى السجن

انبعاث الدولة الزيانية

رغم كل ما تقدم ذكره من الحروب والوقائع والانهمزامات التى توالى على هذه الدولة الجزائرية فانه لم يقم خور ولا فشل فى صفوف ابنائها البررة الذين قد وطدوا عزمهم على استرجاع سيادتهم بهذه البلاد وفكها من ايدى مرين ؛ وكان استرجاع هذا المجد على يد احد افراد الاسرة الزيانية ، وهو البطل المغوار ابوحمو موسى بن يوسف «الثانى»

كان ابوحمو هذا ملتجئا فى تونس منذ ايام حرب ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) مستجيرا بالوزير الحاجب محمد بن تافراكين ؛ ولقد بعث ابو عنان المرينى الى هذا الوزير فى طلب ابى حمو فيمن معه من بطانته فأبى الوزير تسليمهم اليه وجاهر باجارتهم ، ولما وقعت تونس بيد الدولة المرينية فى اواخر شعبان سنة ٧٥٨هـ (اوط ١٣٥٧م) خرج منها ابوحمو فى زمرة سلطانها ابى اسحاق ابراهيم الثانى الملقب بالمستنصر الى ناحية الجريد ، ثم حل بكورة تبسة ، ومنها تحرك فى طائفة من الدواودة وبنى عامر الى انقاذ قسنطينة من الاحتلال المرينى ؛ فامتنعت عنه ، فاحتل مدينة ميلة فى شوال - سبتمبر - ثم قرية «بنى ورا» من كور بجاية ، ومن هنالك دعى ابوحمو من طرف قومه لانهاد تلمسان والجلوس على عرش آباءه الزيانيين ، فتجهز لذلك مستعينا بالحفصيين مؤيدا بكل ما تدعو اليه الحرب من عتاد واسلحة وجند ، فسار اذ ذاك ابوحمو بين جبلى عياض واوراس مصحرا فنزل الزاب ثم ريغ ووارجلان ، ثم غرب الى جبل مصاب ثم الى وادى زرقون فنزل وادى يسر ثم سلك قنطرة وهران

وهو في ذلك كله يشن غاراته على بني مرين وانصارهم، وكانت له يومئذ وقائع مشهورة انتصر فيها على خصومه فبايعه العرب واذعنوا له ، واستولى حينئذ على نواحي تلمسان واطرافها، وبعد ما نزل العاصمة الزبانية مدة ثلاثة ايام اقتحمها في جموعه صبيحة اليوم الرابع : الخميس ٨ ربيع الاول سنة ٧٦٠ هـ (٧ فيفري ١٣٥٩ م) وكان دخوله الى المدينة من باب كشوط ، فتلقاه الولاة والرؤساء بالبيعة والتسليم عليه بالامارة؛ وفي وصف هذه الحرب يقول السلطان ابو حمو في قصيدته التي طالعها :

جرت ادمعى بين الرسوم الطواسم لما شحطتها من هبوب الرواكم
وقفت بها مستفهما بخطابها واى خطاب للصلاص الصلادم
ومنها :

✓ قطعت الفيافي بالقلاص وانما
وقد خلتها بين الرياح زواجا
مكحلة الاحقاد فيها هشاشة
ومعها اسود الحرب تطوى بها القلى
وخضت الفيافي قدفدا بعد قدفد
وكم ليلة بتنا على الجذب والطوى
على متن صهال اغر محجل
تسرلت كردوسين من آل عامر
رجال اذا جاش الوطيس تراهم
وجبت الفيافي بلدة بعد بلدة
وجئت لارض الزاب تذرف ادمعى
وشبكت عشرين فوق راسى فلم اجد
وجاوزتها ما بين هوج هجائن
وجزت بأرض ريغ راغت بأهلها

تجانب الفلى بالخف او بالمناسم
تسابق في البيدا ظليم النعائم
مهملجة الاطراف سود المباسم
يرون المنيا بعض تلك الغنائم
لنيل العلى والصبر اذ ذاك لازمى
نراقب نجم الصبح في ليل عاتم
مديد الخطى لم يخش صعب الصلادم
ومن آل ادريس الشريف بن قاسم
اسود الوغى من كل ليث ضبارم
وطوعت فيها كل باغ وباغم
لتذكرا اطلال الربوع الطواسم
بها خبرا غير الربى والمعالم
رقاق الهوادي عاليات القوائم
بيلقعة قفر قفتها عزائمي

والقصيدة طويلة تحتوى على اثنين وتسعين بيتا (١) !

ثم انه ليس عندنا ما نسجله من حوادث هذه السنة مما يستحق الذكر سوى ذلك الزلزال الهائل الذى حطم مدينة الجزائر فى اليوم الثالث من شهر ربيع الثانى ٧٦٠ هـ (٤ مارس ١٣٥٩ م)



ولاية السلطان ابي حمو موسى «الثانى»

هو ابو حمو موسى «الثانى» بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان، ولد بالاندلس سنة ٧٢٣ هـ (١٣٢٣ م) وكانت نشأته بتلمسان آخذا بحفظ وافر من علم وادب وسياسة وحزم وسداد وفروسية، وكان شاعرا مقلقا له القصائد الغراء الطويلة، فما كانت تمر ليلة من ليالى المولد النبوى الشريف الا ونظم فيها قصيدا جيدا فى الموضوع ؛ وهو مؤلف كتاب «واسطة السلوك فى سياسة الملوك» لخص فيه كتاب «سلوان المطالع» لابن ظفر وألحقه بفوائد كثيرة من عنده واورد فيه من نظمه وما جرى له من الحوادث مع معاصريه من ملوك بنى مرين وغيرهم من مشايخ العرب وزعماء المغرب الخ... صنفه برسم ولده وولى عهده ابي تاشفين عبد الرحمن. والكتاب مطبوع بتونس سنة ١٢٧٩ هـ

وكان رحمه الله شهما غيورا وبطلا باسلا ذا كرم ومروءة، لين العريكة كريم الاخلاق؛ يتبرع فى كل سنة على اهل الاندلس بالمال والخيول والزرع الكثير، ويرى ذلك كله من الجهاد فى سبيل الله تحريرا لارض الاندلس من ازمة الاسبان وكانت له مواقف شريفة فى انقاذ اهل الاندلس من الهلاك؛ قال يحيى بن خلدون: «وفي هذه السنة - يعنى سنة ٧٦٣ هـ (١٣٦١) - وصل الى الباب العلى الفقيه الكاتب ابراهيم بن الحاج رسولا من الاندلس يطلب من امير المسلمين ايدى الله ارفاد المسلمين بالاندلس واعانتهم على مجاورة عدو الله ورسوله حسبما جرت

عادته بذلك، فوجه اليهم خمسين الف قدح من الزرع، وثلاثة آلاف من الذهب للكرام عليه في البحر، وكان ممن وصل معه الفقيه ابو محمد عبد العزيز بن علي بن يشث فرفع لهولانا امير المسلمين ايده الله قصيدتين غراوين (١) والسلطان ابو حمو «الثاني» هذا هو الذي امر باطلاق لقب «الدولة الزيانية» بعد انبعاثها بدل النسبة العبد الوادية، التي كانت اشتهرت بها قبل ذلك، واطهر ابهة الملك وصوله السلطان، فاستعادت الدولة يومئذ شبابها ومجدها المفقود

فتح مدينة وهران

كان من اوليات اعمال الفتح التي قام بها ابو حمو الثاني، ان بعث بوزيره الحاج موسى بن علي بن برغوث الى فتح مدينة وهران واقتكاها من بني مرين، فغزاها الوزير المذكور يوم ٢٨ ربيع الاول ٥٧٦٠ هـ (٢٧ فيفري ١٣٥٩) فانهمزم ووقع اسيرا في قبضة قائد حامية مرين عامر بن ابراهيم بن ماسا، فبعث به بحرا الى المغرب الاقصى؛ وفي يوم الاثنين ١٣ شوال ٥٧٦٣ هـ (٧ سبتمبر ١٣٦١ م) اغار ابو حمو بنفسه على وهران فهدم اسوارها واستولى عليها

مقاطعات ومشاغبات بني مرين

ولما استوثق الامر للسلطان ابي حمو الثاني انضم اليه الزرد الى المريني عامل درعة وجاءه بقومه وثروته واحلافه العرب طائعا، فسخطت لذلك دولة مرين واخذت في شن غاراتها المتكررة على مملكة بني زيان الجزائرية واثارت العرب والبربر على سياسة ابي حمو وبالغت في مقاومته فأوعزت الى من نازعه الملك من اسرته فانتصر عليه ابو حمو اولاً ثم قهرته مرين وهزمته منتصف سنة ٥٧٦١ هـ (١٣٦٠ م) واحتلت تلمسان يوم ثالث رجب - ٢٠ ماي - وخرج منها يومئذ ابو حمو منتقما لدولته وشرفه فحرب مواطن كثيرة وحطم امصارا من بلاد المغرب الاقصى، فأحفظ

ذلك السلطان ابا سالم المريني فأسرع بتولية ابن زيان محمد الفتى بن ابي سعيد عثمان بن ابي تاشفين الاول على تلمسان بعد ما امده بالاموال والعساكر واقامه هنالك حاجزا لابي حمو عن دخول تلمسان واغذ ابوسالم السير الى المغرب فأجقل امامه ابو حمو متقلتا الى تلمسان فاحتلها وبومئذ جاءته بيعة اهل الآفاق ، كأهل ندرومة ووجدة وهنين ومستغانم وتمزگران الخ وبعث من هنالك في فتح وهران وتنس والمدينة ومليانة ومتيجة ؛ وحوصرت الجزائر مرتين ، وفي الثالثة تنازل عنها بنومرين فاحتلها ابو حمو في اليوم الثامن من ذى القعدة ٧٦٢هـ (٧ سبتمبر ١٣٦١م) ثم تصالح الفريقان ، وفي السنة بعدها استولى ابو حمو على بلاد زواوة وقبض على ولايتها ورؤسائها الحفصيين ، ثم قاطعته مرين في وقعة وادى سيق في ذى الحجة ٧٦٥هـ (اوط ١٣٦٤م) فهزمها

التنافس على العرش

كان ابو زيان الفتى بن السلطان ابي سعيد عثمان الزياني في قبضة بنى مرين منذ انتصارهم على بنى عبد الواد في وقعة وادى القصب سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢م) المتقدمة الذكر ، وفي هذه اللحظة ظهرت حاجتهم اليه ، فزينوا له منافسة ابي حمو ومزاحمته في الاستيلاء على العرش الزياني وامدوه بالجنديّة واسباب الحرب ، فاندفع ابو زيان من المغرب الاقصى سنة ٧٦٥هـ (١٣٦٤م) مغيرا على احواز ملوية ، ثم حل بنواحي تلمسان وانحاء البطحاء وتعددت المعارك والوقائع هنالك بين الطرفين كان الظفر فيها لابي حمو وخاب ابو زيان وخابت معه آمال بنى مرين ثم عقب ابو حمو على خبيته خصومه هؤلاء بالاغارة على المغرب الاقصى فأئخذ في اعدائه هنالك قتلا واسرا وعظمت نكايته في التخوم ونقلت وطأته على اهلها فصالحوه وانعقدت الهدنة بين الجانبين ؛ ثم كانت بعد ذلك حوادث وفتن اثارها ابو زيان على ابي حمو بدون طائل

وفي ربيع الثاني سنة ٧٦٦هـ (جانفي ١٣٦٥م) كان حادث الزلزال الهائل بمدينة الجزائر فسقط من وقعه كثير من دور المدينة وقصورها ووقع من جرائه خراب عظيم ورض وتحطيم مات به عدد عظيم

وقعة بجاية وتبعاتها

بينما السلطان ابوحمو الثاني في يوم من ايام مسرته لالا باستعراض الجيش الزياني اذ وافاه الخبر بموت صهره الامير ابي عبد الله محمد بن يحيى الحفصي المقتول بيد ابن عمه ابي العباس احمد المتغلب على بجاية في تاسع عشر شعبان ٧٦٧هـ (فاتح ماي ١٣٦٦م)؛ فتظاهر ابوحمو بامتعاضه من ذلك - مسرا حسوا في ارتغاء - وجمع حوله طوائف من زغبة العامرين والعطاف الخ... فزحف بهم في ذي الحجة - اوط - الى بجاية فنازلها اياما مشددا عليها الحصار، وهنالك اتصلت به وفود بسكرة والزاب فبايعوه، ويومئذ استنهض ابو العباس الحفصي ابازيان بن عثمان لمقاومة ابي حمو الثاني، وجعل معه قائد العسكر الحفصي بشيرا، وسرعان ما احتدمت الحرب واشتبكت المعارك وانتشر الارجاج في معسكر ابي حمو بموت السلطان فأجفلت جنوده وذعر لذلك ابوحمو الثاني ونجا بنفسه ملتجئا الى مدينة الجزائر ومنها لحق بتلمسان، وخسر من الاثقال واحمال والعيال والكرام والسلاح ما لا يحيط به الوصف، وفي اثناء ذلك كان استيلاء ابي زيان على المدينة ومليانة والجزائر، ومنحه يومئذ سالم بن ابراهيم رئيس الثعالبه سهول متيجة؛ وذلك لوحشة كانت بينه وبين ابي حمو الثاني، وتآلب يومئذ كل من اهالى هذه البلاد ضد ابي حمو واشترك في هذه الحرب يومئذ اغلب القبائل والبطون الجزائرية، وكانوا في ذلك فريقان: فريق مع ابي زيان وفريق مع ابي حمو، وكانت الحرب بينهما سجالا

اعتداء قراصنة الافرنج

كانت القرصنة العالمية يومئذ منتشرة بكامل طول هذا البحر وعرضه كما هي كذلك في غيره من البحار كما هو معروف، وكان من اشهر الامم يومئذ في ذلك واسبقهم الى هذا الميدان هم الاسبان والبرتقال والاكليز والفرنسيون؛ فاتفق ان هنالك مركبا اندلسيا كان يحمل هدايا وتحفا نفسية بعث بها احد ملوك بني الاحمر النصرين الى ابي حمو الثاني؛ كما هي العادة جارية بين ملوك الجزائر والاندلس. وبينما المركب سائرا في طريقه الى مرسى هنين اذ انقض عليه قراصنة الافرنج في الثامن من شهر ربيع الثاني ٧٦٨ هـ (١٦ سبتمبر ١٣٦٦ م) فأسروه ولم يسمحوا بمضيه الى هدفه حتى افتداه منهم السلطان ابوحمو بأمواله الخاصة نقدا

حصار مدينة الجزائر

نهض السلطان ابوحمو في احلافه من العرب والبربر لمباغطة الثعالبه حلفاء مرين بالجزائر فدحرهم واخذ بمخنق مدينة الجزائر فامتعت عليه، فعاد ومعه الثعالبه آخذا بهم طريق برشك وشرشال حتى بلغ بهم وادي شلف وهناك ألزمهم باستخلاص ما تخلفوا عنه في السنين الماضية من المغرم، ثم اتصل بحاضرة تلمسان وامر الجيش بالعودة الى غزو الجزائر وحصارها من جديد برا وبحرا

الزحف المريني على تلمسان

كنا المعنا فيما تقدم قريبا الى التجاء الزرد الى مع عرب المعقل من سكان المغرب الاقصى الى حاضرة تلمسان، محتمين بسلطانها ابي حمو، فأعطاهم عهده ودمته وذلك لما وجد فيهم من العون والاستظهار بهم على اعدائه وخصومه المرينيين، فكان ذلك مما اسخط حكومة فاس؛ وكان مما زاد في اثارة غضبها على هذه الدولة هو ما قام به ابو حمو الثاني من اجلاء القبائل المخالفة عليه كسويد وبنى يعقوب من تلمسان الى المغرب الاقصى؛ فنهض حيثئذ السلطان ابو فارس عبد العزيز المريني مطالبا حكومة تلمسان بارجاع عرب المعقل وردهم اليه، فامتنع ابو حمو الثاني ورفض طلبه، فتجرك ابو فارس من فاس مستنهضا معه جميع اهل المغرب الاقصى من سوس الى صحراء درعة والى سبتة، وجاء في جحفل جرار فاحتل تلمسان يوم الاحد ٢٥ المحرم ٧٧٢م (اوط ١٣٧٠م) وخرج منها ابو حمو في قومه مستجيشا احلافه يتقرى المدن والقرى الجزائرية؛ وعمت الفتنة يومئذ جميع بلاد المغرب الاوسط - الجزائر - واستمرت الحرب متأججة اكثر من عامين وذل ابو حمو متنقلا متشردا في البلاد الى وفاة ابي فارس المريني يوم ٢٢ ربيع الثاني ٧٧٤هـ (اكتوبر ١٣٧٢م) فاهتبل اهل تلمسان هذه الفرصة السانحة وانتقضوا على بنى مرين وحققوا الى الانقضاء على السلطة المرينية المحتملة، وكان قائدهم في ذلك عطية بن موسى الركاب مولى ابي حمو، فبادر السلطان يومئذ الى العودة الى عاصمته تلمسان فدخلها يوم ٢٤ جمادى الاولى - نوفمبر - من هذه السنة وشرع في القضاء على رؤوس الفتنة والمشايخين عليه من عصاة القبائل فقتل وطرده منهم؛ ويومئذ اشرك معه ولده ابا تاشفين في الحكم وجعل اليه النظر في كلتا ناحيتي الدولة السياسية والحربية وعقد له بولاية العهد بعده، وذلك في منسلخ شهر شعبان ٧٧٦هـ (فيفري ١٣٧٥م)

مبايعة تدلس ، والمجاعة العامة

استمرت مدينة تدلس - داس - طيلة هذه المدة المتقدمة خاضعة لحكم الخنصين الى ان استتب الامر الى ابي حمو الثاني وقويت شوكته فغزاها وفتحها عنوة يوم ٢٦ شعبان ٧٧٦ هـ (٣١ جانفي ١٣٧٥ م) فبايعه اهلها بالبيعة العامة في تاسع رمضان - ١١ فيفري - فعفا عنهم يومئذ واصفح

ويذكر المؤرخون ان هناك ريحا عاصفا هجوما عجت في هذه السنة على المغرب الاوسط فأهلكت الحرث والنسل واقتلعت كل شيء فانتشرت المجاعة بالجزائر حتى أكل الناس بعضهم بعضا ... ويومئذ تصدق السلطان بنصف جباية خزينة الدولة على الرعية وفتح ابواب خزائنه الخاصة للمحاييج ؛ وامر بجمع الفقراء والمساكين ومن لا مأوى لهم من الناس بالمارستانات والمجالات العمومية وقدر لهم فيها ارزاقهم حتى انفرج عنهم الكرب وارتفعت المسغبة

عصيان ابي تاشفين واستشهاد ابي حمو « الثاني »

لم تفتر مرين عن العمل باجتهد في تفريق كلمة آل زيان وتشيت مملكتهم الجزائرية وذلك ببث بذور الشقاق والنزاع بين رؤساء الدولة وزعمائها وبالغت في التدخل في شؤون المملكة حتى كادت ان تحول بين المرء وقلبه وسعت في فصل ولي عهد المملكة ابي تاشفين عن والده السلطان ابي حمو الثاني وفعلا انتقض على ابيه آخر سنة ٧٨٨ هـ (١٣٨٦ م) وحاربه فاضطر ابو حمو يومئذ الى مغادرة عاصمته تلمسان والانتقال بعرضه الى مدينة الجزائر فاعترضه ولده وولى عدة ابوتاشفين والقي به في سجن وهران ؛ وخرج في طلب اخوته فامتنع عنه بعضهم متحصنين بجبل تيطري وبقي آخرون بتلمسان ؛ فبعث من مقره هناك الى من كفاه قتلهم ؛ واستمر على سيره مجدا في البحث عن اخوته ومحاربة من عاداه

وبينما ابوتاشفين منهمكا في استقصاء اثر خصومه من اخوته وغيرهم اذا
 بوالده السلطان ابى حمو ينجو من معتقله بحيلة ويتخلص من سجنه فيتدلى منه
 بعمامته ، فاجتمعت الامة عليه يومئذ واحاط به انصاره فبؤاؤه عرشه المغصوب ،
 وهناك ادركه حفيده ابوزيان بن ابى تاشفين ثم احفل امامه ملتحقا بأبيه ، وما
 كاد ابوحمو يتصل بعاصمة ملكه حتى كانت خرابا يبابا

واسرع ابوتاشفين من مقامه بتيطرى واغذ سيرة الى تلمسان فاقتحمها
 والتجأ والده الى مأذنة المسجد معتصما بها ، فاستنزله ولده المذكور متجافيا
 عن قتله ، فأظهر السلطان ابوحمو يومئذ رغبته فى الحج فأسعفه ولده ابوتاشفين
 تفاديا منه واركب السفين مع بعض تجار النصارى المسافرين الى الاسكندرية
 واوصاهم به ، فلما حاذى المركب مرسى بجاية لطف ابوحمو اولئك النصارى فى
 نزولهم بفرضه المدينة فاستأذنوا له امير بجاية فى ذلك فأذن له فنزل بها ومنها
 سار الى الجزائر آخذا فى تعبئة الجيوش والاستعداد لمنازلة تلمسان ؛ ويومئذ خرج
 ابوتاشفين من تلمسان ملتحقا بفاس مستجيشا دولة بنى مرين فانطلقت معه
 الجنود وكان اللقاء بينه وبين والده ابى حمو فى ناحية «الغيران» بجبل بنى وريند
 - وراء جبل بنى راشد - وهناك ذهب ابوحمو ضحية كبوة فرسه فسقط
 صريعا غرة شهر ذى الحجة ٧٩١ هـ (٢١ نوفمبر ١٣٨٩ م) وعمره يومئذ ٦٨ سنة
 وكانت ايام ملكه منها ٣١ سنة

ولاية السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن «الثاني»

هو السلطان ابوتاشفين عبد الرحمن «الثاني» بن ابي حمو موسى «الثاني» ولد ببندرومة سنة ٧٥٢هـ (١٣٥١م) تولى ولاية عهد المملكة آخر شعبان ٧٧٦هـ (فيفري ١٣٧٢م) واهضى غالب ايامه الاولى في خدمة دولتي بني مرين الى ان قضى على والده غرة ذي الحجة ٧٩١هـ (٢١ نوفمبر ١٣٨٩م) فتولى مكانه، وضرب السكة باسمه تحت رعاية بني مرين وحمائهم؛ وكان يدعو اليهم ويخطب باسمهم ويدفع لهم الاتاوة

محاربة الاخوين ابي زيان و ابي تاشفين

كان ابوزيان واليا من قبل والده ابي حمو الثاني على مدينة الجزائر فلما سقطت والده في وقعة «الغيران» نهض منتقما من اخيه مستصرخا بأحياء العرب فاجابهم منهم طوائف تقدم بها الى حصار تلمسان في رجب ٧٩٢هـ (جوان ١٣٩٠م) وما كادت تبلغ جموع ابي زيان من العرب الى تلمسان حتى غمرها ابوتاشفين بأمواله فتفرقت يومئذ عن ابي زيان وتركته في قلة قليلة فخرج اليه حيثئذ ابوتاشفين فهزمه في شعبان - جويلط - من سنته، فالتجأ ابوزيان عندئذ الى الصحراء مستألفا احياء المعقل من العرب؛ ثم عاد الى حصار تلمسان في شوال - سبتمبر - فردته عنها جنود مرين فاجفل الى الصحراء للمرة الثانية ثم اجمع رايهم على استصراخ مرين ايضا فوفد على ملك فاس قتلقاته بكل تقدير ووعد بالموازرة والانتصار له من اخيه، فأقام ابوزيان هنالك ينتظر الوفاء من حكومة بني مرين الى مهلك اخيه ابي تاشفين

تنكر مرين لابي تاشفين

استمر ابوزيان مقيما بفاس منتظرا من حكومتها تنفيذ وعودها في نصره على اخيه ابي تاشفين ، وطال صبره بقدر ما طالت هنالك اقامته. ولم يلبث ان حدث ما غير نظرة حكومة فاس في ابي تاشفين فانقلبت عليه واطهرت سخطها بتجهيز حملة عنيفة وجهتها الى تلمسان وجعلت قيادتها لابي زيان ، وما كادت تبلغ هذه الى تازا حتى توفي السلطان ابوتاشفين اثر مرضه في اليوم السابع عشر من شهر ربيع الثاني ٧٩٥هـ (آخر فيفري ١٣٩٣م) فبادر يومئذ وزيره احمد بن العزالي بمبايعة صبي من ابناء السلطان الهالك وقدم نفسه كوصي على العرش واخذ في تدبير شؤون الدولة والتصرف في مهام السلطنة الزيانية مباشرة ، فغضب لذلك والى الجزائر يوسف بن ابي حمو المشهور بابن الزاينة فنهض الى تلمسان فاقتحمها وقتل الوزير المذكور والصبي المكفول وكان لهذا الحادث اضطراب وقلق عظيم في الرعية

تقوض عرش بني زيان

ويومئذ خرج المستنصر سلطان بني مرين الى ابي زيان فردده عن تازا واخذ معه معتقلا الى فاس ، ومن هناك بعث بولده ابي فارس في جنوده الى تلمسان فامتلكتها واقام بها دعوة ابيه ، ثم اندفع الجند المريني متوجها نحو الشرق من بلاد المغرب الاوسط فاستولى على عواصمه مثل مليانة والجزائر وتدلّس الى حدود بجاية ، فاتى بذلك على دولة بني زيان من المغرب الاوسط

وفي هذه الاثناء نهض ابونبات بن ابي تاشفين الثاني محاولا الاستيلاء على عرش اسلافه الزيانيين فلم يلبث في ملكه اكثر من اربعين يوما اذ فاجأه عمه ابوالحجاج يوسف بن ابي حمو الثاني فخلعه عن ولايته وقتله في جمادى الاولى ٧٩٦هـ (مارس ١٣٩٤م) وتزعم المملكة عشرة اشهر ثم زحزحه المرينيون بتولية اخيه ابي زيان بن ابي حمو «الثاني»

ولاية السلطان ابي زيان محمد «الثاني»

هو السلطان ابوزيان محمد «الثاني» بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» كان معتقلا بمدينة فاس الى ان توفي السلطان ابو العباس احمد المريني سنة ٧٩٦ هـ (١٣٩٣ م) وتولى مكانه ولده ابوفارس وانتقل من تلمسان التي كان واليا عليها الى فاس فأطلق يومئذ وثاق ابي زيان ومكنه من امارة تلمسان ليقيم فيها بدعوة مرين ، فسار اليها ابوزيان وجلس على عرشها منفردا بحكمها غرة ربيع الثاني ٧٩٦ هـ (٣ فيفري ١٣٩٤ م) وقاتل ابا الحجاج فخرج منهزما الى قبيلة بني عامر (١) وبقي هنالك يعمل على تأليب الرعية وايقاد نار الثورة ضد ابي زيان الى ان اغتاله العرب في ربيع الاول سنة ٧٩٧ هـ (ديسمبر ١٣٩٤ م) وحملوا راسه الى السلطان

(١) ويقال لهم العوام ايضا نسبة الى جد هم عامر بن ابراهيم بن يعقوب المنحدر نسبه من عامر بن زغبة الهلالي ؛ وهم اخوة بني سعد بن بكر بن هوازف الذين استرضع فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ كانت مواطنهم الاولى عند الطائف بجبل زغوان ؛ ويقول الالوسي في تاريخ نجد : «ان في قرى الوادي بنجد بقعة تسمى الهلالية» فلعلها مما بقي من آثارهم هناك ؟... وبعد ان تنقلوا في ازمة مختلفة باطراف العراق والشام والبحرين وارض الصعيد المصري وتغلبوا على ملوك صنهاجة بالمغرب في اواخر القرن الخامس الهجري كما قدمنا في الجزء الاول من تاريخنا هذا صفحة (٢٩٦-٩٧) انتقل بنوعامر من طرابلس وقابس وشرقي افريقية - تونس - الى جنوب المغرب الاوسط - الجزائر - فسكنوا ما بين ارض مصاب (امزاب) وجبل راشد وهو جبل العمور وتجاوزوا مع بني بادين وتعاقدوا على امر واحد فسكن بنو بادين بالتلول والضواحي وسكن زغبة بن معهم في القفار ، الى ان ملك يغمراسن بن زيان تلمسان ونواحيها ودخلت زناتة للتلول والارياض وظهر عبث المعقل المجاورين لهم وهم اهل «انكاد» فنقلهم من صحراء بني يزيد وانزلهم بينه وبين المعقل وقاية له ، فصاروا بصحراء تلمسان بعد ان كانوا ما بين المسيلة شرقا الى جنوب تلمسان غربا وبقوا مستمرين على اقامتهم هنالك الى ان كادت حروب ابي عنان المريني ان تفتك وتقتضي على بني زيان ، فنقلهم السلطان ابو حمو موسى بن يوسف الزياني في حدود سنة نيف وستين من القرن الثامن الهجري من ضواحي تلمسان الجنوبية الى بلاد تاسالة واتصلت مجالاتهم بها الى حدود سنة ١١٦٠ هـ [١٧٤٧ م] فانقلوا الى سهول ملاته وجبالها وذلك ايام ولاية الحاج عثمان باي وهران فسكنوا بها الى الآن ؛ (انظر بهجة الناظر للشيخ عبد القادر المشرقي ، طبع الجزائر ١٩٢٤ م)

ابى زيان فسكن يومئذ روعه

ويذكر لنا التاريخ من صفات هذا السلطان انه كان عالما ادبيا شاعرا ناثرا متأنقا في شعره بليغا في ترسله ، ومن شعره قصيدته الرنانة التي نظمها مادحا سلطان مصر الملك الظاهر برقوق وارققها بهدية ثمينة اليه (١) فقال :

لمن الركائب سيرهن ذميل	والصبر - الابعدهن - جميل
يا ايها الحادى رويدك انها	ظعن يميل القلب حيث تميل
رققا بمن حملته فوق ظهورها	فالحسن فوق ظهورها محمول
لله آية أنجم شفافة	تنجذب عنها للظلام سدول
شهب بأفاق الصدور طلوعها	ولها باستار الجدول افول
في الهودج المزبور منها عادة	تزع الدجى بجبينها فيحول
فكانها قمر على غصن على	متنى كئيب والكئيب مهيل
ثارت مطاياها فتار بى الهوى	واعتماد قلبي زفرة وغليل
اومت لتوديعي فغالب عبرتي	نظر تخالسه العيون كليل
دمع اغيض منه خوف رقيبها	طورا ويغلبنى الاسى فيسيل
ويح المحب وشت به عبراته	فكأنها قال عليه وقيل
صان الهوى وحفونه يوم النوى	لمصون جوهر دمعهن تنديل
وتها به اسد الشرى في خيسها	ويروعه ظبى الحمى المكحول
تأبى النفوس الضيم الا فى الهوى	فالحر عبد والعزيز ذليل
يا بانه الوادى ويا اهل الحمى	هل ساعة تصغين لى فأقول

(١) تشتمل هذه الهدية على ثلاثين من الجياد بمراكبها المموهة واحمال من الاعمشة الانيقة، انظر تفاصيل المهادات وعقد الصلات بين ملوك المشرق والمغرب فى كتاب العبرج ٧ ص ٢٢٦ و ٢٦٤ و ٢٦٦ وارجع الى صفحة ٨٧-٨٨ من هذا الجزء - تاريخ الجزائر العام - والتعريف لابن خلدون ص ٣٣٥-٣٤٦ ط القاهرة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١م)

مالى اذا هب النسيم من الحمى
 خلو الصبا يخلص الى نسيمها
 مالى احلا عن ورود محله
 والباب ليس بمرتج عن مرتج
 ومنها بعد ما يبدى اشواقه ، وحينه الى زيارة البقاع المقدسة في خمسة
 عشر بيتا يتخلص لذكر ممدوحه فيقول :

وعن المليك ابى سعيد فلتنب
 متحمل لله كسوة بيته
 سعد المليك ابى سعيد انه
 ملك يحج المغرب الاقصى به
 ملك به نام الانام وامنت
 فالملك ضخم والجناب مؤمل
 والصنع اجمل والفخار مؤئل
 يا مالك البحرين بلغت المنى
 يا خادم الحرمين حق لك الهنا
 يا متحف ومفاتحى برسالة
 اهديتها حسناء بكر ما لها
 ضاء المداد من الوداد بصحفها
 جمعت وحاملها بحضرتنا كما
 وتأكدت بهدية ودية
 اطلعت فيها للقسي اهلة
 وحسام نصر زاهيا بنضاره
 ماضى الشبا لمصابه تغنو الطبا
 فلكم له نحو الرسول رسول
 يا حبذاك المحمل المحمول
 سيف على اعدائه مسلول
 فلهم به نحو الرسول وصول
 سبل المخاف فلا يخاف سبيل
 والفضل جم والعطاء جزيل
 والمجد اكمل والوفاء اصيل
 قد عاد مصر على العراق وصول
 فعليك من روح الاله قبول
 سلسالة يزهى بها الترسيل
 غيرى ، وان كثر الرجال ، كفيل
 حتى اضمحل عبوسه المجبول
 جمعت بشينة في الهوى وجميل
 هى للاخاء المرتضى تكميل
 يرتد عنها الطرف وهو كليل
 راق العيون فريده المعسول
 فيه تصول على العدا وتطول

وبدائع الحلل اليمانية التي
فأجلت فيها ناظري فرايتها
جلت محاسنها فأهوى نحوها
يامسعدى واخى العزى ومنجدي
ان كان رسم الود منك مذيلا
فنظيرة عندي وليس يضيره
ود «يزيد» و«ثابت» شهدا به
واليكها تنبيك صدق مودتى
فاذا بذلك المجلس السامى سمت
دام الوداد على البعاد موصلا
وبقيت فى نعم لديك مزيدها

روى معاطفها بمصر النيل
تحفا يحول الحسن حيث تجول
بفم القبول اللثم والسقييل
ومن القلوب الى هواه تميل
بالبر وهو بذيله موصول
بمعارض وهم ولا تخيل
و«لخالد» بخلوده تذييل
صح الدليل ووافق المدلول
فلديك اقبال لها وقبول
بين القلوب وحبلى موصول
وعليك يصفو ظلها المسدول

وللسلطان الشاعر هذا عناية بالتأليف ايضا ؛ فله كتاب فى علم النفس سماه
«الاشارة، فى الحكم بين النفس المطمئنة والنفس الامارة» ؛ ومن الاسف اننا لا
نعلم عنه اليوم سوى اسمه وقد يكون له غيره ؟ ...

ويمتاز عصر ابى زيان بنشاط العلماء الى التأليف ورواج سوق العلم والادب العربى فيه
ووضع المصنفات الكثيرة التى نرى اسماءها مبثوثة فى الفهارس وكتب التراجم والطبقات
واستمر ابوزيان على ولايته الى ان تنكرت له مرين واغرت به اخاه ابا محمد
عبد الله بن ابى حمو - كما هو شأنها مع ملوك بني زيان دائما - فغزا تلمسان واحتملها
- بمساعدة ملوك فاس طبعاً - وذلك غرة القرن التاسع الهجرى (١٣٩٨م) وخرج
منها ابوزيان مشردا فى البلاد مهدهما مهزوم القوى فبقى متنقلا بين احياء العرب
الى ان قتل سنة ٨٠٥ هـ (١٤٠٢م)

1402
Pearl & Frowles

ولاية السلطان ابي محمد عبد الله «الاول»

هو السلطان ابو محمد عبد الله بن السلطان ابي حمو موسى الثاني؛ انتصب للحكم سنة ٨٠١ هـ (١٣٩٨م) وأظهر من النشاط والحزم وحسن التدبير والصرامة في الحق والعدل في الحكم بين الناس ما خشي عقباء اولئك المماذقون المخادعون من بطانة السوء ورجال البلاط الماكرين فأثاروا يومئذ كمين الضغائن بين حكومتي فاس وتلمسان وسعوا بكل جهودهم في عقد المؤامرات السرية لايقاد الفتنة بين الدولتين حتى ظفروا بغيتهن فكانت يومئذ اغارة مرين على تلمسان سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١م) فاحتلتها واسرت السلطان ابا محمد ونصبت مكانه اخاه ابا عبد الله محمد المعروف بابن خولة

وليس لدى فيما يتعلق بتاريخ عصر هذا السلطان مما يستحق التسجيل من الحوادث الهامة سوى غزاة مرين المتقدمة او ما يدكر عن تقاعس الافرنج في تسعين سفينة حربية عن بونة بعد ان ردهم عنها اهلها المسلمون؛ توجهت الحملة الافرنجية يومئذ الى مرسى القل ودلس فاتتهبتهما



ولاية السلطان ابي عبد الله محمد «الثالث»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «الثالث» الملقب بالواثق الشهير بابن خولة، احد ابناء السلطان ابي حمو موسى الثاني، توج على عرش اسلافه سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١م) وكان عفيفا عن الدماء شغوبا بالعلم والفن عاملا على تنشيط العلماء وبعثهم على البحث والانتاج الفكري، فعاش الناس وقتئذ في رخاء وهناء رغم الحوادث الثورية والمشاعات السياسية والمشاكل المستحدثة المطرقة بين الدولتين المتجاورتين، وهكذا الى وفاته ورحمه الله يوم الثلاثاء ٧ ذي القعدة سنة ٨١٣ هـ (٣ مارس ١٤١١م) فتولى مكانه ولده عبد الرحمن



ولاية السلطان عبد الرحمن (الثالث)

هو السلطان عبد الرحمن «الثالث» بن السلطان ابي عبد الله محمد «الثاني» الشهير بابن خولة ، تولى الملك اثر وفاة والده يوم الثلاثاء ٧ ذى القعدة سنة ٨١٣هـ (٣ مارس ١٤١١م) وما كاد يستقر على عرشه حتى كانت هنالك قتيبة منشأ هاشميان: التزاحم على الملك ودسائس مريين ، ففاجأ عمه السعيد في جيش عرمرم احاط بقصره والزمه بالتنازل عن الملك ، فاختلع عبد الرحمن عن عرشه واواخر المحرم ٨١٤هـ (ماي ١٤١١م) فلم تزد ايام توليته عن شهرين فقط، وتولى مكانه عمه المذكور



ولاية السلطان السعيد بن ابي حمو

هو السلطان السعيد بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» توج اثر اختلاع عبد الرحمن الثالث - ابن اخيه - في اواخر المحرم سنة ٨١٤هـ (ماي ١٤١١م) وكان ملكا جوادا كريما كثير الانفاق والعطاء ، ولقد اصبحت الحزينة في ايامه بازمة مالية فعمد الى التخفيف عنها بالتثقيل على كاهل الرعية بالمطالب «الجرجية» فحدث ذلك قلقا واضطرابا في الناس طالما انتظرتهم دولة بني مريين التي كانت ترقب راصدة مثل هذه الحوادث والفرص المواتية لها عن كسب ؛ فاضهرت يومئذ الاهتمام بشأن هذه التشعبات الشعبية وتدخلت في القضية الجزائية بحمل اسير فاس الامير ابي مالك عبد الواحد بن ابي حمو «الثاني» على محاربة اخيه السلطان الحالي كما هو شأنها في تغليب امير على امير ، وامتدته بالعدة والعدد فبادر ابو مالك الى اختطاف هذه الفرصة السانحة لتملكه وهاجم تلمسان فاحتلها في منتصف رجب ٨١٤هـ (اكتوبر ١٤١١م) وابعد اخاه السعيد الى منفاه فتركه هنالك الى ان هلك حتف انفه من عامه هذا



ولاية السلطان ابي مالك عبد الواحد

هو السلطان ابو مالك عبد الواحد بن السلطان ابي خمو موسى «الثاني» تغلب على اخيه السعيد بمؤازرة مـرين فانتصب على العرش الزياني في رجب سنة ٨١٤ هـ (اكتوبر ١٤١١ م) وقيل ان ذلك كان في السنة بعدها....

اشتهر ابو مالك بالشجاعة والحزم والسياسة الكريمة والتدين ونشر الثقافة والسهر على مصالح الدولة واصلاح الرعية ؛ ولقد بلغ بعزمه وشدة حزمه الى استرجاع كل ما كان بيد الحفصيين من بلاد الجزائر الشرقية ، وتوسع غربا الى عاصمة مـرين فخضد من شوكتها واستولى على فاس ونصب عليها واليا او اميرا من قبله فكان ذلك آخر العهد بتدخل دولة بنى مـرين في الجزائر

اغارة الحفصيين على تلمسان

كان لاستيلاء السلطان ابي مالك على ما كان بيد الحفصيين من احواز الجزائر الشرقية وقع عظيم لدى دولة بنى ابي حفص ، وكان مما زادها رعبا وذعرا من هذه الدولة الجزائرية هو توسعها غربا واستيلائها على عاصمة المرينيين - فاس - فشرع لذلك السلطان ابو فارس عزوز الحفصي في اخذ الحذر منها والاستعداد لمواجهتها والتدبير في خطة الهجوم للقضاء على دولة المغرب الاوسط الآخذة في النمو والانتشار باقطار المغرب الثلاثة ؛ وبرز ابو فارس في خمسين الف مقاتل مهاجم مملكة الجزائر فردده السلطان ابو مالك عنها وكانت هنالك وقائع ومعارك متعددة صبر لها الحفصيون وصمدوا لها حتى انتصروا على تلمسان ففتحوها يوم السبت ١٣ جمادى الثانية ٨٢٧ هـ (١٣ ماي ١٤٢٤ م) وخرج منها يومئذ سلطانها ابو مالك منتحزا الى الجبال فاحتلها ابو فارس ونزل بقصبتها مستحوذا على جميع ما فيها وبعد ان تمكن من ناصيتها نصب عليها الامير محمد « بن الحمرة » بن السلطان تاشفين وخرج متوجها نحو فاس حتى لم يبق بينه وبينها الا مسيرة يومين فيجاءته بيعة مـرين فعاد يومئذ

الى مركزه بتونس ثم جاءته بيعة صاحب الاندلس، فكان المغرب الاسلامي عهدئذ بتمامه تحت رعاية السلطان ابي فارس الحفصي



ولاية السلطان محمد «الرابع»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «الرابع» المعروف بابن الحمرة بن السلطان عبد الرحمن تاشفين «الثاني» كان صاحب حكمة وحنكة وتدبير توج على عرش تلمسان سنة ٨٢٧ هـ (١٤٢٤ م) تحت رعاية الدولة الحفصية كما اسلفنا ؛ فعمل على اكتساب قلوب الرعية بحسن سلوكه وسداد سياسته فمال اليه الناس وتوحدت كلمتهم حوله فثبت بذلك قدمه في الملك وتوطد سلطانه ويومئذ رفض دعوة بني ابي حفص فألغى ذكرهم من الخطبة والمسكبات واعلن بتحرير البلاد واستقلال الدولة الجزائرية الزيانية عن غيرهما من دول المغرب

وكذلك فعل عامل قسنطينة ورئيسها الحاج ابو عبد الله محمد الدهان فانه رفض طاعة دولة الحفصيين واعلن معارضة الولاة والامراء في سياستهم الداخلية وتصرفاتهم بالبلاد غير انه لم ينجح فقبض عليه السلطان ابو فارس في ذي القعدة من سنة ٨٣٠ هـ (اوط ١٤٢٧ م) واعتقله بقصبة تونس



السلطان أبو مالك عبد الواحد «للمرة الثانية»

بعد ان ظهرت خيبة ابي مالك - السلطان المخلوع - و اخفاقه في استعمال جميع الوسائل السياسية والمكائد الدبلوماسية لاسترجاع عرشه ، التجأ الى بني مرين فلم تغن ايضاعه هذه المرة شيئاً ، ويومئذ اذعن للحفصيين خصومه بالامس ، فزودوه بالجيش والعدة وغزا تلمسان فأكدى ؛ ثم تحرك لهما السلطان ابو فارس الحفصي ففتحها في رجب ٨٣١ هـ (افريل ١٤٢٨ م) واعاد ابا مالك الى عرشه

ثورة (ابن الحمرة) ونهايته

خرج ابو عبد الله محمد الثالث «ابن الحمرة» من تلمسان منهزماً واخذ في نشر الدعاية لنفسه بين العرب والبربر وثابر متنقلاً بين أصقاع جبال وانشرس وبرسك وتنس واكثر من الحركة والتجوال بين الاحياء هنالك يستثير الهمم ويستألف العواطف والقلوب الى ان احرز على الثقة بينهم فأخذ منهم البيعة لنفسه وسار بهم زاحفا نحو تلمسان ففتحها يوم الخميس رابع ذي الحجة ٨٣٣ هـ (٢٤ اوط ١٤٤٠ م) وتمكن من قتل عمه ابي مالك ؛ وما كاد ينعم بنشوة الملك حتى فاجأه السلطان الحفصي - لثمانية واربعين يوماً من تملكه - فأسره ونصب مكانه عمه ابا العباس احمد «العاقل» وذهب بابن الحمرة الى تونس فاعتقله بقصبتها هنالك الى وفاته سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م)

ولاية السلطان ابي العباس احمد المعتصم

هو السلطان ابو العباس احمد المعتصم المشهور بـ «العاقل» بن السلطان ابي حمو موسى «الثاني» تولى عرش تلمسان بفضل الحفصيين كما ذكرناه، يوم الخميس غرة شهر رجب سنة ٨٣٤ هـ (١٥ مارس ١٤٣١ م) فسك النقود واطهر من حسن السيرة والعناية بنشر العدل وخدمة العلم ما اكسبه عطف الرعية واجماع الناس على مودته، ويومئذ اظهر باسه للحفصيين واعلن برفض عهدهم سنة ٨٣٧ هـ (١٤٣٣ م) فتحرك لقتاله السلطان ابو فارس الحفصي فاحتل جبل وانشريس قهرا وانضم اهله تحت طاعته ثم ما كاد يتصل بتلمسان حتى وافاة اجله فتوفى بطريقها اليها وعاد اصحابه من حيث اتوا.

ثورة ابي يحيى واستيلاؤه على وهران

هو احد امراء البيت الزياني - اخ السلطان العاقل - حمله داعي الاثرة والتنافس وحب الرئاسة الى الخروج عن طاعة اخيه فشن غارته على تلمسان وشابعه على ثورته هذه احياء من العرب، فردهم عنها السلطان منهزمين، ويومئذ ذهب ابو يحيى الى وهران فاستولى عليها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) وكثيرا ما حاول السلطان مطاردته فلم يفلح.

ظهور المستعين بالله وقتله

ان من ينظر في تاريخ الجزائر السياسي على هذا العهد يجده كله انقضى بين تناحر المتزاحمين وتشاكس المتنافسين، وسواء ذلك بين الدولتين المتجاورتين المكتنفتين لهذا القطر شرقا وغربا، بين اعضاء الاسرة المالكية نفسها، فهذا ابو زيان محمد «المستعين بالله» الذي كان بتونس وهو من اعضاء الاسرة الزيانية قد عملت فيه عوامل النخوة والكبرياء ودبت في قلبه عقارب الحسد فذهب مستنجدا بحكومة

تونس فأنجده وایدته بجند من العرب والبربر فجاء بهم مغيرا على المغرب الاوسط سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) فاحتل مدينة الجزائر ومنيعة وتنس ومليانة الخ. واولغل في التقدم نحو الغرب الى ان تاخم حدود مملكة السلطان العاقل ثم عاد الى مدينة الجزائر فاستقر بها واتخذها مركزا لانشاء دولته بها. وماكاد يتم له الامر حتى فاجأه صاحب وهران الامير ابو يحيى اخو السلطان العاقل فثار الرعية ضده فقتلته في شهر جمادى الثاني - نوفمبر - من سنته.

انهازم ابي يحيى عن وهران

ماكان للسلطان العاقل ان يترك اخاه ابا يحيى مستبدا بوهران (١) منذ ان استولى عليها سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٧ م) كما تقدم فعمل على اقصائه منها واعادتها الى مملكته وناجزه الحرب حتى غلبه عليها في شعبان ٨٥١ هـ (اكتوبر ١٤٤٧ م) وجعلها الحاضرة الثانية للجزائر فخرج منها ابو يحيى الى تونس فبقى بها الى وفاته سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م)

ثورة محمد «المتوكل» ونهاية «العاقل»

لقدكان مما جرته هذه القلاقل السياسية والاقلابات الادارية ان انتشرت الفوضى بالبلاد الجزائرية وعم الخلاف، فنهض اشدا لامير محمد بن محمد بن ابي ثابت «المتوكل» منتهزا فرصة فشوهذا الاضطراب ورفض طاعة السلطان معانا عصبانه واخذ في سيره لفتح البلاد في شهر ربيع الاول سنة ٨٦٦ هـ (ديسمبر ١٤٦١ م) واستولى على مستغانم ووهران وتنس واخيرا تلمسان فعزل عنها عم ابيها السلطان ابا العباس غرة جمادى ٢

(١) اختلف في بانيتها على قولين قيل انهم جماعة من الاندلسيين المذكورين في الجزء الاول من كتابنا هذا صفحة ٢١٨ وذلك في اواخر القرن الثالث الهجري كما تقدم، وقيل هو خزر بن حفص بن صولات المغراوي باذن مواليه امراء بنى امية بالاندلس وصححه المشرقي في تقييده «بهيعة الناظر» المطبوع بالجزائر سنة ١٩٢٤ م

(فاتح فيفري ١٤٦٢م) فانتقل ابو العباس يومئذ الى سكنى ضاحية العباد ثم ابعد عنها الى الاندلس، وهنالك سعى في تكوين جيش عاد به الى الجزائر محاصرا تلمسان مدة اسبوعين عن غير طائل ثم مات في ذى الحجة ٨٦٧هـ (اوط ١٤٦٣م) ودفن بالعباد

الزحف الحفصي

كان الحفصيون كغيرهم من ملوك المغرب الاقصى ينظرون دائما الى نشوب الخلاف والشتات بين امراء البيت الزياني ليتوسعوا او قل يتوصالوا الى نيل غرضهم من الاستيلاء على هذا القطر وضمه الى مملكتهم الشرقية او الغربية؛ وكان الدور في هذه المرة للحفصيين؛ فخرج السلطان ابو عمرو عثمان الحفصي من تونس سابع شهر شوال ٨٦٦هـ (٥ جويليت ١٤٦٣م) ميمما عاصمة المغرب الاوسط - تلمسان - فاحضع في طريقه قلعة حليلة - احدي قلاع جبل اوراس - ثم تقدم غربا فنزل بارض بني راشد، وهنالك جاءته وفود العرب من سويد وبني يعقوب وبني عامر والدواودة واعيان بني عبد الواد وكانهم ناقم على السلطان الزياني راغب في طاعة الحفصيين، فاحسن اليهم ابو عمرو ووفرق ولاته على تلك الانحاء، ويومئذ اوفد المتوكل ملك تلمسان وفدا لينوب عنه لدى ابي عمرو في المبايعة وعقد الصلح، وكان هذا الوفد مركبا من ثلاثة أعضاء: الشيخ ابي عبد الله محمد بن الشيخ ابي القاسم العقباني، والشيخ ابي العباس احمد بن الحسن، وراسهما خال السلطان ابو الحسن علي بن حمو بن ابي تاشفين

ثم عاد الملك الحفصي الى مركزه معرجا على قسنطينة فعقد لحفيدة ابي عبد الله محمد المنتصر بن ابي عبد الله محمد المسعود عليها وجعل بين يديه القائد ابا علي منصور الصبان مزوارا، وعين بشيرا قائدا على البلد بدل ظافر المعزول عنها، وصرف محمد بن سعيد بن صخر الى وطنه بجاية

ابتداء الهجرة الاندلسية وسقوط بونة

كان لطغيان الاسبان بالاندلس واعتداءاتهم المتكررة على المسلمين هناك تأثير عظيم على جمعهم وجماعتهم كما هو معروف من تاريخهم الحزين، فأخذوا يتسللون لوإذا ملتجئين الى هذا الشمال الافريقي ابتداء من سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) فحل اكثرهم يومئذ بالجزائر فلاحقهم الاسبان بمراكبهم، فكان ذلك ابتداء الحروب البحرية بين الجزائريين والافرنج، وكان اتحاد الجالية الاندلسية مع اهل الجزائر على مناوأة العمارة الافرنجية بهذا البحر الابيض المتوسط، سيما في سقوط بونة بيد الاسبان سنة ٨٦٧ هـ (١٤٦٢ م) ثم تبعها غيرها من السواحل الجزائرية



ولاية السلطان ابي ثابت محمد «الرابع»

هو السلطان ابو ثابت ابو عبد الله محمد المتول على الله بن ابي زيان محمد المستعين بالله بن يوسف؛ تولى الملك غرة جمادى الاولى سنة ٨٦٦ هـ (ففتح فيفري ١٤٦٢ م) بعد ان كان قد اقتطع لنفسه في ربيع الاول (ديسمبر ١٤٦١ م) مدينة الجزائر ومليانة ووهران ومستغانم وتنس واستولى عليها كما تقدم وبسط عليها نفوذه وسك نقوده. وكان ملكا شهما شجاعا شغوقا بالملك، اخضع لسلطته العرب وجميع المذلفين عليه، وقيام في مملكته باعمال جليلة فوحد كلمته الرعية واصلاح من شان الوطن ما تصدع، فاحبه الشعب والتف حوله ممثلا له منفذا لاوامره ونواهي، وكثيرا ما غزت اساطيله مدن الاسبان والطلبيان انتقاما لما احل هؤلاء بمسلمي صقلية والاندلس.

رفض الدعوة الحفصية

مضى هذا السلطان على الخطة المرسومة المتبعة التي سار عليها من قبله من ملوك بني عبد الواد الزيانيين، من المحافظة على استقلال هذه الدولة والدود

عن حرمتها ورفض كل تدخل اجنبي في شؤون الجزائر مهما كان شأنه ،
ففي سنة ٨٦٨ هـ (١٤٦٣ م) اعلن السلطان ابو ثابت برفض الدعوة الحفصية واطرد
ولاتها من اعمالهم . فسعى به اعراب تلمسان من بني عامر وسويد وغيرهم لدى
السلطان الحفصي فجاءه بجنوده الى بعض قلاع جبل اوراس فاحتلها واخضع
القبائل العربية هناك ، ثم كانت هدنة و صلح : ثم اعاد ابو ثابت نهضته معاكسا
دعوة ابي حفص معلنا استقلاله التام بمملكته ، فقاومه الحفصيون وتكرر
ذلك منهم مرتين ، وفي الثانية منهما بالغوا في تشديد الحصار على تلمسان فاذعنت
لسيطرتهم يومئذ مدينة مليانة والمدينة وتس واستسلم لهم ابو ثابت وكتب بيعته
للسلطان الحفصي ؛ ومما جاء فيها بخطه قوله : «شهد على نفسه عبد الله
المتوكل عليه محمد لطف الله به ولا حول ولا قوة الا بالله ، واعطى ابنته
بكرًا للمولى ابي زكريا يحيى بن المولى المسعود دون خطبة» وقفل حينئذ
سلطان تونس الى حضرته وبقى ابو ثابت على عرشه الى وفاته بتلمسان سنة ٨٩٠ هـ
(١٤٨٥ م) فخلفه بعده ولده تاشفين

□

ولاية السلطان تاشفين بن ابي ثابت

هو السلطان تاشفين بن ابي ثابت محمد الرابع ، لم يكد يستقر على عرش
اسلافه حتى فاجاه اجله بعد اربعة اشهر من سلطنته فتوفي من سنه بدون ان
يترك اي اثر له يذكر به في تاريخ دولته

□

ولاية السلطان محمد (السادس)

هو ابو عبد الله محمد «السادس» بن ابي ثابت المتوكل تولى السلطنة بعد اخيه
تاشفين فسك النقود وتلقب بلقب ابيه : ابي ثابت ايضا ، وكان ضعيف الارادة عاجزا
عن القيام باعباء الملك وتدبير شؤون الدولة السياسية وتسيير الرعية فكثرت الفتن

والاضطرابات على عهده وانتشرت الفوضى ثم مات سنة ٩٠٢ هـ (١٤٩٦ م) ولم
نظفر له كذلك بأثر يذكر به سوى اسمه المرسوم على سكتته



ولاية السلطان محمد (السابع)

هو ابو عبد الله محمد «السابع» بن ابي ثابت الثاني؛ اشتهر بالثباتي نسبة الى
جده، تملك بعد ابيه عام ٩٠٢ هـ [١٤٩٦ م] وكان من ذوى الفطانة والذكاء ورجاحة
العقل وحسن التدبير منصرفا الى توفير مالية خزينة الدولة والاكتثار من الاوقاف
الخيرية. وفي ايامه [٨٩٥ هـ ١٤٩٠ م] كان ذلك الحدث الجلل بالاندلس فسقطت
غرناطة عاصمة بني الاحمر التصريين آخر معاقل الاسلام بذلك الفردوس
المفقود!... فالتجأ ملكها المنكوب ابو عبد الله محمد بن سعد المعروف بالزغل
الى وهران فيمن ضوى اليه من الاعيان والكبراء الذين ايقنوا بنهاية الاندلس
الاسلامية، ثم انتقلوا الى تلمسان وبها ترك الزغل عقبا له عرف بعد ذلك ببني
سلطان الاندلس فاقتبلهم الملك باو في ما يجب ان يكرم به الملوك والامراء والسادة وماتوجه
الروابط الاسلامية، فكان ذلك مما زاد في اثارة حقد الاسبان فسيطروا على الجزائر
واستشاط ملكهم غيضا على بلاط تلمسان، فادرك ذلك السلطان الزياني وتحقق
انه لا محالة هامة اليوم او غد، فبا در الى السعي في ترضية (فرديناند الخامس) وتالفه بالسفر الى
اسبانيا [١] مصحوبا بهدايا ثمينة، منها خيول عربية عتاق، ولؤلؤة فخمة ملكية نادرة،

١) كانت المملكة الاسبانية ايام ولاية الرومان عليها [١٣٤-٤٠٦ م] منقسمة الى ولايتين يفصلهما نهر
«ابرو» وسموهما هسبانيا الخارجة وهسبانيا الداخلة، ثم سمو البلاد كلها «هسبانيا» يربدون
المملكة ذات الولايتين او المقسمة الى قسمين، وقيل ان اطلاق اسم «اسبانيا» عليها كان زمن
الفينيقيين قبل الرومان، وان كلمة «Span» فينيقية معناها المحتجب او المستور، وذلك لان
هذه البلاد كانت بعيدة عن الفينيقيين محجوبة عن انظارهم في اقصى الارض جهة الغرب، وقيل
انما سموها بذلك لانهم راوا فيها ازانبا كثيرة، والارنب بلغتهم «اسبان». انظر تعليقات احمد

يوسف نجاتي على نفح الطيب ج ٢

وطيور مصنوعة من الذهب الخالص، فيها من الدواجن دجاجة متبوعة بست وثلاثين نقفا الخ ..، وقدم ذلك بنفسه الى ملك الاسبان فانكسرت حدة غضبه وذهبت عنه شرته ثم عاد بعدها السلطان الى وطنه آمنا، وكانت وفاته سنة ٩٠٩ هـ [١٥٠٣ م] فخلفه اخوه ابوزيان «الثالث» غير انه لم يمكث الا قليلا ففاجأه عمه ابو حمو الثالث



ولاية السلطان ابني حمو موسى (الثالث)

هو ابو حمو موسى «الثالث» الملقب بابي قلهون بن محمد «الرابع» انتصب بالقهر على عرش تلمسان سنة ٩٠٩ هـ [١٥٠٣ م] فعزل ابن اخيه محمد «السابع» وباشر الحكم والبلاد يومئذ في اضطراب وحبل حكومتها في انحلال وضعف وتفرق وتشتت

احتلال الاسبان لوهراة والسواحل الجزائرية

لقد اخذ صرح بني عبد الواد يتساقط منذ ان ركن ملوك هذه الدولة من بني زيان الى التواكل والتخاذل واخذوا يخلعونهم الى الدعة واستمهادهم الراحة وتناقلهم عن القيام بالمصالح العامة وانهما كهم في التهلك على الرئاسة وقصر اشتغالهم على انفسهم شيخصيا، فانمحت يومئذ هيبتهم من نفوس الرعية وانتشرت الفوضى بين الناس في كل من ميادين السياسة والاجتماع واستبدت الولاة ورؤساء القبائل والشيخ وعمال الجهات وولاة النواحي وقادة الجيش بما اتصل بايديهم من اسباب الولاية والحكم، فتشتت الوحدة الجزائرية واضلحت الرابطة الاجتماعية بين الراعي والرعية فاضطربت الاحوال وتعددت المشاكل، وملوك الاسبان يومئذ يترصدون مثل هذه الفرص خلسة، ويزعمون الظروف المواتية للقضاء على دولة الاسلام بهذا الشمال الافريقي بعد ان شفوا منها صدورهم واطفؤوا غلتهم في حوادث

الاندلس الدامية، وقد كانوا تعاقدوا على ذلك وتواصوا به منذ انعقاد مؤتمر «طورز لاس» ٨٩٩ هـ (١٤٩٤ م) للنظر في شؤون سير السياسة بالهند، فهناك وقع التعاقد بين الصليبيين على استئصال المملكة الاسلامية بهذا الشمال الافريقي؛ وقد تطلع الى ذلك دولة الاسبان والبرتغال فتواطى على ان يتوزعا بينهما بلاد المغرب العربي غنيمة باردة على ان يكون حظ الاسبان منها سواحل بلاد الجزائر وللبرتغال المغرب الاقصى،

ولما كانت الجزائر في هذه الفترة على ما وصفناه من الانحلال السياسي والاضمحلال الاداري أخذ الاسبان في التمهيد والاستعداد لاحتلالها ببعث البعث الاستطلاعية اليها واذكاء العيون والجواسيس حولها للكشف عن حالتها البلاد العامة والاطلاع على عوراتها، ومنها كانت بعثة «لوريشودي باديا» الى مملكة تلمسان على عهد السلطان ابي عبد الله محمد الثابتي

وما كاد القرن العاشر الهجري - السادس عشر الميلادي - ياذن بالحلول حتى كان الاسبان على استعداد تام لمهاجمة الجزائر، لايتظرون في ذلك سوى اذن ملكهم ومباركة البابا. وقد حصل ذلك بالفعل، فاجرت الحملة الاسبانية من «مالقة» يوم الاربعاء ٣ ربيع الثاني ٩١١ هـ [٣ سبتمبر ١٥٠٥ م] متوجهة نحو الضفة الجنوبية من هذا البحر الابيض المتوسط فارست تجالا وهران مهاجمة لمرساها الكبير غربي المدينة وعلى ثمانية كيلوميترا منها؛ وبعد ان اشتبكت المعارك هنالك احتلت السلطة الاسبانية المهاجمة يوم الثلاثاء ٩ ربيع الثاني - ٩ سبتمبر - ثم كانت بعدئذ معركة قرية «مسرغين» الواقعة على خمسة عشر كيلوميترا من وهران انهزم فيها الجيش الاسباني ومات منه ثلاثة آلاف جندي - باعترافهم - وفر الباقون الى المرسى الكبير معتصمين بأسوار المنيعه؛ ثم توالى الغزوات والهزائم على السواحل المغربية واشهرها بالجزائر تلك الحملة الشعواء التي تراسها الكاردينال «كسيمينس» نفسه بمآزرة الحينيرال «ييدرونافارو» ،

ابحرت هذه الحملة الاسبانية العتيدة من ثغر قرطاجنه صباح يوم الاربعاء ٢٦ المحرم ٩١٥هـ [١٥ ماي ١٥٠٩م] فصبحت الجزائر صبيحة الغد ونزل المشاة بساحل وهران ضحى يوم الجمعة؛ وماهي الاسويحات قليلة حتى كان الجيش الاسباني مشرفا على ربي المرسى الكبير وتلال وهران، وتقدم الجند الى المدينة - بدون مقاومة من الجيش الزباني تذكر - يقتل ويأسر من غير شفقة ولا رحمة، واستمر سائر افي طريقه حتى اتصل بأسر مدينة وهران محققا بها، وفي جنح الليل من تلك الليلة نفسها فتح القائدان الحائنان القائمان بحراسة الثغر (١) باب المرسى للعدو فتدفقت جنوده بخيلها ورجالها وجاءت كالسيل الجارف، وساعدهم على ذلك بعض الخونة ممن باع ذمتهم تلقاء دربهات معدودات مثل بني عامر، وشافع وكرشيل، وحميان، وغمرة، وقيزة، واولاد عبد الله، واولاد علي والونازرة (٢) وما كاد يتنفس فجر يوم السبت حتى كان الاحتلال تاما فاقترح الجيش المهاجم المدينة معتديا على حرمت الدين والانسانية مرتكبا كل فاحشة من غير استثناء ولا محاشات فقتل بيده ذبحا نحو الثمانية آلاف من البراء العجزة الذين قعد بهم الاضطراب والهرم والقصور عن الفرار من المذبحة؛ وانتهكت حرمت المساجد والبيوتات الشريفة بما يندى لذكره الجبين وتصفر لهول الوجوه وتنخلع له القلوب، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هداا..

ويومئذ انطلقت السنة العلماء والشعراء بتوجيه الصريخ الى الولاية والرؤساء وامراء القبائل لانقاذ وهران من هذا الاحتلال الغاشم والعود باللائمة والحزى على مشايعي الاسبان من بني عامر وغيرهم، وهذه قصيدة الشيخ ابي العباس احمد بن القاضي سيدي عبد الله بن ابي محلي السجلماسي شيخ العلامة ابي عثمان سيدي سعيد قدورة الجزائري تنبىء بذلك :

(١) احدهما منافق يتظاهر بالاسلام والاخر يهودي اسمه اشطورا

(٢) راجع بهجه الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الاسان كبني عامر، المشرفي ط الجزائر

فمن مبلغ عنى قبائل عامر
وكل كمي من صناديد راشد
وجيرانهم في الغرب من كل ماجد
وطليحة والاحلاف في غرب هذه
وشيوخ بني يعقوب والكمي الفتى
ويا معشر الاسلام في كل موطن
ويا سادة العربان من آل هاشم
ويا معشر الاتراك يا كل عالم
اناشدكم بالله ما عذر جمعكم
والقصيدة مدرجة بتمامها في بهجة الناظر للشيخ عبد القادر المشرقي فانظرها

هناك

وفي اواخر رمضان سنة ٩١٥ هـ [٦ جانفي ١٥١١م] جاء «ييدرو نافارو»
في ارمادة تحتوي على اربعة عشر مركبا حريبا مشتملة على عشر آلاف جندي،
فاقتحم بهم اسوار بحاية مدينة الحضارة الحمادية الجزائرية، واخذ في
تحطيمها ونقل جميع ما بها من تحف ونقائس في ثلاثين مركبا غرق اكثرها
في طريقه الى اسبانيا، وهدم منار قصر اللؤلؤة البالغ طوله نحو سبعين ذراعاً،
والذي يعتبر من اعظم آيات فن المعمار الجزائري الجميل؛ كما حطم يومئذ
قصر الكوكب وبنى مكانه حصن «برال» الحالي، وحطم المسجد الجاهلي الاعظم
وتغير شكل المدينة الى ما لا يسر منظره ولا مخبره، ورغم كل ذلك مما وقع
تسجيله من حوادث الاحتلال الاسباني العنيف فاننا لم نر من الحكومة الجزائرية
المسلمة ما يقابل ذلك ويستحقه من الدفاع والمقاومة الشديدة المتوقعة...!

ومن تأمل في ذلك وجد ان مرجعه الى مساكنت عليه الدولة الجزائرية
من الضعف والانحلال الشامل لنظام الحكم وتخبطها في مشاكلها السياسية والادارية

وواصل الاسبان فتوحاتهم بالجزائر فاستحوذوا على مدينة تدلس - داس - وشرشال واحتلوا قرضة هنين سنة ٩٣٨ هـ (١٥٣١ م) ونزلوا بالامكنة الاستراتيجية بالسواحل الجزائرية خاصة، وكان غرضهم الوحيد يومئذ من هذه الغزوات هو مواصلة الحروب الصليبية بالمغرب، فحدث ذلك قلقا واضطرابا عظيما في الراعى والرعية وما وسعهم جميعا يومئذ الا الرضوخ لهذه السلطة الاجنبية المفروضة الحتمية حتى يتجلى الامر؛

وما خض الاسبان احتلالهم بسيف البحر دون التوغل في الوطن الجزائري الا الحاجة في انفسهم؟.. ولعل تشوفهم كان متجها نحو جهات اخرى كنواحي «البريني» او بلاد ايطاليا او خوفا من سوء المنقلب او غير ذلك لا ادرى؟..

ثورة الامير يحيى بن اثا بتي

اهتبل الامير يحيى هذا الهيجان والاضطراب العام في الجزائر واغتتم فرصة انحلال الحكومة وضعف السلطة المركزية فنهض مستصرخا بالاسبان محتما بهم معلنا ثورته على ابي حمو الثالث، فتغلب على مدينة تنس ٩١٢ هـ (١٥٠٦ م) فقهره السلطان وردده عنها، ثم انتصر عليه فتحطم جيش ابي حمو واحجم عن القتال، فاحتل الاسبان يومئذ بسهولة مدينة بونة - عنابه - وفرضوا على السلطان ضريبة سنوية باهضة قدرها اثنا عشر الف دوق (١) واثنا عشر فرسا وست بزات؛ واستمرت هذه الضريبة المزرية المهيمنة مفروضة على ملوك بني زيان الى سنة ٩٣٦ هـ (١٥٣٠ م) فاسقطتها ارادة الشعب

(١) الدوق نوع من نقود الذهب الاسبانية، قيمة القطعة الواحدة منها من العشرة الى اثني عشر فرنكا اي قبل ارتفاع قيمة النقود

ثغور الجزائر تحت نير الاسبان

ولما اشتدت حملات الاسبان بالثغور الجزائرية وانكشفت عداوتهم جهارا لاهل المغرب الاسلامي، اخذ الجزائريون في انشاء الاحضان لدفع هجمات العدو ورد عاديتهم عن الوطن وشرعوا في شن غاراتهم البحرية على السواحل الاسبانية واسر المعتدين وسبيهم؛ وبما ان دولة الاسبان هذه كانت في جدة ايامها ودولة بني زيان بالجزائر كانت في اعقابها، تنلب الاسبان عليهم واضطروا هم الى طلب الصلح والهدنة؛

ففي شوال سنة ٩١٦ هـ (جانفي ١٥١١م) خرج الوفد الاسلامي من الجزائر برئاسة شيخها (سالم التومي الثعالبي) متوجها نحو بجاية حيث مركز قيادة «بيدرو النافاري» عامل الاسبان ومفوضهم العسكري بالجزائر وهناك ابرم عقد الهدنة والصلح بين الطرفين، والتزم الجزائريون بالخضوع لسلطة الغالب عليهم والافراج عن جميع الاسرى من نصارى الاسبان وغيرهم، ثم في السنة بعدها شكل الجزائريون وفدا آخر ذهب الى اسبانيا حيث اتصل بالملك «فرديناند الخامس» فاكد له حسن العلاقة بين القطرين وتقدم لرئيس الوفد سالم التومي بهدايا نفيسة فقبلها منها الملك واقترض عليهم تسليم احدى «الصخرات» الاربع الكبرى التي كانت بارزة تجاه مدينة الجزائر، حيث شرع الاسبان في بناء حصن «نيونش penon» فوقها سنة ٩١٥ هـ [١٥١٠م] [١] وهو مكان مركز القيادة البحرية العليا اليوم بالجزائر، والزهم ايضا بدفع مغرم باهض سنويا، فاستسلموا لذلك؛ وانزل الاسبان بهذا الحصن نحو المائتي جندي ابقوهم هناك لرصد غزاة المسلمين وحماية الثغور الجزائرية المحتلة من نشوب الثورة

اصبحت الجزائر يومئذ تتجاه هؤلاء الاسبان الذين اقبلوا يغزون البلاد وباسرون العباد مرغمة على الاندفاع نحو فتح واجهة حربية بحرية لمحاربة

الفرصة الاجنبية، او الدخول في حلف احد كبار البحارة الملاحين المسلمين الذين دانت لهم البحار والتغور بهذا البحر الابيض المتوسط؛ ولم يكن لاهل الجزائر يومئذ بد من احد هذين الحلين مع طى حضارتهم القائمة على منا بنوه واشادوه من دولتهم الناشئة، والالتفات الى هذه الحرب البحرية الشديدة؛ وتلك هي الظروف نفسها التي لا بست الجزائر والقت بها في احضان الدولة التركية العثمانية ووصلت اسبابها باسباب المجموعة الاسلامية الكبرى في شرق البحر الابيض وما يليه وبذلك انتهى الدور الزباني الثاني

ملوك الدولة الزيانية

- الدور الثاني -

تاريخ التولية

٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م	ابو سعيد عثمان «الثاني» بن عبد الرحمن
٧٤٩ هـ ١٣٤٨ م	ابو ثابت الزعيم بن عبد الرحمن
٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م	ابو حمو موسى «الثاني» بن يوسف
٧٦٠ هـ ١٣٥٩ م	ابو زيان محمد «الثاني» بن عثمان
٧٩١ هـ ١٣٨٩ م	ابو تاشفين عبد الرحمن «الثاني»
٧٩٥ هـ ١٣٩٣ م	ابو ثابت يوسف بن عبد الرحمن
٧٩٦ هـ ١٣٩٤ م	ابو الحجاج يوسف بن موسى
٧٩٦ هـ ١٣٩٤ م	ابو زيان محمد «الثاني» بن موسى
٨٠١ هـ ١٣٩٨ م	ابو محمد عبد الله «الاول» بن موسى
٨٠٤ هـ ١٤٠١ م	ابو عبد الله محمد «الثالث» الوثق بن موسى
٨١٣ هـ ١٤١١ م	عبد الرحمن «الثالث» - بن خولة -
٨١٤ هـ ١٤١١ م	السعيد بن ابي حمو موسى
٨١٤ هـ ١٤١٢ م	ابو مالك عبد الواحد بن موسى
٨٢٧ هـ ١٤٢٤ م	ابو عبد الله محمد «الرابع» - بن الحمرة -
٨٣١ هـ ١٤٢٨ م	ابو مالك عبد الواحد «ثانيا»
٨٣٤ هـ ١٤٣١ م	ابو العباس احمد المعتصم - العاقل - بن موسى

١٤٦٢ هـ ١٨٦٦ م

ابو ثابت محمد «الخامس»

١٤٨٥ هـ ١٨٩٠ م

تاشفين بن ابي ثابت

١٤٨٥ هـ ١٨٩٠ م

ابو ثابت محمد «السادس»

١٤٩٦ هـ ١٩٠٢ م

ابو عبد الله محمد «السابع»

١٥٠٣ هـ ١٩٠٩ م

ابو حمو موسى الثالث - ابو قلمون -

مشاهير الجزائريين

الشريف التلمساني

(١١٠ - ٧٧١ هـ (١٣١٠ - ١٣٧٠ م)

هو العلامة امام المغرب ابو عبد الله محمد بن احمد بن علي الشهير بالشريف التلمساني المعروف بالعلوي نسبة الى «العلوين» بسكون اللام وكسر الواو، قرية من اعمال تلمسان، حسنى راسخ النسب لا يدافع في شرفه، ولسد رحمه الله بتلمسان سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) ونشأ بها عقيفا صينا مكبا على الطلب شغوقا بالعلم، حكى عنه خاله عبد الكريم وكان يحبه صغيراً لذكائه ويصطحبه معه دائماً الى مجالس العلم والعلماء، قال: حضرنا مجلس ابي زيد بن الامام في تفسير القرآن فذكر الشيخ نعيم الجنة، فقال له الشريف وهو صبي: هل يقرأ فيها العلم؟.. فقال له الشيخ نعم، فيها ما تشتهيهِ النفس وتلذذ الاعين، فقال له لو قلت لا لقلت لك لا لذة فيها!.. فعجب منه الشيخ ودعا له.

تجول الشريف في انحاء المغرب الاسلامي شرقيه وغربيه؛ طالبا العلم، فاخذ عن علماء فاس وتونس كما اخذ عن مشيخة الجزائر، وكان من اشهر اساتذته ولدا الامام، والمجاصي؛ والقاضي ابو عبد الله التميمي، وابو عبد الله البرونسي، وابو موسى عمران المشدالي، والابلي والسطي، وابن عبد السلام التونسي في آخرين؛ وتلذذ له الاخير في علوم الهيئة والحكمة والفلسفة، وشهد له شيوخه كلهم بوفور العقل وحضور الذهن وكثرة التحصيل

ثم عاد الشيخ الى موطنه ومسقط راسه تلمسان متصديا للافادة والاستفادة وشرع في تدريس العلم وارشاد العامة فاقبل عليه الناس على اختلاف طبقاتهم والتف حوله الطلبة ياخذون عنه فنونا من العلم فكسر تلامذته وملا

المغرب علومًا ومعارف وتلاميذ فاحيا السنة وامات البدعة؛ ويذكر انه ابتدا الاقراء وهو ابن احد عشر سنة؛ وكان في تعليمه يترك الطالب وما تميل اليه نفسه من انواع العلم فلا يحمل احداً على نوع دون نوع ويرى الكل من السعادة ويقول : من رزق في باب من العلم فليلازمه .

ولما تملك السلطان ابو عنان المريني تلمسان سنة ٧٥٣هـ (١٣٥٢) استخلص الشريف ابا عبد الله لمجالسه العلمى مع من اختاره من المشيخة، ورحل به الى فاس كما ذكره ابن خلدون: فقبّر الم الشريف من الاغتراب وردد الشكوى، فاحفظ السلطان بذلك، وارتاب به، ثم بلغه اثناء ذلك ان السلطان ابا سعيد عثمان ملك تلمسان اوصاه على ولده، واودع له مالا عند بعض الاعيان من اهل تلمسان، وان الشريف مطلع على ذلك، فانتزع الوديعة وسخط على الشريف بذلك ونكبه واقام في اعتقاله اشهرًا، ثم اطلقه اول سنة ست وخمسين واقصاه، ثم اعتبه بعد فتح قسنطينة واعاده الى مجلسه الى ان هلك السلطان آخر سنة تسع وخمسين

ولما ملك السلطان ابو حمو بن يوسف بن عبد الرحمن الزياني تلمسان من يد بنى مرين استدعى الشريف من فاس، فسرحه القائم بالامر يومئذ، الوزير عمر بن عبد الله. فانطلق الى تلمسان، وتلقاه ابو حمو براحتيه واصهر له في ابنته؛ فزوجها اياه. وبنى له مدرسته الشهيرة باسمه سنة ٧٦٣هـ (١٣٦٢م) وجعل في بعض جوانبها مدفن ابيه وعمه، واقام الشريف يدرس العلم الى ان هلك سنة ٧٧١هـ (١٣٧٠م) (١)

انقطع الشيخ في مدرسته بتلمسان للبحث والنظر والدرس والتعليم والارشاد فكان يمضى جل اوقانه في ذلك مع ما كان عليه من التعبد والتجهد والزهد وتلاوة القرآن، حكى عنه ولده ابو محمد عبد الله قل انما بقى دهرًا - ما يزيد على سنة اشهر - لم يرفيها اهلها وولده اشتغالا بالدرس والبحث، وهو مقيم بينهم! . ذلك انه كان

عندما يستيقظ بكرة يغدو في حينه الى المدرسة وهم نائمون، ولا يعود اليهم الا ليلا وهم نائمون، ثم انه كان لا ينام من الليل الا قليلا، - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون - واذا غلبه النوم نام نومة خفيفة ثم اذ استيقظ لا يعود ويقول : اخذت النفس حقها فيتوضأ والوضوء من اخف الاشياء عنده ثم يرجع للنظر، وربما وضع له الطعام في رمضان فيشغله النظر ويؤتى بسحورة فيتركمها معا كذلك حتى يصبح ويواصل الصوم!.. وكان من كثرة ازدحام الطلبة عليه يوزع بينهم ساعات الدرس بالرملة

اجمع اهل التراجم والطبقات على امامة المترجم وكماله في علمه وصلاحه واخلاقه، فذكروا انه كان من احسن الناس وجها وقدرًا مهيبًا، ذا نفس كريمة وهمة نزيهة ولهجة صادقة، حلما لا يغضب، واذا غضب قام فتوضأ، قوى النفس رفيع الملبس بلا تصنع ولا تكبر، جميل العشرة بساما، منصفا عادلا، متوسطا في اموره، طويل اليد كريما، يكرم ضيفه ويقرب له ماحضر يطعم الطلبة طيب الاطعمة ولذيذها ولا يؤثر عنهم غيرهم؛ وكثيرا ما كانت ترد عليه الاسئلة من السلطان فما دونه فيوجهها الى الطلبة ويسميهم باسمائهم لرفع منزلتهم عند السلطان وغيره، فكانوا بذلك على عهد من اعز الناس واكثرهم عددا واوسعهم رزقا؛

كان فيمن اخذ عن الشيخ ممن اشتهر ذكره من علماء المغرب واعيانہ : العلامة ابن خلدون، والامام الشاطبي، وابن زمرك، وابراهيم الثغري، وابو عبد الله القيسي، وابن عباد، وابن السكك، وابن محمد بن علي الميورقي، وابراهيم المصمودي الخ....

وذكره ابن خلدون فقال : هو صاحبنا - يعني صاحب الترجمة - الامام العالم الفذ، فارس المعقول والمنقول، وصاحب الفروع والاصول. وذكره الوشيري فقال : انه كان اماما في العلوم العقلية كلها، منطقا وحسابا، وفرائض، وتنجيما،

وهندسة، وموسقى، وتشريحا، وفلاحة وكثيرا غيرها من العلوم القديمة - يعنى بها علوم الحكمة - ؛ وذكره السراج فى فهرسته فقال انه بلغ رتبة الاجتهاد؛ كما ذكره بذلك ايضا الجدد بن مرزوق. وقال ابن مرزوق الحفيد هو شيخ شيوينا أعلم اهل عصره باجماع؛ وتذاكر المترجم يوما مع الامام ابن عرفة، فقال له الامام : غايتك فى العلم لا تدرك؛ وكان الامام بن عبد السلام يقول عنه : ما اظن فى المغرب عالما مثل هذا. واما الرئيس ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب فانه كان كلما الف أو كتب كتابا الا وبعث به الى الشريف طالبا منه ان يكتب عليه بخطه. وكان العلامة ابو سعيد بن لب شيخ علماء الاندلس يستفتيه ويستشيريه فيما اشكل عليه من مسائل العلم فقها او غيره ومن شدة عناية الاستاذ المترجم بالاقراء والدرس لم يسعه الزمن للوضع والتأليف، فانه لم يبالغ بالنسبة الى غزارة علمه وسعة اطلاعه من خبر تأليفه، الا القليل، منها كتابه الجليل «مفتاح الوصول الى بناء الفروع على الاصول» طبع بتونس سنة ١٣٤٦هـ كتب عليه شيخنا الامام عبد الحميد بن باديس شرحا مختصرا وضعه للطلبة حال تدريسه للكتاب ولم يطبعه، وله شرح على جمل الخونجى فى المنطق انتفع به خلق كثير، وكتاب فى القضاء والقدر، وكتاب فى المعاوضات او المعاطاة ؟ ... ولما فتاوى ورسائل واجوبة فى مسائل من العلم محتلفة؛ منها ما اجاب به عالم توزر الشيخ يحيى الرهونى ومنها غير ذلك

وكانت وفاة الشيخ رحمه الله ليلة الاحد الرابع من ذى الحجة سنة ٧٧١هـ (٢٩ جوان ١٣٧٠م) ببلدة تلمسان وحضر لدفنه السلطان ابو حمو الثانى قائلا فى تعزيتة لولده : مامات من خلفك وانما مات ابوك لى، لاني اباهاى به الملوكة. وولادة مدرسة والده ورتب له جميع مرتباته. قال ابن عرفة حين بلغته وفاته : لقد ماتت بموته العلوم العقلية



احمد بن علي الملباني

(٥٧١٥ هـ (١٣١٥ م)

هو الاديب الكاتب والشاعر العظيم صاحب العلامة ببلاط ملوك المغرب ابو العباس احمد بن علي الملباني ترجم له لسان الدين بن الخطيب في الاكلیل وعرف به في الاحاطة قائلا : « الصارم الفاتك، والكاتب الباتك، اى اضطراب في وقار وتجههم تحتهم انس العقار، اتخذه ملك المغرب صاحب علامته، وتوجه تاج كرامته، وكان يطالب جملة من اشياخ مراکش بشار عمه، ويطوقهم دمه بزعمه، ويقصر على الاستنصار منهم بنات همه، اذ سعوا فيه حتى اعتقل، ثم جدوا في امره حتى قتل، فترصد كتابا الى مرکش يتضمن امرا جزءا، ويشمل من امور الملك عزمًا، جعل فيه الامر بضرب رقابهم، وسبى اسبابهم، ولما اكد على حامله في العجل، وضايقه في تقدير الاجل، تمانى حتى علم انه قيد وصل، وان غرضه قد حصل، فر الى تلمسان وهي بحال حصارها، فاتصل بانصارها، حالا بين انوفها وابصارها، وتعجب من فراره، وسوء اغتراره، ورجمت الظنون في آثاره، ثم وصلت الاخبار بتمام الحملة؛ واستيلاء القتل على اعلام تلك القبيلة فتركها شنيعة على الايام، وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام، وأقام بتلمسان الى ان حل مخنق حصارها، وازيل هميان الضيقة عن خصرها، فلهحق بالانداس ولم يعدم برا ورعا مستمرا حتى اتاه حمامه وانصرفت ايامه فتوفى بغرناطة يوم السبت ٩ ربيع الاخر عام ٥٧١٥ هـ (١٣ يوليو ١٣١٥ م) ودفن بجبانة باب البيرة ومن شعره قوله في الفخر

والفضل ما اشتملت عليه ثيابي

والمسك ما ابداه نقش كتابي

والعزم يابى ان يسام جنابى

العز ما ضربت عليه قبابى

والزهر ما اهداه غصن يراعتى

فالمجد يمنع ان يزاحم موردي

فاذا بلوت صنعة جازيتها بجزيل شكري اوجزيل ثوابي
واذا عقدت مودة اجريتها مجري طعامي من دمي وشرابي
واذا اطلبت من الفراق دوالي ثارا فلو شك ان انال طلاي

ابن مرزوق الحفيد

(٧٦٦-٨٤٢ هـ (١٣٦٤-١٤٣٩ م)

كان ممن اشتهر بالعلم والرئاسة والفضل من بيوتات الجزائر واعيانها في هذا العصر بيت ابن مرزوق الذائع الصيت، وقد تقدم لنا الكلام على هذا البيت الرفيع العماد فيما اسلفناه من ترجمة ابن مرزوق الجد الشهير بالخطيب لقد تالق في سماء بيت ابن مرزوق بدور واقمار كان كوكبها الدرر ونجمها الثاقب مترجما هذا العلامة الامام شيخ الاسلام ومفتي الانام ابو عبد الله محمد بن احمد بن مرزوق الحفيد العجيسي؛ (١)

ولد رحمه الله بتلمسان ليلة الاثنين ١٤ ربيع الاول سنة ٧٦٦ هـ (١٠ ديسنبر ١٣٦٤ م) ونشأ على غرار نشأة آباءه مستمسكا بالعلم والدين فاخذ عن والده وعمه ابني الخطيب بن مرزوق، وعن سعيد العقباني؛ وابي اسحاق المصمودي؛ وابي الحسن الاشهب الغماري وعن ابي محمد عبد الله بن الشريف التلمساني؛ ثم ارتحل الى تونس فلقى بها الامام بن عرفة؛ وابا العباس القصار؛ ثم دخل فاسا فاخذ بها عن الشيخ ابي زيد المكودي وابن حياتي. والحافظ محمد بن مسعود الصنهاجي الفيلاي، ثم اتصل بعد ذلك بالمشرق فدخل مصر القاهرة؛ آخذا عن لقي بها من جلة العلماء كابن خلدون والفيروز ابادي صاحب القاموس، والنويري صاحب النهاية، ومحب الدين بن هشام ولد صاحب المغني؛ والسراج البلقيني،

[١] نسبة الى القبيلة الجزائرية العظيمة «عجيسه» المقيمة بجبال المسيلة شرقي صنهاجة وجنوب زواوة، اى في نفس المكان الذي انشئت به قلعه بني حماد، انظر صفحه ١٠٤ من هذا الجزء

والحافظ العراقي؛ والشمس الغماري؛ والقاضي ناصر الدين التنسي، وابن الملقن في آخرين من ذوى الفضل والتبريز، ثم عاد الى المغرب.

وحج سنة ٧٩٠ هـ (١٣٨٨ م) رقة الامام ابن عرفة فلقى بمكة المكرمة البهاء الدماميني، والنور العقباني فاخذ عنهما، وروى صحيح الامام البخاري عن ابن الصديق، ثم رجع الى وطنه؛ وحج ثانيا عام ٨١٩ هـ (١٤١٦ م) فكان ممن لقيه واخذ عنه في هذه المرة. الامام ابن حجر؛ واجازة من علماء الاندلس جماعة، منهم محمد بن جزى، وابن الحشاش، وابو عبد الله القيجاطي والمحدث الحفار، والحافظ ابن علاق وغيرهم

اشتهر ابن مرزوق الحفيد بما اشتهر به جده الخطيب من الرسوخ في العلم والاطلاع الواسع والتحقيق المدقق في الدرس والذكاء وحسن البيان والخطابة والتوسع في الرواية، والاحاطة بمذاهب الفقه الاسلامي وحل مقفلات المسائل العلمية والمشكلات، هذا بالاضافة الى كرم الاخلاق مع شدته على اهل الاهواء والبدع، فاجمع الناس يومئذ على فضله من المغرب الى الديار المصرية واشتهر ذكره في البلاد فصار يدعى بشيخ الاسلام وعالم الدنيا

اثنى عليه تلميذه الشيخ عبد الرحمن الشعالي فقال : «هو سيدي الشيخ الامام الحبر الهمام حجة اهل الفضل في وقتنا وخاتمتهم، ورحلته النقاد وخلصتهم ورئيس المحققين وقادتهم، السيد الكبير والذهب الابريز؛ والعلم الذي نصبه التمييز، ابن البيت الكبير، والفلك الاثير، ومعدن الفضل الكثير....» وقال ايضا في موضع آخر : «شيخي الامام العالم الصدر الكبير المحدث الثقة المحقق بقيمة المحدثين، وامام الحفظة الاقدمين والمحدثين، سيدوقته وفاروق اوانه، ذو الاخلاق المرضية، والاحوال الصالحة السنية، والاعمال الفاضلة الزكية.....» وقال تلميذه ابو الفرج بن ابي يحيى الشريف التلهساني : «شيخنا الامام العالم العلم جامع اشتات العلوم الشرعية والعقلية حفظا وفهما وتحقيقا، راسخ القدم

رافع لواء الامامة بين الامم ناصر الدين بلسانه وبنانه وبالعلم، يحيى السنة بفعاله ومقاله وبالشيم، حجة الله على العلم والعالم...

وقال تلميذه الشيخ يحيى بن ادريس المازوني في نوازل: «شيخنا الامام الحافظ بقية النظر والمجتهدين، ذو التأليف العجيبة، والفوائد الغريبة، مستوفى المطالب والحقوق...» وقال الحافظ التنسي وهو من تلامذته ايضا: «شيخنا الامام العلامة رئيس علماء المغرب على الاطلاق...» وذكره ابو الحسن القلصادي في رحلته فائني عليه وقال: «ادركت بتلمسان كثيرا من العلماء والزهاد والعباد والصلحاء واولاهم بالذكر والتقديم الشيخ الفقيه الامام العلامة الكبير الشهير شيخنا وبركتنا ابو عبد الله بن مرزوق العجيسي رضى الله عنه...» ويكفيه فخرا ان كان من بين تلامذته رحمه الله مثل هؤلاء الجلة: الثعالبي والمازوني والتنسي والقلصادي وابو الفرج بن ابى يحيى الشريف التلمساني؛ والعلامة ابو الفضل المهدلى، ونصر الزواوى، والحسن ابركان وقاضى الجماعة بتونس عمر الفلشاني، وابراهيم بن فائد الزواوى، واحمد بن زكري، والسيد الشريف قاضى الجماعة بغرناطة، واحمد بن يونس القسنطينى، وابو العباس احمد بن عبد الرحمن الندرومي وعيسى بن سلامة البسكري، والشهاب بن كحيل الخ....

واما تأليفه فقد ذكر له اهل التراجم والسير عددا جما، ولم يصلنا منها الا القليل؛ فمن ذلك وهو ما وقفت عليه بنفسى: جزآن من شرح البخارى كان كلاهما موجودا بالجامع الجديد بالجزائر وهما بخط المؤلف. ثم فقد احدهما وهو الاول وبقي الثاني... وهو شرحه المسمى بالمتجر الريح، والسعى الريح، وكتاب الظهار صدق المودة، شرح به برودة المديح، تكلم على كل بيت منها وشرحه بسبعة فنون، رايت منه نسخة عند صديقنا الاستاذ احمد بن حمودة في منزله بالايار بنصواحي الجزائر؛ والمفاتيح المرزوقية لحل الاقفال واستخراج خبايا الخرجية في علم العروض والقوافى، وهو بمكتبتنا الخاصة، وكتاب اسماع الصم في اثبات

الشرف من جهة الام منه نسخة بالملكتبة الوطنية بالجزائر رقم (٢٠ ٦٧) هذا ما وقفت عليه وعايته من تأليفه رحمه الله واما غيرها مما لم اره فكثير منها ما تم تأليفه وكمل ومنها ما لم يتم واليك قائمة اسمائها : شرحان آخران للبردة، اوسط واصغر، والمفاتيح القرطاسية في شرح الشقراسية، ورجزان في علم الحديث : الكبير المسمى بالروضة جمع فيه بين الفتي ابن ليون والعراقي، ومختصر الحديقة اختصر فيه الفية العراقي، وارجوزة في الميقات اسمها بالمقنع الشافى في الف وسبعمائة بيت، وارجوزة الفية في محاذات الشاطبية، وارجوزة نظم بها تلخيص المفتاح، وارجوزة اخرى في تلخيص ابن البناء وارجوزة نظم بها جمل الخونجى في المنطق، ذكر الصبان في حاشيته على شرح الملوى على سلم الاخضرى ان المترجم نظم الخونجى في عهد صباه بحيث لم يتجاوز سنه ست سنين؟... وقال ان ذلك اشار اليه ابن مرزوق نفسه في نظمه، وارجوزة في اختصار الفية ابن مالك، ونهاية الامل في شرح جمل الخونجى، واغتنام الفرصة في محادثة عالم قفصة يعنى ابا يحيى بن عقبة - والمعراج الى استمطار فوائد الاستاذ ابن سراج، اجاب به قاضى الجماعة بقرناطة العلامة ابن سراج عن مسائل نحوية ومنطقية؛ ونور اليقين في شرح اولياء الله المتقين؛ والدليل الموفى في ترجيح طهارة الكاغد الرومى، والنصح الخالص في الرد على المدعى رتبة الكمال للناقص، كتبه في سبعة كراريس رد به على فتوى عصره وبلديه الامام قاسم العقبانى الذى افتى باصابة بعض اعمال واقوال صدرت عن بعض المتصوفة. فخالفه فيها ابن مرزوق. ومختصر الحلو في الفتاوى لابن عبد البر التونسى. والروض البهيح في مسالة الخليج وانوار الدراري في مكررات البخاري. ورسالة في ترجمة شيخه ابراهيم المصمودي وتفسير سورة الاخلاص على طريق الحكماء. وله فتاوى واجوبة متنوعة اورد بعضها المازونى والنشريسى في كتابيهما، وله شرح على ابن الحاجب وشرح على التسهيل

وميز بعضهم مؤلفات الشيخ التي لم تكمل فذكر منها المتجر الرياح وروضة الارب في شرح التهذيب، والمنزع النبيل في شرح مختصر خليل، شرح منه الطهارة في مجلدين ضخمين، ومن باب الاقضية الى آخر الكتاب في سفرين لخصه العلامة الراعي، وايضاح المسالك في شرح الفية ابن مالك انتهى فيه الى باب اسم الاشارة او الموصول، وهو مجلد واحد، ومجلد في شرح شواهد شراحها الى باب كان واخواتها، وعقيدة اهل التوحيد المخرجة من ظلمة التقليد وعلى منجاه بنى السنوسى عقيدته الصغرى، والايات الواضحات في وجه دلالة المعجزات، والدليل الواضح المعلوم في طهارة كاغد الروم، واسماع الصم، كانت وفاته رحمه الله يوم الخميس ١٤ شعبان سنة ٨٤٢ هـ (٣٠ جانفي ١٤٣٩ م) وصلى عليه بجوامع تلمسان الاعظم وحضر جنازته السلطان والاعيان

محمد بن يوسف الثغري
اواخر القرن الثامن الهجري

هو العالم الاديب الكاتب البارع والشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن يوسف القيسى التلمساني المعروف بالثغري من اشهر شعراء تلمسان وبلغائها العبرزين المقدمين لدى سلاطينها وملوكها، وصفه المازوني في نوازله بالشيخ الفقيه الامام العالم العلامة الاديب الارب الكاتب، وترجم له ابن ابى مريم فقال : اخذ عن الشريف التلمساني وغيره وحلاه المقرئ في ازهار الرياض بقوله : الفقيه العلامة الناظم الناصر.

كان رحمه الله ملازما لبلاط السلطان ابى حمو موسى «الثاني» وله القصائد الغراء الطوال التي كان ينظمها بمناسبة احتفال السلطان بليلة المولد الشريف، ويلقيها بنفسه في ذلك المحفل الجميل، منها ما نظمه في مطلع قصيدته التي انشدها ليلة مولد سنة ٧١٧ هـ (٩ اكتوبر ١٣٦٩ م) :

اقصر فان نذير الشيب واقاني
وقد تماذيت في غي بلا رشد
فقلت للنفس اذ طال بطلتها
كم من خطافي الخطايا قد خطوت ولم
فلا تغرنك الدنيا بزخرفها
وله قصيدة رفعها الى السلطان ابي حو يصف بها تلمسان فيقول :

ايها الحافظون عهد الوداد
وصلوها اصائلا بليال
في رياض منضدات المجاني
وبروج مشيدات المباني
رق فيها النسيم مثل نسيمي
وزها الزهر والغصون تث
وانبرى كل جدول كحسام
وظلال الغصون تكتب فيه
تذكر الوشم في معاصم خود
وكؤوس المنى تدار علينا
واصفار الاصيل فيها مدام
كم غدونا بها لانس ورحنا
ولكم روحة على الدوح كادت
رقت الشمس في عشاياه حتى
جددت بالغروب شجوه غريب

هاجبه الشوق بعد طول البعاد الخ
وتحتوي القصيدة على تسع واربعين بيتا، وله غير ذلك من غرار الشعر ولطائفه
اورد له علامة الجزائر واديبها المتفنين ابو العباس احمد بن عمار نبذة في رحلته
«نحلة اللبيب» والمقرى في «الازهار» فراجعهما

جدول تاريخي

٧٣٧-٩١٦ هـ

١٣٣٧-١٥١١ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٣٣٧ هـ ٧٣٧ م	بسط سيادة بنى مرين على المغرب الاوسط - الجزائر -
١٣٤١ هـ ٧٤٩ م	نهضة بنى عبد الواد لاسترجاع سلطتهم على الجزائر
١٣٥٩ هـ ٧٦٠ م	انبعاث الدولة الزيانية على يد السلطان ابي حمو «الثاني»
١٣٦٠ هـ ٧٦١ م	احتلال بنى مرين لتلمسان ومحارباتهم لبنى زيان
١٣٦٤ هـ ٧٦٥ م	ثورة ابي زيان الفتى على ابي حمو
١٣٦٥ هـ ٧٦٦ م	خراب مدينة الجزائر بالزلزال الهائل
١٣٦٦ هـ ٧٦٧ م	انكسار ابي حمو في وقعة بجاية ضد الحفصيين
١٣٧٠ هـ ٧٧١ م	انحصار الثعالبية بمتيجة والجزائر
١٣٧٠ هـ ٧٧٢ م	سقوط تلمسان في قبضة بنى مرين وخروج ابي حمو الى البراري
١٣٧٢ هـ ٧٧٤ م	عودة ابي حمو الى ملكه
١٣٧٥ هـ ٧٧٦ م	مبايعة اهل مدينة تدلس - دلس - لبنى زيان وانتشار المجاعة الكبرى بالجزائر
١٣٨٩ هـ ٧٩١ م	ثورة ابي تاشفين ولد ابي حمو واستشهاد والده
١٣٩٠ هـ ٧٩٢ م	ثورة ابي زيان بن ابي حمو
١٣٩٣ هـ ٧٩٥ م	تنكر مرين لبنى زيان وسقوط تلمسان في ايديهم
١٣٩٤ هـ ٧٩٦ م	تناحر امراء الاسرة الزيانية على الملك - بايعاز المرينيين -
١٣٩٩ هـ ٨٠٢ م	هجوم الافرنج على مدينة بونة ومرسى القل
١٤٠١ هـ ٨٠٤ م	اغارة مرين وقبضها على السلطان ابي محمد عبد الله «الاول»

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٤١٥هـ ١٨١٤م	انتصار الامير ابي مالك عبد الواحد على اخيه السلطان السعيد باعانة مومنين
١٤٢٧هـ ١٨٢٧م	زحف الحفصيين الى مملكة تلمسان وتدخلهم في سياستها
١٤٣٣هـ ١٨٣٣م	ثورة الامير ابن الحمرة ونهايته
١٤٤٠هـ ١٨٣٧م	ثورة الامير ابي يحيى على اخيه السلطان العاقل واستيلاؤه على وهران
١٤٤٢هـ ١٨٣٨م	ظهور المستعين بالله بالجزائر واستيلاؤه على نواحيها
١٤٥١هـ ١٨٤٧م	استرجاع السلطان العاقل لوهران
١٤٥٦هـ ١٨٥٢م	ابتداء الهجرة الاندلسية الى السواحل الجزائرية
١٤٦٦هـ ١٨٦٦م	ثورة الامير المتوكل واستيلاؤه على اطراف المملكة الجزائرية
١٤٦٧هـ ١٨٦٣م	استيلاء الاسبان على بونة - عنابة -
١٤٦٨هـ ١٨٦٣م	استقلال الجزائر عن الحكومة الحفصية ورفض دعوتها الى الاستسلام لها
١٤٩٧هـ ١٨٩٧م	التجاء السلطان ابي عبد الله بن سعد المهرورف بالزغل - من بنى الاسمر - النصريين ملوك غرناطة - الى وهران ثم الى تلمسان، وبها اعقب من عرف هناك ببني سلطان الاندلس
١٥٠٥هـ ١٩١١م	احتلال الاسبان للمرسى الكبير بوهران
١٥٠٩هـ ١٩١٥م	احتلال مدينة وهران ثم دلس، ثم بجاية وتنس وشرشال
	وسقوط السواحل الجزائرية بيد الاسبان
١٥١١هـ ١٩١٦م	الجزائر تحت الخطر الاسباني

القسم الثالث

الجزائر المطاف:

الحملة الاسبانية والاتراك

كانت الجزائر في اوائل القرن العاشر الهجرى مرتعا للحروب الاهلية الممزقة وغرضا لمحتوذا للاجانب المتوثبين، تعاني الامرين من الملوك المتنافسين والرؤساء الجائرين المتنازعين والنصارى المغيرين تميميا لبرامجهم وخططهم الصليبية المرسومة فكش يومئذ ازدحامهم واشتد تحاككهم على هذا الشمال الافريقي وخاصة منه الجزائر، وذلك بعد ما قضاوا على دولة الاسلام والمسلمين بالاندلس وصقلية؛ وقد من الله على اهل الجزائر واولاهم بمن يدافع عنهم ويرد صولة هذه الاعتداءات الافرنجية ويقل سلاحها؛ وذلك بالهامهم الى الالتجاء الى الرئيس البحرى عروج بن يعقوب المدلى التركى واخيه خير الدين المتجولين بمراكبهما القرصنية بهذا البحر الايض المتوسط، وقد اظهرا من البطولة الحارقة والغيرة الاسلامية على اهل الجزائر والاندلس ما يسجله التاريخ لهما بافخر الذكر وجزيل الشكر، فكان انقاذ الموقف بمقاومتهم العنيفة لهؤلاء المغيرين من الاسبان وغيرهم من دول النصرانية، ودفعهم عن الجزائر كل ما كانت مهددة به من الاخطار كما سنذكره فى محله من تاريخ الاتراك بالجزائر فى هذا الكتاب ومنذ يومئذ والجزائر فى كفاح واحتجاج مستمر ضد الاجنبى الذى تكررت اعتداءاته المتنوعة عليها فى احيان وظروف مختلفة الى اليوم؛ وستقف بنفسك فيما نعرضه عليك من مراحل تاريخ الجزائر على تفاصيل مدققة مضبوطة تنبئك بما كان ولا يزال عليه الجزائريون المغاوير الانجاد من الكفاح وتطلعك على مبالغ ايمانهم وثباتهم على المبدأ واسمائتهم فى سبيل تحرير البلاد من ربة الاستعباد وقاوم الاتراك الاسبان واحتلوا تلمسان سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) كما سنقصه عليك مفصلا، ونقلوا سلطانها ابا سمو الى وهران ونصبوا مكانه ابا زيان الثالث

ولاية السلطان ابي زيان احمد «الثاني»

هو السلطان ابو زيان احمد «الثاني» بن عبد الله «الثاني» انتصب على عرش تلمسان سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) وكان اول ما قام به من الاعمال ان اخذ في دفع الاتراك عن ولايته باعتبارهم اجانب مزاحمين فاجتهد في اجلائهم عن مملكته وقتلهم حتى استشهد في طائفة عظيمة من ذويه واقربائه وبني عمه ومات يومئذ من جنده نحو الف نسمة ونزل عروج بتلمسان

زحف ابي حمو واستشهاده عروج

كان اثر ما احتل عروج تلمسان ان اسرع ابو حمو الى استنجاد الاسبان والاحتماء بهم ضد الاتراك فاعانوه وحاصروا معه تلمسان وضربوا اوتادهم بها في جمادى الاولى سنة ٩٢٤ هـ (ماي ١٥١٨ م)، وكان من حسن حظه ان تاخر المدد عن عروج فاضطر الى الانسحاب من العاصمة الزبانية وغادرها منصرفا الى ناحية الوادي الملح، وفي منصرفه هناك بقرب مقطع الوادي اخذه فرسان الاسبان من مكنن لهم غيلة فقاتلهم حتى استشهد رحمه الله بالميدان فحزوا راسه واخذوه معهم الى اسبانيا يطوفون به الشوارع تسكينا للرعية التي كانت ترتعد فرائصها فرقا لذكره. ويروى على السن بعض القائلين ان جثته نقلت الى الجزائر فدفت بجوار ضريح «سيدي رمضان» بجانب المسجد الجامع المعروف الى اليوم، وفي هذه السنة كانت وفاة السلطان ابي حمو «الثالث»



ولاية السلطان ابي محمد عبد الله «الثاني»

هو السلطان ابو محمد عبد الله «الثاني» بن السلطان ابي ثابت «الثاني» المعروف باسم محمد المتوكل على الله، تولى عرش تلمسان سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) والجزائر يومئذ تتدافع بين جاذبيتين عظيمتين؛ ما بين اتراك واسبان، كل منهما

يحاول ضمها اليه؛ فحدث ذلك قلقا واضطرابا؛ فاجتهد السلطان ابو محمد في اخماد نار الفتنة واطفائها والسعى في اكتساب مسالة الطرفين او المتاركة على الاقل فلم ينجح

ثورة الامير ابى سرحان وتملكه

كان الامير ابو سرحان المسعود الزياني مبعدا بفاس من طرف اخيه السلطان المذكور؛ واتفق ان فاز يوما بعفوه فخرج من منفلا معترضا على اخذ ثاره من اخيه بعزله عن العرش، فتككب في طريقه الى تلمسان وذهب مستنجدا بخير الدين التركي، فامدة امير البحر هذا بكل ما لديه من القوة، من جيش ومال، على ان ينصوى تحت سلطة الدولة التركية ويباع السلطان سليم العثماني مع دفع ضريبة سنوية الى خزينة الدولة، فتم عقد ذلك بينهما واقتحم ابو سرحان مدينته تلمسان فامتلكتها سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩ م) واطرد عنها اخاه ابا محمد.

عودة ابى محمد الى الملك

ولما تمكن ابو سرحان من الملك واستقر على عرشه لم يلبث ان نزلت في راسه سورة الافقة، ومملكته عزة النفس فرفض العهد الذي ابرمه مع خير الدين واعلن استقلال دولته عن كل سلطة اجنبية: فاظلم الجو بينه وبين الانراك؛ وكان اخوه ابو محمد في انتظار مثل هذه الفرص السانحة ليشب الى غرضه، وبمجرد ما ظهرت هذه المبادرة من ابى السرحان اسرع ابو محمد الى استثمار الموقف وبادر الى خير الدين فضمن له الوفاء بما عاهده عليه اخوه من قبل، فآزره خير الدين وايده على خطته فانصر ابو محمد على اخيه واسترجع حقه الشرعي في العرش وعاد الى ملكه كما كان. وفر ابو سرحان متنقلا في انحاء القطر مصاتا سيف الفتنة الى ان وقع في قبضة السلطان فاسره، ويومئذ انقطع الملك الى مقاومة الاسبان ومطاردتهم من الجزائر

نقض معاهدة الاتراك

بما ان الدولة التركية حديثة عهد بالجزائر يومئذ وانها لم تزل في بداية امرها فلم تستكمل عدتها ولم تتمكن من بسط يدها على اطراف الوطن، نظر اليها السلطان ابو محمد نظرة استصغار واستخفاف وبادر باعلان نقض المعاهدة والميثاق الذي ابرمه مع خير الدين، فتتمرل الاتراك يومئذ واروه شدة باسهم، فخضع صاغرا لتنفيذ مواد الوثيقة بحذاقيرها، ثم كانت وفاته سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) فخلفه ولده محمد

ولاية السلطان محمد «السابع»

هو السلطان ابو عبد الله محمد «السابع» بن السلطان ابي محمد عبد الله «الثاني» تولى الملك بعد ابيه سنة ٩٣٠هـ (١٥٢٤م) وشان الحكومة الزيانية يومئذ في ادبار وانهايار، فانهز الى الاسبان محتما بهم ضد الاتراك، واليك رسالته الحربية التي كتبها الى امبراطورة الاسبان «دنيا ايزايل» تمثل لك مبلغ امله في الاسبان وتعلقه بهم في سياسته ضد خصومه الاتراك؛ كما تستشف منها ايضا نموذجا من اسلوب الانشاء العربي الديبلوماسي ببلاط ملوك الجزائر يومئذ، جاء اولا في عنوان الوثيقة - او الرسالة - ما يلي :

«الحمد لله تعالى، حمدا كثيرا يتجدد ويتوالى، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

«الحضرة التي جبل في الاقدار قدرها، واشتهر في الفضائل والمفاخر فضلها وفخرها، حضرة السلطنة الجليلة الفاضلة الكاملة الشهيرة الخطيرة الحسنية الاصيلية، الانبراطريس، دونيا ايزايل اسعدها الله بتقواه ووققها لما يحبه ويرضاه كسبناه اليكم من حضرتنا تلهسان حرسها الله، ونحن نحمد الله الذي

لاشيء كمثلها، ونشكره على جميل احسانه وفضلها، ونسالها اليمن والتوفيق في شأنا كله، وعندنا لجنابكم المرفع كرامتنا نستوفيها، ومبرة لا شك فيها، وعلينا بمجدكم الشهير، وقدركم الخطير، يستدعي الزيادة من ذلك ويقتضيها، والى هذا فموجب كتبنا اليكم، هو اعلامنا واياكم بما نحن عليه من الوفاء القديم والتمادي من الاسباب المريعة على المنهج القويم، وقد وصلنا كتابكم المعظم، وخطابكم المكرم، صعبة خديمكم الفارس المحترم لويس هرنديس، وعرفنا منه جميع ما ذكرتم؛ واستوفينا ما شرحتم، فقابلنا تعريفكم بالشكر الجزيل، واشينا على مقامكم الثناء الجميل؛ عملا على ما ثبت لدينا من ودكم، وتقرر، وتردد وتكرر، واننا الآن وجهنا اليكم من يجدد العهد بهذا الغرض، ويقوم منه بالواجب المفترض، ويقرر لديكم معتقدا من صدق الوداد، وخالص الاعتقاد وهو اعز قوادنا ببابنا الكريم، والمعتمد منا بمزيد التفضيل والتقديم، الاصيل المجد في ذوى الحسب الصميم، القائد المرفع المحترم، الثقة الامين على اسرارنا في البدء والمختتم، الفارس ابن عبد الله ابن وزير دولتنا وبلادنا ورئيس حماتنا وانجادنا الشيخ الوزير محمد بن ابي غانم حفظ الله رتبته، وحرس وجهته، ومعه خديمكم لويس هرنديس اكرمه الله فوجهناه اليكم ليطلعكم بعيون الاخبار وجميع المتزايدات بهذه الاقطار؛ ولتلقوا اليه ما ينفذ به امركم من جلب المصالح؛ وما يعود علينا وعليكم نفعها من النظر السديد والراي الناجح فان نيتنا في ودكم ما زالت، واغراضنا جارية على ما يليق بنا وبكم ما تبدلت ولا حالت، ولا تلتفتوا لما كنا موهنا به في العام السالف من تقديم من قدمناه بوطن اغيال، وما خيلنا من تلك الاحوال؛ فمقامكم اوسع فضلا؛ وارجح عقلا؛ من ان يظن ان ذلك كان منا عن حقيقة؛ اوانا ارتضينا سلوك تلك الطريقة؛ بل في صحيح علمكم ما هو حالنا عليه من نكاية صاحب الجزائر وما هو يرومه من تشغينا في الباطن والظاهر، ففعلنا ذلك طمعا منا في مهادته، وحيلة

لجلب محاسنته ، ولما اعيانا أمره واشتد تنكيره وضره ، اظهرنا له ما كنا نخفيه من عداوته وقابلناه بما يليق بفساد نيته وخبت سريرته وقد توفر الآن عز منا في اعمال الحركة عليه والتوجه بكل وجه يمكن اليه ، فجميع العرب والقبائل على حربه متفقون والى تضييقه وحصاره شارعون ، وغرضنا منكم ان تبادروا بتوجيه العمارة في الحين والوقت بالجد والعزم وتجهدوا في ذلك غاية الاجتهاد والاخذ بالحزم وتكونوا عليه براً وبحراً يداً واحدة وفئة مساعدة وتجاوبوننا مع الرسولين المذكورين بما يظهر لكم وما يقتضيه في ذلك نظركم وفعلكم ، هذا ما عندنا عرفناكم به شافيا ، ولتكميل المقاصد كافيا ان شاء الله ؛ وكتب عن امر عبد الله المتول على الله امير المسلمين عبد الله بن مولانا امير المسلمين ابي عبد الله ايدة الله ونصرة في ثامن عشر جمادى الاخرى عام تسعة وثلاثين وتسعمائة . » ولا يزال اصل هذه الوثيقة محفوظا ضمن مجموعة المخطوطات والوثائق السياسية الدبلوماسية المختلفة بدار المحفوظات في قلعة « سيمانقا » قرب بلد الوليد « Walla dolid » باسبانيا . ويوافق تاريخ هذه الوثيقة من التاريخ الشمسي ١٥ جانفي ١٥٣٣ م .

والسبب في ان سلطان تلمسان يوجه رسالته هذه باسم - الانبرا طريس دنيا - دون زوجها شارلكان ؛ هو ان زوجها الامبراطور كان يومئذ بعيدا عن اسبانيا مشغولا بمحاربة جيوش السلطان سليمان العثماني على ضفاف نهر الدنوب ونجحت سفارة امير تلمسان ورأى الاسبان ان لا تفوتهم هذه الفرصة يومئذ فارسلوا اليه من اسطولهم اربع عشرة سفينة رست كلها بمرسى هنين القريبة من تلمسان ، وكان قد سبق ان عقد السلطان مع الاسبان حلفا على قتال خير الدين وتعهدوا له بمقتضاه ان ينزلوا له عن مدينة الجزائر اذا استولوا هم عليها . وجمع امير المسلمين قواته العسكرية المجتمعة من العرب والبربر وزحف بهم الى مدينة الجزائر ، وقد تشجع بمؤازرة الاسبان له فتحدى خير الدين ، فبادر يومئذ

خير الدين الى اعلان الحرب والتقى الفريقان على مقربة من الجزائر، فنشبت بينهما معركة عنيفة هزم فيها سلطان تلمسان ومزقت قواته ففر في فلول جيشه ورجع القهقري الى عاصمته، واستمر خير الدين مكرا في اثره، وعندئذ اضطر السلطان الى طلب الصلح والصفح عنه من خصمه الظافر فعفا عنه خير الدين. اما سفن الاسبان فبقيت في مرساها ترقب الفرص، ولم تشترك يومئذ في القتال فلم يغن وجودها عن السلطان شيئا (١) بل كانت عليه فيما بعد حيث غزا الاسبان بعد ذلك تلمسان في ثلاث دفعات مستعينين باحلافهم بنى راشد فنجحوا فيها كلها، واحتلوا تلمسان واهانوا بها المساجد والمعابد وعشوا بكتب العلم والدين؛ ثم انقلب عنهم احلافهم فانكسروا واسر عدد منهم فصار في قبضة بنى زيان ومن بينهم قائدهم «مارطان دى آكيلو» ويومئذ جنحوا الى السلم فكانت هذه المعاهدة في مصدحتهم فاضطرب لذلك اهل المملكة الجزائرية قاطبة واشتد هيجانهم لهذه المعاهدة المشؤومة عليهم فنهض لها ابو زيان فخلع اخاه وتولى مكانه.



ولاية السلطان ابي زيان احمد «الثاني»

هو السلطان ابو زيان احمد [الثاني] بن السلطان ابي محمد عبد الله [الثاني] استوقد غضبه وساء ما راي عليه حالة مملكته الجزائرية من الانحلال والاضمحلال وتساقطها شيئا فشيئا بيد الاسبان، فاشتد لذلك غيظه ونهض نشطا الى انقاذها وتخليصها من هؤلاء الغزاة الغاصيين فاجتهد اولا في مقاومة اخيه محمد [السابع] حتى ظفر به فخلعه عن العرش وتولى مكانه سنة ٩٤٩ هـ [١٥٤٢ م] فذهب آنئذ محمد الى وهران مستجيرا بالاسبان وحيث عمل ابو زيان على الارتباط بدولة الاتراك في الجزائر لمحاربة الاسبان، وغزا المرسى الكبير بوهران في ربيع

(١) محمد عبد الله عنان : مجله الكتاب ؛ جادى الاولى ١٣٧٢ هـ

الثاني - جوليت - من هذه السنة وكانت هنالك الحباثة فخابت الحملة الاسلامية

زحف السلطان المخلوع الى تلمسان

عاد السلطان المخلوع مع حماته الاسبان الى مقاومة اخيه ابي زيان وكان اللقاء بينهما في شوال ٩٥٠ هـ جانفي ١٥٤٣ م ، بشعبة اللحم بنواحي عين تموشنت فانهمز ورد بجنيته ، ثم كرر حملته مستجيشا بعاهل النصرانية « شارل كان » فجاء العاهل ومعه في هذه المرة عشرة آلاف مقاتل فاحتل تلمسان في ذي الحجة ٩٥٠ هـ (١٥٤٤ م) وعثا الجند الاسباني فيها بما لا تفعله سباع الغارة فانخذل ابو زيان واستعاد ابو عبد الله عرشه

خبة ابي عبد الله وعودة ابي زيان

ولما كان انتصار ابي محمد على اخيه وتسلمه على العرش بطريق غير شريف حيث استنهض على اخيه الصليبيين وجاء باعداء الاسلام الى هذه البلاد المسلمة ، احتدم غيض الرعية عليه فقاومته وانتقمته منه فخرج منهزما الى قبيلة [انكاد] على نحو ثلاثين كيلو مترا من وجدة مستعينا باحلافه الاسبان ؛ فافحق في سيره وانكسر شر انكسار ثم قتل ؛ وعاد ابو زيان الى العرش .

استشراف الدولة السعدية

ما برحت دولة الاشراف السعديين بالمغرب الاقصى تنظر الى حوادث الجزائر وتتبع وقائع المملكة الزيانية بغاية الدقة والعناية ، ولم تنزل ترقب جميع حركاتها وسكناتها حتى سنحت لها في هذه المرة - وسط هذه القلاقل والاضطرابات - فرصة الوثوب لضمها الى مملكتها ، فانتهزتها وزحف سلطانها المولى محمد المهدى السعدى بنفسه الى المغرب الاوسط فاحتل تلمسان بدون معارضة من اهلها ، وذلك يوم الاثنين ٢٣ جمادى الاولى ٩٥٧ هـ [٩ جوان ١٥٥٠ م] ؛ واشيع يومئذ انه قادم على غزو مدينة الجزائر وطرد الاتراك منها ، فاسخط ذلك باي لارباي

الجزائر واسرع ببعث الحامية الى تلمسان فالتقي الجمعان قرب مستغانم على ضفاف
الوادي المالح فانهمز السعديون الى داخل المغرب الاقصى وتقدم حاكم الجزائر
حسن باشا الى تلمسان فعزل عنها ابا زيان وولى مكانه مولاي الحسين بن عبد الله
الزياني تحت اشراف وتصرف الضابط التركي سبطمة



ولاية السلطان مولاي الحسن

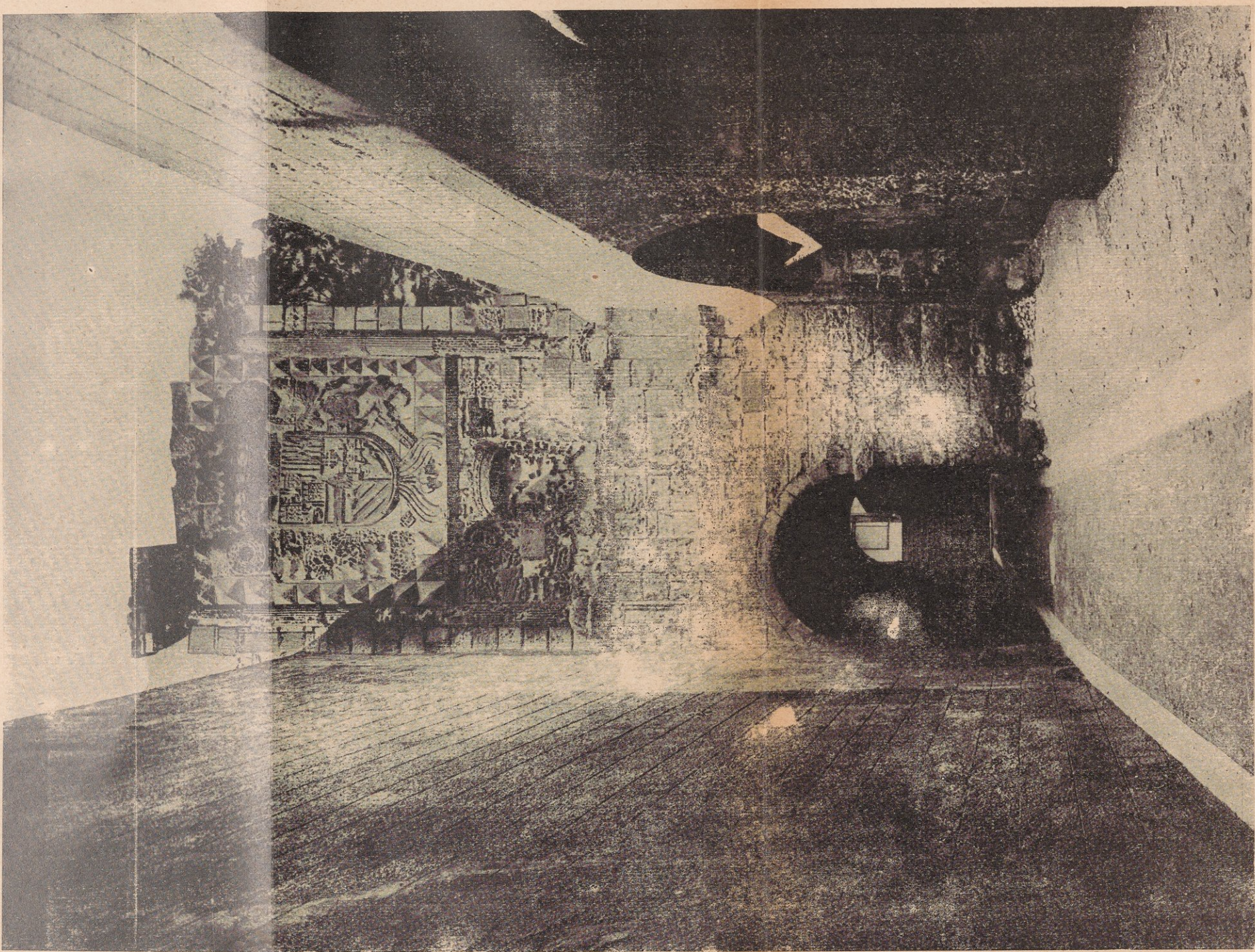
هو السلطان مولاي الحسن بن عبد الله «الثاني» آخر ملوك دولة بني عبد
الواد الزيانية بالجزائر: تولى عرش تلمسان سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠ م) تحت اشراف
دولة الاتراك بالجزائر، فكان وهو في ملكه جالساً على عرش اجداده كعامل موظف
على هذه الولاية لا غير؛ اذ ليس له من النفوذ شيء، ويصفه التاريخ بالعجز والقصور في
تدبير سياسته وتسيير مملكته، وان عهده كان عهد ظلم وعسف، واطهر ميله للاسبان
فنقم عليه الناس وابتعدوا عند فجر مودة شعبه: واجتمع مجلس العلماء يومئذ على
عزله، فبادر حينئذ باي لارباي الجزائر صالح رئيس الى خلعه؛ فخرج آتئذ
٩٦٢ هـ (١٥٥٤ م) الى وهران فتوفي بها سنة ٩٦٣ هـ (١٥٥٥-٥٦ م)؛ وقيل انه
توفي بالاندلس وتنصر هنالك ولده... وضمت اعمال تلمسان نهائياً الى حكومة
الجزائر التركية، وانقرضت بذلك دولة بني زيان وذوي غصنها الغض الى
عالم الفناء والله عاقبة الامور.

خلاصة حوادث الاسبان على عهد بني زيان

كان ابتداء اتصال الاسبان بالجزائر واحتكاكهم بها منذ سنة ٩١١ هـ [١٥٠٥ م]
حيث نزلوا بالمرسى الكبير ثم بوهران نفسها كما لمخنا الى ذلك فيما تقدم قريبا،
ثم امتد بهم الجشع والطمع الاستعماري الى السواحل الجزائرية فامتلكوا منها
بجاية ودلس ومستغانم الخ... وقد استفحل امرهم على عهد الحاكم

الاسباني «الكونت الكوديت» حين ولايته على وهران ٩٥٠-٩٦٥ هـ [١٥٣٤-١٥٥٨ م] فاستحوذوا على ما بين جبال كريشتل شرقا الى «راس فالكون» غربا والى نواحي اغلال قرب السبخة الكبيرة جنوبا؛ وكان من اهم الوقائع واهوال الحروب يومئذ هي وقائع انكاد ومستغانم ووهران ومسرغين؛ ولقد مات بجميعها نحو ثلاثة آلاف جندي اسباني؛ ثم تليها حوادث تلمسان وقنطرة الصفصاف وارزيو ووادي يسر وتنس؛ وتكررت الزخوف والتهجمات من طرف الاسبان على مدينتي تلمسان ووهران بالخصوص وكانت شديدة على الجزائريين، وكثرت الاشتباكات والملاحم الحربية ما بين الاتراك والاسبان تارة ومع بنى زيان تارة اخرى وتعددت المعارك بين هؤلاء وهؤلاء وكان النصر فيها سجالا، وانضوى كثير من سكان البوادي كبنى عامر وبنى راشد ومليئة وتليسات و «المغطسين» وغيرهم تحت حماية الاسبان، وامتد حينئذ طغيانهم الى مس نفوذ الاتراك بالجزائر ويومئذ تنمر لهم الاتراك فوضعوا ايديهم على سير الحوادث الوهرانية وشاركوا اهلها في مقاومة النفوذ الاسباني ورد عاديته عن الوطن الجزائري برا وبحرا وكانت لهم في ذلك مواقف حاسمة

كان لتوالي كثرة هذه الاهوال الحربية والاضرابات السياسية، وعدم تركيز احتلال الاسبان على قواعد الاجتماع ووسائل الدفاع الاساسية اثر ظاهر في تدهور وهران وتقهقرها اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، فكانت لذلك طيلة احتلال الاسبان لها ووجودهم بها بمثابة ثكنة حربية تحيط بها الاسوار والحيطان وتتمثلها المسارب والانفاق وتعلوها الكآبة والبؤس والشقاء لاغير... وكان موقف هؤلاء الغاضبين هو دائما موقف الخصم العنيد والعسكري الحقود الذي لا يشفق ولا يرحم، يقودونهم السياسة العسكريون المستبدون المستقلون عن بعضهم، ومن ورائهم القساوسة والرهبان من رجال الكنيسة المتعصبة؛ وذلك ما حملنا على القول جازمين باستمرار الحروب الصليبية وانتقالها الى المغرب بعد ما كانت نيرانها مستعيرة



بقية من بناية قصر القصبة الاسباني بوهران

بالمشرق؛ وهكذا الى اوائل القرن التاسع عشر الميلادي حيث كتب لها الانتصار على الشرق الاسلامي فسقطت الجزائر تحت نير الاستعمار... ولقد لحق الاماكن الجزائرية المحتلة ايام الاسبان من الالهانة ما الله به عليم فكانت مدة اقامتهم بها كلها محنة وبلاء في بحر لحي من الفتن متلاطم الامواج لا يقر له قرار؛ وستأتيك بقية حوادث الاسبان مفصلة مساقاة خلال ما نسطره من تاريخ الدولة التركية بالجزائر

المجتمع الجزائري

يتأكد على كل من يود الاطلاع او يريد الاحاطة بالحياة الاجتماعية لاي شعب ان يتحقق اولا ويدرس دراسة وافية لعادات ذلك الشعب الذي يريد الاطلاع على حالته وان يحيط علما بتقاليده واخلاقه وعاداته ما شذ منها وما شاء غير متحاشي من ذلك شيئا مع التمكن من معرفة ما امكن من مشخصات ذلك الشعب ومقوماته في جميع اطوار حياته ما حضر منها وما غبر، متتبعا مستقصيا لانتظام علاقاته بغيره من الشعوب ممن اتصل بهم او اتصلوا به من قريب او بعيد

ونحن اذا نظرنا الى اهل الجزائر بهذا الاعتبار وجدناهم في الطليعة معدودين من اهل الطبقة الراقية يومئذ بشهادة التاريخ نفسه وهو اصدق الشاهدين واعدل الحاكمين. قال يحيى بن خلدون «انهم كانوا ذوي اخلاق سرية، وطباع كريمية، من صفاتهم الحياء والوقار والوفاء بالعهد والعفاف والتدين والاقتصاد في المعاش واللباس والسكنى (١) فان قلت ان هذه الصفات جاءت في وصف اخلاق بني عبد الواد خاصة، قلنا نعم واجل، هم سادة الوطن ورؤساؤه والناس كما قيل على دين ملوكهم وقادتهم وانما صلاح الرعية بصلاح سادتها ورؤسائها

والعكس بالعكس .

ثم ان طبقات الامة الجزائرية يومئذ منحصرة في اربعة اصناف من الناس ، فانك لا تجد الجزائري الاتاجرا او محترفا او هو طالب للعلم معلما او متعلما ، او جنديا مع الجيش يدافع عن بيضة الاسلام وشرف وطنه ، لاخامس هنالك ، وقد ازدهرت الجزائر يومئذ بالوافدين عليها من مهاجري الاندلس ومعظمهم من مهرة الصناعات والزراعيين واهل العلم واليسار الذين درجوا في مهد الحضارة بالفردوس المفقود ، فاخذوا هنا بمهجرهم يمارسون مهنتهم الراقية في وطنهم الجديد ؛ وكان يبلغ عدد سكان المدينة الواحدة من المدن الجزائرية الشهيرة كتلمسان مثلا المائة والخمسين الف نسمة ، وكان بوهرا ن يومئذ نحو الستين الف نسمة .



الاقتصاد والانتاج بالجزائر

الاقتصاد كامة عامة يراد بها - كما هو معلوم - كل ما يشملها معنى تدبير المعاش وانماء الثروة بكل انواع الكسب والاحتراف مهما تعددت الالوان واختلفت المظاهر من جميع انواع الحرف والصناعات وما تقتضيه المعاملات التجارية بين الناس في مختلف انواع البضائع والسلع مهما تباينت المتاجر والاسواق وتعددت الاساليب والمسالك وتنوعت المرافق والاسباب . كل ذلك دفعا للاعسار وتمتعا باليسار وجلبا للرفاهية العامة التي تنبني عليها سعادة الشعب وترقيته ماديا ومعنويا .

ونحن اذا بحثنا في تاريخ الجزائر الاقتصادي واحتجنا في ذلك الى الادلة الصريحة ظفرنا بقواطع الحجج والشواهد الكثيرة على ذلك مما جعل الجزائر في المكان الاول بين صفوف الامم الراقية التي سابت غيرها في هذا المضمار ، وذلك ما صير هذا الوطن المغربي الكبير لما حووظا مرموقا لدى الدول القديمة والجديدة كما هو كذلك عند علماء الجغرافية والتاريخ منذ القدم الى اليوم ؛ فتراهم مهما ذكروا الجزائر

أواقنصروا على ناحية منها الا واثنوا عليها خيرا وعددوا في ذلك زروعها الغزيرة
ومنوجاتها المتنوعة الكثيرة واسواقها العامرة وصناعاتها النافقة ومياها الدافقة؛
الم يشهد التاريخ الروماني القديم لهذا الصقع المبارك بالخصب الممرع ورفاهية
العيش؟ الم بسميه في اصطلاحه بخزينة او مزرعة رومة «*Romæ graniarum*»
اذ كان يمددها ويغذيها بمقدار وافر من المحصولات كالحبوب والفواكه والخمور
والصوف والخشب والمرمر والزبائن «*l'Afrique a été le grenier de Rome*»
بلى وربى انما لحق... وتعالى معى الآن ايها القاريء الكريم الى جولة استطلاعية
ونظرة تاريخية عامة نلقيها على هذا الوطن الجزائري الخصب الثرى صعبة
الرحالة المغربي العظيم الشريف الادريسي وهو يحدثنا من كتابه الجغرافي
الحافل: «نزهة المشتاق في اختراق الافاق» حول بعض امهات المدن والقرى
الجزائرية فانصت اليسا اذ يقول:

«ومدينة الجزائر على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون على البحر عذبة
ومن آبارها، وهى عامرة آهلت وتجارها راجحة واسواقها قائمة وصناعاتها نافقة
ولها بادية كبيرة وجبال فيها قبائل من البربر وزراعتهم الحنطة والشعير واكثر
اموالهم المواشى من البقر والغنم ويتخذون النحل كثيرا فلذلك العسل والسمن
في بلدهم كثير وربما يتجهز بهما الى سائر البلاد والاقطار المجاورة لهم
والمتباعدة عنهم، واهلها قبائل ولهم حرمة مانعة

ويسوقنا الادريسي الى عاصمة بنى عبد الواد - تلمسان - مندفعاً في حديثه
الجغرافي قائلاً: «ان لها نهرا ياتيها من جبلها المسمى بالصخرتين، وان هذا
الوادى يمر في شرقي المدينة وعليه ارحاء كثيرة وما جاورها من المزارع كلها
سقى، وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمّة، وخيراتها شاملة، ولحومها
شحمية سمينّة، وبالجملة انها حسنة لرخص اسعارها ونفاق اشغالها ومرابح
تجاراتها؛ ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة اغمات وفاس الاكثر من اهلها

اموالا ولا ارفه منهم حالا» وذكرها البكري قبله في مسالكة قائلا « وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الاوسط ولها اسواق ومساجد ومسجد جامع واشجار وانهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زنانه وموسطة قبائل البربر ومقصد لتجار الآفاق». ويمضى الادريسي في حديثه عن ضواحي تلمسان فيذكر منها قرية العلويين - وهي على مرحلة من تلمسان - فيقول : انها قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ياتيها من القبلة وفواكهها فاضلة وخيراتها شاملة.

وفيدنا الملك ابو الفداء (٧٣٢هـ - ١٣٣٢م) بفائدة جلية عن تنقل القوارب وجولان المراكب البحرية في نهر تلمسان فيقول : «ويستدير النهر بقبليها وشرقيها ويدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر» «١» ونعود الى الادريسي لنستمع اليه فيما يذكر لنا عن حركة هنين - فرضة تلمسان - فنجده يقول : وهنين مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر وهي عامرة عليها سور متقن واسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة وفي وهران يقول : ووهران على مقربة من ضفة البحر، وعليها سور تراب متقن، وبها اسواق مقدرة وصنائع كثيرة وتجارات نافقة وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الاندلس وسعة البحر بينهما مجريان، ومنها اكثر ميرة ساحل الاندلس ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا، ولها على ميلين منها المرسى الكبير، وبه ترسى المراكب الكبار والسفن السفرية وهذا المرسى يستمر من كل ربح وليس له مثال في مراسى حائط البحر من بلاد البربر، وشرب اهلها من واد يجري اليها من البر وعليه بساتين وجنات وبها فواكه ممكنة واهلها في خصب والعسل بها موجود وكذلك السممن والزبد والبقر، والغنم بهار خيصة بالثمن اليسير ومراكب الاندلس اليها مختلفة وفي اهلها دهقنة وعزة نفس ونخوة.

ويتحدث عن مدينة «يلل» فيقول : بها عيون ومياه كثيرة وفواكه وزروع وبلادها جيدة للفلاحة وزروعها نامية. وعن ارزاو - ارزيو - فيقول انها قرية كبيرة تجلب اليها الحنطة فيسير بها التجار ويحملونها الى كثير من البلاد. ويذكر لنا قسطنطين فيقول : انها من احصن بلاد الله وهى مطلة على فحوص متصلة بها، وانها عامرة وبها اسواق وتجار واهلها ميسير ذوو اموال واحوال واسعة ومعاملات للعرب وتشارك في الحرث والادخار، ولها مزارع الحنطة والشعير ممتدة في جميع جهاتها، ولها في داخل المدينة ومع سورها مسقى يستقون منه ويتصرفون منه عند اوقات الحصار لها ممن طرقها؛ والحنطة تقيم بها في مطامرها مائة سنة لا تفسد والعسل بها كثير وكذلك السمن يتجهر به منها الى سائر البلاد. ويحدثنا البكري عن مدينة مستغانم بانها مدينة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء وينذر في ارضها القطن فيجود.

ثم ينتقل بنا الادريسي الى الكلام على مدينة تاهرت فيقول : ومدينة تاهرت كانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين احدهما قديمة والاخرى محدثة والقديمة من هاتين المدينتين ذات سور وهى على قنة جبل قليل العلو وبها ناس وجمل من البربر ولهم تجارات وبضائع واسواق عامرة وبارضها مزارع وضياع جمّة وبها من نتاج البراذين والخليل كل حسن؛ واما البقر والغنم فكثيرة بها جدا، وكذلك العسل والسمن وسائر غلاتها كثيرة مباركة، وبمدينة تاهرت مياه متدفقة وعيون جارية تدخل اكثر ديارهم ويتصرفون بها، ولهم على هذه المياه بساتين واشجار تحمل ضروبا من الفواكه الحسنة وبالجملة انها بقعة حسنة. وقد تحدث عنها قبله ابن حوقل فقال : والتجار والتجارة بتيهت المحدثه اكثر ولهم مياه تدخل اكثر دورهم واشجارهم وبساتين كثيرة وحمامات وخانات وهى احد معادن الدواب والماشية والغنم والبغال والبراذين الفرايد ويكثر عندهم العسل والسمن وضروب الغلات.

ويصف لنا الشريف القلعة الحمادية وما آلت اليه من بعد يقول : والقلعة كانت في وقتها وقبل عماره بجاية دار الملك لبنى حماد وفيها كانت ذخائرهم مدخرة وجميع اموالهم مخزنة، ودار اسلحتهم والحنة تختزن بها فتبقى العام والعامين لا يدخلها الفساد ولا يعتريها تغيير، وبها من الفواكه المأكولة والنعم المتخبطة ما يلحقه الانسان بالثمن اليسير، ولحومها كثيرة وبلادها وجميع ما يضاف اليها تصلح فيها السوائم والدواب لانها بلاد زرع وخصب وفلاحتهم اذا كشرت اغنت واذا قلت كفت، فاهلها ابد الدهر شباع واحوالهم سالحة.

كما انه يحدثنا ايضا عن اشير زيري فيقول : انه حصن حسن البقعة كثير المنافع ولم سوق يوم معروف يجلب اليه كل لطيفة ويبيع به كل طريفة. واما عن مدينة تنس فانه يقول : لها في جهتها الشرقية واد كثير الماء وشرب اهلها منه في ايام الشتاء والربيع، وبها فواكه وخصب واقلع وحط ولها اقاليم واعمال ومزارع وبها الحنة ممكنة جدا وسائر الجبوب موجودة وتخرج منها الى كل الآفاق في المراكب، وبها من الفواكه كل طريفة ومن السفرجل الطيب المعنق ما يفوت الوصف في صفته وكبره وحسنه.

ويذكر لنا مدينة مليانة عاصمة مغراوة فيقول : «هي مدينة قديمة البناء حسنة البقعة كريمة المزارع ولها نهر يسقي اكثر مزارعها وحدائقها وجنائها ولها ارحاء على نهرها المذكور ولاقليمها حظ من سقي نهر شلف،

ويصف لنا مدينة برشك فيقول : انها صغيرة على تل وعليها سور تراب وهي على ضفة البحر وشرب اهلها من عيون ومائها عذب وافتتحها الملك المعظم رجار - ملك النرمان - سنة هـ وبها فواكه وجمل مزارع وحنة كثيرة وشعير. ويقص علينا خبر مدينة شرشال انها : صغيرة القدر لكنها متحضرة وبها مياه جارية وابار معينة عذبة وبها فواكه حسنة كثيرة وسفرجل كبير الحرم ذو اعناق كاعناق القرع الصغار وهو من الطرائف غريب في ذاته وبها كروم

وبعض شجرتين، وما دار بها بادية لاهلها مواش واغنام كثيرة، والنجل عندهم كثير والعسل بها ممكن واكثر اموالهم الماشية ولهم من زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة... ومدينة مرسى الدجاج كبيرة القطر لها حصن دائر بها وبشر قليل: وربما فرعنها اكثر اهلها في زمن الصيف ومدة السفر خوفا من قصد الاساطيل اليها، ولها مرسى مامون ولها ارض ممتدة وزراعات متصلة واصابة اهلها في زرعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه والاحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير، والتين خاصة يحمل منها شرائح طوبا ومثورا الى سائر الاقطار واقصى المدائن والامصار، وهي بذلك مشهورة.

«ومن مدينة مرسى الدجاج الى مدينة تدلس ٢٤ ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وديار ومنتزهات وبها من رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس يوجد بغيرها مثله، وبها الغنم والبقر موجود كثيرا وتباع جملة بالاثمان اليسيرة ويخرج من ارضها الى كثير من الآفاق

«ومن تدلس الى مدينة بجاية في البر ٧٠ ميلا وفي البحر ٩٠ ميلا؛ ومدينة بجاية على البحر لكنها على جرف حرج ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامى العلو صعب المرتقى وفي اكنافه جمل من النبات المنتفع به في صناعة الطب مثل شجر الحوض والسقولوفندوريون والبرباريس والقنطوريون الكبير والزراروند والقسطون والافستين وغير ذلك من الحشائش. ويتحدث عنها البكري ايضا فيقول: ان بشرقيها نهر تدخله السفن محملة

«ومن القلعة - الحمادية - في جهة المشرق مدينة محدثة تسمى (برج) الغدير وبينها وبين القلعة ٨ اميال والغدير مدينة حسنة واهلها بدو ولهم مزارع وارضون مباركة والحراث قوائم الذات والاصابة في زروعها موجودة والبركات في معاملاتهم كثيرة وبين المسيلة والغدير ١٨ ميلا. وناهيك برخص اسعارها فالقنطار من العنب يساوي عندهم درهما واحدا كما ذكره البكري.

ويذكر ميلة فيقول عنها : مدينة حسنة كثيرة الاشجار ممكنة الثمار وفواكهها كثيرة ومحاسنها ظاهرة ومياها غدقة.

وبحدثنا عن مدينة حيجل فيقول انها : مدينة حسنة بها الالبان والسمن والعسل والزروع الكثيرة: وبها الحوت الكثير العدد المنتهى الطيب والقدر، وهو القائل ايضا عن سطيف انه حصن كبير القطر كثير الخلق كالمدينة وهو كثير المياه والشجر المثمر بضروب من الفواكه ومنها يحمل الجوز لكثرتهم بها الى سائر الاقطار وهو بالغ الطيب حسن وبيع بها رخيصا.

ويتعرض رحالتنا الى بلدة مازونة فيقول : ان لها انهارا ومزارع وبساتين واسواقا عامرة ومساكن موقفة ولسوقها يوم معلوم يجتمع اليه اصناف من البربر بضروب من الفواكه والالبان والسمن والعسل كثير بها وهي من احسن البلاد صفة واشهرها فواكه وخضا؛ ويتنقل بنا الى الحدبث عن مدينة مرسى الحرز فيقول : انها مدينة صغيرة عليها سور حصين ولها قصبة وحوالها عرب كثير وعمارة اهلها لها على صيد المرجان؛ والمرجان يوجد بها كثيرا وهو اجمل جميع المرجان الموجود بسائر الاقطار... ويقصد التجار من سائر البلاد الى هذه المدينة فيخرجون منه الكثير الى جميع الجهات ومعدن هذا الجوهر في هذه المدينة مخدوم في كل سنة ويعمل به في كل الاوقات الخمسون قاربا والزائد والناقص وفي كل قارب العشرون رجلا وما زاد ونقص، والمرجان ينبت كالشجر ثم يتحجر في نفس البحر بين جبلين عظيمين ويصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب، تدار هذه الآلة في اعلى المراكب فتلتف الحيوط على ما قاربها من نبات المرجان فيجذبه الرجال الى انفهم، ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالاموال الطائلة وعمدة اهلها على ذلك

ويذكر لنا الادريسي غابر مدينة بونة وحاضرها على عهده فيقول : انه كان بها اسواق حسنة وتجارة مقصودة وارباح موجودة، وكان فيها كثير من

الخشب موجود جيد الصفة، ولها بساين قليلة وشجر وبها من انواع الفواكه ما يعم اهلها واكثر فواكهها من باديتها والقمح بها والشعير في اوقات الاصابات كما وصفنا كثير جدا، وبها معادن حديد جيد ويزرع بارضها الكتان، والعسل بها موجود ممكن وكذلك السمن واكثر سوائهم البقر ولها اقلهم وارض واسعة تغلبت العرب عليها. ويذكرها البكري بمثل هذا ايضا مع افادته لنا بان اكثر تجارها اندلسيون وان مستخلصها غير جباية بيت المال عشرون الف دينار.

ويتحدث الادريسي عن قرية مسكيانه فيقول: انها قرية عامرة قديمة ازلية وبها زروع ومكاسب وعيون، ولها سوق ممتدة كالسماط، وهي اكبر من مرماجنة - مدينة تقع بالشمال الغربى من تبسة - كما انه يذكر لنا مدينه ندرومتا فيقول: انها مدينة كبيرة عامرة آهلة، ذات سور وسوق موضعها في سند، ولها مزارع كثيرة ولها واد يجرى في شرقيها وعليه بساين وجنات وعمارة وسقي كثير. ويذكرها البكري ايضا فيقول: لها نهر وبساين فيها من جميع الثمار.

ويستمر الشريف الادريسي في حديثه عن اقطار البلاد الجزائرية متجولا بنا هنا وهناك محترقا للافاق كاشفانا عن مخبات كنوز ارضنا الخصبه وبلادنا الغنية الثرية فتراه يقف بنا هنا على اشهر بلاد الزاب واصفانا منها مدينة المسيلة وطبنة ومقرة وتقاس وبسكرة وباغاية؛ فاستمع اليه اذ يتحدث عن الاولى منها فيقول: «هي عامرة في بسيط من الارض ولها مزارع ممتدة اكثر مما يحتاج اليها، ولها سوائم خيل واغنام وابقار وجنات وعيون وفواكه وبقول ولحوم ومزارع وقطن وقمح وشعير ويسكنها من البربر بنو برزال وزنداج وهوارة وصدراته ومزاتة؛ وهذه المدينة ايضا عامرة بالناس والتجار وهي على نهر فيه ماء كثير مستنبط على وجه الارض وليس بالعميق وهو عذب وفيه سمك صغير فيه طرق حمر حسنة

ولم ير في بلاد الارض المعمورة سمك على صفته ، واهل المسيلة يقتضرون به ، ويكون مقدار هذا السمك من شبر الى ما دونه وربما اصطيده منه الشيء الكثير فاحتمل الى قلعة بنى حماد وبينهما ١٢ ميلا ، وتخرج من المسيلة الى مقرة مرحلتا ، وهى مدينة صغيرة وبها مزارع وحبوب واهلها يزرعون الكتان وهو عندهم كثير .

ويتحدث عن طينة فيقول : انها مدينة الزاب وهى مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ، وعليها سور من تراب واهلها اخلاط وبها صنائع وتجارات واموال لاهلها متصرفه فى ضروب من التجارات والتمر بها كثير وكذلك سائر الفواكه... ومدينة نقاوس صغيرة كثيرة الشجر والبساتين واكثر فواكهها الجوز ومنها يتجهز به الى ما جاورها من الاقطار وبها سوق قائمة ومعاش كثيرة... ومن مدينة نقاوس ايضا الى حصن بسكرة مرحلتان وهو حصن منيع فى كدية تراب عال وبه سوق وعمارة وفيه ايضا من التمر كل غريبة وطريفة ، ويخبرنا عن اهل وارجلان - وارقلة - بانهم قوم ميسير وتجار اغنياء يتجولون فى السودان الى بلاد غانمة وبلاد ونقارة يشتررون التبر على اهلها ويخرجونه الى دور السكك فى بلادهم فيضربونه دنانير باسم بلادهم ويتصرفون بها فى التجارات والبضائع هكذا فى كل سنة (١) كما يحدثنا البكرى عن المحصولات فى باغية وطولقة وقزرونة فيقول عن الاولى : انها مدينة جليلة اولية ذات انهار وثمار ومزارع ومسارح . وعن الثانية يقول : انها ثلاث مدن كلها عليها اسوار طوب وخذق وحولها انهار وهى كثيرة البساتين بالزيتون والاعناب والنخيل والشجر . ويتحدث عن الثالثة بانها على نهر كبير عليه الارحاء والبساتين ، ويقال لها متيجة ولها مزارع ومسارح وهى اكثر تلك النواحي كتنا ومنها يحمل . وفيها عيون سايحة وطواحين ماء (٢)

(١) نزهة المشتاق للدريسي ط ليدن ١٨٦٤م (٢) المسالك والممالك للبكرى ط الجزائر ١٨٥٧م

ولقد سبق ان سقنا ماحكاه الادريسي عن حركة بجاية الاقتصادية والصناعية والبحريية ايضا بالجزء الاول من كتابنا هذا - صفحة ٣٣٣ - فلتراجع هناك. ورغم كل ما حدث اثر عصر الادريسي والبكرى من الاضطرابات السياسية والانقلابات الاجتماعية التي عمت اقطار المغرب العربي على عهد كل من الدول او الحكومات الثلاث: بني ابي حفص، وبني مرين، وبني زيان، فان ارض الجزائر لم يحدث في اقتصادها كثير تبديل او تغيير واستمر اهلها على استثمار بلادهم يعملون ناشطين في رخاء وخفض من العيش طيلة قرون؛ وهكذا نجد علماء التاريخ والجغرافية من اهل القرن السادس والسابع بل والثامن ايضا يصفون لنا الرقى الاقتصادي والتقدم الزراعى في بلاد الجزائر بمثل ما حدثنا به الاولون فهذا كتاب الاستبصار الذي تم تأليفه سنة ٥٨٧ هـ (١١٩١م) يتحدث عن مدينة مليانة فيقول : ولمدينة مليانة مياه سائجة وبساتين فيها جميع الفواكه وهي من اخصب بلاد افريقية وارخصها اسعارا وقال عن قلعة هواره - غربى مستغانم - هي قلعة منيعة فى جبل خصب فيه بساتين وثمار واشجار ومزارع واعناب، وتحتها فحص طوله نحو اربعين ميلا يشق به نهر سيرات ويسقى اكثر ارضه ويسمى ذلك الفحص سيرات باسم النهر وهو نهر كبير مشهور ويذكر مدينة بونة فيقول : هي من انزه البلاد واكثرها لبنا ولحما وعسلا وحتوتا.... وبغريبها ماء سائح يسقى بساتينها وارضها وموضع جنايتها منتزه حسن مشرف على البحر، وهكذا يستمر في وصفها الى ان يقول : وبغربى مدينة بونة بركة في دورها نحو عشرة اميال وفيها سمك كثير جليل.... واخيرا يقول : وللمغرب الاوسط مدن كثيرة قد ذكرنا اكثرها في البلاد الساحلية وهي كثيرة الخصب والزرع كثير الغنم (٢)

وهذا ياقوت الحموى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ (١٢٢٨م) يتحدث عن مدينة تنس

فيقول : ان بها مسجدا جامعا واسواقا كثيرة؛ ثم يذكر موازين ومكايل اهلها فيقول: ولهم كيل يسمونه الصفحة وهي ثمانية واربعون قادوسا، والقادوس ثلاثة امداد بمد النبي صلى الله عليه وسلم، ورطل اللحم بها سبعة وستون اوقية، ورطل سائر الاشياء اثنتان وعشرون اوقية، ووزن قيراطهم ثلث درهم عدل بوزن قرطبة كما انه يذكر مدينة الخضراء فيقول : هي بلدة بينها وبين مليانة يوم واحد، وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين على شاطئ نهر من اخصب مدن افريقية، ويحدثنا عن مدينة بونة فيمضي في وصفها حسب ما ذكرناه فيما سلف ثم يقول عنها : انها كثيرة الرخص والفواكه والبساتين القريبة واكثر فاكهتها من باديها. ٠٠٠٠ (١)

وهذا الملك ابو الفداء يذكر كذلك بونة في كتابه تقويم البلدان الذي فرغ من تبليغه سنة ٧٢١ هـ (١٣٢١م) فيقول عنها انها مدينة جليلة عامرة على البحر خصبة الزرع كثيرة الفواكه رحية، وبظاها معادن حديد ويزرع بها كتان كثير، وحدث بها عن قريب مغاص على المرحان ليس كمرجان مرسى الخرز. كما انه يذكر بسكرة فيقول : ومدينة بسكرة قاعة بلاد الزاب، ولبسكرة بلاد ذات نخيل وزروع كثيرة ومن بسكرة يجلب التمر الطيب الى تونس وبجاية. ويتحدث عن المسيلة بقوله : ومدينة مسيلة حسنة كثيرة الاشجار والثمار ومياها عذبة (٢)

وذكر مقديش الصفاقسي مدينة التين - بين سوق ابراهيم وتنس تبعد عن كليهما بمرحلة - فقال انها كثيرة شجر التين جدا ويعمل بها من التين شرائح اعظم من الطوب وبذلك تسمى ويحمل منها الى كثير من الاقطار. (٣)

(١) معجم البلدان ط ليبسيك ١٨٦٦م

(٢) تقويم البلدان ط الجزائر ١٧٣٩م ص ٨٠ و ٩٠ و ٩٤

(٣) الازهار الرياضية ص ٥٨-٥٩

وكما يشهد بذلك من كتاب الافرنج المتأخرين : مارمول وألفارينز

قوميز - *Marmol et Alvarés Gomés* -

ويتحدث الرحالة عبد الباسط بن خليل في رحلته - الروض الباسم - عن قسنطينة فيقول بانه نزل بها يوم سابع عشر شوال سنة ٨٦٨ هـ (٢٤ جوان ١٤٦٤ م) فرأى «منها مدينة عجيبة الموضوع، حسنة المجموع، على جبل عال وتحتها واد عظيم كثير الخصب والاجنة والرخاء الغالب، قال : واعجبتني الى الغاية ورأيت ابنتها جيدة فائقة....»

وقل مثل ذلك عن سير التجارة فأنها رائجة في كثير من انواع السلم التي كانت الجزائر تستوردها من الخارج على سبيل المبادلة مثل الزجاج وأجهزة وعتاد وعدد وغير ذلك من ادوات الحديد، او تصدرها من بضائعها المحلية المختلفة كالتمر المسبوك والذهب النضار والعاج والجوخ والصوف والحريير والكتب والسلاح الابيض والجلد والسمنك المجفف والمرجان والرقيق، فكل ذلك كان منتشرًا بأسواق البلاد الجزائرية تتوصل اليه بطريق القوافل التي تتردد بين الصحراء والتل محترقة لحدود تونس وطرابلس والمغرب الأقصى والسودان، وكذلك في البحر فان السفن والمراكب الاهلية والاجنبية لا تفتقر عن التنقل بين سواحل الجزائر والاندلس وصقلية وجنوة والبندقية وكثيرا ما كانت اسواق تلمسان ترى ملانة بالتجار من اهل ييزا والبيرو فانصوا والقطلان وغيرهم من الافرنج بله حركمة القوارب والزوارق التي كانت في نشاطها الدائم بانهار قسنطينة وتلمسان وارشقول ولقد شاهد هـ ذا المعنى عبد الباسط بنفسه فسجله في رحلته الى الجزائر

قائلا : «وفيه - اي في يوم تاسع عشر صفر ٨٧١ هـ - ١٠ اكتوبر ١٤٦٦ - ورد الى ساحل مدينة وهران شونيتة عظيمة من مراكب الفرنج الجنوبيين وردت من بلاد افلندة ونحوها من بلاد الافرنج بالمحيط برسم الاتجار في الجوخ وتجهز كثير من تجار وهران وتلمسان للسفر فيها الى جهة بلاد الاندلس وتجهزت

أنا أيضا لذلك وعزمت على العود لهذه البلاد بعد دخول تونس وغيرها من البلاد» (١) وأما عن متاجر وهران ومساكنها فإنها بلغت يومئذ إلى ألف وخمسمائة متجر ونحو ستة آلاف دار.

وأما المهن والحرف الصناعية فإن أهمها يومئذ بالجزائر يرجع إلى صناعة الدباغة وخصف النغار والاحذية والصياغة والعدانة والحزافة والتجارة والحدادة وفن البناء والتعمير، وكان مما امتازت به تلمسان واختصت به ما بين البلاد: الاتقان في النسج والقزازة، فإن لملابسها ومنسوجاتها الصفيقة من حرير أو صوف اعتبار وتقدير يفوقان منسوجات غيرها من البلاد، لا من حيث الأحكام في الصناعة والنسج فحسب، بل وحتى في جودة النوع والشكل مع الدقة واللطافة والخفة، فأنك تجد البرنس أو الكساء الحميد من الحرير لا يتجاوزونه عندهم الثماني أواق، والاحرام لا يتعدي خمس أواق. وذكروا أنهم كانوا يختبرون الأكسية والملابس الرقيقة الجيدة بإدخالها وإخراجها من حلقة خاتم! واليك وصف كاتب الدولة يومئذ يحيى بن خلدون لدار الصنعة بتلمسان قال :

«ان دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف اصنافهم وتباين لغاتهم واديانهم؛ فمن دراق ورماح ودرع ولجام ووشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصائغ ودباج وغير ذلك، فتستك لأصواتهم وآلاتهم الاسماع وتجار في احكام صناعتهم الازهان وتقف دون بحرهم الهائل الابصار؛ ثم تعرض قومتهم اصيلا ن كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة ايدة الله ويخزن كل بحجار صنعة المعد له وينصف العاملون من ارزاقهم عدلا هكذا ايدا» (٢) وان لناسا في حركت اسواق القيسرية بتلمسان لغنى وذكرى.

واشتهرت اسواق الجزائر يومئذ بانتظامها حسب انواع السلع والبضائع فأنك

(١) الروض الباسم ص ٤٠ و ٦٧ ط باريس ١٩٣٦ م

(٢) بغية الروادج ٢ ص ٦٦ ط الجزائر ١٣٢٩ هـ - ١٩١١ م

لا تجد اختلاطا بين البزازين والصاغة مثلا ولا بين الحدادين والنجارين فكل نوع منها سوق قائمة بنفسها، وبذلك نعلم انه كان للجزائر شأن عظيم في عالم الاقتصاد منذ القديم كما انها لا تزال كذلك الى اليوم

ويكفي في الاستدلال على التقدم والرقى الصناعي بالجزائر يومئذ ان تتأمل قليلا في اختراع العبقري المفن الجزائري على بن الفحام التلمساني لآلة المنجانة العجيبة ذات الوضع المدهش والصنع الميكانيكي والشكل الهندسي الغريب، اشأها صاحبها في اوائل سنة ٧٦٠ هـ [١٣٥٩م] لرصد الوقت فسبق ببديع صنعه واضع ساعة «ستراسبوق» بقرنين اثنين فكانت هذه من عجائب المخترعات، واليك وصفها من شاهد عيان شارك بنفسه في صنعها بوضع ايات شعرية لتنظم ساعاتها، وذلك هو يحيى بن خلدون، قال في سياق حديثه عن المهرجان الذي كان يقيمها السلطان ابو حمو الثاني في قصره وبمحضره في كل سنة بمناسبة ذكرى يوم المولد النبوي الشريف :

«..... وخزانة المنجانة ذات تماثيل اللجين المحكمة قائمة المصنع تجاهه - يعنى السلطان - باعلاها أيككة تحمل طائرا فرخاة تحت جناحيه وبخاتله فيها ارقم خارج من كوة بجدر الايككة صعدا، وبصدرها ابواب مجوفة عدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان محوفان اطول من الاول واعرض فوق جميعها، ودوين راس الخزانة قمر اكمل يسير على خط استواء سير نظيره في الفلك، وبسات اول كل ساعة با بها المرتجج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان بقى كل واحد منهما صنجة صفر يلقبها الى طست من الصفر محجوف بوسطه نقب يفضى بها الى داخل الخزانة فيرن، ويريد الارقم ان ينهش احد الفوخين فيصفر له ابوه فهناك يفتح باب الساعة الراهنة وتبرز منه جارية محتزمة صورت في احسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطور، فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها موضوعة

على فيها كالمبايعة بالخلافة لأمير المؤمنين، حيل احكمت يد الهندسة وضعها وراض
تدبير الخلافة اعلى الله مقامه شماسها
... وامرني ايده الله بنظم ابيات على لسان الجوارى المعرفات ساعات المنقانة
الغريبة الشكل المتقدمة الوصف فقلت في ذلك :
الساعة الاولى من الليل

امولى الملوك واعلى الامم	ومن جودة العالم الكل عم
مضت ساعة ليت لو تشنى	فان الحياة بكم تغتنم
ولله وجهك لما بدا	وقد خلته البدر في الافق تم
عليه لاجل التقى هيبته	وفيه من الفضل بشر الكرم
اقمت بمولد خير الورى	سرورا لكم بالمعالى حكم
طويت الفؤاد على حبه	ففعلك هذا على ذاك نم
قلت السعادة دنيا واخرى	وحزت المفakhir دون الامم
فدمر مساحيت لنا ملكا	يطيعك عرب الورى والعجم

الساعة الثانية

اخليفة الرحمن والملك الذى	تغنوا عز علاه املاك البشر
لله مجلسك الذى يحكى علا	بك مالكى افق السماء لمن نظر
او ما تري فيه النجوم زواهرا	وجها الخليفة بينهن هو القمر
والليل منه ساعتان قيد انقضت	تشنى عليك ثنا الرياض على المطر
لا زال هذا الملك منصورا بكم	وبلغت مما ترتجى اسنى الوطر

الساعة الثالثة

امولاي يا ابن الملوك الالى	لهزم في المعالى اسنى الرتب
تموات ثلاث من الليل اب	قت لك الفخر في عجمها والعرب

تعال الذي شئت من ارب

قدم حجة الله في ارضه

الساعة الرابعة

ومالك الفضل اجمع

يا واحدا في المعالي

مضت ليلك اربع

مولاي دميت عليا

وللمفاخر تجميع

لا زلت تفنسي الاعيادي

الساعة الخامسة

وجمال العالمينا

يا امير المسلمينا

كلها دنيا ودينا

والذي حاز المعالي

حسنها راق العيوننا

قد مضت ليل خمس

هكذا تمضي السنونا

وانقضى النصف فيآه

خالد الملك مكنينا

دمت في عز وسعد

الساعة السادسة

تخاله في عساكر

يا مساجدا وهو فرد

ما ان لها من نظائر

ست من الليل ولت

الى المعباد نسواضر

دامت لياليك حتى

الساعة السابعة

والفضل فيه سجي

يا من له الفخر طبع

ما ان لها مثنوية

مرت من الليل سبع

يعلييك رب البرية

لا زلت والشميل جمع

الساعة الثامنة

واشرف الناس اسرة

يا اكرم الخلق ذاتا

في القلب منى حسره

مرت ثمان واقت

اخا نعيم ونضرة

فيهن كان شبابي

ولى بها الدهر عنى
فالله يبيقك مولى
ترى لها بعد كرة
يطيل في السعد عمره

الساعة التاسعة

يا اوجد الناس في مجد وفي شرف
مولاي تاسعة الساعات قد ذهبت
كدا يمر ولا ندرى الزمان بنا
من كان ذا عمل في البر مثلكم
لا زلت ذا عزة والمملك ذا شرف

الساعة العاشرة

يا ممالك الخير والجيل التي حكمت
هذا الصباح وقد لاحت بشائره
لله عشر من الساعات باهرة
كذا تمر ليالى العمر راحلة
نمسي ونصبح في لهو نسر به
والعمر يمضى فلا ندرى فوا اسفا
ياليت شعري غدا كيف الخلاص به
يارب عفوك عما قد جنته يدي
يارب وانصر امير المسلمين ابسا

ومن هذا القليل ما سجله التاريخ عن ساعة الخليفة هرون الرشيد التي اهداها
للملك شارلمان وساعة الجامعة الاموى وباب جبرون بدمشق، وساعة المستنصر

العباسى بمستشفى بغداد (١)

(١) انظر الدارس في تاريخ المدارس للنعمى ج ١ ص ١٧٧ ط دمشق ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م
ورحلة ابن جبير ص ٢٤٩-٢٥٠ ط مصر ١٣٢٦ هـ وكتاب التصوير عند العرب لاجد تيمور
ص ٧٧ ط القاهرة ١٩٤٢ م وبغية الرواد ج ٢ ص ٤٠ و ٢١٨

ويظهر مما تقدم من نظم ساعة ابي حمو ان القوم كانوا يستعملون في ضبط الزمن الساعات الغرونية، اى تقدير مبدأ الزمن بساعة الغروب لا بالزوال وهى طريقة المشاركة المتعارفة بالا لا تركتها ومبدأها من غروب الشمس، فالزمن عند الغروب يعتبر صفرا ثم ياخذ فى التزايد الى هلم مجرا

ولا ينبغي ان يفوتنا هنا ونحن نؤرخ للساعات والفنون بالجزائر - ان نترك الإشارة الى ما كان بقصر السلطان ابي تاشفين الاول من تلك الشجرة العجيبة المصنوعة من الفضة الواقعة على اغصانها تماثيل طيور مختلفة الاشكال والالوان تحاكي اشباهها من الطيور الطبيعية، وكلها مصنوعة بحيل ميكانيكية لطيفة يعلوها صقر، فاذا نفخ في اصل الشجرة صوت تلك الطيور كلها باصوات على غرار نظرائها من الطيور حتى اذا تموج الهواء وبلغ الى الصقر صوت فتقطع لصوته جميع الاصوات كما نقل ذلك الامام القرافي عمن شاهد هذه الشجرة بنفسه وسمع تغريد طيورها بحضرة السلطان بلسان (١)

وكان من هذا القبيل ما تقدم ذكره من الهدايا النفيسة التى اهداها السلطان الثابتى الى ملك الاسبان؛ منها ما وصفناه من تلك الدجاجة العجيبة الصنعة المتبوعة بست وثلاثين نقفا من نوعها؛ فذلكم ايضا هو مما لا يستهان به فى الاستدلال على تقدم العلوم والفنون ونهضة الصناعات عهدئذ بالجزائر.

المذاهب والمعتقدات

حسبنا ما اطلنا به فيما قدمناه من التفاصيل الضافية والشروح الوافية حول تاريخ العقيدة الدينية والمذاهب الفقهية فيما سلف من ابواب هذا الكتاب وفصوله التى تناولنا فيها هذا الموضوع فى مختلف ادوار التاريخ الجزائرى وتطوراته بحسب توالى الدهور والعصور، وقد ارست سفينة الناس يومئذ حسبما ذكرناه هناك الى التدين بعقيدة الاشعرى والتمذهب بمذهب مالك تغمدهما الله برحمته

قال البكري : ولم تنزل تلمسان دارا للعلماء والمحدثين وحملة الراى على مذهب مالك بن انس رحمه الله (١) ولم يخالف في ذلك الا بعض البطون والقبائل المنتشرة بشرقى الجزائر وجنوبها كاهل مدينة تهودة فانهم لم يزوالا يومئذ على راي اهل العراق وقبيلة كتمامة الساكنة بجبال بجاية على راي الشيعة الاسماعيلية (٢)

(١) انظر الجزء الاول من كتابنا هذا: تاريخ الجزائر العام ص ٣٢٧ و ٣٥٠ و ٤٨١ وج ٢ ص ٣٣ والمسالك والممالك ص ٧٧ ط الجزائر ١٨٥٧

(٢) كنا المعناني اجمال الى شىء من عقائد الشيعة الاسماعيلية في كلامنا على تاريخ قيام دولتهم بالمغرب في الجزء الاول من كتابنا هذا : تاريخ الجزائر العام ص ٢٤٥-٢٤٦ و ٢٦٤-٢٦٥ واليك هنا بعض التفصيل :

ان من اثبت الاسس واهم اصول عقائد الشيعة الاسماعيلية القول بان لكل نبي وصيا، وان امر اختيار الوصي هو لله، وان الامام ضرورى للجنس البشري، وان الارض لا تخلو قط من امام ظاهر او مستور تبعا للقوة المادية التى تؤيده وتحميه، وانه لولا الائمة لما خلق الخلق وتجب طاعة الوصى والائمة من بعده طاعة شاملة لا تردد فيها والامام معصوم مثل الرسول؛ وبالغ فيه بعضهم الى ان بلغ به مرتبة النبوة بل الالوهية، مع تنزيههم لله عز وجل عن جميع الصفات التى يصفه بها اهل السنة، ويصرفون ذلك الى القلم وهو العقل الكلى.

وان ابرز ما يمتاز به هذه الفئة الاسماعيلية من بين الفرق الاخرى للشيعة هو القول بالظاهر والباطن وهو عندهم مبدأ هام به اشتهرت فرقته باسم الباطنية واستغله بعضهم ففسر القرآن على تفاسير خاصة تصل بهم الى غابة معينه

وفي تشريع الاحكام عندهم لا يقولون بالقياس، فاصبح لهم بذلك فقه يتفق ويختلف مع فقه اهل السنة، فان الحجر عندهم طاهر، وهم لا يحتمون طهارة مكان الصلاة ما دامت النجاسة لا تعلق بالثوب، ويجيزون الجمع في الصلاة بين الظهرين وبين المغربين - او العشائين من غير عذر، والقنوت عندهم في الركعة الثانية من صلاة الجمعة، ولا يجيزون القصر في الصلاة للمسافر الا اذا كان مسافرا الى مكة او المدينة او الكوفة او كربلاء، وتختلف عدد التكبيرات في الصلاة على الميت تبعا لمكانته، وشهر رمضان عندهم كامل دائما وابدأ ولا يتوقف الصيام والافطار على الرؤيه، والزكاة عندهم لا تجب في اموال التجار، بل يدفع الشيعة خمس ايرادة للامام، ونسكاح المتعة عندهم جازي، ولا يقع الطلاق الا بشاهدين مثل الزواج، وليس عندهم في المواريث عول ولا تعصيب، وخلصوا من العول بادخال النقص على بعض اصحاب الفروض؛ فالقرابة عندهم مقدمون على

«يكرمون من مال الى مذهبهم ويمرون من وافق اعتقادهم» وان اهل جبل اوراس وسكان باغاية وفحصها وقوما من سكان نوحى بنطوس كانوا بومئذ على راي الخوارج اباضية المذهب واصيلة العقيدة [١]

وهكذا ضلت الجزائر كما قدمنا متشعبة العقائد والمذاهب الى ان اتحدت على عهد المرابطين ومن خلفهم على هذا الوطن من الموحدين فانتشر بينهم يومئذ مذهب اهل الحديث من اهل السنة وتقرر راي الملكية في ذلك ودان الناس بعقيدة الاشعرية وعم ذلك بلاد الجزائر وبقية بلاد المغرب العربى كلها غير ناحية بلاد مصاب - مزاب - من التراب الجزائري وجزيرة جربة بتونس وجبل نفوسة بطرابلس فانها بقيت متمسكة بعقيدة الخوارج الاعتزالية متمذهبة بمذهب الاباضية [٢] واما غير المسلمين فكانوا على ما هو عليه الحال الى الآن : نصارى ويهود وفي عهد سقوط وهران بيد الاسبان [٩١٥ هـ - ١٥٠٩ م] اتخذ الكاردينال كسيمينيس بها ديرين للربان احدهما للدومينييك والآخر لاهل المذهب الفرانيسيكي.

العصبه، ولعلمهم بذلك يريدون تقديم فاطمة على العباس رضي الله عنهما، ولا يورثون الجد عند وجود ابن الابن، فالاجداد والاخوة والاخوات عندهم في الدرجة الثانية بعد الابناء، فالمت اذا انفردت وليس معها احد من الابوين فانها تحوز المال كله نصفه بالفرض ونصفه بالرد؛ وبذلك لا يشارك فاطمه بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم احد في ميراثها من ايدها، ولا يرث مع الام احد من الاخوة والاخوات، ومع قولهم بان قاعدة الميراث عندهم هي تقديم الاقرب فالهم يقدمون ابن العم الشقيق على العم لاب مع ان العم اقرب من ابن العم «راجع تاريخ التشريع الاسلامى للخضرى ص ٣٤٠. ٣٤١ ط مصر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م وتاريخ الترييه الاسلاميه للدكتور احمد شلبى ط بيروت ١٩٥٤ م

ولا تزال من فئة الاسماعيلية هذه جماعات متفرقة منبذة بانحاء الهند في كشمير وبومباى وجزيرة سرندين — سيلان — وبلقانستان وباكستان الغربى واليمن وشرقى افريقية وسوريا وعددهم ينيف على مليونى نسمة. ورئيسهم الحالى محمد شاه «اغاخا» المولود سنة ١٢٩٤ هـ - ١٨٧٧ م «١» المسالك والممالك للبكرى ص ٧٢-٧٣ و ٨٢ و ١٤٤-١٤٥ ط الجزائر ١٨٥٧ م

«٢» راجع الجزء الاول من كتابنا هذا ص ١٧٦-٧٨ و ٢٠١-٢٠٢ والجزء الثانى ص ٣٣ ٣٩

الثقافة والحضارة والعمران

تحتفظ لنا المجموعة التاريخية الكبرى التي شارك في وضعها نخبة من افاضل العلماء في القديم والحديث كالاخوين يحيى وعبد الرحمن ابني خلدون، والتنسي والغبريني، وابن مريم، وابن فرحون، واحمد بابا التنبهتي، والسخاوي والمسيطي البوني، ومحمد بن خواء المستغانمي، وشيخنا الحفناوي، ومحمد بن مخلوف التونسي، وهلم جرا.... بتاريخ سير الحركة العلمية بالجزائر، ضمن تراجم طائفة عظيمة وعدد وافر من نوابغ العلماء وارباب القرائح الذين انجبتهم الجزائر فكرسوا حياتهم لخدمة العلم ونشر الثقافة بين هذه الارحاء المغربية وخاصة منها هذه البلاد فان حظها من هؤلاء العلماء كان موفورا وسعيهم بها مشكورا، وليس هنالك اذل على ما ذكرناه اعظم من الرجوع الى مطالعة هذه المصادر المذكورة وهي بحمد الله مطبوعة متداولة بين الناس، فلا سبيل الى انكار الجاحدين المغرضين او معارضة المكابرين؛ فلقد ساءرت الجزائر موكب العلم والمدنية جادة في ذلك حسبما سمحت لها الظروف وتيسرت لها الاسباب؛ وكانت - كما لا تزال - كلما وجدت الى ذلك فرصة اهتمزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج، وفيها كان اسنقرار العلوم النظرية كما قال ابن خلدون في حديثه عن الادب والعلم بتلمسان،

قال : ولمن ذكرنا من اهل المائة الثامنة انتهت طريقة التعليم، وملكته التلقى . وهو يعنى بذلك الشريف التلمساني وسعيد بن محمد العقباني رحمها الله، قال لكونهما الفا التصانيف البعيدة وزاحما رتبة الاجتهاد من غير منازع،

وقال المقرئ في تعقيبه على كلام ابن خلدون هذا : وكذلك بلغ رتبة التبريز في تحصيل العلم كل واحد من ولديهما : الفقيه السيد ابو الفضل قاسم بن سعيد، والفقيه الاوحد السيد ابو يحيى الشريف . اذ بلغا رتبة الامامة والفتياد « ١ »

واضحت الجزائر يومئذ تفاخر البشرية بابتائها البررة البارزين في الحقل العلمي تفاخرا كثيرا

ومن معاهد العلم الشهيرة بتلمسان مدارس كثيرة منها مدرسة منشار الجلد، ومدرسة ابن الامام، والمدرسة التاشفينية، واليعقوبية، ومدرسة ابي حمو الثاني، ومدرسة ابي الحسن المريني بالعباد، والتعليم في جميعها بمراحله الثلاثة مجانا وذلك علاوة على ما كان يقوم به علماء الدين بالمساجد من دراسة علوم الشريعة واللغة، وللطلبة نظم وتراتب خاصة تجمعهم على حسب اختلاف اتجاهاتهم العلمية وتنوع مقاصدهم في الطلب، والى تلمسان هذه كانت تشد الرحال في طلب علوم الحكمة والفلسفات من نوع العلم الطبيعي والرياضيات والطب والموسيقى

فهذا عبد الباسط بن خليل المصري من علماء القرن التاسع الهجري هجر بلادته وارتحل الى الجزائر ليستكمل بها معلوماته في الطب فنزل بتلمسان واخذ بها عن الشيخ محمد بن علي بن فشوش احد اطبائها في المزاولة والدرس، كما انه لازم بها دروس طبيبها الكبير وحكيمها العالم الاسرائيلي موشى بن الاشقر؛ قال : « لا رايت كمثلته في مهارته في هذا العلم وفي علم الوقف والميقات وبعض العلوم القديمة... وقصده كثير من الفضلاء للاخذ عنه... قال : لازمته مدة واخذت عنه نبذة كبيرة نافعة في الطب وغيره واجازني، وبلغني عنه في هذه الايام انه انتهت اليه الرئاسة في الطب بتلمسان » « ١ » بينما الامر في بلاد الجزائر على ذلك اذا ببلاد الاندلس - وما ادراك ! - كانت على خلاف ذلك، فان لكل العلوم هنالك حظاً واعتناء خاصا الا الفلسفة والتنجيم فان لها حظا عظيما عند خواصهم ولا يتظاهرونها بها خوف العامة فانما كلما قيل فلان يقرأ الفلسفة ويشغل بالتنجيم اطلقت عليه العامة اسم زنديق وقيدت عليه انفاسه « ٢ » وان

« ١ » الروض الباسم لعبد الباسط بن خليل ص ٤٤ ط باريس ١٩٣٦م

« ٢ » نفح الطيب ج ٢ ص ١٠٧ ط مصر ١٩٣٦م

كان مزاج الامة الجزائرية مع ذلك عموما ذا صبغة دينية محضة حسبا دلتنا على ذلك اكثر آثارها الادبية واتاجها في عالم التأليف

واشتهر يومئذ من اطباء تلمسان الادباء الذين سمح لهم القدر بجمعهم بين جبر وهن الاجسام ومواسات جراحت القلوب والارواح؛ الطبيب الاديب الحاج ابو عبد الله محمد بن ابي جمعة التلايلسى، طبيب ابي حمو «الثانى» فانه علاوة على براعته في الطب ومهارته في العلاج كان اديبا متقننا ينظم الشعر الجيد ويحسن قرضه؛ ولم في كل المناسبات والاحداث التى تقع بقصر السلطان قصائد رشيقة وموشحات رائعة، منها قوله في مطلع موشح رفعه الى السلطان ابي حمو يوم الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم سنة سبع وستين وسبع مائة [١٣٦٥م]

لى مدمع هتان	ينهل مثل الدرر
قد صير الاجفان	ما ان لها من اثر
حق له يجرى	دما على طول الدوام
مذجد فى اليسر	ناس الى خير الانام
وعاقنى وزرى	يا صاح عن ذاك المقام
وسارت الاضعان	يحدى بها فى السحر
فاستبشر الركبان	بقرب نيل الوطر

ولقد مرت بك بعض قطع من شعر ملوك هذه الدولة وادبائها الدالمة على تضلعهم وتمكنهم من صولجان دولتى السيف والقلم فراجعها (١) وذكر بعض المؤرخين عناية السلطان ابي حمو الثانى بالعلم واهله فقال : هذا امر

(١) ذكر روبرتسون في كذابه تاريخ شارلكان : ان «د جاسين» رئيس الجيوش الفرنسية واعظم رجال عصره في القرن الرابع عشر الميلادى - الثامن الهجرى - كان اميا ، وان «هريون» اعظم قضاة الدولة كان كذلك اميا؛ قال وانهم عثروا على عدة قوانين ووثائق صادرة عن اهل الطبقة الاولى من الاعيان يستدل منها انهم كانوا أميين

يقصر اللسان عن الاحاطة به. (١)

واما العمران فحججنا فيه ما كانت عليه يومئذ عاصمة المملكة الجزائرية - تلمسان - من كثرة المنشآت وتعدد انواعها على اختلاف اصنافها واشكالها، فهذه قصور شامخة، وهذه مدارس موقنة، ومساجد فسيحة مزخرفة، وتلك منتزهات جميلة، وهناك دور رفيعة وحصون منيعة، ومصانع عجيبة وحدائق غناء... وكل ذلك مضبوط لدينا فيسا حررت مصادر التاريخ الموثوق بها ونطقت به الارقام والاحصاءات الصحيحة الثابتة (٢) وزد الى ذلك ما ذكره في قصر المشور وما كان عليه من الابداع، وما عثر عليه هنالك من الزلايج والنقوش المزخرفة على الجبس منها ما بقي موجود الى الآن ومنها ما اندثر

ويذكر اهل التاريخ ان عدد مساجد مدينة تلمسان في عهدها الزاهر اناف على الستين مسجدا، كان من بقاياها ما نشاهده اليوم من هذه العترة الباقية الى اليوم كدلالة على تقدم الحضارة والعمران بالجزائر في ذلك العهد السحيق، منها هذا الجامع الاعظم الذي انشأه المرابطون في جمادي الثانية سنة ٥٣٠ هـ «مارس ١١٣٦م» كما هو منقوش بباطن قبة المسجد، على ان منارة متأخر عنه بنحو سبعين سنة، ثم كان تجديد المنارة المذكور على عهد يغمراسن بن زيان مؤسس دولة بنى عبد الواد الزبانية، ويبدو على زخارف ونقوش هذا الجامع انها من صنع نحّاتين اندلسيين كما يلاحظ ان محرابه قريب الشبه بمحراب جامع قرطبة والمسجد الذي اقامه السلطان ابوحمو الثاني على ضرب سیدی ابراهيم. وهو معروف به الى الآن، وذلك المسجد البديع الشكل الجميل المنظر الذي انشأه السلطان ابو سعيد عثمان بن يغمراسن الزباني سنة ٦٩٦ هـ «١٢٩٦م» وهو المعروف بجامع سیدی ابی الحسن بن يخلف التنسی، اقامه السلطان المذكور كذكری للامير ابی عامر ابراهيم، وكان

(١) انظر نحلة اللبيب ص ١٦٦ ط الجزائر ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م

Marçais W et G les monuments arabes de Tlemcen Paris 1903

Marçais G - manuel d'art Musulman «l'architecture» Paris 1926-27

(٢) راجع

لفرط بهجة هذا المسجد وتفوقه بزخرفته ونقوشه الانيقة حولها الفرنسيون المحتلون عن وضعيته والغاية التي انشأ من اجلها وصيره متحفا للآثار، ومنها مسجد سيدى الحوى الجميل الذي انشأه السلطان ابو عنان فارس المرينى سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٣ م)؛ وما انشأه والده السلطان ابو الحسن على المرينى بضاحية المباد سنة ٧٤٨ هـ (١٣٤٧ م) من تلك المجموعة الاثرية الفنية الثمينة المحيطة بضريح الشيخ ابي مدين شعيب بن الحسين الاندلسى (٥٩٠ هـ - ١١٩٣ م) المحتوية على ذلك الجامع المزخرف الزاهر، وتلك المدرسة الانيقة والقصر المنيف؛ ويذكر لنا الشيخ ابو راس المعسكرى في كتابه او قل شرحه على نظمه الحاصل السندسية ان الجامع الاعظم بالجزائر هو ايضا من مؤسسات بنى زيان وان مؤسسه هو ابو تاشفين الاول اقامه بمكانه هذا يوم انتصاره على اعدائه وخصومه الثعالبية بميتيجة، وهذا خطأ محض لاحجة فيه، فلقد سبق ان ذكرنا في تاريخ دوله بنى مرين بالجزائر ان هناك جناحا انشأه السلطان ابو الحسن المرينى زيادة في الجامع المذكور [١] وعليه فان الجامع كان موجودا قائما قبل قيام دولة بنى زيان؟... واين هذا مما ذكره ابو راس؟... على ان المستفيض الشائع على السنة علماء الآثار والتاريخ من الباحثين الافرنج وما هو مكتوب مدون في مؤلفاتهم ان تاريخ الجامع هذا يعود الى عصر المرابطين (٤٩٠ هـ - ١٠٩٦ م) وانه ملحق في شكله وهندسته المعمارية بجامع تلمسان المنسوب الى على بن يوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين وذلك هو ما جزم به الدكتور «م، س، ديمان» امين مجموعة الشرق الادنى بمتحف الميتروبوليتان في عاصمة نيويورك الامريكية، حيث قال في معرض كلامه على تاريخ فن الحفر والنقش على الخشب بشمال افريقية :

«انه لا تزال بشمال افريقية عدة منابر هامة ترجع الى القرنين الحادى عشر والثانى عشر واقدم هذه المنابر منبر المسجد الجامع بالجزائر الذى بناه المرابطون

(١) راجع المسند الصحيح الحسن لابن مرزوق الخطيب «مخطوط»

سنة ١٠٨٢ (٤٧٤هـ) وتتكون زخارفه من حشوات مربعة تزينها زخارف هندسية متشاكبة واشجار نخيلية وتواريق في اسلوب مغربي اسباني، حملها الى شمال افريقية الفنانون الاندلسيون» (١) ولا يزال هذا المنبر موجودا الى اليوم بمكانه من الجامع المذكور تمام عليه الخطب الجمعة وفي الاعياد، ولا يزال نص تاريخه مكتوبا على بابيه بالخط الكوفي هكذا «بسم الله الرحمن الرحيم تم هذا المنبر يوم فاتح رجب من سنة سبع واربعمائة عمل محمد» وهو ما يوافق من التاريخ الشمسي [٤ دسمبر ١٠١٦ م] اى في عهد دولة صنهاجة، وهناك من يزعم ان تاريخ المسجد هو ما ذكرناه من تاريخ المنبر؟.... وايا ما كان فلا ارى صحة ما ذكره ابو راس من نسبة بناء المسجد الى ابى تاشفين الزياني؟...

اجل هناك بالجامع المذكور رخامة ثابتة عند باب مناره منحوت فيها بالخط المغربي البارز ذكر اسم السلطان ابى تاشفين الاول ولكن ذلك هو تاريخ المنار منه فقط لا المسجد، ودونك نص النقش الموجود فيها بالحرف: «لما تم امير المسلمين ابو تاشفين ايد الله ونصره منار الجزائر في مدة اولها يوم الاحد السابع عشر من ذي قعدة من عام اثنين وعشرين وسبعمائة؛ وكان تمامها وجمالها في غرة رجب من عام ثلاثة وعشرين وسبعمائة نادا المنار المذكور بلسان حاله الخالى اى منار حاله كحالى

اقام امير المسلمين تفافحا	كساني بها حسنا وتمم بنياني
وقابلني بدر السماء وقال لى	عليك سلامى ايها القمر الثانى
فلا منظر يسبي النفوس كمنظرى	الا فانظروا حسنى وبهجة تيجاني
فزاد الهى رفعة لمتممسى	كما زاد فى شأنى ورفع اركاني
ولا زال نصر الله حول لوائه	رفيقا له تال وحسنا له ثانى

ولعل الشيخ ابا راس اطلم علي هذه الكتابة المنحوتة بهذه الرخامة فظن أنها

تاريخ المسجد؟ ...

على ان ناحية القبلة منه والقبعة القائمة فوق محرابه هما من منشآت العهد التركي في القرن الحادى عشر الهجرى - السابع عشر الميلادى - بناهما المفتى المالكي في التاريخ على حسابه طيب الله ثراه، وذلك اثر حادثة حربية وهجوم بحرى ضد مدينة الجزائر فسقطت القنابل على جدار القبلة من المسجد فتهدم الصف الامامى منه فجدده المفتى من ماله الخاص بعد بيع املاكه

ويذكر عن السلطان ابى تاشفين الاول انه كان من اشد ملوك هذه الدولة عناية وولوعا بالتعمير فانه قام بتأسيس كثير من المعالم والمعاهد، واغلبها اليوم اطلال دارسة، منها مدينة «تاميزدكت» بشمال الوادى الكبير - سومار - قرب محطة السكة الحديدية من مدينة القصر، انشأها ابو تاشفين سنة ٧٢٦ هـ «١٣٢٥م» وجعلها قلعة حصينة ومركزا حربيا لمقاومة الحفصيين ببجاية، اسكن بها نحو ثلاثة آلاف ومائتى فارس وشحنها بالميرة؛ ثم كان تقويضها سنة ٧٣٣ هـ «١٣٣٢م» على يد خصومه الحفصيين بمؤازرة مرين، ومثلها بتلمسان بناية دار الملك ودار السرور وابى فهر، والمدرسة التاشفينية، وكلها تلاشت وانعدمت الا الحوض او الصهريج الذى ترى بقية منه غربى تلمسان البالغ طوله مائتى وعشرين مترا وعرضه مائة وخمسون مترا فى عمق ثلاثة امتار فانه حافظ على وجوده الى الآن وكان انشاؤه حوالى سنة ٧١٦ و ٧٢٨ هـ «١٣١٣-١٣٣٦م» وقد كان يستعمل هذا الحوض للسباق بين الزوارق والقوارب في ايام الاعياد والمواسم والاحتفالات الملكية كما هو مستعمل للسقى والري؛ ويقال ان انشاءه كان لاجل تمثيل وقعة قتال بحرية للسلطان... .

كما يذكر عن ابى حمو الاول انه احدث بتلمسان سنة ٧١٧ هـ ١٣١٨ قصبة خصها بسكنى من عنده من رهائن ابناء زعماء القبائل الذين هم تحت طاعته وامره وهم كثيرون؛ فانشأ لهم هذه القصبة على شكل مدينة محتوية على

جميع المرافق والضروريات التي تتبنى عليها حياة المدن من اسواق ومساجد الخ... واذن لساكنيها بالزواج فكانت تعج باصحابها وتضج ضجيج العواصم الكبرى وصارت بذلك كما يقول ابن خلدون من اغرب ما يحكى في العصور عن سجن

وعلى هذا المنوال كان ابتناء زاوية الشيخ ابراهيم التازي بوهراڻ ٨٦٦ هـ ١٤٦٢ م فانها كانت علاوة على ما هو معهود في الربط والزوايا من كثرة البيوت والمقاصر وتعدد مساكن اللاجئين والفقراء الخ... فإن فيها ايضا مدارس ومساجد وحمامات وصهاريج وبساتين ومخازن وخزائن كتب وسلاح الخ... فاذا كانت هكذا بنايات الشعب والرعية فكيف تكون أبنية الملوك؟ وان هذه المباني والآثار كما يقول الدكتور غوستاف لوبون : تظهر بين اضمن مصادر التاريخ، فهي كتب لا تكذب ابدا، وهي تشتمل على لغة بالغة الوضوح، بيد انه لم يبدأ في ادراكها في غير ايامنا،

ولقد ضبط اهل الاحصاء مساكن من منازل السكنى بوهراڻ قبل الاحتلال الاسباني بعشر سنوات فبلغ الى ستة آلاف دار؛ اما عدد المتاجرا ولحوانيت فانها انافت على الف وخمسة مئتين، ويضاف الى ذلك طبعا عدد مناسب من الفنادق والحمامات والافران والرحاب والقاعات والمصانع والمطاحن والاسواق والمساجد والمدارس وهلم جرا مما تقتضيه مرافق الحياة، وقد يكشف لنا فن المعمار احيانا عن عناصر التاريخ التي لا تحدث عنها الكتب

قال يحيى بن خلدون وهو ممن عاش بهذا العصر الذي نؤرخه ولايس ملوكه، يصف تلمسان: «وبها للملوك قصور زاهرة اشتملت على المصانع الفائقة، والصروح الشاهقة والبساتين الرائقة مما زخرت عروشه ونمقت غروسه، وتناسبت اطواله وعروضه فازرى بالخورنق واللسين وبالجملات فان تلمسان اصبحت كما يصفها المؤرخ الكبير اخوه عبد الرحمن : اعظم امصار المغرب ونفقت بها اصناف

العلوم والصنائع وضاهت امصار الدول الاسلامية والقواعد الخلافية.
 وذكروا مثل ذلك عن مدينة وهران بما فيها من المؤسسات العامة
 ومراكزها التجارية المتنوعة ومساجدها ومنتزهاتها الجميلة ومدارسها الشبيهة بمدارس
 غرناطة واشبيلية كما وصفها الكاتب الاسباني «الفاريز قوميز» Alvarés Gómez

انهيار دولة بني عبد الواد الزيانية

حياة الدول او الامم هي كحياة الافراد كل يعانى منها ما يعانى الآخر من
 تقلبات الزمان وضرباته وتقلباته من حال الى حال وتطوراته المستمرة الى غير
 ذلك من النوااميس والعوامل الطبيعية فتولد وتنمو وتذور ايامها ما بين سعادة
 وشقاء وراحة وعناء، وبؤس ورخاء وقوة وضعف وارتقاء وانحطاط وحياة
 وموت، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.
 واذا علمت كيف كانت وضعية الجزائر السياسية والاجتماعية في اواخر عهد
 الدولة الزيانية من التششت والاضطراب وما احاط بها يومئذ من الفتن والمشاكل
 المتنوعة المهددة، بسبب تضافر الدول المجاورة على محققها وتسابقها الى محوها
 والقضاء عليها، مع اعتداءات القبائل العربية والعشائر البربرية المتكررة،
 وتزاحم المشيخة والقادة على الرئاسة وتتبع مصالحهم ومنافعهم الخاصة بدون
 مبالاة ولا التفات الى مصالح الشعب والوطن، فاذا علمت كل ذلك تيقنت وان الدولة
 الجزائرية يومئذ اشرفت على الهرم لاحالة بل انها ولا ريب ذاهبة الى التدهور والزوال.
 وزد على ذلك مضايقات الانراك والاسبان وحمولاتهم وحروبهم المتوالية
 بالجزائر مع تطلع دولة الاشراف السعديين الى امتلاكها وضمها الى مملكتهما المغربية
 مع انهماك الدولة الزيانية يومئذ واستغراقها في حروبها الداخلية لرد هجمات
 المنشقين وقمع طوائف الثائرين ودفع غاراتهم المتكررة....
 فاذا استحضرت ذلك كله ودرسته على ضوء ما قدمناه لك من الحوادث

والاحداث المنسقة الاخذة برقاب بعضها بعض ، ادركت النتيجة المحتملة والعاقبة المنتظرة لهذه الدواة او غيرها ممن كان على شاكلتها ووضعيتها هذه... وذلك لا محالة غاية كل من احاطت به مثل هذه العوامل الهدامة وتدافعتها الاقدار الى هاتيك الاطوار ، وطرحته بين مخالب تلك الزوابع والزعازع الفتاكة

واذا اضفت الى ذلك ما كان يومئذ بين ملوك هذه الدولة نفسها من التنافس والتزاحم على العرش والاستئصال بالاجنبي على بعضهم بعض مع انفسهم وانشغالهم بانفسهم عن العدو، هان عليك حينئذ الحكم بالمصير....

وكان لزاما ان تتساقط اوصال هذه الدولة وتنفك وحدتها وتتحط
عن قمة مجدها الى الحضيض صريعة منكسرة الجناح ... وفعلا وقعت من عليها
مجدها بيد الاتراك العثمانيين سنة ٩٦٢ هـ (١٥٥٤م) كما سيرد عليك تفصيله
فمما نقصه عليك في محله من تاريخ الاتراك بالجزائر

ولاية الجزائر وزعمائها

اشتهر من ولاية هذه الدولة وزعمائها ورؤساء العشائر وقادتها وشيوخ القبائل
وساداتها : الرئيس القاضي ابو محمد عبدون الحباك حاجب يغمراسن بن زيان ،
ومن اعيان الوزراء والحجاب يحيى بن مجن او - مقن - ؟ وأخوه عمروش
وولداه يحيى وعمر ، ويعقوب بن جابر ورحو بن محمد الخراسانيان ، ولقد كان
تدوين مدينة تدلس واطاعتها لبنى زيان على يد جابر الخراساني هذا سنة ٧٥٣ هـ
(١٣٥٢م) ، ومنهم الوزير غانم بن محمد الراشدي ، ومعروف بن الفتوح
التيجاني ، ويحيى بن موسى الجمي ومحمد بن ميمون بن الملاح وولداه من بعده
الاشقر فابراهيم وعمه علي بن عبد الله

كان آل الملاح هؤلاء من بيت محمد وحسب من اهل قرطبة الاثرياء،
اكتسبوا ثروتهم بطريق الزراعة والفلاحة، واشتهروا بالصدق والعفاف وحفظ الامانة

والتدين فاختارهم ملوك هذه الدولة للعمل بدار الضرب في تلمسان، وعرف من بينهم اثنان: عبد الرحمن بن محمد الملاح متولى الاشغال على عهد يغمراسن بن زيان، ومحمد بن ميمون الوزير، ثم كان انقراض هذه الاسرة يوم اغتيال السلطان ابي حمو الاول سنة ٧١٨ هـ «١٣١٨م»

ومن الوزراء العاليج القطلاني المعروف بالشدة وشراسة الاخلاق، ولما حج سنة ٧٢٥ هـ «١٣٢٥م» اناب عنه الحاج ابا عبد الله محمد بن حوتية ثم اعتقل ومات في السجن، ومنهم الحاج ابو عمران بن موسى بن برغوث اللؤلؤي وابو عبد الله محمد بن عامر الولهاسي وابو عبد الله محمد بن سعود، وابو محمد عبد الله بن مسلم، ويحيى بن داود بن علي من آل ابن مقن وعبد الله الزردالي المشهور بالبسالة والاقدام، ومنهم منصور بن ابي غانم آخر وزراء الدولة الزيانية وأخوه عبد الله سفير الدولة الى اسبانيا

ومن اصحاب الاشغال: ابو زكرياء يحيى بن محمد؛ وابو المكارم منديل بن المعلم وابو زيد عبد الرحمن بن مخلوف الشامي، وعبد الرحمن بن النجار مدبر مملكة السلطان محمد بن ابي ثابت

ومن الكتاب العسكريين والمدنيين ايضا: محمد بن غالب قتل يوم ثورة النصاري على السلطان يغمراسن بن زيان. فتولى بعده ابو عبد الله محمد بن جدار، ثم ابو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسى المتوفى في يوم عاشوراء ٦٨١ هـ «٢٠ افريل ١٢٨٢م». وابو عبد الله محمد بن المعلم، وابن خميس شاعر الجزائر واديبها الكبير في القرن السابع، وابو عبد الله محمد بن المرقوم الهسكوري، وابو عبد الله بن مدورة، وعبد الواحد بن محمد الزواق، نكب في دولته الاخوين السلطان ابي سعيد وابي ثابت، فخلفه علي بن محمد بن سعود، وابو عبد الله محمد بن علي العصامي، واحمد بن الحسين المديوني، وابو عبد الله محمد القيسي المشهور بالمشوش، ثم نقل هذا الى امانة المال على عهد ابي حمو الثاني

وفي سنة ٥٧٦٩ هـ «١٣٦٨ م» دعا السلطان ابو حمو الثاني لحجابه الفيلسوف العالم المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون فحالت بينهما العوائق وعاقبت المؤرخ الموانع فاناب عنه اخاه يحيى فشغلها الى ان قتله ابوتاشفين الثاني سنة ٥٧٨٠ هـ (١٣٧٨ م) وتجددت دعوة ابي حمو لابن خلدون سنة ٥٧٧٦ هـ (١٣٧٥ م) ليقوم له بالسفارة لدى عرب الدواودة؛ فامتنع وآثر التخلي عن السياسة والانقطاع للدرس والبحث والتأليف فنزل باهله وولده قلعة ابن سلامة. او بنى سلامة (١) فأقام بها اربعة اعوام اكمل فيها تأليف مقدمة تاريخه الحافلة، ثم استجاب بعد ذلك لطموحه السياسي البعيد وغريزته الوثابة الجاحجة فلبى دعوة ابي حمو واخذ في بث دعوته في البلاد ونشر مناقبه بين اهل بجاية وما حولها من القبائل عاملا على تحويلهم من جانب ابي العباس الحفصي وتوجيههم الى ناحية السلطان ابي حمو.

خرج ابن خلدون صحبة امير بسكرة ومن استمالهم اليه من الزعماء ومشائخ العرب في جموعهم الكثيرة متوجهين الى نصرة السلطان ابي حمو؛ وكان اللقاء بينهم وبين السلطان في مدينة البطحاء - البسيط الواقع بين مدينة غيليزان ووادي شلف - فلازمهم ابن خلدون مدة الى ان اظلمهم عيد الفطر هناك فخطب ابن خلدون وصلى بالسلطان صلاة العيد ثم انشده عند انصرافه

(١) المعروفة الى الآن بقلعة تاوغزوت، تقع على نحو ستة كيلومترات بالجنوب الغربي من مدينة فرندة الواقعة على وادي التحت بمقاطعة وهران من بلاد الجزائر، كما تبعد ايضا عن مدينة تيارت الحالية بالجنوب الغربي بتسع مراحل، وكان مسكن ابن خلدون منها بقصر ابي بكر بن عريف، وهو من احفل القصور ووقفها؛ اقام به مؤرخنا الجليل اربع سنوات اكمل فيها تأليف مقدمة تاريخه العجيبة النفيسة، واما سلامة الذي تنسب اليه القلعة المذكورة فهو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بنى يبلاتن من بطون توجين، سكن تاوغزوت واختط بها القلعة فنسبت اليه وكانت من قبل رابطا لبعض العرب المنقطعين من بنى سويد، انظر ابن خلدون

من المصلى قصيدة في التهينة بالعيد وفيها حث وتحريض للسلطان، طالعها :
 هذى الديار فجيهم صباحا وقف المطايا بينهن طلاحا
 لا تسأل الاطلال ان لم تروها عبرات عينك واكفا ممتاحا
 فلقد اخذن على جفونك موثقا ان لا يرين من البعاد شحاحا
 ايه على الحى الجميع وربما طرب الفؤاد لذكرهم فارتاحا

ثم تغير نظر ابن خلدون الى ابي حمو فانقلب على صاحبه وتحول الى السلطان
 عبدالعزيز بن السلطان ابي الحسن المريني ملك المغرب الاقصى وانتظم في سلك
 الحملة التى بعث بها الملك لغزو تلمسان ومحاربة ابي حمو صديق ابن خلدون
 بالامس....

وكان على قيادة الجيش ورئاسة الجند يحيى بن موسى السنوسي الذي طالمنا تولى
 القيادة فاحتوى عليها غالبا، وهو الذى فتح تونس سنة ٧٢٩هـ [١٣٢٩م] وكان
 من قبل عاملا للزبانيين على ولاية شلف الممتدة من حدود مدينة دلس الى
 المدية، وكبير القادة موسى بن علي الغزى؛ والقائد عيسى بن مزروع الياتكشي؛
 والامير ابو سرحان مسعود الزباني؛ واجتمع لموسى الكردي كل من منصبى
 القيادة والحجابة معا، وكان يعيش بن راشد المجني قائدا بالجزائر ودلس، وعطية
 بن موسى الركاب قائدا بشلف، وواتفل بن عبو بن حماد قائدا بمدينة، كما تولى
 القيادة بها ايضا يوسف بن حسين التجاني؛ وقائد بني راشد : زيان بن ابي يحيى
 بن وزمان، وقائد منداس ووانشريس : ابراهيم المصوجي، وقائد وجدة :
 موسى بن خالد بن محمد، وقائد ندرومة : زكرياء بن يخلقتن المطغرى،
 وقائد سجلماسة : عبد الملك العبد الوادى المقتول يوم فتح المرينيون سجلماسة
 ٦٧٣هـ [١٢٧٤م] ويحيى الزعيم عامل مستغانم، وابن اخيه داود كبير اهل
 الشورى؛ وكان المنتصر بن ابي حمو الثانى واليا على مليانة والجزائر، كما تولى منصب مليانة
 ايضا الامير محمد بن يوسف بن يغمراسن، وكان على بجاية ابو هلال عيساد

المتوفى سنة ٦٧٣هـ [١٢٧٤م] وعبد الرحمن بن رضوان وصى العرش الزياني
ايام المولى محمد، والقائد احمد بن سليمان، والقائد ابراهيم، والقائد ابو الاخراس
اسير الاسبان.

واشتهر من شيوخ العرب ورؤسائهم يومئذ سليمان بن موسى اليزيدي
رئيس بني يزيد، واستعمل السلطان ابو حمو الاول على توجين الحشم : يوسف
بن حيان الهواري واعطاه الطبل والبند، كما استعمل حاجبه مساحباشاف وبلاد
مغراوة وكان راشد بن محمد المغراوي على ناحية وادي شلف

وكان على رئاسة القبائل العربية كل من عبد الله بن شيقر، وسعد
بن العباس، وزيان بن يعقوب، وزيري بن رحو، ومنديل بن ابي يحيى الصغير
وكانت رئاسة منطقة ما بين مدينة قسنطينة والقل والزاب والحضنة للدواودة،
وواحاح تقرت وواد ريغ لبنى جلاب، ورئاسة بلاد القبائل - زواوة - لسلطان
كوكو المقيم بقرية آيت يحيى على بعد ثمانية كيلومترات شرقي
بلدة ميشلي

وكانت رئاسة مشيخة الجزائر لبني علان، ثم انتقلت منهم الى بني سالم بن
ابراهيم من الثعالبة، ومنهم سالم التومي آخر ولاية مدينة الجزائر على عهد بني
زيان . وكانت ولاية سهول شلف لبني ثابت بن منديل المغراوي . وقد كان
ثابت هذا على ولاية برشك فأوقع به السلطان ابو سعيد لغدر صدر منه سنة
٦٩٣هـ (١٢٩٣م) ، ومنهم اخوة ثابت بن منديل : محمد وعمر وعابد، وكاهم
تولى رئاسة مغراوة؛ وكان من مشمول هذه الولاية مدينة مليانة وتنس
ومازونمة وبرشك وشرشال، وآخر من تولاهما منهم على بن هارون ٧٧٤-
٧٧٦هـ (١٣٧٢-١٣٧٤م) حاصره ابو تاشفين بن ابي حمو واخرجهم من ارض
مغراوة في ربيع الاول - اوط - من التاريخ المسطور فلهحق ببجاية ثم ارتحل
عنها الى الاندلس وبذاهبه انقرضت امارة بني منديل من مغراوة وكان على

ولاية وهران كعامل ومدير لشؤونها على عهد السلطان احمد المعتصم بن ابي حمو
المسمى محمد الزكاجي

وكانت رئاسة واركلان - بني ورجلان - في آل بني ابي عبدل. ويعرف
عندهم الرئيس بنقب السلطان، ورئاسة توجين في آل عبد القوي بن العباس
من بني منكوش وفي بني تيغري كذلك واولاد عزيز ايضا

وكانت رئاسة قلعة تاوغزوت قرب فرندة في بني سلامة بن علي
بن نصر الى ان خربها ابو حمو الثاني سنة ٧٧٠ هـ (١٣٦٨ م) ومن رؤساء
برشك زيرم بن حماد المكلاطي المستبد بها سنة ٦٨٣ هـ (١٢٨٤ م) فقتله بنو عبد
الواد سنة ٧٠٨ هـ (١٣٠٨ م)

واشتهر من السفراء العلامة ابو عبد الله محمد الشريف التلمساني؛ وداود بن
مجن، وعبد الله بن محمد بن ابي غانم، في آخرين لم تحضرني الآن اسماؤهم....

ملوك الدولة الزيانية

في الدور الثالث والاخير

تاريخ التولية

١٥١٧ - ٩٢٣ هـ	ابو زيان احمد «الثاني»
١٥١٨ - ٩٢٤ هـ	ابو محمد عبد الله «الثاني»
١٥١٩ - ٩٢٥ هـ	ابو السرحان المسعود
٠٠٠٠٢ - ٠٠٠٠٢	ابو محمد عبد الله «للمرة الثانية»
١٥٢٤ - ٩٣٠ هـ	ابو عبد الله محمد «السابع»
١٥٤٢ - ٩٤٩ هـ	ابو زيان احمد «الثالث»
١٥٤٤ - ٩٥٠ هـ	ابو عبد الله محمد «السابع» - للمرة الثانية -
١٥٤٤ - ٩٥٠ هـ	ابو زيان احمد «الثالث» - للمرة الثانية - عامل عثماني -
١٥٥٠ - ٩٥٧ هـ	الحسن بن عبد الله «الثاني»

استيلاء صالح رئيس باشا على تلمسان نهائيا ٩٦٢ هـ - ١٥٥٤ م

مشاهير الجزائريين

ابو الفضل محمد المشدالى

١٨٦٤ هـ (١٤٦٠ م)

هو اواحد زمانه وعلامة عصره وآوانه الشيخ ابو الفضل محمد بن محمد بن
ابى القاسم المشدالى - بفتح الميم والشين المعجمة وتشديد الدال، نسبة الى مشدالة
احدى قرى بجاية -

ولد المترجم ببجاية ليلة النصف من رجب سنة عشرين و قيل احدى اوائنتى
وعشرين وثمانمائة للهجرة [١٤١٧ م] في بيت علم وصلاح، مشهور من قبل
بانقطاع اهله الى التدين والتقوى وخدمة العلم، فكان ممن ذاع صيته من العلماء
من آل المشدالى بهذا البيت: ابو على ناصر الدين المشدالى، وابو موسى عمران
المشدالى ووالد المترجم عالم بجاية وخطيبها ابو عبد الله محمد بن ابى القاسم
المشدالى، واخوه الشقيق محمد بن محمد المشدالى.....

نشأ ابو الفضل على غرار اسلافه شغوفاً بالادب والعلم والحكمة،
متوقداً للذهن ملتهب الذكاء، واعياً قوى الحافظة، أخذ القرآن الكريم برواياته
السبع عن والده وحفظه في سن مبكرة من صباه تدعو الى الدهشة والاعجاب
فلقد روى انه ابتداء حفظ القرآن ببجاية في السنة الخامسة من عمره واكمل

حفظه في سنتين ونصف، بل ذكر الرواية انه حفظ سبع قبل ان يتهجى بغير اقراء له وانما هو بسماعه ممن يدرسه [١]

وكان ممن اخذ عنهم القراءات الشيخ الامام ابو عبد الله محمد بن ابي رفاع، وقرأ لنافع عن الشيخين هرون المجاهد وابي عثمان سعيد العيسوى وغيرهما، واكب كذلك على حفظ المهتون ودواو بن الادب صغيرا فاستظهر منها الشاطبيان ورجز الخراز في الرسم والكافية الشافية، والخلاصة، والامية الافعال، والجل من كتاب التسهيل كلاهما لابن مالك، ومتن ابن الحاجب الفرعى، والرسالة، وارجوزة التلمسانى في الفرائض ونحو الربع من مدونة سجنون، وطواله الانوار في اصول الدين للبيضاوى، ومتن ابن الحاجب الاصلى وجمال الخونجى والخزرجية في العروض وتلخيص ابن البنا في الحساب وتلخيص المفتاح وديوان كل من الشعراء الخمس : امرىء القيس والنابعة الذيبانى وزهير بن ابي سلمى وعلقمة الفحل وطرفة بن العبد.

ثم اخذ في البحث والدرس والتفهم لما حفظ من كتب العلم والادب فاختلف الى المشائخ ولازم منهم الشيخ ابا يعقوب يوسف الريغى فأخذ عنه علم الصرف والعرض، ثم اخذ عن ابي بكر التلمسانى فنون اللغة والمنطق والاصول والميقات وعن ابنى بكر بن عيسى الوائش ريسى اخذ الميقات ايضا

(١) يرى دارس تاريخ الحضارة والثقافة الاسلامية في مختلف بلاد العالم الاسلامى ان مثل هذا النوع من الذكاء وسرعة الحفظ في مقتبل العمر كان معروفا به كثير من العلماء المتقدمين كابن سينا فانه اتقن علم القرآن والادب وحفظ اشياء من اصول الدين وحساب الهندسة والجبر والمقابلة وعمره عشر سنين، وحفظ قادة القرآن في سبعة اشهر، واتم سهل بن عبد الله التستري حفظ القرآن وعمره ست او سبع سنوات، واكمل تاج الدين الكندي القراءات العشر وله عشرة اعوام، وذهب عمر بن احمد العديم الى المكتب وعمره سبع سنين وختم القرآن وله تسع سنين وقرأ بالعشر وله عشرة سنين، وحفظ الامام الشافعى القرآن وهو ابن تسع سنين وحظ لموطأ وله احدى عشرة سنة ٠٠٠ انظر ابن خلكان ج ١ ص ١٩١ والعقد الفريد ج ١ ص ٢٦٧ والاحياء ج ٣ ص ٥٩ والدارس ج ١ ص ٤٨٣-٤٨٤ ومهجم الادباء ج ٦ ص ٣٦

ثم علي يعقوب التيروني النحوي؛ ثم علي ابي اسحاق ابراهيم بن احمد بن ابي بكر في النحو والمنطق، ثم علي موسى بن ابراهيم الحسناوي في الحساب ثم الحساب ايضا مع الصرف والنحو والاصلين والمعاني والبيان وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه علي والده ابي عبد الله ثم الاصلين علي ابي الحسن علي بن ابراهيم الحسناوي - لعله اخو موسى المتقدم الذكر؟

ويذكر عن ابيه انه امره بمطالعة غزوة بدر ليحاضر بها في الميعاد فحفظها المترجم برمتها من سيرة ابن اسحاق بما فيها من الاشعار وحاضر بها من العشاء الى نصف الليل واصبح فساقها حتى بهر الحاضرين

ولما كان عليه الشيخ من الطموح الى ارتقاء المعالي والرغبة الجامعة في نيل مقام اكابر العلماء تباقت نفسه الى التبحر والتعمق في العلم فتعلقت همته بالرحلة والتغرب للقاء المشيخة كما هي سنة السلف في ذلك؛ فارتحل من بلده الى تلمسان سنة ٨٤٠ هـ (١٤٣٦ م) وهناك اجتمع باهل النظر والفضل من حضنة العلم واولي العرفان، وكان من اشهر من اخذ عنهم يومئذ من علمائها عشرة : ابن مرزوق الحفيد فاخذ عنه التفسير والحديث والفقه والاصلين والادب بقانونه والمنطق والجدل والفلسفيات والطب والهندسة، واخذ عن ابي القاسم بن سعيد العقباني الفقه واصول الدين، وعن ابي الفضل بن الامام التفسير والحديث والطب والعلوم القديمة - الحكمية - والتصوف، وعن ابي العباس احمد بن زاغو التفسير والفقه والمعاني والبيان والحساب والفرائض والهندسة والتصوف، واخذ الاصول عن ابي عبد الله محمد بن النجار المعروف بساطور القياس؛ وذلك لشدة معرفته بهذا الفن، وكان مما قرأه عليه من كتب هذا الفن مختصر ابن الحاجب الاصل، وكان مرجع الناس اليه في امر المختصر هذا، ولقد تمكن المشدالي من فن الاصول حتى فاق شيخه؛ فكان اذا عرض لشيخه هذا اشكال في الفن امر تلامذته ان يذكروه بمحضر المشدالي رجاء حله علي يده، كما انه اخذ عنه علوم

البيان ايضا، وتلقى الفقه عن ابي الربيع سليمان البوزيدي واد هذا من اعلم الناس يومئذ به، وعن ابي يعقوب يوسف اسماعيل الحساب والفرائض، واتقن فن الحساب وعلم الجبر والمقابلة وغيرها من الرياضيات وعلم الهيئة وجبر الاثقال على ابي الحسن علي بن قاسم، وتخرج في علم التقاويم والميقات بانواعه من فنون الاسطرلابات والصفائح والجيوب والهيئة والارتماطيقى والموسيقى والظلمسات والافواق وما شاكلها وعلم المرايا والمناظر الخ.... على ابن عبد الله محمد البوري واتقن الطب على محمد بن علي بن افشوش التلمساني

وبعد ان امتلأت اوطاب الشيخ بالعلم واحاط باصوله وفروعه وجمع اشتاته عاد الى بلده بجاية سنة ٨٤٤ هـ [١٤٤٠م] مبرزا على اقرانه مشارا اليه، فتصدر بها للاقراء وتدرّس العلم

ذكر السخاوي فيما رواه عن البقاعي قال وحدثني الصالح احمد الزواوي عن بعض فضلاء المغاربة ان ابن مرزوق قال ما عرفت العلم حتى قدم على هذا الشاب، فقيل له كيف...؟ قال لاني كنت اقول فيسلم كلامي، فلما جاء هذا شرع ينازعني فشرعت اتحرّز وانفتحت لي ابواب من المعارف، او نحو هذا، ونقل البساطي عنه ايضا انه قال : ان عاش هذا كان عالم المسلمين، ونقل عنه ايضا ان ابن مرزوق كتب لابييه فيما قيل : انه قدم علينا وكنا نظن به حاجة الينا فاحتجنا اليه اكثر. وكان ابن مرزوق وابو الفضل بن الامام يامران تلامهذما بالقراءة عليهما فاسرع اليه غالبهم فانتفعوا به كان منهم احمد بن زكري الميشار اليه بالتقدم في العلم والرئاسة بتلمسان؛

وفيما بين اواخر السنة الاولى واوائل الثانية التي عا فيها المشد الى بجاية ارتحل الى بلد العناب - بونة - وقسنطينة فحضر بها مجالس العلماء ساكتا من غير ان يتعرف لاحد، وفعل مثل ذلك في دخوله لتونس سنة خمس واربعين ثم توجه الى الديار المصرية على ظهر سفينة لنصاري جنوة فارست به في قبرس فنزل هناك

وتجول مستطلعا في ارضها فرأى بها عجائب وحصل له مع بعض اساقفتها مناظرة ثم ارتحل من قبرس في ذي القعدة [مارس ١٤٢٠م] فإرسى بها مركبها في بيروت، فطاف بلاد الشام : دمشق وطرابلس وحماة، ثم قطن بالقدس مدة وشاع ذكره فملا الاسماع ووقع على تفضيله الاجماع، ثم حج سنة ٨٤٩هـ (١٤٤٥م) وجاور ثم دخل القاهرة مع الكمال بن البازري وهناك ارتفع شان الشيخ عند السلطان وارباب المملكة واركان الدولة سيما منهم الكمال وصهره الجمال، واخذ بينهم الشيخ في نشر علومه واملاء دروسه في عدة فنون من معقول ومقول فأدهش الالباب وبهر العقول فزادت بذلك حظوته وعلت منزلته عند الخاصة والعامة:

وكان ممن تعرف اليهم في مصر وتشرفوا بصحبته الامام السخاوي فترجم له في ضوئه ترجمة ضافية وقال عنه : «وقد حصلت بيننا اجتماعات وصحبة ورايت منه من حدة الذهن وذكاء الخاطر وصفاء الفكر وسرعة الادراك وقوة الفهم وسعة الحفظ وتوقد القريحة واعتدال المزاج وسداد الراي واستقامة النظر ووفور العقل وطلاقة اللسان وبلاغة القول ورصانة الجواب وغزارة العلم وحلاوة الشكل وخفة الروح وعدوبة المنطق ما لم اره من احد» وحكى عن درسه فقال : ... ثم حضرت درسه في فقه المالكية بالجامع الازهر في ذي القعدة سنة اثنتين وخمسين - من القرن التاسع الهجري - فظهر لي انسى ما رأيت مثله؛ ولا راي هو مثل نفسه وان من لم يحضر درسه لم يحضر العلم ولا سمع كلام العرب ولا راي الناس بل ولا خرج الى الوجود؛ قال ومن سمع كلامه في العلم علم انه يخبر عن مشاهدة ومعينة وان غيره يخبر عن غيبة وليس المخبر عن المشاهدة كغيره؛ ولهذا نجد كلامه في القلب اثبت من كلام غيره؛ ولم ار اعظم تحريكا للهمم من حاله ولا اشهد فعلا للقلوب من مقالته؛ سماع درس واحد من من تقريرة اكثر نفعا من سماع مائة من غيره. هيئة لعمرى

لا يحاط بكنهها ، وهو آية ابرزه الله في هذا العصر للعباد ؟ . فمن قبلها يرجى له بركتها ومن ابها خشي عليه معاجلة العقوبة ، لا يشبه كلامه في جزائه الا كلام العرب العرباء ولا يضاهيه في طلاقته ورصانته سوى الالباء على انه محشو من دقيق المعاني بما يمنع لعمرى من التصنع ويشغل عن التكلف ، بل تلك منه سجيبة غير محتاجة الى روية ، وهمة عالية ما جنحت قط في التحصيل لدنيه ؛ صفات يغار البدر منها وينشئ لها خضعانا رؤوس المنابر

قال : فكان يقرأ القارىء بين يديه ورقة او اكثر ثم يسرد ما تضمنته من تصوير المسائل ويستوفى كلام اهل المذهب ان كان فقهها وكلام الشارحين ان كان غير ذلك ثم يتبع ذلك بابحاث تتعلق بتلك المسائل ، كل ذلك في اسلوب غريب ونمط عجيب بعبارة جزلة وطلاقة كأنها السيل ، وتحرز بديع بحيث يكون جهد الفاضل البحات عند غيره ان يفهم ما يلقيه ويدرك بعض ادراك ما يجليها . ولقد حدثني غير واحد من ثقات الافاضل ان الطلبة قالوا له تنزل لنا في العبارة فاننا لا نفهم جميع ما تقول فقال شيئاً يكاد يكون كشفاً ، لا تنزلوني اليكم ودعوني ارقبكم الى ، فبعد كذا وكذا لمدة حدها تصيرون الى فهم كلامي ، فكان الامر كما قال !

قال السخاوى : وسمعت البقاعي يقول غير مرة انه - اي المشدالي - لم يكن ينظر في دروسه التفسيرية في غير القرآن ، وانه يستلقى على قفصه ويتأمل فيأتى بصواعق لا ينهض غيره لها وانه كان يفعل ذلك في كل علم يقرؤه او يقرئه لا يزيد على نظر المتن وحكى عن على البسطى ذاك فقال : كان ابو الفضل اذا قرا علماً لا يقرأه غيره ولا يزيد على تكرير مطالعة المتن ولا يطالع شرحاً ولا غيره

وفيه يقول ابن ابي عذبة : « الامام العلامة اوحد اهل زمانه قدم علينا القدس سنة سبع واربعين فقرأ العصد وكتب المنطق والمعقولات وشهد له الاثمة ببلدنا

وبدمشق ومصر وطرابلس انه اوجد اهل الارض وانه عديم النظر في جنس بني آدم، وانني عاجز الآن عن عبارة اصفه بها فان كل عبارة هو فوقها. قال ثم دخل مصر فولى تدريس القبة المنصورية فدرس بها العجب العجاب وتعين لقضاء الشام ثم لمصر فابى، ولا يحضرني الآن من يضاهيه في كثرة علومه، ثم نقل عن العز القدسي انه قال : ولو سكتوا اثنت عنه الاحقاب، وعن ابن الهمام انه قال سألتني عن مسألة في اواخر الاصول، فاجابني عنها باجوبة من لو طالع عليها ثلاثة اشهر لم يجب فيها بمثله !..... وعن الزين قاسم الحنفى قال ما سمعت العلم من مثله

قال السخاوى «واراد الله ان مرض الامام ابن حجر بامراض منها ضيق النفس في نحو نصف ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وطال مرضه؛ فذكر له الكمال والشرف بن العطيار بانه يتعين ان ينظرة - المشدالى - ليشخص مرضه وينظر علاجها فانه في الطب واحد عصرة وفريد دهره وكان قد تكرر على سمعه من معارفه وعظمته عند الاكابر وعقله وسياسته وثباته ورزاقته ما قرر عنده امرة وملا صدره حتى انتهى ان يراه ولو نظرة فطلب منها والح عليهما فكلماه في ذلك فامتنع لكرهته ان يشتهر بالطب... فلم يزالا يتلطفان به ويتزلفان اليه الى ان اجاب، فعاده في يوم الاحد منتصف ذى الحجة وهو في اشد المرض فابتهج به ابتهاجا كثيرا وعظمه تعظيما كبيرا ثم نقل عن ابن الهمام انه قال: هذا الرجل لا يتنفع بكلامه ولا ينبغي ان يحضر دروسه الاحداق العلماء وسئل عن النسبة بينه وبين ابي القاسم النوبري فقال : جهد ابي القاسم ان يفهم عنه وكتب الشهاب الابدى لوالد صاحب الترجمة فقال :

«.... ان الله خول سيدنا ومولانا وملاذ انسنا ابا الفضل ولدكم الاسعد من الفتوح الآهية والمنن الربانية مما امتحنه صالح دعائكم وحسن طوبيتكم واعتقادكم ان جعله الله بحرا لعلوم زاخرة، وعنصرا لفضائل فاخرة، ومحاسن

متوالية متظافرة، فكم ابدى من دقائق خضعت لها الرقاب، ونفائس هامت بها ذوى الالاب، ومباحث شريفة كشفت دونها الحجاب، فأبكت ذوى العقول وحج اصحاب المعقول والمنقول، فدانت له المملكة المصرية والاقطار الشامية والبلاد القاصية والدانية فحاز الرئاسةين وقام بالوظيفتين فالرؤساء حول دياره مخيمون وعظماء المذهب بفناء منزله محومون، فالوصف يقصر عما هو فيه إبقئ الله وجوده وزاده في معاليه وعن سعد بن الديرى قال : كنت اذا كلمته بكلام يفهم آخره قبل ان اتمه وهو احد الاثمة في الدنيا في علوم عديدة سيما المعقولات .

ولم يبلغنا عنه فيما وقفنا عليه من كتب السير والتراجم وعرفناه من ترجمته الواسعة ان له من التأليف سوى كتاب واحد، وهو شرحه على جمل الخونجى فقط وان صنيعه فيه حسبما ذكره السخاوى نقلا عن البقاعى قائلا : « انه شرحه على طريقة حسنه، وهي ان ينظر في شروحها لابن واصل الحموى والشرىف التلمسانى وسعيد العقبانى وابن الخطيب القشبنلى وابن مرزوق فيما اجمعوا عليه ساق معناه وكذا ما زاده احدثهم وما اختلفوا فيه ذكر ما راي انه الحق، كل ذلك بعباره بيتكرها ثم تمم ذلك بما وقع للمتقدمين من علماء المسلمين فمن قبلهم في تلك المسألة مما يرى انه محتاج اليه من التحقيقات . »

ومعلوم ان كل ذى نعمة محسود وانه لا اعظم ولا اجل من نعمته العلم والمعرفة وعلى الاخص ما حازه المترجم من شرف المنزلة عند رؤساء الدولة وسادة علماء المشرق والمغرب وما شهد له به الاعلام من التفوق المطلق على كل من عاصره او جمع بينهما مكان، فكان ذلك سببا في بعث داء الحسد والمنافسة في صدور بعضهم فبالغ في الطعن في علمه واخلاقه ووصمه بالجهل والدناءة ويروى لنا السخاوى في ذلك عن الشيخ عبد القادر الميجوى المالكى روايات قال : والله انه لا عهد له بالفقه بل سمعت قراءته الفاتحة في الصلاة فما اجادها ! . . . وروى عن

ابى القاسم النويري انه قال لما دخل المشد الى مصر وارتجت عليه والتف الناس حوله واقبل عليه الخاصة والعامة : اى شىء هذا الطبل الذى طبل بمصر؟ . . . فبلغ ذلك المشد الى فقال : قوله ذلك عنى يريد انى مزوق الظاهر فارغ الباطن فليحضر ليرى .

حسدوا الفتى اذا لم ينالوا سعيه فالسكل اعداء له وخصوم وطعنوا في غرائزه الطبيعية وملكاته الخلقية وبالغوا في تنقيصه فقالوا انه كان مذل المروءة كثير الترفع على اصحابه سيما في الملاء ، عظيم التهاون بهم عديم النفع لهم ، لين الجانب لمخالفيه غير بعيد من نفهم وهو يستر هذه النقائص ببعده غوره غاية السر فلا يذوقها منه الا التحرير في اوقات الغفلات فاذا ظهر له منها شىء انتهك الباقي ، فهو لعمرى اعجوبة الزمان حفظا وفهما وتوقدا وذكاء وعلميا وخبثا ومكرا ودهاءا وتواضعا وكبرا ، قال السخاوى : ومن عجائب حظها انه تحجب لشيخنا ابن حجر بانواع التجب فاتاة لبيته فلم ير منه انصافا وظن ان الاشاعات بفضائله مغالاة او غلط مما لا نباهة له فترفع حيثئذ عن التردد اليه مع توقع ان يراه في بيوت بعض الاكابر فيريه من انظاره ودقة فكره ما يكيع فكره ويعلى عنده قدره بحيث كنت اظن ان ذلك يفضى الى ضد المراد من غيظ وتعاد واجتهدت من الجانبين فى الاجتماع على وجه جميل فلم استطع الى ان اراد الله مرض ابن حجر وقد تقدمت حكاية حاله معه

وبعد ما اطب وتوسع السخاوى فى ذكر بعض المتناقضات من اخلاق المشد الى قال : « وبالجملة فكان غاية فى جودة الذهن وسرعة الادراك وقوة الحافظة الا انه كان سريع النسيان قليل الاستحضار ولاجل هذا لم يكن يتكلم فى المجالس الا نادرا خوفا من الاستظهار عليه بالمنقول ؛ واذا طالع محلا اتى فيه بما يبهر السامع وقد تكرر اجتماعي معه . . . وما كنت احمدا انحرافه عن شيخنا - ابن حجر - وارغب فى لقاء ابى عبد الله التريكي لمزيد حبه شيخنا وتقدمه على صاحب الترجمة

في الشرعيات ومحبتهم في المباحثة والمناظرة والمذاكرة قلت لا غرابة في ذلك فلقد وقع له والله مثل ما وقع للعلامة ابن خلدون وغيره من العلماء في المشرق والمغرب فالمعاصرة حرمان !

واستاذ عالم متبحر كهذا لاشك وان يكثر تلامذته واتباعه ومريدوه ذكر بعضهم السخاوي فقال منهم بالحجاز البرهان بن ظهيرة، وبالشام ابن قاضي عجلون، وبالقدس الكمال بن ابي شريف، وبالقاهرة الشهاب البيجوري والديسطلّي وابن الفرز الخ

ومن شعره رحمه الله قوله وكان بالمسار سنة اربعين وثمانمائة للهجرة وهو في عهد الشباب مخاطبا بعض اصدقائه ببجاية من ابيات

برق الفراق بدا بأفق بعداننا فتضعضت اركاننا لرعوده
كيف القرار وقد تبدد شملنا واليمن شق قلوبنا بعموده
لله ايام مضت بسيلها والدهر ينظم شملنا بعقوده

وتوفي رحمه الله عليه غريبا فريدا بعين تاب من بلاد الشام في شهر شوال اوذي القعدة سنة ٨٦٤ هـ (جولييط - اوط ١٤٦٠ م) اي قبل وفاة والده بستين سقى الله جدّتهما وابل رحمته ورضوانه.

ابو زيد عبد الرحمن الثعالبي

(٨٧٥ هـ (١٤٧٠ م)

هو فخر أئمة علماء الجزائر وصلحائها الاتقياء الورعين الابرار الامام المجتهد ابو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجعفرى، نسبة الى عبد الله بن جعفر بن ابي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد تزوج عبد الله هذا ببنتى عمه على بن ابي طالب كرم الله وجهه : زينب ثم فاطمة اختي الحسين رضى الله عنهما، وذكر ابن حزم في جمهرة النسب ان هناك بمتيحة وسوق حمزة بالجزائر جعافرة من ابناء جعفر بن الحسن المثنى بن على بن ابي طالب وكلهم من ابناء زردة السوداء (١)؟

ولد الثعالبي سنة ٧٨٦ او ٨٧ هـ (١٣٨٥ م) بناحية وادي يسر على نحو ست وثمانين كيلومترا بالجنوب الشرقي من عاصمة الجزائر وهو موطن آبائه واجداده الثعالبة ابناء ثعلب بن على من عرب المعقل فنشأ نشأة علم وصلاح وتقوى اخذ علمه اولا عن والده من علماء ناحيتهم تلك، ثم ارتحل الى بجاية فنزل بها سنة ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) ولزم حضور مجالس علمائها فاخذ عنهم علما جمعا وكان عمدته فيهم الامام ابا الحسن على بن عثمان المانجلاتي و ابا الربيع سليمان بن الحسن، و ابا الحسن على اليلياتي، وعلي بن موسى والامام ابا العباس النقاوسى، ثم انتقل الى تونس سنة ٨٠٩ هـ (١٤٦٠ م) فلقى بها جملة من اكابر العلماء فاستفيع منهم بالامامين الابى والبرزلى تليدني ابن عرفة وابى مهدي عيسى الغبريني ثم انتقل الى مصر فلقى بها البلالى وأبا عبد الله البساطى وولى الدين العراقى فاخذ عنهم ويهم الحجاز فيحيج واخذ هنالك عن علمائه ثم عاد الى تونس سنة ٨١٩ هـ [١٤١٦ م] فوافى بها العلامة ابن مرزوق

الحفيد التلمساني فلأزمه واخذ عنه فنونا من العلم جمعة، قال ولم يكن بتونس يومئذ من يفوتني في علم الحديث اذا تكلمت انصتوا وقبلوا ما ارويها تواضعا منهم وانصافا واعترافا بالحق. كما اخذ عن ابي عبد الله القلشاني وعن غيره ايضا من جهابذة العلم المحققين بتونس فحصل على اجازاتهم واذنهم له في التدريس والتأليف ثم عاد الى وطنه فذا عظيما في علمه وصلاحه وقدوة حسنة للمسلمين في اجتهاده وكده معتكفا على نشر العلم وهداية الخلق والانتقطاع للعبادة والتأليف، فتخرج على يده اعلام وصدور منهم حجة علماء الكلام الامام محمد بن يوسف السنوسي، والشيخ احمد زروق ومحمد المغيلي التلمساني وسيدى احمد بن عبد الله الجزائري وابن مرزوق الكفيف.....

كان رحمه الله راسا في العبادة وغرة لامعة في الزهد والعلم فولى القضاء عن غير رضى منه ثم خلع نفسه وهو دائما المدره في عشيرته وزعيم قومه وملاذهم الذي به يلوذون ومعقلهم الذي يلجئون اليه في المداهمات، يروى انه ولي خطابة الجامع الاعظم بالجزائر وان من بقايا آثاره المتبرك بها بعده الى اليوم مقبض عصا خطيب الجمعة بالجامع المذكور.....

اعتكف الشيخ على التدوين والتأليف واغلب همه من ذلك خدمة علوم الشريعة المطهرة ولما في ذلك الباع الطويل فلقد ترك ما يزيد على التسعين مؤلفا ما بين متون وشروح وحواشي وتعليق وكتب مستقلة في الوعظ والرقائق والتفسير والفقه والحديث والتاريخ الخ..... منها كتاب الجواهر الحسان في تفسير القرآن طبع بالجزائر في اربعة اجزاء مذيلا بمعجم لغوى لشرح غريبه وروضة الانوار ونزهة الاخيار في الفقه قال التنبكتي «وهو قدر المدونة فيه لباب نحو ستين من امهات الدواوين المعتمدة وهو خزانة كتب لمن حصله» وكتاب جامع الهمم في اخبار الامم في سفرين ضخمين وجامع الامهات في احكام العبادات وهو كتاب جليل طالعه في سفر ضخم والارشاد في مصالح العباد والانوار المضيئة في الجمع بين

الشریعة والحقیقة وهو کتاب نفیس طالعه فی جزء ضخم وکتاب النصائح وجامع الفوائد وتحفة الاخوان فی اعراب بعض آی من القرآن والسذهب الابریز فی غرائب القرآن العزیز وله شرح علی مختصر ابن الحاجب الفرعی وقفت علیہ عند قیم الضریح بزائوته بالجزائر وهو فی سفرین ضخمین وله شرح علی مختصر خلیل بن اسحاق وکتاب الدرر اللوامع فی قراءة نافع طبع بالجزائر، ونبذة من الجامع الکبیر طبع بالجزائر وکتاب العلوم الفاخرة فی احوال الآخرة طبع بمصر، الی غیر ذلك مما ینیف علی التسعین مؤلفا کما ذکرنا ویقال ان اغلبها موجود بارض السودان ؟

ولم یزل رحمه الله ورضی عنه عاکفا علی الطاعات متجردا عن الدنیایات الی ان وافلا اجله ضحوة یوم الجمعة ٢٣ رمضان المعظم سنة ٨٧٥ هـ (منتصف شهر مارس ١٤٧١م) ودفن قدس الله روحه بضریحه الشهیر به الی الیوم من عاصمة الجزائر، وكان لفقده اثر عمیق فی القلوب وحزن عظیم فی النفوس



محراب مسجد « سيدى عبد الرحمن الشعالبي » بالعاصمة وهو يمثل نموذجا من ارقى انواع القاشاني والزليج الملون المزخرف والمكتوب بالخط العربي بنوعيه - النسخي والفارسي، خط الرقعة - وهو الى ذلك مثال رائم جميل لشكل فن المعمار التركي بالجزائر في اوائل القرن الثاني عشر الهجري - أواخر ١٧ م —

احمد بن يونس القسنطيني

(١٤٧٤هـ) ٨٧٨هـ

هو العالم المتفني الشيخ احمد بن يونس بن سعيد بن عيسى الحميري القسنطيني، ولد بقسنطينة الهواء سنة ٨١٣هـ (١٤١٠م) ونشأ بها فحفظ القرآن والرسالة وتفقه بمحمد بن محمد بن عيسى الزيلدوي وابي القاسم البرزالي وابن غلام الله القسنطيني وقاسم بن عبد الله الهزميري، اخذ عن الاول الحديث والعربية والاصلين والبيان والمنطق والطب وغيرها من العلوم العقلية والنقلية وبها انتفع، واخذ الموطأ عن ثانيهم، واخذ شرح البردة وغيره عن مؤلفه ابي عبد الله بن مرزوق الحفيد حين قدومه عليهم بقسنطينة وارتحل الى الحج سنة ٨٣٧هـ (١٤٣٣م) فاخذ عن البساطي شيئا من العقليات وغيرها واخذ كذلك عن الامام ابن حجر والعز عبد السلام القدسي والعيني وابن الديري وآخرين،

ثم عاد الشيخ الى بلده فاقام على عادته في الاشتغال بالعلم الى ان حج ايضا بعد سنة اربعين وجاور في هذه المرة بمكة المكرمة وسمع على الاخوين الجلال والجمال ابني المرشدي في فنون من العلم والحديث وعلى الزين بن عياش وابي الفتح المرغي وطائفة كثيرة، من ذوي الفضل والعلم وتكررت منه الرحلة بعد ذلك الى ارض الحجاز مع المجاورة في بعض المرات الى ان استقر وسكن بمكة سنة ٨٦٤هـ (١٤٥٩م) وتزوج بها وتصدى فيها لاقراء العربية والحساب والمنطق وغيرها فاخذ عنه غير واحد من اهلها والطارئين والمجاورين بها.

وذلك جاور بالمدينة المنورة غير مرة ثم استوطنها وأقرأ بها ايضا وارتحل في غضون ذلك الى القاهرة فاقام بها يسيرا. وكان ممن اجازوه واستجازوه بها شمس الدين السخاوي ثم سافر منها الى القدس والشام، وكف بصره وقدم له فيما

افادة ثم احسن الله اليه برد ضوء احدى عيني، قال السخاوى «ولقد لقيته بمكة ثم بالقاهرة واغبط بى والتمس منى اسماعى القول البديع فما وافقته فقرأه او غالبه عند احد طلبته النور الفاكهانى بعد ان استجازنى هو به وسمع منى بعض الدروس الحديثية وسمعت انا كثيرا من فوائده ونظمه منه قوله في طالع قصيدة امتدح بها النبى صلى الله عليه وسلم :

يا اعظم الخلق عند الله منزلة ومن عليه الثنا فى سائر الكتب

قال واطلعت على رسالته عملها فى ترجيح ذكر السيادة فى الصلاة عن النبى صلى الله عليه وسلم وغيرها بعد ان استمد منى فيها وكذا رايت له اجوبة عن اسئلة وردت من صنعاء سماها رد المغالطات الصنعانية. وكان اماما فى العربية والحساب والمنطق مشاركا فى الفقه والاصلين والمعانى والبيان والهيئة مع المام بشيء من علوم الاوائل عظيم الرغبة فى العلم والاقبال على اهله قائما بالتكسب خيرا بالمعاملة ممتنها لنفسه بمخالطة الباعة والسوقة من اجلها ولم يزل مقيما بالمدينة النبوية حتى مات فى شوال سنة ثمان وسبعين (فيفرى ١٤٧٤م) ودفن بالبقيع رحمه الله»

الدولة الترككية - العثمانية -

٩٢٠ - ١٢٤٦ هـ

١٥١٤ - ١٨٣٠ م

التورك

جاء في دائرة المعارف الاسلامية ان كلمة «ترك» محرقة عن اصلها الصينى الذى ينطق به «توكو»، ومدلولها عندهم هو ذلك الشعب الاسيوى الرحالة العظيم الذى ظهر بموطنه الاصلى بجبل الذهب في وسط آسيا بين سيبيريا والصين، واسس ملكا طويلا عريضا امتد من بلاد المغول وشمالي الصين الى البحر الاسود

ومؤسس ملكهم هذا هو رجل منهم يقال له «تومان» عند الصينيين وتترك بومين» عند الاتراك مات سنة ٥٥٢ هـ

والامة الترككية هذه هى امة آرية طورانية، وطوران هى بلاد تركسان ومعناها الظلمة نظرا لما كان عليه اهل هذه البلاد في بادىء امرهم من البداوة والغلظة والجفاء والامية همهم الغزو والتهجم على القوافل للنهب والسلب وذلك خلاف ما كانت عليه بلاد «ايران» المجاورة المعروفة يومئذ بارض النور، نظرا لما كان عليها اهلها من الحضارة والمدنية

ويرجع اصل هذا الجنس الطوراني الى العرق الغربى الاقصى المتفرع عن العنصر السائد المنتشر بشرق اوروبا وآسيا من بحر الباطيق الى المحيط الاطلسى ومن البحر المتوسط الى اقصى الشمال

ويشارك في الشعب التركى هذا شعوب واقوام كثيرة متشعبة منها هؤلاء

الأتراك العثمانيون باستانبول والاناضول، (١) والتركمان بايراز وآسيا الوسطى والتتار في جنوب روسيا وعبر القوقاس، والمجر بهنكاريا، واهل فيلاندا، والبلغار، وولايات البلطيق، وقدماء القبائل العريقة من سكان سيبيريا والمغول والمنشوس في شرق آسيا، وكلها تنتمى الى العنصر الآرى

ويذكر نسبوا الأتراك والახاريون منهم ان اول دولة عرفت في تاريخهم هى الدولة التى اسسها فيهم «اوغوزخان» بن قاره خان ؟ ... جد رؤساء القبائل التركية، وان اول من عرف من ملوك الأتراك بلقب خان هذا، هم ملوك قبيلة «ترغش» التركية الساكنة بتركستان الغربية حازه امراؤها في اواخر القرن السابع الميلادى وعرفوا به الى ان قضى عليهم العرب في زمن نصر بن سيار سنة ١٢١ هـ [٧٣٩م]

وفي مفتتح القرن الاول الهجرى - اوائل السابع م - اتحدت هذه القبائل التركية مع غيرها ممن ساكنها ببلادها من الشعوب الآرية فتكونت بذلك وحدة سياسية بين تلك الطوائف كلها فنشأت عن ذلك مملكة عظيمة ممتدة من اقصى حدود الصين شرقا الى البحر الاسود غربا ثم اعتراها بعد ذلك هزال وضعف ففقدت قوتها الحربية ورثت قواها المعنوية ففتحتها العرب سنة ٨٥ هـ [٧٠٤م] وانتشر يومئذ بينها الاسلام

وفيما بين اواسط القرن الثالث واول الرابع الهجرى - التاسع والعاشر م - نشأ بآسيا دويلات وامارات تركية صغيرة استبدت بانحاء البلاد والاصقاع الشرقية متفرقة هنا وهناك كبنى طولون بمصر والشام، وبنى سامان بما وراء النهر وبنى بويى ببلاد فارس، الخ... فتدهوت بذلك سياسة الخلفاء العباسيين وتقلص ظل سلطانهم من اقاصى البلاد؛ فسقطت بغداد بيد التتار يوم ٢٠ المحرم

(١) محرفة عن كلمة اناطولى التى اطلقها الرومان على شبه جزيرة آسيا الصغرى ومعناها البلاد الشرقية وذلك لوقوعها شرقي بلادهم

١٦٥٦هـ [٢٧ جافقى ١٢٥٨م] ونتيجة لذلك أصبحت مقاليد الدولة الاسلامية المترامية الاطراف موزعة بين ملوك هاتيك الدول التركمية القائمة بالشرق وشؤون افريقية الشمالية يومئذ بيد اهلها من ملوك المغرب

ومضى زمن على ذلك والامر كذلك الى ان اخذ البطيل المغوار السلطان «عثمان بن ارطغرل» التركمانى في تأسيس اماره ومملكة اسلامية مستقلة بمدينة «ايكى شهر» من بلاد الاناضول سنة [١٣٠٠هـ ١٢٩٩م] مبجتها في الدفاع عن بيضة الاسلام وحايته ونصرته وورث منه احفاده ذلك فكلهم حافظ على هذه الخطة المرسومة والتراث العظيم وأنشأ جيوشا واساطيل تقدم بها الى فتح بلاد آسيا واوروبا، فخضعت لهم ممالك هاتيك البلاد ودولها وثبتوا على ذلك يتابعون زحفهم في نشر الاسلام باوروبا حتى جاء دور القضاء على امبراطورية الدواة اليزنطية واستئصال مملكتها في الشرق والغرب فانبرى لها من عثرته «السلطان محمد الثانى الفاتح» مقتحما معقلها الحصين وعاصمتها المنيعه «القسطنطينية» مظفرا منصورا فاحتلها سنة ٨٥٧هـ [١٤٥٣م] ونقل اليها العرش العثمانى متطلعا الى اجتياح مقر كرسى المسيحية الثانى برومة ويومئذ اشتهرت الدولة التركمية بنسبتها «العثمانية» انتماء الى جد ملوكها الاعلى السلطان «عثمان بن ارطغرل» التركمانى المتوفى سنة ٧٢٦هـ [١٣٢٦م]

ويعد فتح القسطنطينية هذا فتحا جديدا فى تاريخ العالم اجمع حيث اعتبره المؤرخون حدا فاصلا بين القرون الوسطى والعصر الحديث [١] وتقدمت تركمية العثمانية فى فتوحاتها بآسيا ففتحت معظمها واوروبا كذلك

(١) جرى اصطلاح المؤرخين على اعتبار الزمان وتقسيمه الى ثلاثة عصور : القرون الاولى وهى تبتدىء من الازمنة الغابرة المتوغلغة فى القدم الى سقوط رومة سنة ٤٧٦م ومنها يبتدىء تاريخ العصور الوسطى الى فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) ومنها يبتدىء تاريخ العصر الحديث

فامتلك منها نصفها الشرقي ووضحت بذلك مرهوبة الجانب موقرة السلطان ولما تم للسلطان «سليم الاول» الانتصار على دولة المماليك سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) واستولى على مصر والشام وقضى على حكومتها هذه وقبض على محمد المتوكل على الله آخر خليفة عباسي (١) وهوى وبذلك انقرضت الخلافة العباسية المتوهمة التي طالما كان صاحبها بعد سقوط بغداد آلة مسخرة بأيدي ملوك وسلاطين ذلك العصر وصار حينئذ امر رعاية دولة الاسلام بيد سلاطين آل عثمان وخفت يومئذ ذكر لقب الخلافة وطوى بساطه من الوجود الا ما جاء ذكره نادرا في بعض خطابات المهتملين لآل عثمان في اوقات ومناسبات متفرقة

وهكذا ظل لقب الخلافة مغفلا ملغى لدى ملوك هذه الدولة الى ان اصبحت الحاجة اليه ماسة في القرن الثامن عشر الميلادي بعد عقد معاهدة «كوجك قيتارجي» بين الترك وروسيا سنة ١١٨٨هـ [١٧٧٤م] اى عند ما خضع بعض المسلمين للحكم النصراني فدعت حينئذ اليه سياسة الوحدة الاسلامية فتلقب به سلاطين آل عثمان جميعا لكلمة المسلمين واكتسابا للنفوذ الديني متدرعين به تجاه العالم الغربى المسيحى الذى ازمع وتحفز لاكتساح العالم الشرقى الاسلامى ولم يزل ملوك آل عثمان يحملون لقب الخلافة منذ ذلك العهد الى ان اجمع راي حزب الشعب التركى الجمهورى على الغناء نظام الحكم القديم ورفض تبعات الخلافة الثقيلة فاعلن زعيم الاتراك الحاكم بامرهم مصطفى كمال «أتاتوك» [٢]

(١) قبض عليه السلطان سليم الاول بمصر يوم فتحها في التاريخ المذكور اعلاه فعاد به الى القسطنطينية فاوثقه هناك بـ «السبع قلال» ثم فك اسره سنة ٩٢٦هـ (١٥٢٠م) واجرى عليه ستين درهما في كل يوم، فخرج المتوكل حينئذ من القسطنطينية منصرفا الى مصر حيث بوير فيها باسم الخلافة صورة وبقي بها مرموقا ملحوظا تحت ظل ورعاية ملوك آل عثمان الى ان استوفى حظه من الحياة ولقى حقه سنة ٩٤٥هـ (١٥٣٨م) فانتهت بموته الخلافة العباسية وانقرض ذكرها من الدنيا

«٢» هو اعظم شخصية سياسية وعسكرية عرفتها دولة الاتراك في تاريخها الحديث ولد في مدينة «سالونيك» سنة ١٢٩٩هـ وتوفي باستانبول سنة ١٣٥٧هـ [١٨٨١ - ١٩٣٨م]

بنهاية عهد الملكية وتعويضه بتأسيس حكومة جمهورية ودستور جديد، وذلك يوم الاثنين ١٨ ربيع الاول سنة ١٣٤٢هـ [٢٩ اكتوبر ١٩٢٣ م] وخرج السلطان عبد المجيد الثاني من القسطنطينية طريدا وانتقل مقر الحكم منها الى مدينة انقره من بلاد الاناضول، وحدث في الدولة يومئذ من الانقلاب السياسى والدينى والاجتماعى بل وفى كامل اوضاع الحكومة التركية العثمانية ما تغير به وجهه تاريخها القديم بما لم يسبق له نظير ولا مثيل فى تاريخ دولة اسلامية من قبل

اما لغتهم فهى احدى اللغات الطورانية ذات اللهجات الحمة الكثيرة التى لم يكن ليعرف لها قلم او خط مشهور تكتب به قبل القرن السابع الهجرى حين امتزج اهلها بالعرب فى العراق والشام وتكون منهم جيش الخلافة العباسية واستبدوا بالملك فانتشر حينئذ بينهم اللسان العربى المبین وقضى فيهم الخط العربى فكتبوا به لغتهم،

وذكر ابن النديم فى حديثه عن الترك بفهرسته فقال : والذى تأدى الى من امر الترك هو ما حدثني به ابو الحسن محمد بن الحسن بن اشناس ... ان ملك الترك الاعظم اذا اراد ان يكتب الى ملك من الاصاغر احضر وزيره وامر بشق نشابة ونقش الوزير عليها نقوشا يعرفها افاضل الاتراك تدل على المعاني التى يريد بها الملك ويعرفها المرسل اليه [١] ولعلها تلك كتابتهم القديمة التى ظهرت فى القرن «٦ م» المسماة بكتابة اورخون [٢] او يكون ذلك هو خط اتراك «اللوغوز» وهم سكان شرقي تركستان ...

ولم يشهد الاتراك اتحادا فى استعمال لغتهم وتطبيقها على سير الحياة العامة الا فى زمن بنى سلجوق بالاناضول فى القرن الخامس الهجرى (١١ م) اما قبل

«١» الفهرست لابن النديم ص ٢٩ - ٣٠ ط القاهرة ١٣٤٨هـ

«٢» نسبة الى نهر فى بلاد المغول يقال له «اورخون» وهى اقدم كتابة تركية

ذلك ففيهم من اتخذ اللغة الفارسية، وفيهم من استعمل غيرها، ولقد فكر السلطان سليم الاول في اتخاذ اللغة العربية وجعلها لسان الحكومة الرسمي وحاول ذلك بالفعل فلم ينجح، ولكنها رغم ذلك بقيت لديهم ولدى غيرهم كذلك من الامم الاسلامية لغة الدين والعلم

وكان لممازجة الاتراك بسواهم من الامم الشرقية والغربية ايضا اثر كبير في تطور لغتهم وارتياشها بما اقتبسوه من شتى اللغات فتوسعت اللغة وتهدبت وأصبحت بذلك لغة صالحة لتدوين العلم والادب، واكثر ما يوجد فيها من الدخيل هو ما احتوت عليه من مفردات اللغة العربية والفارسية والجفطائية (١) والاوردية (٢) والافرنجية ... فهي الآن بذلك تختلف كثيرا عما كانت عليه في الزمن الغابر

ولقد شرع الترك في كتابة لغتهم بالحروف العربية منذ القرن السابع الهجرى - ١٣ م - كما ذكرنا مستمرين مع الزمن على ذلك اسما مترا اهل فارس والهند وسكان افريقية الاستوائية وجنوبها وغربها على اختلاف لهجاتهم، الى زمن اعلان الجمهورية التركية فاستبدل الخط العربى لديهم باللاتينى وذلك بمقتضى قرار الدولة الصادر يوم ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٧ هـ (٣ نوفمبر ١٩٢٨ م) تحت عدد «١٣٥٣»

اتصال الاتراك بالجزائر

في نفس الاوان والزمان الذى قدر ان تضععت فيه قوى دول المغرب الثلاث : بنى مرين وبنى ابي حفص، وبنى عبد الواد الزيانين ولحق كلا منها من الضعف والوهن والاضطراب بسبب ما كان بينها من التخاذل والشقاق مع

(١) هى لغة التركان واكثر سكان بلاد خيوة (خوارزم) وبخارى وغيرها باواسط آسيا ومركزها مدينة مرو، وهى التي يسميها الافرنج احيانا : التركية الشرقية Turc Oriental [٢] هى اللغة الهندية الاسلامية

تزامم رؤسائها وقادتها على كراسى الزعامة والرئاسة، اقول في نفس ذلك الوقت واعني به اوائل القرن العاشر الهجرى - اوائل ١٤م - اشتد تنمر دولة الاصبان والبرتغال وجمهورية البندقية وجنوة الايطاليتين فحمل كل منها على هذا الشمال الافريقى جرياً وراء غايتها الصليبية وجشعها الاستعماري الذي ينطبق عليه قول الشاعر العربى :

مسعورة ان غرثت لم تشبع !

وهوجت السواحل الجزائرية واحتل منها اهم مواقعها ومراكزها الاستراتيجية ومرافقها ومدنها الممتازة كوهان ومرساها الكبير وهنين وبجاية وجيجل ومستغانم وتندلس والجزيرة التى هى بفرضة مدينة الجزائر، حيث بنى الاصبان حصن البنيون ونزلوا ببعض المراكز البحرية من مدن المغرب الاقصى واحتلوا تونس نفسها فاستكملوا بذلك الاستيلاء على ساحل افريقية الشمالية منتهكين فى ذلك حرمة اهل هذه النغور الاسلامية غير مباين بمقدساتهم ولا محترمين او مراعبن لما جبلت عليه الكرامة الانسانية وطبعت عليه البشرية من الحياء والحشمة مندفعين عن سوء نية وراء اعمالهم الاستعمارية واغراضهم الساقطة.... (١)

فى نفس تلك الآونة وخلال هاتيك الحوادث المؤلمة، وانشاء تلك الظروف السوداء الحالكة، والنكبات المزعجة ظهرت عمارة الاخوين التركيين : بابا عروج وخير الدين - من ابطال رجال البحرية التركية العثمانية - منتقلة بغربى البحر الابيض المتوسط حامية لدولمة الاسلام المنتشرة على ضفاف هذا البحر منجدة للمستضعفين من المسلمين، واشتهرت هذه العمارة يومئذ بتطوعها فى انقاذ المضطهدين من اهل الاندلس ونقلهم الى سواحل المغرب العربى واحسانها اليهم وبذلك تمكن اصحابها من النزول بالساحل التونسى والاتصال بصاحب تونس

ابى عبدالله محمد الحفصى والتعاقد معه بامضاء معاهدة ودية على ان يكون الساحل التونسي موئلا لهذه العمارة وملجأ تسكن اليه وللخزينة الحفصية الخمس فيما تاتى به العمارة من المغانم وتمت الاتفاقية بين الطرفين على ذلك واستمرت العمارة تعمل على خططها المرسومة في غزو سواحل النصرانية وخوض غمار البحار للدفاع عن حوزة الاسلام والمسلمين ومحاربة سفن الاعداء الى سنة ٩١٨ هـ [١٥١٢م] حيث غزت العمارة التركية هذه مدينة بجاية فاطردت عنها الاصبان، ثم كان بعدها فتح مدينة جيجل سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤م) ثم تقدمت الى مدينة الجزائر نفسها بدعوة من اهلها درءا لخطر الاصبان عنها فاحتلتها سنة ٩٢٢ هـ [١٥١٦م] ونزل الاتراك يومئذ بهذا القطر وكان من الاحداث ما حدثناك به في هذا الجزء صفحة ٢٠٥-٢١٥ من اصطدام الحروب والتناحر والتنافس بين دولة بنى زيان المحتضرة ودلة الاصبان المهاجمة ودولة الاتراك الحامية الطامحة وحدث من الوقائع والخطوب في هذا الموضوع ما عرفته وما ستقف عليه مفصلا في هذا الكتاب

نظامها الحكومى

ان اول ما عرفت الجزائر من رؤسائها الاتراك هم جماعة «البيلرباى» ومعناه باى الالباء او امير الامراء، وهو لقب يمنحه السلطان العثمانى مع كسوة الشرف - قفطان - لامير الناحية

والجزائر يومئذ هى احدي الولايات الثلاث بالامبراطورية العثمانية التى كان يطلق على رئيسها هذا اللقب مثل ولاية الاناضول والرومىلى بتركية اوروبا وبيلرباى الجزائر التصرف بالمملكة الجزائرية وما يليها شرقا الى الحدود المصرية بما فيها من ولاية تونس وطرابلس ثم حد من سلطة حاكم الجزائر واقتصر له فيها على المغرب الاوسط

فقط، وخرجت تونس وطرابلس عن حكمها، وبموجب ذلك تغير لقبه ثلاث مرات، فحول اولاً الى الباشاوية، ثم الى الاغاوية، ثم الى الداياوية حسب الترتيب التالي :

- ا عصر الفتح التركي من سنة ٩٢٠ الى ٩٥٠ هـ (١٥١٤-١٥٤٤م)
- ب عصر اليلرباى من سنة ٩٥٠ -- ٩٩٥ هـ (١٥٤٤-١٥٨٧م)
- ج عصر الباشاوات من سنة ٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ (١٥٨٧-١٦٥٩م)
- د عصر الاغاوات من سنة ١٠٦٩ - ١٠٨١ هـ (١٦٥٩-١٦٧١م)
- ه عصر الدايات من سنة ١٠٨١ - ١٢٤٦ هـ (١٦٧١-١٨٣٠م)

وكان حكام بلاد الجزائر وولاياتها في عهد اليلرباى والباشاوات مخلصين لحكومة الباب العالى باستانبول ممثلين للسultan العثمانى الى ان حدث خلال القرن الثانى عشر الهجرى (١٧م) ما كان سبباً فى تضعف دعائم الصلة الادبية التى كانت تربط ما بين حكومة الجزائر والباب العالى باستانبول حيث شعر الولاة هنا بضعف السلطنة العثمانية وقصورها عن اتخاذ اسطول قوى للدفاع بها عن نفسها وعن ممالكها النائية فجاهروا بقطع صلتهم بالباب العالى ووهت يومئذ العلاقات السياسية بينهما واستبدت السلطة العسكرية المحلية بالامر واحتكرت لنفسها تولية حاكم الجزائر الاعلى بانتخابه من بين افرادها او من طائفة الرؤساء وقرصان البحر وتارة من بين اعضاء مجلس الديوان الاتراك من غير مراعاة لنسبه او حبه او منبته انما هو تركى وكفى ولم يبق للباب العالى حينئذ سوى الموافقة على من ينتخب لهذا المنصب من بين هؤلاء، ويومئذ اصبح نظام الحكم التركى بالجزائر انتخابيا مستقلا وللا حاكم الجزائرى الحرية المطلقة فيما يفعله فله فتح باب المجادلات والمجادلات السياسية مع الاجانب وله حل المشا كل الخارجية بنفسه، وله اعلان الحرب والسلام وامضاء المعاهدات وابرار العقود الدولية وقبول الممثلين الدبلوماسيين الخ... مستمدا قوته هذه من ديوانه

واستمر مركز ادارة الحكومة العليا بالجزائر بحى «الجنيمة» باسفل المدينة تجاه ساحة الحكومة اليوم. ومن بقايا دور الحكومة بهذا الحى «قصر الشتاء» الذى اصبح اليوم معهدا للدراسة ودار الاسقف وغيرهما. وهكذا الى اواسط القرن الثالث عشر الهجرى - اوائل ١٩ م - انتقل داي الجزائر «على خوجة» من سكنى الجنيمة الى اعلى المدينة بحى «الباب الجديد» حيث ابنتى قصر القصبة المعروف الى اليوم ونقل اليه مركز الحكومة ولم يزل ولاه الاتراك ينزلون بهذا القصر الى نهايتة دولتهم بالجزائر

وللحكومة الجزائرية مجلسان استشاريان لا يقطع الحاكم امرا بدون استشارتهما اولهما مجلس الشورى وهو يتألف من اربعة افراد :

١ وكيل الحرج وهو المتصرف فى جميع شئون الدولة العسكرية والمدنية برا وبحرا

٢ خوجة الخيل؛ وهو بمنزلة وزير الحربية وله التصرف فى املاك الدولة

٣ خزنة دار، او الخزانجى - وزير المالية -

٤ الاغا، وهو القائد العام لقوات الجيوش البرية

والمجلس الثانى هو المعبر عنه بمجلس «الديوان» وينعقد ثلاث مرات فى

الاسبوع خارج القصر وواحدة بالقصر، وهو يتألف من سبعة اعضاء وهم:

١ الخليفة وهو نائب الحاكم الاعلى، ويلقب بالسيد الدولاتى، والقائم

مقام

٢ دفتر دار، اى رئيس ديوان الانشاء وهو كاتب الدولة العام، والكتابة

يومئذ باللسانين : التركى والعربى؛ مما يدل على احترام القوم للغة الدين

والوطن

٣ الباش سيار، مدير ادارة البريد

٤ قبودان رئيس - امير البحر -

٥ الترجمان

٦ شاوش الكرسي

٧ بيت المال - قاضي بيت المال -

ومن هذا المجلس ينتخب اغلب كبار الضباط واعيان الوزراء

وهناك غير هذين من المجالس التي تعتبر كالروافد لهذه المجالسين الكبيرين منها مجلس الكراسي؛ ومجلس طائفة الرياس - رؤساء البحر - من قراصنة ورؤساء المراكب الحربية؛ وكلها تعمل على مساعدة ذينك المجالسين من غير ان يكون لها كبير تأثير على مجرى سير حركة السياسة العامة بالبلاد وليس لهؤلاء الافراد من اعضاء المجالس الحكومية الآنف الذكر اتصال مباشر بالامير الا عن طريق الترجمان او بواسطة شاوش الكرسي؛ وقد يجتمع بهم الامير فرادى ان شاء او جماعات حسب ما يريته وتقتضيه المصلحة؛

ويشترط في هؤلاء الاعضاء وجميع الحكام ان يكونوا من العنصر التركي ليست فيهم ولا شائبة الكرغلية (١) إذ ليس في تاريخ هذه الدولة لغير الاتراك حظ في مباشرة الحكم او تسيير دفة السياسة العامة بالبلاد، الا في عهد الحاج شعبان باشا فاتح القرن الثاني عشر الهجري (آخر ١٧ م) فانه سمح بضم طائفة من ابناء البلاد - اندراغلة - الى الجيش بصفة معاونين لكثيرا اسواد قوم؛ وكل ما كان هناك من بعض الاهالي في منصب شيخ او قائد الخ... انما هو كمساعد فقط وليس من ذكرنا من اعضاء المجالس مرتب ورزق يتقاضاه من خزينة الحكومة الجزائرية

وفي القطر الجزائري ولاية وقادة ومشائخ، منهم ثلاث بايات - بمنزلة العمال -

(١) الكرغلي وجمعه كراغلة هو الذي امة غير تركيه مثل الهجين عند العرب

يتصرفون في مناطق محدودة من الارض تسمى «بايلك» : باي الشرق ومقره بمدينة قسنطينة، وباي الغرب كان مقره اولا بمازونة ثم تحول الى معسكر واخيرا استقر بوهرا، وباي تيطرى وكان مقره بمدينة المدية، ولكل من هؤلاء الارباء الثلاثة نظامه الداخلى وترتيب الادارية، وكلهم يدين بالطاعة والولاء للحكومة المركزية بالعاصمة،

كما انه كان لمعظم العشائر والقبائل المنتشرة في انحاء القطر الجزائرى مثل الحناشمة شرقى قسنطينة، والدواودة (١) بالزاب الجنوبى، وبني مصاب (٢) بجنوب مدينة الاغواط، وبني عباس وولاية تقرت، وواد ربيع السخ.... فلكل منها رئيس : قائد او شيخ يتصرف فى ولايته المعبر عنها بالوطن، تصرف الامراء الاقطاعيين على مقتضى النظام السائد فى القرون الوسطى، والحكومة يومئذ مكتفية منهم بما يمدونها به من الاموال والانفس ولا حق لهم فى الخوض فى اغراضها والتدخل فى مقاصدها السياسية كيفما كان شأنها، وبذلك انضح ان شكل الحكومة كان استبداديا

ومنذ سنة ٩٢٧هـ [١٥٢٠م] اى يوم ان اذن السلطان سليم الاول ليلرباى خير الدين باستقلال الجزائر فى ميزانيتها واتخاذ السكة الجزائرية وطبع النقود اصبحت الخزينة الجزائرية غنية ثرية بمداخيها الكثيرة المجلوبة من السبى والمغنم والزكاة والعشر والجزية والفقء والمغرم والخراج وما يقوم به الولاة والبايات ورؤساء القبائل والعشائر من دفع العوائد واللزمة والدنوش والحكر - كراء املاك الدولة - بله الهدايا المتنوعة من الناض والرقيق

«١» هم عرب من اولاد داود بن مرداس بن رياح نزحوا الى المغرب الاوسط ايام الحملة الهلالية فى اواسط القرن الخامس الهجري - اواسط ١١م -

«٢» رسمها ابن خلدون فى تاريخه بصورة صاد وسطها زاي، كرسه اهل المصحف حروف الاشمام كالنطق بالصاد فى قراءة خلف اى انها مشمه بالزاي ومعنى ذلك انه ينبغى ان يتوسط الناطق بهذا الحرف بين حرفي الصاد والزاي

والخمس من المغامر البحرية المختلفة الخ...

ويقدر مبلغ ما كان بالجزينة الجزائرية من الاموال بنحو مائتي مليون فرنك واضحة العملة الجزائرية يومئذ راجعة معترفا بها رسميا لدى دول العالم اجمع

والمعروف من انواع النقود الجزائرية الذهبية هو السلطاني والمحبوب وهناك نصف السلطاني وربعه كما هو كذلك لنوع المحبوب ايضا، واما الفضية منها فهو الدورو الجزائري، والسكته وهى نصف دورو جزائرى، والريال بوجه، وريال بسيطة، والموزونة، وريال درهم، وثمان بوجه، ومن النحاس الصائمه والدراهم الصغيرة. وتقدير قيمتها اليوم يختلف بحسب اختلاف الزمان والمكان تسعير العملة في البلاد يزيد وينقص

ومن مصادر ثروة الجزينة الجزائرية ما كانت تدفعه اشهر ممالك اوروبا ودول الولايات المتحدة بامريكا من الاتاوة اموالا واسلحة وذخائر اذعانوا وخضوعا لسلطان الجزائر وسيادتها البحرية ورغبة في كسب عطف ومودة حكماها للتعامل التجارى مع سكان سواحل هذه الضفة الجنوبية من البحر الابيض المتوسط، فمن ذلك آلات واعتدة حربية كانت تقدمها دول الولايات المتحدة الامريكية في صورة هدايا لحكومة الجزائر وذلك ما كان يقدر بنحو اربعة آلاف ريال شينكو وهذا علاوة على ما كان يحضره معهم القناصل والمفوضون من الهدايا والتحف التى تبلغ في بعض الاحيان العشرة آلاف ريال، ويذكر ان مقبوضات الجزائر من امريكا بلغت ايام رئاستى «واشنطن وادمز» الى مليونى دولار؛ وكان على الدولة الانكليزية ستمائة ليرة سنويا وهناك من قدرها بنحو اربعين الف فرنك، وعلى دولة فرانس سبعة آلاف ليرة في كل سبع او عشر سنين، وتارة يقدم هذا المبلغ سلعا وبضائع متنوعة مع هدايا خصوصية نفيسة وفي كل سنتين تدفع دولة هولاندة عشرة آلاف سكه - نصف دورو جزائرى - او ستمائة ليرة فرنسية؛

وقدر ذلك بنحو ستين ومائة الف فرنك مع هدايا نفيسة تبلغ نحو الثلاثين الف سكة جزائرية، وكان على دولة النمسا مائتا الف فرنك؛ وعلى مملكة صقلية اربعة وعشرون الف ريال شينكو، مع هدايا تقدر بمبلغ اربعة آلاف ريال شينكو، وعلى مملكة سردانيا ستة آلاف ليرة فرنسية، وكان على دولة الدانمارك اجهزة واعتدة حربية وسلاح وآلات عديدة، وذلك ما كان يقدر بمبلغ اربعة آلاف ريال شينكو، ومعها هدايا تقدمها قناصل هذه الدولة الى الحكومة الجزائرية في كل سنتين تقدر بثلاثين الف سكة، وكان على دولة السويد والنرويج مثل ما على الدنمارك، وعلى مملكة نابل الايطالية ما يقدر بمائة وعشرين الف فرنك سنويا وكذلك مثلها دولة البرتغال، اما مملكة سيليزيا فكان عليها اربعة وعشرون الف ريال شينكو، وعلى هانبور - بألمانيا - اسلحة لا غير، اما مملكة هانوفر وبريم الالمانيتين ايضا فكان عليهما ما يقدر بنحو الستمائة ليرة انكليزية وعلى الدولة الاسبانية ما يقدر بثمانية واربعين الف فرنك مع هدايا وتحف نفيسة، واما الجمهورية البندقية فكان عليها ثلاثون الف سكة سنويا

وهناك غير هذه من الدويلات الاروبية الصغيرة التي كانت تدفع الى الخزينة الجزائرية من العشرة الى الخمسة عشر الف فرنك سنويا. اما دولة استراليا والمجر وروسيا فانها كانت معقوة من هذا المغرم برخصة خاصة من طرف الباب العالي، ولعل ذلك كان مراعاة لحسن الجوار؟....

واما مملكة تونس فانها كانت تقدم ذلك بضائع الى الجزائر : مائتان وخمسون جرة زيت، وخمسون جرة من السمك؛ وعشرون جرة صابون مائع، مع هدايا ومنح تمنح بها اعضاء الدولة وسادة الحكومة ورؤساء الجندية، واما نظام الجندية وهو ما يعبر عنه في اصطلاحهم بـ «الوجاق» فهو اعظم ما تعتمد عليه الحكومة في تطويد اركان ملكها ونشر نفوذها بهذه البلاد.

فان الجندية التركية كانت كغيرها مؤلفة من عدة وحدات وفيلق مختلفة الالقاب

اشهرها لقيف الينكشارية (١) المدلل والسباهية - الفرسان - واليولداش؛ وهي ذات مراتب ودرجات يرتقى اليها الجندي حسب اقدميته في السلك العسكري وحسب ما تدعو اليه اهليته وكفاءته الحربية

واشهر مراتب الضباط في الجيش اربعة : اوضة باشي؛ وبولو كباشي؛

(١) الينكشارية والانكشارية هي كلمة محرفة عن اصلها التركي «يني تشاري» وترسم بالقلم التركي هكذا «يكيجاري» ومعناها : الجيش الجديد، كان تاسيس هذا اللقيف من الجيش بأشارة خليل جندرلى وامر الوزير الاكبر علاء الدين بن السلطان عثمان الاول سنة ٧٢٦هـ (١٣٢٦م) وباركه يومئذ شيخ الطريقة الصوفية الحاج بكتاش، وان الغرض الوحيد من انشاء هذه الفرقة هو خشية الانحياز والتعصب القبلى والتحزب الطائفى في الجيش التركى فتسقط بذلك الامبراطورية العثمانية، وكان يومئذ هذا اللقيف اول جند نظامي باوروبا لذلك العهد

وجيش الانكشارية هذا مؤلف من شتى الشعوب وخاصة من الاسرى ابناء النصارى على اختلاف اجناسهم وملهم، فكانت الحكومة التركية تبث فيهم الاسلام والولاء والتعلق بالدولة العثمانية مع قطع جميع العلائق والعلات التى تربطهم باوطانهم واديانهم وماضيهم، فكانوا ينشأون نشأة اسلامية عثمانية محضة، من غير ان يلتفتوا الى شىء اخر

ولقد اخذ الاتراك هذه الفكرة عن تقليد؛ فانهم قلدوا فيها غزاة البزنطيين الذين كانوا يؤسرون السبايا من المسلمين وينصرونهم ثم يدفعون بهم الى مقاتلة المسلمين في عقر ديارهم مثل ما فعل البطريق (ميشال بورتسنريس) حينما استولى على انطاكية سنة ٣٥٨هـ [٩٦٩م] فانه سبى عشرة آلاف غلام من أبناء المسلمين فحملهم معه الى القسطنطينية ونصرهم هناك ثم دفع بهم الى الجندية وجعلهم يحاربون قومهم وآباءهم المسلمين؛ ولذلك فعل «نيقو فور فوقاس» لما استولى على حلب وسبى منها عشر آلاف ولد فنصرهم وعمدهم وصيرهم من اعز جنده، فما كان عمل العثمانيين حينئذ الا رد فعل وانعكاس لعمل النصارى المسيحيين مع المسلمين - جزاء وفاقا -

نشأ هذا الصنف من الجيش على نظام الخطة المقررة المرسومه وتقدم في درجات الجندية الى ان اصبح عمدة الدولة في غزواتها وفتوحاتها العديدة في البر والبحر واستمر على ذلك الى ان ظهر فيه الصلف والجور وخرج اكثر ضباطه ورؤسائه عن حدود اللياقة والادب فتعدى القوم طورهم وعتوا في الارض عتوا كبيرا : ويومئذ أصدر السلطان محمود الثانى امره في ٩ ذي القعدة

١٢٤١هـ (١٦ جوان ١٨٢٦م) بحل نظام هذا الصنف من الجيش وإبطاله تماما

وكانت اقامه جيش الينكشارية بالجزائر في ثكنات خاصة به اشتهر بالعاصمة منها سبع قلاع،

وآغا باشي، وداهية؛ وهى لا تختلف كثيرا عن الدرجات المعهودة في الجيش بالعالم؛ وليس هناك ما يجعل الرعية ملزمة بالانخراط في سلك الجيش ولا في النظام الحربي الا ما كان منها عن طيب خاطر وطوعية، وفي حالة الاضطرار توفد الحكومة الجزائرية الى آسيا من ينشر لها هناك المنشير ويدعو الناس فيها الى التجنيد المأجور؛ وكل انواع طوائف الجيش التركي بالجزائر مأجور سوى فرقة المخزن الاهلية فانها ملحقه في نفقاتها بخرج الحكومة العام؛ فهى لا تتقاضى على اعمالها المخزنية اجرا معلوما وانما هي محشورة ضمن نفقات الحكومة العامة؛ ويمتاز رجال الوجاق واصناف الجند عن بعضهم بما تخصصهم به الحكومة من الملابس المتنوعة المختلفة الالوان والاشكال

وفي اواخر ايام هذه الدولة بالجزائر اضطرت الحكومة المركزية الى مضاعفة عدد رجال الجيش فضافت اليها فيالق جديدة كفيلق الدوائر والزمول؛ والقوم والمخازنية؛ والجند الزواوى؛ وجيش العبيد من الزنوج؛ ومرجع قيادة هؤلاء جميعا الى الضابط التركي الاعلى الحائز على لقب « آغا » فهو المتصرف المطابق والأمر الناهى في الجيش؛ ومدة نفوقه حسب تراتيبهم لا تزيد عن شهرين فقط ثم يخلفه آخر « السكاهية » .

ولقد بلغ عدد جيش المشاة بالجزائر - في بعض الوقائع - الى ستين الف جندي ولم يزد على ذلك

منها هذه الثكنة الباقية الى اليوم بقرب المسرح البلدى - الاوبرا - المعروفة باسم «دار الكشائية» وهى منتدى المسكر اليوم وثكنة الخراطين بناحية باب عزون، وقشلة العريش، وقشلة مافارون قرب الجامع الكبير، هدمت اخيرا عند النشاء هذه العمارات الجديدة بجنوب الجامعين - اسفل المدينة، وقشلة باب الجزيرة، وقشلة التماقين - وهم صانعي الخفاف - والتماق بالقاف المعقودة كلمة تركيه معناها الحُف، وقشلة باب البحر. وكلها كانت وقفا على هذا اللقيف من الجيش تحت ادارة واشراف رئيسهم الاعلى (القبجي) وكان عدد الجند الانكشارى بالجزائر في اول أمره لا يزيد عن الف عسكري، ثم تكاثر عدده وتزايد الى اضعاف ذلك

وفيما يرجع الى الاسطول التركي الرابض بسواحل افريقية فان الحديث عنه من اعجب ما يرويه رواة الاخبار ومؤرخى البحرية فانه قد بلغ في عدده وعدده وجهازه ونظامه وحروبه ومغامراته الحد القياسى وفيه من اشكال السفن الحربية ارقى واحكم ما عرفه تاريخ البحرية في ذلك العصر ولقد بلغت وحداته في بعض السنين الى ٢١٢ قطعة مختلفة الاشكال مجهزة بالمدافع والرجال وكل اعتدة الحرب تجهيزا جيدا وكلها تسير كما هو معلوم بالشراع والمجاديف وفيها ما هو معروف باسمه كمفتاح الجهاد والانتصار الاسلامى والغزال وهلم جرا.... وكان عدد الجيوش بها يتراوح ما بين الثلاثين والاربعين الف نسمة. ويتأسس القوم ضباط من نفس الطائفة : الورديان ورئيس العسة والباش رايس ورئيس الطريق والكل تحت اشراف « قبطان رايس » امير البحر ويلاحظ انه كان بين طائفة رجال البحرية ورجال الجيش المشاة الينكشارية تنافس ومشاحة منشأهما تناهز فرصة الامارة والقبض على ازمة الحكم والاستئثار بخيرات البلاد

واما النظام المدني فانه كان يجرى تحت تصرف جماعة الاعيان وهم الرؤساء المعبر عنهم بالامناء فلكل صنعة تجارية كانت او حرفة يدوية امين ولكل فرقة من الناس عريف يتضمنهم كلهم مجلس شيخ المدينة ولهذا المجلس حق الرقابة المطلقة والاشراف على جميع ما يجرى بين الناس وفي اسواق المدينة من عدل او حيف وهناك « المحتسب » الذى ياخذ على يد الظالم و « المزوار » الذى يسهر على نشر الامن ومحاربة الدعارة والبغى

اما السلطة القضائية فهي بايدى القضاة الشرعيين وكان بالعاصمة منهم قاضيان حنفى ومالكى والحنفية هى مذهب الحكومة الرسمى ولكل قاض اثنا عشر عدلا وهناك المجلس العلي - الشرعي - الاعلى الذى يتألف من قاضيين ومفتيين على المذهبين ايضا وشيخ النظر في الاوقاف وممثل الحكومة فالى هذا المجلس يرفع النزاع فى النوازل والمشاكل العويصة وفيه تراجع احكام القضاة وينظر

في القضايا الكبرى فهو بمنزلة محكمة استئناف عليا، ومقر انعقاده في العاصمة بالجامع الكبير وقد يحضره الحاكم و برأسه هو بنفسه احيانا ولقد استمر هذا المجلس على عمله هذا الى حوالى سنة ١٢٨٩هـ (١٨٧٣م) بقليل فتمسخته السلطة الفرنسية المحتلة بمثلها ولكن بهيئة اوروية محضة اجنبية عن الاسلام تماما ومجلسها اليوم بقصر العدالة وفيما يرجع الى الفصل فى الخصومات الجنائية والجنح واحكام الدماء والحدود فان القصاص فى ذلك مفوض الى « حانوت الكاهية » وهو المحل او المكان المأذون له فى النظر فى مثل هذه القضايا الاجرامية والنوازل التى تجرى حوادثها بين المدنيين - لا العسكريين - فان لهؤلاء العسكر هيئة خاصة بهم تفصل فيما بينهم لا يحضرها اجنبى عنهم

والذى يرأس مجلس « حانوت الكاهية » بالعاصمة هو الحاكم نفسه او خليفته كخوجة الخيل مثلا او الاغا وبقسطنطينة قائد الداروفى وهران الباي نفسه او نائبه كقائد البلد ويجرى تنفيذ احكام العقوبات معجلا و احيانا يكون فيه من انواع العذاب والتمثيل بالمحكوم عليه والتنكيل به قريبا مما كان يعامل به المحاكمون فى اوروبا (١) ولقد كان بالعاصمة من نوع هذه المحاكم الزجرية ثلاثة احداها بناحية باب عزون والثانية بدار الصابون والثالثة بالزنجوج

واما راية الحكومة ولو اؤها الرسمى بالجزائر فحمراء لاشية فيها مجردة عن كل رمز اعلانا بخروجها عن سلطة خلفاء القسطنطينية المحتوى علمهم على النجم والهلال

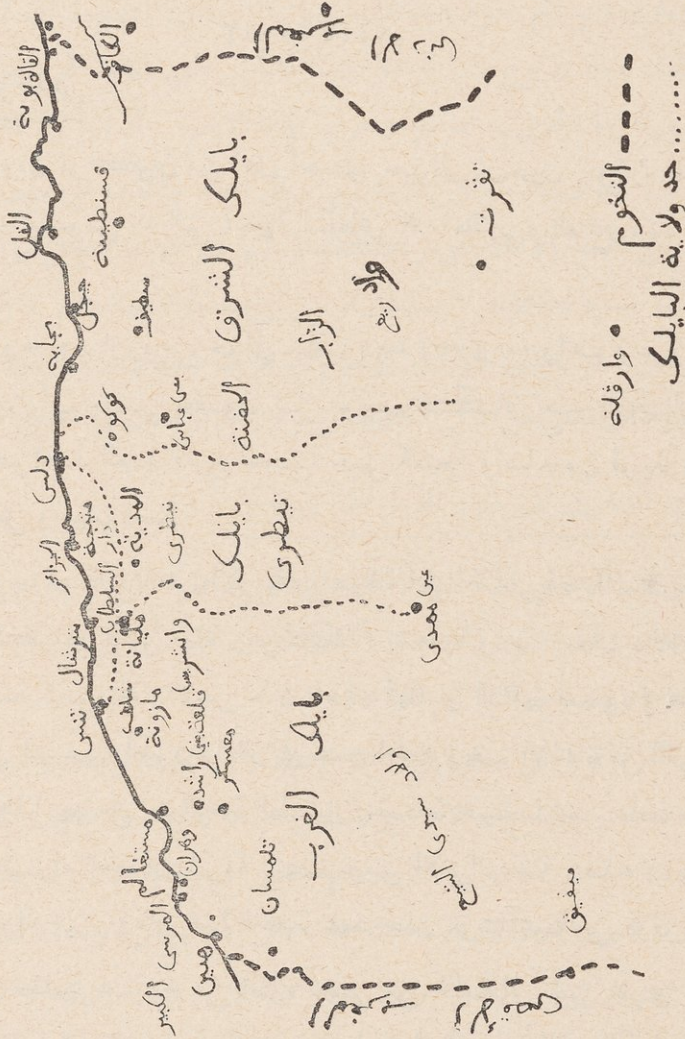
وهكذا استمر نظام الحكم التركى قائما بالجزائر حسبما وضعه الاخوان بابا عروج وخير الدين ومن لف لفهما من رؤساء الدولة التركية الاوائل بهذه البلاد مقصورا على الاتراك وحدهم لا يشاركهم فيه احد من ابناء البلاد الجزائرية الى الاحتلال الفرنسى سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) من غير ان يتغير منه شىء وهو

كما ترى نظام استعماري محض لا يمتاز عن سواه من الاستعمار الاجنبي الا بمظهره الاسلامي فقط او ما كان من الصلوة الدينية بين اهلها وبين سكان البلاد

حدود الجزائر التركية

اما كون البلاد الجزائرية بحدودها المعروفة اليوم هي ما كانت بتمامها على عهد الاتراك مستسلمة لنفوذهم منقادة لطاعتهم العامة فهذا مما لا شك فيه بل ما كانت هذه الحدود السياسية الشرقية والغربية مضبوطة واضحة جلية هكذا كما هي عليه الحال الآن الا منذ العهد التركي فقط غير ان الكثير من مساحة الجزائر الجنوبية كان خاضعا لنظام الاقطاع وان سلطة الاتراك العملية عهدئذ لا تشمل من اديم ارض الجزائر الفسيحة سوى محيط من الارض يحتوي على خمسة وسبعين الف كيلو مترا مربعا، ينتهي شرقا بمدينة طبرقة وغربا بوادي ملوية، وفي الجنوب بجبال العمور المتاخمة لعين ماضي، وهو نحو سدس التراب الجزائري اليوم. اما الباقي من جبال اوراس مثلا فهي لاهلها من زناتة، وبلاد الشاوية والزاب والحصنة لاسرة بوعكاز من الدواودة وبلاد تقرت وملحقاتها في اقصى الجنوب القسنطيني لبنى جلاب، الخ....

البحر الأبيض المتوسط



الجزائر التركية

«ا» عصر الفتح التركي

٩٢٠ - ٩٥٠ هـ

١٥١٤ - ١٥٤٤ م

عروج وخير الدين

هما اخوان تركيان من اهل احدى جزائر أرخبيل اليونان «مديلي»
او ميتيلان - ليسبوس - التي فتحها السلطان محمد «الثاني» الفاتح سنة ٨٦١ هـ
(١٤٥٧ م)

ولد عروج او - اوروج - حوالى سنة ٨٧٨ هـ (١٤٧٣ م) واخوه خير الدين
بعده بسنة من اب يسمى يعقوب بن يوسف كان يصنع الفخار بهذه
الجزيرة. وهو احد الجند الذين صحبوا جيش الفتح، واصل من قرية «آجى
آباد» بالروميلي وامهما ذميّة

نشأ عروج وهو ثاني اخوته الاربعة على هواية الحياة البحرية وذلك ما يقتضيه
موقع بلده الجغرافى فأنشأ جفنا - مركبا - للتجارة واخذ يعمل به للارتزاق
فوقع في محنة العبودية والاسر حيث اخذه الطليان البناقمة فعذبوه وكمكوا
به وانالوه من العسف والجور ما اثار في نفسه الحقد وحب الانتقام من القراصنة
الاجانب، وهذا يعد من حكمة الطليان خيانتة حسبما تنص عليه معاهدة
الصدقة واحترام الجوار المبرمة بينهم وبين الاتراك سنة ٨٥٨ هـ (١٤٥٤ م)
ولكن اين الوفاء؟ ... فكان هذا فاتحة عهد حذر تركيا من دول اوروبا
ويوم ان تخلص عروج من اسرة سعى من حينه الى تغيير مجرى حياته
وكرس نفسه للجهاد والغزو في البحر للقضاء على القرصنة الاروية فنزل هو
واخوه خير الدين ميدان الكفاح بهذا البحر الابيض المتوسط وعملا على ربط
صلاتهما بالسلطان سليم «الاول» ودخلا في خدمة السلطنة العثمانية فامدهما الملك

واجبا يتحتم على كل مسلم القيام به، مهما استطاع وكيفما استطاع الى ذلك سبيلا واضحي
لزما على الدول الاسلامية ان تقابل اعمال العدو بالمثل وان ترد عاديته وتقف
في البحر رسدا لتوقع به وترد عليه اذاه وكيدته وتدرك ثأرها منه، وبذلك
تراجعت قوى الاعداء قليلا عن طموحها واطماعها في البلاد الاسلامية، وليس
هذا في الواقع بقصر صنة او لصوصية بحرية وانما هو لون من الحروب الدينية
ودفاع عن الاوطان ولقد اقر بهذه الحقيقة معترفا بها الكاتب المسيحي « دوماس
لاطري » وبعض كتاب الانكليز من رواد الحقيقة (١)

فتح مدينة جيجل

كان من اوليات المدن الجزائرية التي سقطت بيد الاجانب مدينة جيجل،
احتلالها الجنويز (٢) سنة ٦٥٨ هـ [١١٦٠م] وجعلها مركزا تجاريا عظيما، ولما
ارسى الاخوان عروج وخير الدين بالسواحل الجزائرية لقضاء بعض مآرب لهما
اتصل بهما اهالي هذه النواحي ملتجئين منهما دفع الاجنبي عنهم واتقاذ ثغورهم
من تسلطه عليها، فلبت الحامية التركية نداءهم وكان اول ما شرعت في انقاذه
من البلاد الجزائرية مدينة جيجل فاحتلتها سنة ٩٢٠ هـ [١٥١٤م] واتخذتها مركزا
لعمارتها البحرية بهذا الحوض .

وبذكر ابن احمدوش الجزائري في جدول ولاية الاتراك على الجزائر ان اتصال عروج
بالجزائر كان سنة ٩١٦ هـ (١٥١٠م) ثم اخوه خير الدين سنة ٩٢٢ هـ [١٥١٦م]
وليس هذا ممسا يضر في ضبط تاريخ اتصال الاتراك بالجزائر اذا عرفنا وان هذه
مدينة وقع فتحها على يد الاتراك مرتين

(١) راجع الشرق الاسلامي ج ١ ص ٢٩١ و Demas Latrie - Relation et commerce de l'Afrique septentrionale avec les nations chrétiennes du moyen-âge (Paris 1866)

(٢) اهل مدينة جنوة بايطاليا

فتح حصون بجاية

ولما اشتهرت اعمال الاخوين التركيين في غزو العدو وقهره واستيلائهما على جيجل استقبلهما سكان ثغور الجزائر وموانئها بكامل البشر واتجهت الانظار اليهما اتجاة المستغيث الملهوف الى الغوث فكانتهما اهل بجاية مستنجدين بهما لقمع عادية دولة الاسبان والدفاع عن دار الاسلام، وكان الاخوان يومئذ متجهين الى سبتة من بلاد المغرب الاقصى فعدلا عن وجهتهما الاولى وغيرا خطة سيرهما الى الشرق فاشرفا على بجاية في شهر جمادى الثانية ٩١٨ هـ (اوط ١٥١٢) واحتلا منها حصنها القائر على ساحل البحر، وبعد ان مر عليهما حولان اعادا غارتهم على المدينة ودخلا باسطولهما في الوادي الكبير وحملتا من هناك على الاسبان حملة شعواء استأصلا فيها الاسبان قتلا واسرا ودامت المعركة اياما فانصر بها الاتراك والتحقت بهم جيوش الجزائر المتطوعة فبلغت نحو العشرين الف مقاتل ويومئذ اخذ النصارى في استعمال الحيلة والدهاء الحربى فتمكنوا بذلك من الاحاطة بالجيوش الاسلامية فحاصروها مدة اربعة وعشرين يوما فصر لها المسلمون مستميتين في الدفاع عن اوطانهم حتى نفذ ما عندهم من البارود، فالتجأوا حينئذ الى طلب المعونة من صاحب تونس الحفصى فامتنع واطهر عداوته للاتراك واغرى عامله على قلعة بنى عباس من بلاد القبائل بمعدات الاتراك ايضا والسعى في نصرته الاسبان وذلك لما كان بين جده عبد الرحمن واحمد بن القاضى - بوقطوش - الموالى للاتراك من العداوة وجاءت الامداد الى الاسبان من جهات عديدة فتقوى العدو ضد الفاتحين فانسحب القوم صعبة نحو ستمائة اسير وانصرفوا بما معهم من الذخائر، وفي هذه الواقعة أصيب عروج في ذراعه الايسر فسقط منه كما اصاب بجراحات بليغة في كتفه.

ثم في سنة ٩٢١ هـ (١٥١٥ م) اتحدت قوات المسلمين وجاءت جيوش القلعة

العباسية يقودها الامير عبد العزيز الحفصي منتصرة للفاتحين الاتراك والتحقت بهم جيوش احمد بن القاضي من جرجرة وتقدم الجميع للقضاء على قوات الاسبان بجاية فاخفقوا ولكل اجل كتاب

الاستيلاء على مدينتي الجزائر وشرشال

كان لعدم استقامة امر ملوك الجزائر الزيانيين واضطراب امر الحفصيين اثر قوى في خروج بعض المدن الجزائرية عن طاعتهم واستقلالها بامرها تحت رعاية جماعة من اهلها، ومنها مدينة الجزائر هذه فانها بقيت محافظة على حريتها تحكمها هيئة من الثعالبية تحت رئاسة شيخ من شيوخهم، وكان فيمن تعاقب على رأس هذه الهيئة العلامة « سيدى عبد الرحمن الثعالبي » ثم انتقلت رئاستها الى اولاد سالم من بنى علان الهواري ، وكان آخر الرؤساء من هؤلاء « سالم السالمى التومى » (١)

احتل الاسبان صخرة المرسى العظيمة مكان برج الفنار اليوم وبنوا عليها حصنهم الشهير باسم «البينيون» Penion سنة ٩١٦ هـ [١٥١٠م] ونزلوا فيه واخذوا يومئذ في ارهاق الجزائريين والتضييق عليهم بفرض الضرائب والمغرام الباهضة

(١) كان مقر حكمه ومركزه بالجزائر بحى باب الوادي في دار هناك كانت تعرف بـ «دار الطنجية» ويقال انه سكن بالدار الحمراء قرب ضريح سيدي على الفاسى بنهج فيليب Philippe ولقد هدمت مباني هذه الناحية اخيرا بقصد التوسيع في انهج المدينة ودورها وتعميرها على شكل بناء العصر الحديث ولكن الجزائر خسرت بذلك اجل عماراتها واحياؤها التاريخية الاسلاميه، ففقدت بذلك طابعها الشرقي الاسلامى ورونقها الساحر الخاص

كانت هذه الناحية من العاصمه بمثابة الدرة من التاج مزدخرة بثروة طائفة من الدور والقصور الفسيحة هي اجمل ما في المدينه من بناء وعمارة وناهيك بها انها كانت مسكن ذى الوجاهه من رجال السلك السياسى والعسكرى ورجال القضاء والفتيا، ورؤساء البحريه الخ فالبنايات بها كلها رخام ومرمر ملون وزليج فارسى مزخرف ونقوش على الخشب وقباب مرتفعه واقواس في اشكال هندسيه جميله على نموذج دار الاسقف والمكتبه الوطنيه الباقيتين الى اليوم

على مكاسبهم التي تأتيهم عن طريق البحر كما فعلوا كذلك بسائر السواحل الجزائرية فضايق الجزائريون بهؤلاء الاسبان ذرعا وسُموا من هذه الاهانة والذل القتال وحاولوا التخلص من هذا الحصن الاسباني الذي حل ببلدهم محل الشوكة باللهة وفي ذات يوم ارسى خير الدين باسطوله في مرسى الجزائر لقضاء بعض مآرب له منها وقد علم الجزائريون يومئذ ان ملك اسبانيا « فيرديناند المسيحي » المتعصب قد توفي فانتهزوا هذه الفرصة واستمسكوا بخير الدين فرغب اليه شيخ مدينة الجزائر « سالم التومي » وشيخ بلاد قبائل - جرجرة - « احمد بن القاضي » حماية بلادهم من خطر الاسبان ومبايعته كامير على بلاد الجزائر، فحماهم مدة ثم سخط عليهم فغادرهم سنة كاملة ثم الحوا في عودته اليهم واكدوا عليه في قبول بيعتهم فأظهر امتناعا ثم لبى دعوتهم على ان يشاركه اخوه عروج - اوروج - في هذه الغزوة وهو يومئذ مقيم بجيجل فاستصرخوه فاجابهم وجاء معه بحملة فيها ثمانمائة تركي وثلاثة آلاف جزائري، فخرج اولا على مدينة شرشال فاحتلها ٩٢٢ هـ [١٥١٦م] وتقدم بعدها الى مدينة الجزائر في نفس التاريخ فانقذها من بين برائن الاسبان وغرز بها علم المثلث الاسوان : اخضر واصفر واحمر، وكان اخوه خير الدين يومئذ مشغولا بفتح مدينة مستغانم

نزل عروج بالجزائر وحاول من يومه القضاء على حصن « البينيون » فلم ينجح، ولم ينشب ان عملت الدسائس عملها فانقلب ضده حاكم الجزائر وبيت له العداوة مع الاسبان وكانهم بذلك استضعفوه او حسدوه فنشط عروج للانتقام من مشيخة مدينة الجزائر فقضى على رئيسها سالم التومي واعلن انتصابه بنفسه ملكا على عرشها ولم يلق في ذلك من الاهالي كبير عنف وذلك لما يجمع بينهم جميعا من اخوة الاسلام ورابطة الخلافة والدفاع عن الاوطان الاسلامية، وكان لسالم هذا ولد اسمه يحيى فر بعد مقتل ابيه الى وهران مستنجدا ومستغيثا بالاسبان فجهز له هؤلاء اسطولا ضخما وجعلوه تحت قيادة « فرانسيسكو »

خيمة حملة دون ديمكو دوفيرا على الجزائر

جاءت هذه الحملة الاسبانية في ثمانين مراكبا تحمل كمية عظيمة من السلاح والجنود اذ فيها من المقاتلين نحو الثمانية آلاف نسمة، يرأسها القائد الاسباني « ديمكو دوفيرا » Diégo-de-véra فارست العمارة بناحية باب الوادي غربي العاصمة وقيل بشرقها بناحية «حسين داي» ...؟ وذلك في اليوم الثالث من رمضان ٩٢٢ هـ [آخر سبتمبر ١٥١٦ م] وما كادت جنود الحملة تتصل بالارض حتى فاجأها الاهالي ومعهم الحامية التركية فتمضوا عليها وكان ذلك في يوم عاصف حيث اشتدت الزوابع في البحر فاضطربت لهما سفن العدو وتقاذفتها الزعازع الهوج فتحطم اكثرها فكان ذلك مما زاد في انكسار الاسبان وخيبتهم ولم ينجو يومئذ منهم الا القليل

ويقال ان الاهالي الجزائريين يومئذ توجهوا خيفة من تسلط الاتراك عليهم وخروج الامر من ايديهم فاجتمعوا بحاكم مدينة تنس حميد العبيد من بني مهل فأدرهم عروج في خمسة عشر الف جندي تركي وألف فارس من الجالية الاندلسية فقتلوا على حركاتهم هنالك

تقدم الفتح التركي

ويومئذ اخذ عروج في توسيع نطاق مملكته بالجزائر فاستولى على متيجة بعد ان فر حاكمها منها الى الصحراء، ثم نزل المدينة واحتل بعدها مليانة واستولى على بلاد القبائل فنصب عليها اخاه خير الدين واقامه بدلس، وكان مما مهد له السبيل الى احتلالها هو ما كان قائما بين بني عباس واهل جبل كوكو من التنازع والخلاف؛ ثم هاجم تنس واحتلها في جمادى الثانية ٩٢٣ هـ [جوان ١٥١٧ م] وقتل صاحبها الموالي للاسبان ونشر سلطانه عليها وعلى ما اتصل بها من قراها ومدارسها المحيطة بها، واقتسم حينئذ إدارة البلاد بينه وبين اخيه فاضطلع هو بغربيها وجعل لاخيه ناحيتها الشرقية

فتح تلمسان

لقد كان لهذه الفتوحات التركية المتوالية دوى عظيم فى انحاء المملكة الجزائرية واثّر باهر كبير فى نفوس التلمسانيين الذين كانوا يرسفون تحت نير ابي حمو الثالث وجور خلطائى الاسبان فبمجرد ما تتحقق لديهم انتصار الاتراك على الاسبان فى بجاية والجزائر وتقدمهم فى الفتح التف اهل تلمسان حول ملكهم ابي زيان المخلوع والتجأوا الى عروج فادر كههم بحاميته وفتح تلمسان سنة ٩٢٣هـ [١٥١٧م] وفر أبو حمو الى وهران محتفيا بحلفائه الاسبان؛ فعاد اذ ذاك ابو زيان الى عرشه

وقعة هـ-وارة

هوارة هى قلعة او بلدة صغيرة من اعمال وهران تبعد عن مدينة معسكر بنحو ٢٥ كم ، وعن مستغانم بنحو ٥٥ كم وهى المعروفة قديما بقلعة بنى راشد واول من استعمل عليها من الاتراك هو اسحاق بن يعقوب اخ عروج، استعمله اخواه على هذه الناحية واكداعليه فى تشديد الضغط على الاسبان المقيمين بوهران وقطع الميرة عنهم، وكان يومئذ ابو حمو الثالث معهم فجاء الى القلعة مقاتلا مع الاسبان واشتدت المعارك هناك وكان الظهور فيها للاتراك، ثم أعاد ابو حمو كرتة فى جيشيه ومعه الاسبان فحاصر القلعة وضيق عليها الحناق مدة ستة عشر شهرا ثم افرج عنها وكانت الهدنة وعقد الصلح

ثم لاح لائح الحياة من طرف الاسبان فانقضوا على القلعة وقضوا على اهلها غدرا وقتلوا الحامية التركية وكان فيها استشهاد الامير التركي اسحاق (١) ونشبت

[١] ذكره عبد الرزاق بن احمدوش الجزائرى فى مجمعه المطبوع بالجزائر سنة ١٨٨٦ م على انه اول باشا قدم الى الجزائر سنة ٩١٥هـ (١٥٠٩م) وفى تقييدات او مفكرة ابن رجب الجزائرى - مخطوطه - انه تولى امارة الجزائر سنة ٩١٠هـ [١٥٠٤م] ٠٠٠٠٩

هنالك وقائع وحوادث دامية بين حميد العبد رئيس تلك النواحي وبين الجيوش التركية، وسرعان ما انتصر الاتراك واحتل عروج نواحي شلف والظهرة ووأنشريس وتيطري ومتيجة

استشهاد عروج وعودة ابي حمو الى العرش

انتقل ميدان القتال بعد ذلك الى تلمسان وعاد اليها ابو حمو الثالث في اشياعي وحلفائه الاسبان فيحاصرها ستة اشهر وهنالك وقف في وجهه عروج فقاتله وقتل من اهله نحو الستين شخصا كان فيهم سبعة من المترشحين للملك، وقضى على نحو الف من سكان المدينة المعارضين ثم خرج بنفسه لملاقات عدوه ابي حمو ومن معه من الاسبان فقاتلهم ولم يعقه في ذلك انفصال ذراعه واستمر يخوض غمار الحرب بشجاعة نادرة الى ان استشهد وجماعته معه في الميدان قرب مقطع الوادي الملح Rio Salado وذلك في شهر جمادى الاولى سنة ٩٢٤ هـ (ماي ١٥١٨ م) وعمره يومئذ نيف واربعون سنة، فسر لسقوطه الاسبان فاحتزوا رأسه وسلبوه ملبسهم واخذوا ذلك معهم الى بلادهم يطوفون به الشوارع والانهج تطمينا لافئدة شعبهم المضطربة حقدا وغیضا، ووضعت ملبسه تلك في دير - موناستيرسان جيروم - بقرطبة ويروى ان جثمانه جيء به الى العاصمة فدفن بجوار ضريح سيدي رمضان وقبرة عن يمين الداخل متصلا بجدار المسجد؟ ... وأعاد الاسبان اباحمو الثالث الى عرشه المحتضر على ان يكون حليفهم ضد الاتراك ويدفع لهم سنويا اثني عشر الف دوكتا او بياستر - نقد اسباني - و ١٢ فرسا و ٦٠ صقور رمز لخضوعه واستخذائه للاسبان وفي هذه السنة جدد خير الدين سور مدينة الجزائر الذي انشأه بلكين ملك صنهاجة من قبل

انهزام الاسبان عن الجزائر

كان لاستشهاد عروج وانتصار الاسبان على المسلمين في وقعة الوادي الملح ارتياح

عظيم لدى الاوساط المعادية وكان الدولة الاسبانية يومئذ استيقنت النصر النهائي لهما فعزم الامبراطور شارلكان على القضاء نهائيا على دولة الاتراك بالجزائر فجمع يومئذ جمعه واخذ في تعبئة حملة عنيفة ضد الجزائر مجهزة باضخم اجهزة الحرب فخرجت العمارة من مرسى جنوة سنة ٩٢٦ هـ (١٥١٩ م) مشتملة على اربعين قطعة بحرية وفيها من الجند خمسة آلاف مقاتل يرأسها والى صقلية « هو كودو ونكاد » فخرجت اولا على وهران فاستكملت عدتها هنالك ثم جاءت الجزائر فارست بناحية الحراش وهناك اشتبكت المعارك بين الفريقين فانتصر الجزائريون على هذه الحملة واسروا منها ثلاثة آلاف مقاتل وفيهم اكثرية من الضباط ومن بينهم رئيس الحملة

وفي هذه السنة كان استيلاء خير الدين على مدينة القل الساحلية، وشرع يومئذ في توزيع الاعمال على الموظفين وتعيين الولاة على النواحي ومن بينهم احمد بن القاضي فأقره شيخا او خليفة على الناحية الشرقية، ومحمد بن علي على الناحية الغربية

الحاق الجزائر بالامبراطورية العثمانية

ولما اطمأن الجزائريون على بلادهم وتحققوا من يأس العدو منها اظهر بعضهم الاستغناء عن الاتراك، وفيهم من حول نظره الى الاسبان مستنصرا بهم ويومئذ جمع خير الدين طائفة عظيمة من نخبة اهل البلاد واعيانها وعرض عليهم تخليه عنها، واظهر لهم عزمه الاكيد على الانتقال من بلادهم والعودة الى خطته البحرية لمجاهدة قرصان النصرانية بغربي هذا البحر الذي كان مسكونا بشعوب من القرابين التي تمارس الغزو والقرصنة وتعتمد عليها في معاشها، فابى عليه مجلس الاعيان ذلك واعلن تعلقه الشديد به وبرهن على ولائه واخلاصه باظهار رغبته ورضاه فيما يقترحه ويشترطه عليهم خير الدين، وبعد المناقشة والجدال الطويل

في ذلك طرح عليهم خير الدين فكرة الحاق الجزائر بالباب العالي والاحتواء بالسلطنة العثمانية فاستصوبوا رايه واستسلموا له في انقياد تام، وكان مما جعل شأن التحاق بلاد الجزائر بالمملكة العثمانية امرا ميسورا لديهم هو ما يجمع بينهم من رابطة الدين والخلافة مع توجس الاهالي وخوفهم من مفاجآت العدو وغاراته الطارئة ويومئذ كتب خير الدين محضرا اشتمل على تفاصيل الحوادث الجزائرية وذكر البيعة للسلطان العثماني وبعث بذلك مع احد اتباعه - الحاج حسين - الى استانبول فقبله السلطان سليم الاول واذن في ضم الجزائر الى مملكته وخلع على خير الدين لقب «بيرباي» وجعله حاكما على الجزائر وامده بالفيين من الجند المسلح ومدفعية قوية واربعة آلاف من المتطوعة وجند الانكشارية وجاء معهم كثير من المهاجرين الاتراك، واذن له السلطان كذلك في سك النقود؛ واصبحت الجزائر منذ سنة ٩٢٤ هـ (١٥١٨ م) ولاية تركية مرتبطة بالامبراطورية العثمانية ملحقه بها خاضعة لحكام اقليميين يحملون لقب بيلرباي والباشا والداى يتمتعون بفسط وافر من الاستقلال عن الحكومة المركزية باستانبول

ويبدو ان خير الدين هذا لم يكن يعمل لمجرد الكسب والغنيمة وانما كانت تسيره عاطفة دينية صادقة فلقد عجل هذا الرجل في ساعة نصره وظفيره فوضع نفسه في خدمة السلطان وقدم الى الخلافة بلاده في الوقت الذي كان عمال الدولة ينتهزون فيه فرصة استقوائهم لينفصلوا عنها وقد كان الرجل موقفا فيما راي اذ وقع تصرفه في نفس السلطان سليم موقعا طيبا (١)

انبعاث الاضطراب والفتن بالجزائر

لقد كان التحاق الجزائر بالباب العالي باعنا قويا في اضطراب بلاط بنى زيان بتونس وبنى ابي حفص بتونس والوطاسيين ايضا بالمغرب الاقصى وذلك خشية

امتداد القوى التركية الى بلادهم ونشر جناح السلطنة العثمانية على كامل المغرب العربي، فاجتهد الحفصيون والزريانيون يومئذ في العمل على قطع العلائق بين الجزائر واستانبول وسعوا في ايقاد الفتن والشبورات الوطنية ضد السلطة التركية، وانفقت في ذلك اموال طائلة وفيهم من استجاش بالاسبان وملوك المغرب الاقصى من بني وطاس ولكن ذلك كله لم يثبت امام قوة الجيوش التركية النظامية فخاب سعى بني زيان وتناكر الشعب الجزائري للمولى عبد الله الزباني فانزله عن عرشه وفر الملك الى حلفائه الاسبان وتولى مكانه اخوه المسعود سنة ٩٢٥ هـ (١٥١٩م) تحت نفوذ الاتراك

غزو ولاية تلمسان

ماكاد يطمئن خير الدين على ولاية تلمسان حتى فاجاه ملكها المسعود باظهار عداوته وبغضائه للاتراك وانقلابه على الحكم العثماني واعلان ثورته الصماء على خير الدين، فتقدم البيلرباي اولالي مستغانم فيحاصرها بجيوشه المشاة برا وغزاها بحرا بشمان وعشرين سفينة حربية فانفتحت له ثم تقدمت مراكبه الى سواحل الاندلس فانقذت منها عددا وافرا من المحصورين ثم كانت وقعة هواردة - قلعة بني راشد - فاستولى عليها ايضا يومئذ تصدى لحصار تلمسان فاحاط بها وضيق عليها الحناق مدة عشرين يوما ففتحتها وفر امامها المسعود طالبا للنجاة بنفسه، فجاء الانراك يومئذ بالمولى عبد الله فأعادوه الى العرش الزباني تحت سطوتهم ورعايتهم وخلعوا عليه الخلة الملكية على ان يدفع للخزينة الجزائرية عشرين الف دينار سنويا

حركة احمد بن القاضي

هو رجل من اعيان بيوتات الجزائر الساكنة بناحية بلاد القبائل، ولاءه خير الدين رئاسته تلك الناحية فاستقر بجبل كوكو - سوق الاربعاء - من بلاد

زواوة ونظرا لقوميته وغيرته على وطنه عملت فيه دسائس صاحب تونس في رفض الحكم التركي والنهوض لقتال الاتراك فشن غاراته عليهم بتلك النواحي الشرقية؛ ويومئذ خرجت الحامية التركية لاختاد ثورته فواجهتها هنالك جيوش الحفصيين وانتشبت الحرب بينهما في الحدود وكانت المعركة شديدة انتصر فيها قوم خير الدين، فعاد ابن القاضى حيثئذ الى المراوغة والتظاهر بالتودد للاتراك فصانعهم ودلهم على عورات العدو وسالمهم تقيّة الى أن شعر من نفسه بالقدرة على مقاومتهم فانقلب عليهم مرة اخرى واستجاش الحفصيين فاستجدوه واستعان بهم في الاستيلاء على كثير من القرى والمدن الجزائرية التي هي ببلاد القبائل، وغزا مدينة الجزائر فانهزم عنها وعقد الهدنة مع خير الدين ثم نكث عهده وجدد هجومه على العاصمة فانهزم عنها ثانيا

خيانة قارة حسن واستيلاء ابن القاضى على الجزائر

وبعد ان يقن خير الدين من القضاء على ثورة ابن القاضى وانهزامه عن الجزائر نهض لاسترداد الاماكن التي خرجت عن طاعة الحكومة التركية بتلك الجهات الشرقية فجهز لذلك جيشا منظما جعله تحت قيادة وتصرف قارة حسن فخرج الجيش من مكنه وقام بواجبه احسن قيام فانتقل ابن القاضى حيثئذ من مركزه واعتصم بالفرار وذهب الى بونة «عنابة» فاستقر بها محتفيا وهناك استعمل الحيلة والدهاء السياسى فاستمال اليه قائد الجيش التركى: قارة حسن، واتفقا على اقتسام الحكم وتوزيع الاقاليم بينهما واخذوا في بث روح الشقاق والخلاف في الرعية، ودفعوا بها الى اعلان الثورة والعصيان في وجه الحكومة المركزية بالجزائر فاضطرب لذلك الوطن الجزائري وحدث فيه من القلق والتشعب ما حمل خير الدين على ترك العاصمة والخروج منها الى حبيجل متماديا في غزواته البحرية تاركا الجبل على الغارب فخلا الجو حيثئذ لابن القاضى فاتتهزها فرصة

واحتل العاصمة فامتلكها مدة حولين كاملين وكان عدد سكانها يومئذ زهاء عشرين ألف نسمة ٠٠٠٢

عودة خير الدين الى الجزائر

وبعد مضي ثلاث سنوات قضاه خير الدين كلها في قهر قرصنة الغرب، اتفق ان يبعث بمراكب له الى غزو بعض سواحل الافرنج يقودها احد رجاله القرصان المشهورين فعاشت الزوابع الجوية هذه القافلة البحرية فالتجأت الى ميناء الجزائر فصر فيها ابن القاضي عن مرادها فعاتت العمارة بخبيتها الى خير الدين واخبره رئيسها الخبير، فعظم ذلك عليه واستنكره ونهض من حينه الى نواحي الجزائر مشيراً لانصاره واشياعه ومن بينهم عبد العزيز الحفصي امير قلعة بنى عباس، فلبى الجموع وجاءت اليه مسرعة محتشدة تحت لوائه فاحتل خير الدين يومئذ ٩٣٤هـ (١٥٣٧م) مدينة القل وبونة وامتلك قسنطينة ودخل العاصمة منصورا، ثم نهض الى ابن القاضي فظهر عليه وقتله بنية بنى عائشة بجوز الجزائر، وظفر بقارة حسن قسيم ابن القاضي في الثورة فقتله ايضا فممن معه من خاصة انصاره بشر شال وعفى عن الاتباع الآخرين ثم عاد الى العاصمة منهمكا في وضع اساس حكومته التركمية ونشر نفوذه على بقية البلاد

فتح قلعة البينيون Penon

«البينيون» هو اسم القلعة التي انشأها «بيدرو دونافار» الاسباني فوق وسطى الصخور او قل الجزر العظيمة بشعر مدينة الجزائر سنة ٩١٦هـ (١٥١٠م) وشحنها بالجيوش والسلاح الثقيل وذلك لفرض رقابة الاسبان على الجزائر وتقشيش الصادرات والواردات وقطع صلة الجزائريين بالبحرية فكان هذا الحصن او قل المعقل الاسباني الحصين بمنزلة الشوكة في ظهر الجزائريين ولكنهم صبروا حتى اعياهم الصبر وتعددت اذايمة الاسبان وتكرر عدوانهم

ضد الاهالي، فانذرهم خير الدين لينتهوا عن عملهم هذا فلم يقلعوا، وبعد ما اخفق خير الدين في انذاره وتهديده للاسبان ويئس من المعالجة السلمية تجهز لمنازلة القلعة بانواع السلاح الثقيل وحمل عليها في شهر رمضان المعظم ٩٣٦هـ (ماي ١٥٣٠) وكان يرأس حاميتها الاسبانية يومئذ الوالي [مارتان دي فارقاص] فأوقدها عليهم خير الدين نارا تاضى واقتحم الحصن ففتح في منتصف الشهر - ١٦ ماي - وقضى على جميع من بالحصن من الاسبان ثم امر بتحطيم الشكنة ودكها حتى لا يبق لاهلها مطعم في العودة اليها مرة اخرى واستعملت انقاضها في ضم تلك الصخور التي بميناء المدينة الى بعضها وبناء الجسر وهو الرصيف الممتد ما بين المدينة و[برج الفنار] حيث دارقبطان رايس وهى مقر امير البحرية المعروف الى اليوم (١) وجاء يومئذ مركب حربى اسباني لانقاذ قومه فاسره خير الدين وتم للاتراك يومئذ الاستيلاء النهائي على الجزائر وتمكنوا بذلك من انقاذها من بين محالب الكفر والطاغوت واصبحت الضفة الغربية من هذا البحر الابيض المتوسط بحيرة عثمانية

انكسار اندري دوربا

اشتد غيظ الاسبان على دولة الجزائر التركية الفتاة وعز عليهم ملحقهم منها من تحطيم حصنهم «البيينون» فلم يستسيغوا انهزامهم بهذه الواقعة التي يشعروا معها من تحقيق مطامعهم بالسواحل الجزائرية فآمروا يومئذ مع دولة فرانس والجنويز - بايطاليا - على مهاجمة الجزائر وتحطيم السلطة التركية القائمة بها ثم سعوا في ربط صلتهم كذلك بسلطان تلمسان مولاي عبد الله وتحالفوا معه على ذلك، ويومئذ خرج اسطولهم الثلاثونى في شهر ذى الحجة ٩٣٧هـ (جوليت ١٥٣١م) مشتملا على اربعين مركب حربى يقوده امير البحر الجنويزى المشهور

(١) انشئت هذه الدار سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٦م) اى على عهد حسين بن على آخر دايات

(اندرى دوريا) الى السواحل الجزائرية فاستولى على ميناء هنين ومكث الاسبان بها يومئذ اربع سنوات ثم خرجوا منها واندفع سلطان تلمسان حيثند في جيشه لحصار الجزائر فتسرع خير الدين اولا لقتال سفن الحلفاء وخرج بنفسه في خمس وثلاثين قطعة بحرية فغزا الجزائر الشرقية - الباليار - فحطم حصونها وغنم ذخائرها وفي عودته ظفر في طريقه الى الجزائر بسفن الاعداء فاستولى على خيراتها وفي هذه البرهة التي تغيب فيها خير الدين عن العاصمة اعتدى اندرى دوريا على مدينة شرشال فهاجمها بدون جدوى وادركه الاسطول التركى ففر دوريا امامه ومنى اسطولهم هنالك بالانكسار الشنيع والحياة المريرة، ولكنهم تحين فرصة غفلت خير الدين وانشغاله بتدبير ملكه فهاجم الاسطول التركى ليلا واسر منه اربعة مراكب.

نزوح الاندلسيين الى الجزائر

بعد ما وقعت الكارثة الكبرى ببلاد الاندلس واحتلها الاسبان واقتكوا من اهلها معقلهم الاخير غرناطة سنة ٨٩٧هـ (١٤٩٢م) التجأ من بقى هنالك من المضطهدين الى غربى الاندلس معتصمين ثمة بجبال شاحخة منيعة ورغم ذلك فان العدو قد لحق بهم وضيق عليهم الخناق هنالك فانزلهم من معقلهم الطبيعى على شروط وعهود اخذها كل من الجانبين على نفسه ملتزما بها امام صاحبها، ثم لم ينشب الاسبان بعد ذلك ان اخذوا في نقض عهودهم وحل موافيقهم فجددوا حملة صليبية شنيعة ضد المسلمين وفتحوا امامهم ابواب محاكم التفتيش على مصاريحها وبالغوا في ارغامهم على التنصر وخلع ربة الاسلام من اعناقهم ولم تكتف هذه المحاكم العاشمة منهم بكتمان ايمانهم بل الزمتهم بالتلبس بشعار الكفر وذهبت في التنكيل بهم الى اشد العذاب فمزقتهم شر ممزق واحرقتهم وفعلت بهم الافاعيل مما لم يعهد مثله ولا عند الامم المتوحشة الفاندالية !

وحينئذ استغاثت بقية الباقية من المسلمين المشردين بخير الدين وفاوضته في انقاذها من العدو ونقلها الى عدوة المغرب فاجدها بستة وثلاثين مركب ذهبت كلها سنة ٩٣٥ هـ [١٥٢٩م] الى مياه الاندلس تحت رئاسة وقيادة نائبيها : ايدن رايس، وصالح رايس فارس ليل عند اوليفا امام مصب نهر «التيا» على مقربة من دانية ونزلت منها الى البر عصاة استطاعت ان تجمع من الانحاء المجاورة نحو ستمائة من الموريسكيين الراغبين في الهجرة وهنا فوجئت السفن المغيرة بعدة من السفن الاسبانية الكبيرة وطاردتها حتى مياة الجزائر الشرقية - البليار - ولكن سفن القرصان انقلبت فجأة من الدفاع الى الهجوم، وانقضت على السفن الاسبانية واغرقت بعضها واسرت البعض الآخر وسارت سالمة الى الجزائر تحمل الموريسكيين المهاجرين وعددا من اكابر الاسبان اخذوا اسرى مع عدة من السفن الاسبانية الضخمة ايضا وتوالت بعوث خير الدين وغاراته على الشواطىء الاسبانية وتابعت الفرص لدى الموريسكيين للفرار والهجرة رفقة السفن المغيرة حتى ناغ ما نقلته سفن خير الدين منهم الى شواطىء المغرب الاسلامى نحو سبعين الف نسمة (١) وكثيرا ما كان عدد السفن لا يكفي لحمل اللاجئين فتضطر الحامية الى النزول بساحل العدو تاركها مكانها للمهاجرين وتبقى هناك في حراسة المتخلفين من اهل الاندلس ريثما تعود اليهم قافلة الاتراك البحرية فتخلصهم من نكبتهم؛ واستمرت مراكب الاتراك ذاهبة آية تعبر هذا البحر بين الجزائر والاندلس سبع مرات واوسع لهم خير الدين في ارض الجزائر واكرم مشواهم وتركهم لانفسهم في اختيار البقاء والامكنة الصالحة لسكنائهم الموافقة لاغراضهم ومقاصدهم في القيام باعمالهم وصناعاتهم المتعددة فكان منهم من اختار النزول بالعاصمة ومنهم من سكن سهل متيجة بنواحي البليدة ومنهم من نزل تدلس - دلس -

ومنهم من استوطن تلمسان (١) ووهران، ومنهم من نزل المغرب الأقصى وتونس واغتبط بهم الناس وتعلموا حرفهم وقلدوا ترفهم

وما اهل الاندلس هؤلاء باجنب او غرباء عن اهل المغرب ولا هم يبعداء عن وطنهم الجديد هذا ، بل ما هم الا اصالة منها واليها ومن رجاله وذويها تربطهم باهلها اوشاج وارحام منذ احقاب واعقاب، اذ طالما حدثنا التاريخ عن حيوش المغرب البربرية التي صحبت حنبعل والرومان الى اسبانيا واستقرت بها، واما فتحت الاندلس الاسلامية الاعلى يدالحيوش البربرية التي راقت البطل البربري الفاتح طارق بن زباد، وما قامت دولة المرابطين ودعوة الموحدين بالاندلس الا بالمغاربة من البربر، وما حكومت دولة بنى زيري بغرناطة الا من صنهاجة وما حاميتها ابن ابي عامر الا من زناتة وكنانة

واستمرت الهجرة الاندلسية مطردة نحو المغرب منذ حلت الكارثة بذلك الفردوس المفقود الى سنة ١٠١٧ هـ (١٦٠٩ م) حيث نزل منهم بوهران يومئذ نحو ٢٨٠٠٠ نسمة، ولم يبق هنالك من المسلمين آنذاك الا من حبسها اهلها. قال ريناخ : لم تكنف اسبانيا بما قامت بها من المظالم باسم الدين واخراج البشر وقتلهم وتعذيبهم بل رات ان توهم الناس انه لا سبيل الى قيام وحدتها الا بنفى اليهود سنة ١٤٩٢ م ونفى العرب (١٦٠٩ م) فسار مئات الالوف منهم يهجرون بلادهم وهلك منهم في الطرق عشرات الالوف فحرمت اسبانيا من

(١) كان فيمن نزل هذه المدينة الجزائرية من كبار رجالات الاندلس الامير ابو عبد الله محمد بن سعد ملك غرناطة الملقب بالزغل — ومعناه الفتى الغض الشباب — وهو عم ابي عبد الله آخر ملوك دولة بنى الاحمر النصرية بغرناطة دفين مدينة فاس
نزل الزغل بتلمسان وبها قضى بقية حياته في غمر الحسرات والعدم وبها كالت نهايته ووفاته في شهر شعبان سنة ٨٩٩ هـ [جوان ١٤٩٤ م] كما يدل على ذلك شاهد قبره الذي طالما استعمل عتبة لباب منزل حقيير بتلمسان عدة قرون ! ... وقد ظفر به العالم بروسيلارد C. Brosselard فاتنشله ووضعه في محله اليوم بمتحف تلمسان

احسن العاملين فيها وفقدت تجارها الماهرين واطباءها الحاذقين، وقد قتل في اسبانيا وحدها بفعل ديوان التفتيش الدينى نحو مائتى الف انسان على الاقل ونفي منها مليون ونصف؛ وقد كان ذلك من موجبات تأخر البلاد كما وقع لمدينة نانت يوم طرد منها من كان مخالفا للكملة فاضر ذلك بالصناعة الفرنسية كما قال سيديو، وقد تمكن الكاردينال كسيمس من تعوير جميع آثار المسلمين وامر باحراق ثمانين الف مخطوط عربي في ساحات غرناطة ...!

ونقل المؤرخ الاسبانى الكبير «نافریتی» ان عددا من المهنيين من الاندلس العرب من متصرة وغيرهم خمسة ملايين نسمة منهم مليونان من اليهود، وقد كان مجموع عدد سكان اسبانيا كلها يومئذ لا يتجاوز الثمانية ملايين ...!

وبان من فضل هذه الجالية الاندلسية على الجزائر ان انتعشت بها حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية بما جاءت به معها من صناعات وفنون وآداب مما هو معروف في تاريخ الحضارة الاندلسية الزاخرة

استخلاف محمد حسن آغا الطواشي

وفي سنة ١١٤٠ هـ (١٧٥٣ م) انعم السلطان سليمان القانوني على خير الدين بترقيته الى رتبة قبودان باشا يعني (امير البحر) وهو منصب القيادة العليا لاسطول آل عثمان باستانبول، وذلك جزاء براعته في الحروب وانتصاراته العديدة التي احرز عليها في البحار وما كاد يتصل خير الدين بفرمان التولية حتى بادى الى استخلاف محمد حسن آغا على الجزائر وخلف بالرحيل الى استانبول ليستلم مقاليد هذه الرئاسة التي كان هو فاتحة ولايتها وغادر الجزائر تاركا لها اخص رجاله حسن آغا المشهور بالبطولة الحربية والدهاء السياسي، وتمكن الاغا المذكور

بعد سنتين من لايته من اخضاع مدينتي قسنطينة نهائيا ٩٤١هـ (١٥٣٥م) (١)

اغارة الاسبان على تلمسان

دفعت المطامع اهل النصرانية الاكبر «شارلكان» وبعثت به احلامه اللذيذة الى نشر نفوذه على المغرب العربي وقهر دوله الاسلاميه واخضاعها لسلطانه، وخصوصا لما شعر بشغور مكان خير الدين من اسطول الجزائر الذي كان يهدد به شواطئ البحر الابيض محاولا الاستيلاء على موانيه قاضيا على سطوة الملاحه الاسبانية بهذا البحر والبحر الاطلس ايضا، فاسرع العاهل الى اختيار ابرز ماعنده من ابطال رجال العسكرية الاسبانية ليقوم له بعملية الغزو فوقم اختياره عن «الدون مارتين دى قرطبة» الملقب بالندوندى دا الكوديلى، وعينه في ذى القعدة ٩٤٠هـ (جوان ١٥٣٤م) حاكما عاما على وهران برتبة «جنيرال» ولكن هذا لم يتصل بعمله الا بعد سنة من تاريخ تعيينه بسبب مرض عاقه عن مباشرة العمل وكان على عرش تلمسان يومئذ السلطان محمد بن عبد الله «الثانى» ولم اخ اسمه عبد الله يعرف في التاريخ بكنيته «ابى محمد» وكان لا يزال يومئذ طفلا صغيرا محتضنا تحت كفالة جده لاه عبد الرحمن بن رضوان كبير شيوخ قبيلة بنى عامر وكان هذا الشيخ حريصا اشد الحرص على ايصال حفيده الى العرش الزباني وكان يعلم انه لا بد له في تحقيق غايته هذه من الاتصال بالاسبان فعمل على ذلك وكتبهم في مراده واتصل بهم وتعهد لهم باسم حفيده بالاعتراف لهم بالتبعية واعطائهم الجزية كملك التي كان يقدمها لهم جده ابو حمو «الثالث»

(١) وفي هذه السنة كان اتهام بناء جامع القائد عبد الله صفر - سفير - بالعاصمه وقد كان الشروع في بنائه في شهر رجب سنة ٩٤٠هـ والفراغ منه يوم ثانى ربيع الاول ٩٤١هـ (١٥٣٤م) ثم وقع ترميمه على عهد بابا حسن سنة ١١٨٥هـ - ١٧٧١م ثم جدد واعيد تشييده على عهد حسين بن على آخر دايات الجزائر سنة ١٢٤٢هـ - ١٨٢٧م وهو لا يزال على شكاه ووضعه التركي الجميل الى الآن

ثم جاء ابن رضوان بحفيدة الى حيث السلطة الاسبانية ماثلة بوهران فاقتبله رجالها بكل تجلة واحترام وذلك يوم الاربعاء ٢٩ رجب ٩٤١ هـ (٣ فيفري ١٥٣٥ م) وحادث المسؤولين من الاسبان في شؤون سياسته وشرح لهم اغراضه وتدبيره في كيفية انتزاع الملك من السلطان الحالى واسناده الى حفيدة واقنعهم بصلاحيته حفيدة ابى محمد بدل اخيه فاقتنع الاسبان بوجاهة آرائه وبعثوا معه بفرقة من الجيش تحتوى على ستمائة او سبعمائة مقاتل يرأسها القائد الاسباني « الوانسو مارتين دى انكولو » وكان مع ابن رضوان يومئذ اربعمائة فارس وتقدم الجميع الى مهاجمة تلمسان، وفي اثناء سير الحملة ادرك الاسبان خنية مسعاهم ومسعى حليفهم وذلك بما تحقق لديهم من القرائن الدالة على خلاف ما وعدهم ومناهم به ابن رضوان

ويومئذ وجد التلمسانيون انفسهم امام الامر الواقع فتناسوا كل ما كان بينهم وبين ملكهم من الخلاف والنزاع فوحدوا صفوفهم وجمعوا قواتهم وفتح السلطان خزائن بيت المال واستنفر الخيل والرجال وبذل لهم الاموال الطائلة فانفقت كلها في مجاهدة العدو المهاجم ورد عاديته عنهم وجعل السلطان قيادة جيشه يومئذ للمزوار المنصور بن البوجاني زعيم قبيلة بني راشد الذي كان رهن السجن فعفا عنه وقدمه على قومه تاجلا بنى عامر

وفي يوم الاربعاء ٢٨ ذى الحجة ٩٤١ هـ (فاتح جوان ١٥٣٥ م) اتصلت حملة ابن رضوان مع حلفائه الاسبان بقربة «ابى سكران» المسماة ايضا بـ (قنطرة يسر) وابتدات الهجومات صبيحة الغد وانتشبت المعارك هناك بين الطرفين مات فيها عدد قليل من الجانبين.

ثم بعد مضي ثلاثة ايام من المعركة تبين للاسبان عجزهم عن احتراز النصر وتحققوا خيبتهم في نيل مرغوبهم الذى اطمعهم فيما ابن رضوان: من الاستيلاء على مملكة الجزائر وفتح العاصمة التلمسانية، فتحول حينئذ رئيسهم الوانسو مارتين عن خطته

الحرية الهجومية الى استعمال الدهاء والتدبير السياسى وشرع في المفاوضة مع جيش السلطان محاولا ضمه الى ابن رضوان وحفيده ابى محمد عبد الله المطالب بالعرش فلم ينجح في سياسته هذه ثم حاول الانسحاب والفرار بالنفس في جنح الليل فاختفى ايضا وانهزمت يومئذ جنوده شر هزيمة ومحقت جميع قواته الثقيلة والخفيفة وهكذا انتهت حملة الاسبان على تليسان عند وادى يسرى يوم الاثنين ٤ المحرم ٩٤٢ هـ (٥ جوان ١٥٣٥ م) بالخمبة والحرمين

وابتدأت يومئذ المفاوضات السياسية بين الكونت دى الكودييطى وملك بنى زيان حول اطلاق سراح الاسرى من الاسبان، واشيع فى الوقت نفسه ان خير الدين التركى يغادر الجزائر حيث لا رجوع اليها بعد فاحزن ذلك سلطان تليسان وذلك خشية انتصار الاسبان عليه فانتهاز الكونت فرصة هذه الاشاعة واكد على السلطان فى مقاطعة الاتراك ومقاومتهم اذا هم عادوا الى الجزائر او حاولوا التحكك على سواحلها، وبعد اخذ ورد ومقاولات ومحاولات ادت بهم جميعا الى حرب انتصر فيها المسلمون على الاسبان واتفق الجميع على تحضير مشروع معاهدة صلح بين الطرفين ينظم به سير العلاقات التجارية والسياسية بين الدولتين وتم تحرير المشروع يوم الاثنين ١٥ ربيع الاول ٩٤٢ هـ (١٣ سبتمبر ١٥٣٥ م) مشتملا على واحد وعشرين بندا كلها جاءت فى مصالح الاسبان، واليك اهم ما جاء فيه :

١ « اطلاق سراح الاسرى من الاسبان - وهو بيت القصيد من المعاهدة -

كلها

٢ « مسالة الاسبانين وحسن التعامل معهم

٣ « انضمام جيش بنى زيان الى جيوش الاسبان، ويتحتم على السلطان الخروج

بجيشه يقوده هو بنفسه الى جانب ملك اسبانيا

٤ « يتعهد السلطان بتقديم الميرة والعلف الى الجيش الاسباني

٥ « يجب معاملة الاتراك والقراصنة منهم وخير الدين على الخصوص معاملة الاعداء

٦ ضمان الحرية الدينية للجميع

٧ لا يسوغ للحكومة التلمسانية استعمال اى مرسى من مراسى الجزائر في شؤونها الاقتصادية سوى مرسى وهران فقط اصدارا وايرادا، وللسلطان الحق في استخلاص واجب الجمر بوهـران ولما ان يبعث [مشرفين] لاستلام ذلك بوهـران

٨ لا تحجز بضائع رعية السلطان في مقابل ديون الحكومة التى تدان بها الا اذا كان الدين مرتبا بذمه اثنين من [المشرفين] ويعتبر السلطان ضامنا للديون التى يدان بها تجار مملكته

٩ يباح لكل من رعية السلطان من مسلمين ويهود التجول والسكنى بمنطقة وهران المحتلة، كما يباح ذلك للاسبان بالنسبة لتلمسان

١٠ على السلطان اعتقال عبد الرحمن بن رضوان وحفيده المطالب بالعرش مهما عادا الى وهران او اتصلا بها وذلك خلال مدة خمس سنوات التى تنتهى بها ايام المعاهدة. مع الزام اتباعهما بالخضوع ومعاملتهم بالاحسان.

١١ يتعهد ملك الاسبان بوضع خمسمائة جندى من جيشه تحت تصرف سلطان تلمسان عند الحاجة

١٢ يتعهد ملك تلمسان بدفع اربعة آلاف [ضبلون] زيانى مع اشياء اخرى يقدمها لملك الاسبان كمغرم سنوى

١٣ لملك الاسبان نقض هذه المعاهدة متى شاء مع اخبار حكومة تلمسان قبل ذلك بمدة لا تقل عن ستة اشهر

١٤ لا تعتبر هذه المعاهدة نافذة معمولا بها الا متى امضاها وصادق عليها الطرفان.

وهذه المعاهدة كما تراها ايها القارى الكريم كلها كانت فى صالح الدولة الاسبانية رغم ما يظهر عليها من مسحة حب السلام ونشر الامن بالبلاد فما ذلك الا

خداع ومغالطة ديباوماسية حسبما اجمع عليه المؤرخون، فان غرضهم الوحيد منها كلها كان يرمى يومئذ الى تحرير اسراهم فقط؛ ومتى تحقق لهم ذلك ضربوا بتلك النصوص جميعها عرض الحائط

وما كان رضوخ دولة بنى زيان فى بادىء الامر لهذه الشروط الاخشية تحقيق ما قد شاء يومئذ من خبر انتقال خير الدين عن الجزائر وذهاب الاسطول التركى المجاهد معه فيخلو الجو للاسبان

ورغم ذلك فان المعاهدة بقيت موقوفة لم تنفذ بعد وبقدر ما ضل الكونت الكوديطى حريصا كل الحرص على تنفيذها فان السلطان تباطأ وتمهل فى ذلك محتجاً بما جاء فى نص المعاهدة نفسها من انها لا تصبح نافذة رسمية الا بعد مصادقة الطرفين عليها وبما انها خالية من امضاء ملك الاسبان وموافقته عليها حيث كان آتئذ غائبا عن وطنه مشتغلا بالغزو فلم يمضها فانهاتعتبر مرفوضة مالم تمض او تختم بخاتم الملك نفسه، وبعد محاولة الكونت التأثير على السلطان فى اطلاق الاسرى على الاقل - وهو كل شىء عنده - وخيئته فى ذلك سعى حيثئذ فى شن غارته على الحدود والتخوم بقصد التشويش فكاتبه السلطان برسائل اضطرم لها غيظ الكونت وامتعض منها امتعاضا شديدا ادى به الى الغدر بالمبعوثين السلطانيين فاعتقلها وقطعت المفاوضات

فتح بونة ومستغانم وبسكرة وتأسيس البلدية

ولما استوثق خير الدين من امتلاك ناصية القيادة العليا للاسطول التركى باستانبول وتمكن من منصبه البحرى الجديد، عزم على الرجوع الى المغرب ليتم فتوحاته بشمال افريقية وليوحد بين اقطاره الثلاثة المتماسكة ببعضها بعض فعاد فى اسطوله الضخم الى غربى هذا البحر مبتدئا بغزو تونس حيث نزل بها يومئذ ١٥٤١ هـ (١٥٣٤ م) عاهل النصرانية الامبراطور شارل كان فيمن معه من

امم الافرنج المحالفة لبني ابي حفص ، فكانت هنالك وقائع وحروب عظيمة... ثم عدل عنها خير الدين الى بونة - عنابة - فأطرد منها « المر كيس مندخار » عامل شارلسكان بها وازعج من بقصبتها من جنود الافرنج وكانوا يومئذ زهاء ستمائة نسمة ، فانهزموا عنها وخر جوا منها مدحورين بعد ان مكشوا بها نحو الخمس سنوات .

وفي هذه الآونة اخذ خير الدين في تأسيس مدينة البليدة قرب عاصمة سهل متيجة « قزرونة » المعروف مكانها اليوم باسم « خزرونة » وقد كان ذلك باعانة اهلها ومساعدة الجالية الاندلسية المهاجرة اليها .

وكان اول ما وضع بها خير الدين من المنشآت ان اسس بها مسجدا جامعيا (٩٤٢هـ - ١٥٣٥م) وحماما وفرنا ، فاندرس الاخيران وبقي الاول ، وبنا الناس حول ذلك مساكنهم ودورهم الجميلة التي تمتاز بشكلها الاندلسي الانيق ، وانشأوا حولها بساتين ومزارع يانعة الثمار زاهية الازهار والنوار ، فكانت مدينة جامعة شاملة لانواع الفواكه والرياحين الشذية ، والجو العبق الاريج ، ممتازة بتدفق مياهها العذبة الباردة وطيب هوائها النقي ، وذلك ما جعل هذه المدينة - البليدة - تدعى ما بين البلاد الجزائرية باسم « الوريدة »

وبفحصها المعروف بوادي ابي عرفة كان مسكن اسرتنا الجيلانية الاموية المتصل نسبها بالخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه ، مشغلة هناك تعمل بحقولها الزراعية الى ان انتقل منها والدي محمد الثالث رحمه الله مهاجرا الى سكنى العاصمة مع اخوته الثلاثة : يوسف ومحمد الاول والثاني ، وذلك خلال اواخر القرن الثالث عشر الهجري - اواخر ١١٩م - محترفين مهنة التجارة ، وشغل عمنا محمد الاول خطة العدالة بالمحكمة الشرعية .

وعاد خير الدين الى استانبول معتكفا على تسيير دفة ادارة شؤون امارة البحر الى ان وافاه اجله بها في اليوم السادس من شهر جمادى الاولى سنة ٩٥٣هـ

(اوط ١٥٤٦م) ولا يزال قبره معروفا بجامع باشككطاش من هذه المدينة الى الآن .

وفي سنة ١٥٤٦هـ (١٥٣٩م) فتح حسين آغا مدينة مستغانم واخضعها نهائيا لدولته ، ثم بعد سنة من ذلك تقدم نحو الجنوب الشرقي فاستولى على عاصمتها الزاب « بسكرة » وملحقاتها .

اندحار حملة شارلكان الكبيرى

استمر حسن باشا فى منصبه المستخلف عليه يعمل على قهر الق. سنة الاروية بهذا البحر قابلى فى ذلك البلاء الحسن واصبح شخصه فى الجزائر مثالا بارزا فى البطولة والتضحية الاسلامية فى سبيل الله والدفاع عن شرف الاسلام بهذا الشمال الافريقى ، فاكتمت الجزائر بموقفه هذا مهابة وجلالا . وجعلت امم النصرانية يومئذ تهرع الى عاھلها الاكبر الامبراطور شارلكان (١) مستنجدة بسلطانها منصوية تحت لوائى ، ومن بينها البابابول « الثالث » فأتى الجميع بينهم يومئذ لشد حيازيمهم فى تنظيم حملة عنيفة ضد الجزائر ، واخذ شارلكان يستعد للغزو باختيار الاقوياء من الجند المدرب على الحرب ، فاجاء بجيش خليط من الالمان والاسبان والاطليان الجنوبيز ، وشارك بالتطوع فى هذه الحملة المشير من اشراف النصرانى واعيانهم ، وتطوع لهذا الغرض نفسه الف ومائة محارب من رجال الرهبنة الفرنسية « سان جان » القديس مار يوحنا الاروشليمى (٢) المقيمين بجزيرة مالطة

« ١ » كارلوس الخامس اعظم ملوك اسبانيا وامبراطور المانيا (١٥٠٠-١٥٥٨م)

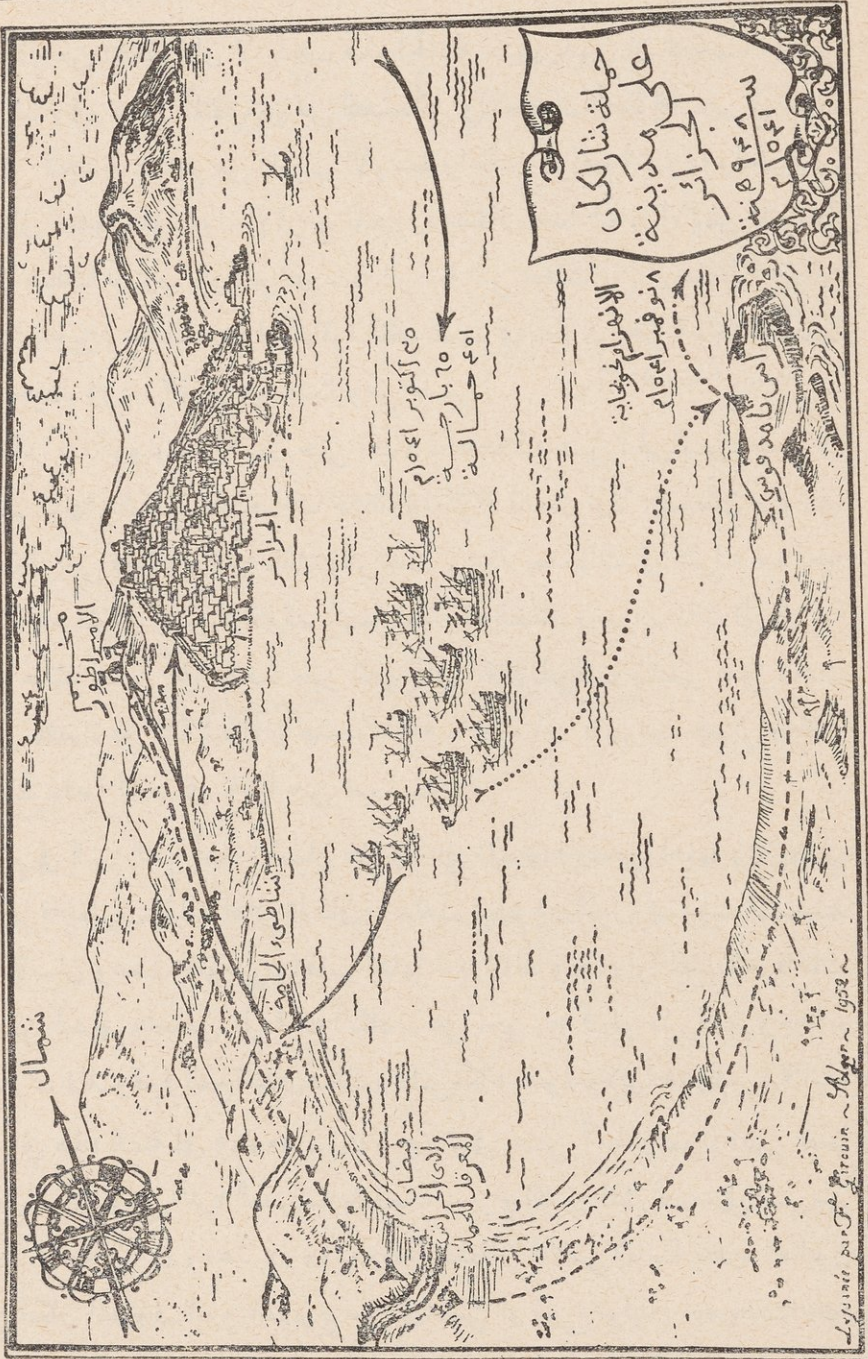
« ٢ » انشئت هذه الرهبنة خصيصا لمقاومة الاسلام ومحاربة اھله ، وقد كان لها ذكر وصيت دائم بين امم النصرانية ايام الحروب الصليبية ، وتسميها العرب « الاسبتارية » كان مركزها اولا بجزيرة رودس ولما احتلها الانراك سنة ١٤٢٩هـ - ١٥٢٢م خرجت هذه الرهبنة منها فاستقرت بجزيرة مالطة تعمل على خطتها الحربية المرسومة وكانت هذه الجزيرة تابعة لدولة شارلكان فتخلى عنها العاھل النصرانى لهذه الرهبنة فمكثت بها سيدة الجزيرة الى زمن نابوليون حيث احتلها فى

وجاء الامبراطور غازيا بنفسه الجزائر على رأس عمارة بحرية تحتوي على ٦٥ بارجة و ٤٥١ سفينة نقل تحمل ٢٤٠٠٠ مقاتل، منها ٢٠٠٠ فارس و ١٣٠٠٠ نوتي بحار؛ جاعلا قيادة حملته هذه لاندرى دوريا، وكان اتصال الحملة بالجزائر عصر يوم الخميس ٢٨ جمادى الثانية سنة ٩٤٨ هـ (٢٣ اكتوبر ١٥٤١ م) فارست العمارة بناحية « حسين داي » والقت باثقالها هنالك، فنزلت الجيوش من حينها مصعدة نحو ضاحية (كدية الصابون) - سيدى يعقوب - وهو المكان المعروف اليوم ببرج مولاي حسن او : Fort l'Empereur فاحتلتها واخذت من هنالك تعمل على حصار العاصمة والتدبير في كيفية الانقضاض عليها دفعة واحدة، ولم يكن بالجزائر يومئذ من الجند سوى ثمانمائة نسمة، وفيها من السكان ما يقدر بنحو خمسة آلاف رجل قادر على حمل السلاح .

ونشبت الحرب بين الطرفين وكان من المقدور ان احتدم غضب الطبيعة يومئذ فاكفهر الجو وتلبدت السحب فتهاطلت الامطار واثارت الزوابع البحرية وهاجت العواصف الجوية واضطربت الامواج فهلك اثناعشر الف جندي من جيش العدو وتشقت شمل الباقين وتفرق الجميع شذر مذر وتحطم الاسطول المهاجم فتفرقت اوصاله حتى كاد ان يعدم بتمامه فانعطب منه يومئذ ٢٥٠ مركبا من بينها ١٥ بارجة و ١٤٠ سفينة نقل ؛ وغرق من اصحابه ثمانية آلاف نوتي وانهزمت بقية الباقية منهم في الشوانى والمراكب المعطوبة الى بعض المراسي المجاورة، وما كاد الامبراطور ينجو بنفسه الى مركبه الا بعد ما اقتحمر الشدائد وكابد من العناء والنصب ما تقوضت به نفسه ؛ فالتحق اولا ببجاية ثم غادرها الى اسبانيا وقد لفظ لجأه . (انظر خريطة رسم هذه الحملة في الصفحة التالية) .

ولما رأى ذلك سلطان تلمسان المولى محمد هالم الامر واسرع الى الازعان لدولة الجزائر التركية فتخلى لها عن مشوره

طريقه الى مصر سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م ثم سقطت الجزيرة بيد الانكليز سنة ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م فاتخذها مركزا عظيما لبحريته وقد استولى من قبل على جبل طارق فاستكمل بذلك سيادته على البحر الابيض المتوسط



وكان من المحقق ان لا تذهب هذه الحادثة سدى بدون ان تتبعها جرائر لما تركتها في نفوس المنهزمين من الضعائن والاحقاد فأخذ القوم في تعبئة الجيوش لتجديد حملتهم على المغرب الاوسط واخذت لواقح النزاع والخلاف تدب الى صدور ماوك دول الافرنج المجاورة بضاف هذا البحر الايض المتوسط وكانت هنالك حروب ووقائع القرصنة الرهيبة التي جعلت من قرصان الجزائر ابطلا مغاوير وصناديد بهاليل أذاقوا العدو بأسهم في معارك بحرية متعددة فكف عنهم حينئذ ورجع القهقري خاسئا وهو حسير

ولم يهدأ روع شارلكان حتى اعاد تحريكه على الجزائر وسعى في تحطيم كيانه سالكا في ذلك مسلك الدهاء والمكر ، فاتصل اولا بالسلطان مولاي عبدالله الزباني فحالقه وامده بالمال والرجال ثم اخذ بعد ذلك في اغرائه ضد اخيه المولى احمد الموالى للاتراك فاوقد بينهما العداوة والبغضاء وتسرب ذلك الى الرعية فبادر حينئذ حسن آغا خليفة خير الدين الى انقاذ الموقوف وشمر على ساعده ونهض للقضاء على فتنة شارلكان هذه (١٥٥٠هـ - ١٥٤٣م) فانهمزمت جيوش مولاي عبد الله بشعبة اللحم في ناحية عين تموشنت ،

ثم في السنة التالية أعاد الاسبان غارتهم على تلمسان فازعجوا اهلها وعائوا في انحاءها فاضطرب لذلك اهالى تلمسان واندلعت بينهم نار الثورة فسقطت المدينة بيد الاسبان وعمت الفوضى وانقلب اهلها ضد الملك وحاولوا اغتيالها فانفلت من بين ايديهم وتخلص الى قبيلة آنكاد - على نحو ٣٠ كيلو مترا من وجدة - ولكنه رغم ذلك وقع في الفخ فاغتيل هنالك وجلس مكانه اخوه مولاي احمد (للمرة الثانية) وفي هذه السنة اي (١٥٥١هـ - ١٥٤٤م) توفي حسن آغا، وبموته انتهى عصر

الفتح التركي ومن آثاره العمرانية بالعاصمة : برج الفنار المشرف على المرسى القديم اسمه سنة (١٥٤٨هـ - ١٥٤١م) وقلعة سلطان قالاسى القائمة بكدية الصابون وهو المكان المعروف اليوم باسم برج مولاي حسن او (برج بوليلة) Fort l'Empereur

ولاة عصر الفتح التركی

تاریخ التولیة

١٥١٤ - ٩٢٠ هـ

١٥١٨ - ٩٢٤ هـ

١٥٣٤ - ٩٤٠ هـ

عروج بارباروس - الاول -

خير الدين بارباروس - الثاني - ييلرباي

محمد حسن آغا الطواشي

سلاطين آل عثمان

تاریخ التولیة

١٥١٢ - ٩١٨ هـ

١٥٢٠ - ٩٢٦ هـ

السلطان الغازي سليم خان الاول

السلطان الغازي سليمان خان الاول

مشاهير الجزائريين

محمد النقاوسي

كان فيمن اشتهر من بيوتات الجزائر بالعلم والفضل خلال النصف الثاني من القرن التاسع واولئل العاشر من الهجرة جماعة توارثت العلم والادب والمجد ابا عن جد ، منهم العقبايون والمقاريون بلمسان وآل ابن قنفذ الخطيب وآل الفككون بقسنطينة وغيرهم كثير ممن امتلات بهم كتب التراجم وجاب بريد ذكرهم الآفاق ، ومن بينهم مترجمنا هذا ابو عبد الله محمد النقاوسي .

فهو محمد بن محمد بن محمد بن يحيى بن ابي علي ابو الطيب بن ابي عبد الله المغربي النقاوسي - بالقاف المعقودة - القسنطيني المالكي ، هكذا ترجم له السخاوي في ضوئه وقال : انه ولد في يوم الاربعاء ثامن عشر جمادى الثانية سنة ثمان واربعين - اى من القرن التاسع الهجرى - ٢ اكتوبر ١٤٤٤ م) بمدينة نقاوس من غربي قسنطينة ، وكان والده قاضيا بها ، ثم تحول المترجم في حياة والده بعد قراءة القرآن واشتغاله قليلا بالعلم الى مدينة قسنطينة للطلب ، ثم الى تونس فأخذ الفقه عن ابراهيم الاخذري واصوله مع المنطق والعربية والمعاني عن احمد النخلي ومحمد الواصلي ، وتوفي والده فارتحل الى الديار المصرية في سنة تسع وستين وعمره يومئذ احدى وعشرون سنة . فجد في الاشتغال واختص بخطيب مكة ابي الفضل رفيقا للخطيب الوزيري ، واخذ عن الشمي في حاشيته وغيرها كشرح نظم ابيه للنخبة وتكرر له عنه ، والنقى الحصني في المنطق وغيره والشرواني في شرح الطوالع وغيرها من طبعي والاهي ورياضي ، ولازم علماء آخرين كالكاياحي والامين الاقصرائي ويحيى العلوي والسخاوي وغيرهم ، فأخذ عنهم التفسير والفقه والتاريخ والادب .

قال السخاوي : وحضر عندي بعض مجالس الاملاء ، وكان يكثر مراجعتي

مع عقل وسكون وفضيلة،

وفي غضون اقامته بالقاهرة حج ثم رجع الى بلاده واستقر قضاى العسكر
لحفيد مولاي مسعود، ثم اعرض عنه لاختياره سكنى تونس وصار احد عدولها
ودام سنين وامتدح صاحبها بعد اخراج عبد المؤمن بن ابراهيم بن عثمان عنها
زكرياء بن يحيى بن مسعود بقصيدة طالعها :

ضحك الربيع وجاء سعد مقبل ولك الهنا ذهب الزمان المهمحل

فارفل فديتك في ميادين المنى هذا لواء النصر واني يرقل

وارح جواد الجند في اثر العدى فسهم سعدك في الاعادى انبل

قال وسمعها منه بعض الفضلاء المغاربة ولم يسمح بعود نسخة بها اليه، وقال

ان زكرياء امتدح بكثير ولم يطابق الواقع في مدحه غيرك

ثم تحول المترجم بعماله وجماعته قاصدا استيطان الحجاز فدخل الديار المصرية

فكانت اقامته بها نحو ثلاثة اشهر وركب البحر من الطور صحبة نائب جدة

فدخل مكة في اثناء رجب ولقيه السخاوى فقال : ودام الشيخ بها على طريقة

حسنه في الانجماء والعبادة الى ان سافر مع المدينين الى طيبة فقدمها في اواخر

سنة سبع وتسعين وثمانمئة فدام بها قال ولقيته حينئذ بها وكتبلى بخطه ماعمله

اجابة لصاحبه الخطيب الوزيرى واقرا هناك بعض الطلبة. وذكرلى ان عزمه

استيطانها. اه

محمد بن عبد الكريم المغيلي

(٩٠٩ هـ (١٥٠٤ م)

هو ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني احد اعلام الجزائر في فاتحة القرن العاشر الهجري، ترجم له احمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج فقال : خاتمة المحققين الامام العالم العلامة الفهامة القدوة الصالح السني احد الاذكياء ممن له بسطة في الفهم والتقدم، اخذ عن الامام عبد الرحمن الثعالبي والشيخ يحيى بن يدير وغيرهما، كان رجلا مقداما على الامور جسورا جرى القلب فصيح اللسان جدليا نظارا محققا متصليا في الدين متمسكا بالسنة مبغضا لاعداء الدين ولقد وقع له بسبب ذلك امور وحوادث كبيرة مع فقهاء وقته حين قام على يهود توات بالمغرب والزمهم الذل بل قتلهم وهدم كنائسهم (١) ونازعهم في ذلك الفقيه عبد الله العصوني قاضي توات؛ فراسلوا في ذلك علماء فاس وتونس وتلمسان، فكان ممن كتب في الموضوع الشيخ السنوسي ومحمد بن عبد الحليم التنسي، والرصاع مفتي تونس؛ وابو مهدي الماواصي مفتي فاس، وابن زكري مفتي تلمسان والقاضي ابو زكريا يحيى بن ابي البركات الغماري وعبد الرحمن بن سبع التلمسانيان .

ومما جاء في كتابته الشيخ السنوسي قوله : «من عبيد الله محمد بن يوسف السنوسي الى الاخ الحبيب القائم بما اندرس في فاسد الزمان من قريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي القيام بها لا سيما في هذا الوقت علم على الاتسام بالذكورة العلمية والغيرة الاسلامية وعمارة القلب بالايمان السيد ابي عبد الله بن عبد الكريم المغيلي حفظ الله حياته وبارك في دينه وديناه وختم لنا وله ولسائر المسلمين بالسعادة والمغفرة بلا محنة يوم نلقاه، بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقد بالغني ايها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الايمانية والشجاعة العلمية من

(١) راجع تفاصيل هذه الحادثة في كتاب المعيار للونشريسي

تغيير احداث اليهود اذ لهم الله كنيسة في بلاد الاسلام وحرصكم على هدمها وتوقف اهل تمنطيطه فيها من جهة من عارضكم فيه من اهل الاهواء فبعثم الينا مستنهضين همم العلماء فيه فلم ار ممن وفق لاجابة المقصد وبذل وسعه في تحقيق الحق وشفاء الغلة ولم يلتفت لقوة ايمانه ونصوح ايقانه لما يشير اليه الوهم الشيطاني من مداينة من يتقى شوكتهم سوى الشيخ الامام القدوة الحافظ المحقق علم الاعلام ابي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي امتنع الله به... جزاء الله خيرا قد امد لابانة الحق ونشر اعلامه النفس، وحقق نقلا وفهما وبالغ فابدى من نور ايمانه الماحي ظلمة الفقر اعظم قبس الخ

وحين وصل جواب التنسي ومعه كلام السنوسي هذا لتوات حيث يقيم الشيخ المغيلي، جمع صاحب الترجمة طائفة من اتباعه وجماعته فلبسوا آلات الحرب وقصدوا كنائس اليهود وامر الشيخ بقتل من عارضهم دونها فهدموها عن آخرها ولم يتناطح في ذلك عنزان، ثم قبال لهم من قتل يهوديا قلما على سبع مشاقيل وجرت يومئذ في ذلك امور؛ فنظم الشيخ آنذاك في القضية هذه قصائد ومدح النبي صلى الله عليه وسلم وذم اليهود فيها ومن نصرهم،

ودخل المترجم بلاد اهر وتكدة واجتمع بصاحبها واقرا اهلها واتفعا به ثم دخل بلاد كنو وكش من بلاد السودان واجتمع بصاحب كنو واستفاد عليه وكتب رسالة في امور السلطنة تحت عنوان «تاج الدين فيما يجب على المملوك والاسلاطين» وهي مطبوعة بمصر في ثمانية عشر صفحة بدون تاريخ حضهم فيها على اتباع الشرع الحنيف والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقرر لهم احكام الدين وقواعده ثم رحل لبلاد التكرور فوصل الى بلدة كاغو واجتمع بسلطانها ساسكي محمد الحاج وجرى الشيخ على طريقته هنالك من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والى له تأليفا اجابه فيه عن مسائل،

وفي كاغو هذه بلغه مقتل ولده على يد اليهود بتوات، فانزعج الشيخ لذلك

وطلب من السلطان القاء القبض على اهل توات المقيمين بـكاغو فقبض عليهم السلطان، وانكر عليهم ذلك ابو المحاسن محمود بن عمر اذ لم يفعلوا شيئا فرجع عن رايه وامر باطلاقهم ورحل الى توات وهناك ادر كتمه منيته فتوفي رحمه الله سنة ٩٠٩ هـ (١٥٠٤ - ١٥٠٥م) ومن نظمه ما جاء في مراسلة جرت بينه وبين جلال الدين السيوطي ملاحظا عليه قوله بتحريم علم المنطق :

سمعت بامر ما سمعت بمثلـه
ويمكن ان المرء في العلم حجة
هل المنطق المعنى الا عبارة
معانيه في كل الكلام وهل ترى
ارنى هداك الله منه قضية
ودع عنك ابداه كفور وذمه
خذ الحق حتى من كفور ولا تقم
عرفناهم بالحق لا العكس فاستبين
لئن صح عنهم ما ذكرت فيكم هم
في ابيات لم نعر على بقيتها ؛ فاجابه الجلال السيوطي بقصيدة وهى :

حمدت اله العرش شكرا لفضله
عجبت لنظم ما سمعت بمثلـه
تعجب مني حين الفت مبدعا
اقرر فيه النهى عن علم منطق
وسماه بالفرقان ياليت امر يقل
وقال به فيما يقرر رايه
ودع عنك ابداه كفور وبعد ذا
وقد جاءت الآثار في ذم من حوى
واهدى صلاة للنبي واهله
اتاني عن حبر اقر ببطلـه
كتابا جموعا فيه جمر بنقلـه
وما قاله الاعلام من ذم شكلـه
فذا وصف قرآن كريم لفضله
مقالا عجيبا نائيا عن محله
خذ الحق حتى من كفور بختله
علوم يهود او نصارى لاجله

يعزز به علما لديه وانه
وقد منع المختار فاروق صحبه
وقد جاء من نهى اتباع لكافر
اقمت دليلا بالحديث ولم اقم
سلام على هذا الامام فكم له
لدى ثناء واعتراف بفضله

وللمترجم من التأليف كثير، اشتهر منها ما رايناه مطبوعا من تلك الرسالة
المسمى اليها وما ذكره الشيخ بابا التبتكى من اسمائها وهي : البدر المنير في علوم
التفسير ومصباح الارواح في اصول الفلاح، وهو كتاب عجيب في كراسين
ارسله الى السنوسى وابن غازى فقرضاه، ومعني النيسل في شرح مختصر خليل
وهو شرح مختصر جدا سلك فيه مسلك المزج بين المتن والشرح ليم يكمل
بلغ فيه الى القسم بين الزوجات، وله عليه قطع اخرى من البيوعات وغيرها، بل
قيل انه شرح ثلاثة ارباع المختصر وله حاشية عليها سماها إكليل المعنى، قال
الشيخ بابا وقفت منها الى التيمم، وشرح بيوع الآجال من ابن الحاجب بحث
فيه مع ابن عبدالسلام و خليل، وتأليف في المنهيات، ومختصر تلخيص المفتاح وشرحه
ومفتاح النظر في علم الحديث فيه ابحاث مع النووي في تقريره، وشرح الجمل
في المنطق، وله مقدمة فيه ومنظومة ايضا سماها منح الوهاب وثلاثة شروح
عليها قال الشيخ بابا وقد شرحها والدى بشرح حسن استوفى فيه، وله ايضا تنبيه
الغافلين عن مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين وشرح خطبة المختصر ومقدمة
في العربية، وكتاب الفتح المبين، وفهرسة مروياته؛ وعدة قصائد منها الميمية على
وزن البردة ورويتها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم؛

وكان فيمن اخذ عنه الفقيه ايد احمد والشيخ العاقب الاصمعي؛ ومحمد بن
عبد الجبار الفجيجي في جماعة كثيرة... رحم الله الجميع .

احمد الونشريسي

١٥٠٨ هـ - ٩١٤ هـ

هو حامل لواء المذهب المالكي على عاتقه بالمغرب العربي على راس القرن العاشر الهجري، الاستاذ العلامة الشيخ احمد بن يحيى بن محمد الونشريسي، نسبة الى مرتفع ارض ونشريس بمقاطعة الجزائر، وهو صاحب المدةونة والمعلقة الفقهية الكبرى الشهيرة باسم: المعيار المغرب، عن فتاوى علماء افريقية والاندرلس والمغرب وهو كتاب حافل جامع لمعنى اسمه طبع لأول مرة بفاس سنة ١٣١٤ هـ في اثني عشر مجلدا، وحسبه مجدا وفخرا هذا المؤلف الجليل

ولد رحمه الله حوالي سنة ٨٣٤ هـ واخذ علمه عن مشائخ بلده تلمسان كالامام ابي الفضل قاسم العقباني وولده القاضي ابي سالم وحفيده الامام محمد العقباني والامام محمد بن العباس، وابي عبد الله الجلاب وابن مرزوق الكفيف، والغرابلي والمري والمازوني في آخرين من فطاحل علماء الجزائر النابيين، وكان رحمه الله فصيحاً بليغاً يقول من حضر درسه انه لو رآه سيويوه لآخذ النحر ومن قيمه، متخصصاً في علوم الشريعة والاصول ملازماً لتدريس المدةونة ومختصراً ابن الحاجب الفرعي؛ وكل من سمعه فيهما يقول انه لا يحسن غيرهما مع مشاركة حسنة في الفنون،

واوذي رحمه الله بكائنة حدثت من طرف السلطان فنهبت داره بتلمسان في اوائل المحرم ٨٧٤ هـ (جوليت ١٤٦٩ م) فشد رحله الى المغرب الاقصى مستوطناً مدينة فاس وانقطع فيها للتدريس فتخرج على يده جماعة من كبار العلماء واعيان المغرب، منهم ولده عبد الواحد وابو عباد بن مديح اللمطي والاستاذ ابو زكرياء السوسي، والفقيه المحدث محمد بن عبد الجبار الوردغيري، وعبد السميع المصمودي وقاضي فاس محمد بن الغرديسي التغلبي، وبخزانة هذا القاضي انتفع الشيخ في تأليف

كتاب المعيار لاسيما فيما يرجع الى فتاوى علماء فاس والاندرلس؛ اما فتاوى اهل فريقية - تونس - والجزائر وتلمسان فقد اعتمد في ذلك على نوازل البرزلى والمازوني

وللشيخ من التأليف غير هذا كثير منها كتاب الولايات في مناصب الحكومة الاسلامية والخطط الشرعية؛ طبع مع الترجمة الفرنسية برباط الفتحة سنة ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧ م، وكتاب في الفروق الفقهية، وآخر في القواعد الشرعية صغير الحجم وغنية المعاصر والتالى في شرح وثائق الفشتالى، وتعليق على مختصر ابن الحاجب الفرعى في ثلاثة اسفار، وكتاب الفائق في احكام الوثائق لم يكمل، وكتاب في الوفيات، وفهرست، وايضاح المسالك الى قواعد الامام مالك.

وكانت وفاته رحمه الله يوم الثلاثاء الموفى عشرين من شهر صفر سنة ٩١٤ هـ (١٤ جوان ١٥٠٨ م) وعمره يومئذ نحو الثمانين سنة. وذكر الشيخ احمد بابا التنبكتى عن الشيخ القصار ان سقوط وهران بيد الاسبان كان في هذه السنة

عبد الرحمن الاخضري

٩٥٣ هـ - ١٥٤٦ م

هو العلامة الامام المحقق الشيخ عبد الرحمن بن الصغير - بالتصغير - بن محمد الاخضري نسبة الى بطن من بطون الدواودة من اولاد رياح يعرف بالاخضر وهم يسمون كذلك لسوادهم والعرب تسمى الاخضر وهي تعني الاسود؛ يتصل نسبه رحمه الله بالصحابي الجليل العباس بن مرداس السلمي رضى الله عنه ولد المترجم حوالى سنة ٩٢٠ هـ (١٥١٤م) ونسب قذا عبقرى في جميع العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ورزق العلم بها واليف فيها فتى صغيرا كما تدل على ذلك عباراته في تأليفه العديدة من نظم ونثر فهو القائل في سلمه المروني في علم المنطق معتذرا ومتواضعا

وقل لمن لم ينتصف لمقصدي	العذر حق واجب للمبتدى
ولبنى احدى وعشرين سنة	معذرة مقبولة مستحسنة
لاسيما في عاشر القرون	ذى الجهل والفساد والفتون
وكان في اوائل المحرم	تأليف هذا الرجز المنظم
من سنة احدى واربعين	من بعد تسعة من المئتين

وفي ختام نظم الجوهر المكنون في فنون البلاغة يقول انه وضعه سنة خمسة وخمسين من القرن العاشر اى بعد سنة من وضع السلم :

تم بشهر الحجة الميمون متم نصف عاشر القرون
 فكان بذلك من المبكرين في التأليف و كل من وقف على تأليفه علم ان اثره
 كان متضلعا من العلم وانه ذا خبرة تامة بفن التعليم (بيد اكوجي)،
 ولقد جمع الله ما بين تحفي دماغ هذا الرجل فنونا من العلم فكتب رحمه
 الله في علوم الحكمة والتصوف والفقه والمنطق والبيان والادلام والحساب والهيئة

الخ.... ولسهولة عبارته وحسن سبكه ورشاقة اسلوبه في بسطه لمسائل العلم اقبل الناس في مشارق الارض ومغاربها على مؤلفاته يدرسونها ويشرحونها في كل مدرسة او معهد من معاهد العلم بهذا المغرب العربي وفي المشرق أيضا وكان مما عرفناه واتصلنا به منها نظمه الجوهر المكنون في علوم البلاغة وهو مطبوع بمصر وله عليه شرح مخطوط يوجد بالمكتبة الوطنية الجزائرية ونظم الدررة البيضاء في الحساب والفرائض وهي مطبوعة بشرحها في مصر ونظم السلم المروني في علم المنطق وله عليه شرح مختصر وكلاهما مطبوع بمصر ونظم السراج في الفلك مع شرحه طبع بالجزائر ومصر وله منظومة في العمل بالاسطرلاب مخطوطة والفرادة الغراء في التوحيد مخطوطة عندنا منها نسخة بخزانتنا والمنظومة المسماة بالقدسية في التصوف وآداب السالك واتقاد البدع مخطوطة ومختصر في فقه العبادات على مذهب مالك مطبوع بالجزائر وعليه شرح لابن المسيب القسنطيني طبع بمصر، ولما غير هذا من متون وشروح وتأليف مستقلة في كثير من فروع العلم والمعرفة ضاع اكثرها بلهيب النيران وفيها الذي سطت عليها يد الحداث وفيما ذكرناه منها كفاية في الاستدلال بها على مقدرة الشيخ وكفاءته العلمية وعلو كعبه في التأليف مع صغر سنه

توفي رحمه الله سنة ١٥٥٣ هـ ١١٥٤٦ م ودفن بضريحه المشهور به الى الان بقرية بنطيوس احدى قرى الزاب الشهيرة بالقرب من بسكرة

جدول تاريخي

٩٢٠ - ٩٥٠ هـ

١٥١٤ - ١٥٤٤ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
٩٢٠ هـ ١٥١٤ م	اتصال دولة الاتراك العثمانيين بالجزائر وفتح مدينة حيمجل
٩٢٢ هـ ١٥١٦ م	احتلال مدينة الجزائر وشرشال وخيبة حملة الاسبان على الجزائر
٩٢٣ هـ ١٥١٧ م	توسم الاتراك في فتح غربي الجزائر الى تلمسان
٩٢٤ هـ ١٥١٨ م	استشهاد عروج والحاق الجزائر بالامبراطورية العثمانية
٩٢٦ هـ ١٥١٩ م	انهزام حملة شارلكان الاولى عن الجزائر
٩٢٩ هـ ١٥٢٣ م	حركة ابن القاضي الثورية ضد الاتراك واستيلاءه على مدينة الجزائر
٩٣٤ هـ ١٥٢٧ م	الاستيلاء على اعمال قسنطينة وبونة وقمع ابن القاضي وقتله
٩٣٦ هـ ١٥٣٠ م	فتح قلعة «البيينون» Penion بشعر مدينة الجزائر
٩٣٧ هـ ١٥٣١ م	انكسار اندري دوريا وانهزامه عن الجزائر وشرشال. وفيها كان الشروع في انقاذ مضطهدي الاندلس والمجبيء بهم الى الجزائر وانتشارهم بالمغرب العربي
٩٤٠ هـ ١٥٣٤ م	انتقال خير الدين الى ولاية امارة البحر باستانبول واستخلافه لحسن آغا على الجزائر
٩٤١ هـ ١٥٣٤ م	حملة خير الدين على تونس والاستيلاء على بونة. وفيها كان تأسيس جامع القائد صفر - سفير - عبدالله بالعاصمة
٩٤٢ هـ ١٥٣٥ م	تأسيس مدينة البليدة
٩٤٦ هـ ١٥٣٩ م	الاستيلاء على مدينة مستغانم وبسكرة وارض الزاب
٩٤٨ هـ ١٥٤١ م	اندحار حملة شارلكان على الجزائر وتأسيس عمارة برج القنار بالميناء
٩٥٠ هـ ١٥٤٣ م	انتصار حسن آغا على ملك تلمسان ووفاته

عصر البيلرباي

«ب»

٩٥٠ - ٩٩٥ هـ

١٥٤٤ - ١٥٧٨ م

ولاية حسن باشا بن خير الدين

اجتمع اهل الديوان يوم ان توفي اميرهم محمد حسن آغا الطمواشى على توليته الحاج بكير مكانه موقتا ريشما يتصل بهم الحاكم التركي المدولى من طرف البساب العالى باستانبول فمكث الحاج بكير على راس الادارة الجزائرية مدة الى ان قدم عليهم حسن باشا بن خير الدين سنة ٩٥٠ هـ (١٥٤٤م) يحمل لقب بيلرباي ويكتب بالقلم التركي هكذا : «بيجر باجى او بكربك» اى امير الامراء. ارخم عبد الرزاق بن احمدوش في معجمه بجمادى الثانية سنة ٩٥٢ هـ (اوط ١٥٤٥م) ..؟

رسوخ قدم الاتراك بـتلمسان

ويوم ان انتقض اهل تلمسان على سلطانهم مولاي احمد وحاول هذا الانتصار عليهم بحلفائهم الاسبان، بادر حسن باشا الى حماية الاهالى فغزا تلمسان واحتلها في اواسط شعبان ٩٥٢ هـ (اكتوبر ١٥٤٥م) وقضى على حامية مولاي احمد وحلفائه ونصب على عرش تلمسان مولاي الحسن تحت اشراف دولة الاتراك بالجزائر. وخرج يومئذ مولاي احمد صحبة وزيره المنصور بن ابى غانم فالتحقا بنجاحية دبذو، وهناك اغر بهم صاحب تلك النواحي عمر بن يحيى الوطاسي فاستصفى جميع ما معهم من الاموال فصادرها واعتقلهما عنده مدة ثم اطلق واثق المنصور في المحرم ٩٥٣ هـ (مارس ١٥٤٦م) وهنا اغفلت الرواية التاريخية ما آل اليه امر مولاي احمد فلا ندرى امات بمعتقل ام اطلق عقالة ...؟

وكان من المؤسسات الادارية التي انشأها حسن باشا بن خير الدين بالجزائر

في هذه الفترة ان حدث سنة ٩٥٥ هـ ١٥٤٨م مقاطعة تيطرى واقام عليها رئيسا يحمل لقب «الباي» ثم بعد سنتين من ذلك ابرم حلف الصداقة ومعاهدة الود بين حكومة الاشراف السعديين بالمغرب الاقصى وحكومة الجزائر . وكان من المقرر قمع حركة الاسبان بالايالة الوهرانية وتطهير تلك النواحي منهم ؛ وفعلا نهضت حكومة مراكش بذلك وحاصرت تلمسان وضيق على اهلها الحناق مدة تسعة اشهر ثم احتلتها في يوم الاثنين ٢٣ جمادى الاولى سنة ٩٥٧ هـ (جوان ١٥٥٠م) وبسطت نفوذها على تلك النواحي ونشرت اعلامها على مستغانم واحوازاها وجميع اعمال تلمسان الى حدود شلف، ويومئذ تحرك داعي التنافس بين الحكومتين المتجاورتين مراكش والجزائر وحمل الاتراك على تلمسان بقيادة حسن باشا فتقهقر المغاربة عنها الى التخوم وتمكن قدم الاتراك يومئذ بالعاصمة الزيرية فالحقوها بحكومتهم الجزائرية مباشرة وولوا عليها من طرفهم حسن قورصو، ثم عاد البيلر باي الى العاصمة مشغلا باتمام تنظيم الادارة التركية والقيام باصلاح شان البلاد الجزائرية فأنشأ الحصون والمجارس بها، منها ذلك الحصن الشامخ الذرى القائم فوق كدية الصابون بجنوب العاصمة؛ وهو المعروف الى اليوم ببرج مولاي حسن او برج بوليلة، وقد كان يسمى ببرج الطاوس وبرج سلطان قالا سي ايضا؛ ومنها مدينة القليعة الساحلية انشأها سنة ٩٥٧ هـ (١٥٥٠م)

رسم حدود الجزائر وتخطيط تخومها الغربية

ولما استقر الحكم التركي بتلمسان وخضعت لسلطانه جميع اعمالها وتقرر رسم الحدود السياسية بين المملكتين الجزائر ومراكش ، اتسب لذلك العلامة الهمام ابو عبد الله محمد الخروبي الجزائري فوفد على سلطان المغرب فاقتبله البلاط بما هو جدير به من التجلة والاکرام ، وعقدت للشيخ هنالك مجالس ومحافل ناظر فيها علماء المغرب وساجلهم في مباحث شتى من العلم ، وجرى له كلام في

التصوف والطرق الصوفية انفراد به وحده وتم على يده تخطيط الحد الغربي الذي بقي محترماً معروفا الى اليوم بين حكومة الجزائر والمغرب الأقصى ولم يحدث فيه كبير تغيير جوهري الا ما حدث في بعض الجهات الجنوبية من تحويل طفيف حسبما اوجت به سياسة الاستعمار الفرنسي في الاخير .

انتقال البيلرباي الى استانبول

اتفق ان نشأ خلاف بين بيلرباي الجزائر ومفوض دولة فرنسا ، فسعى المفوض بامير الجزائر التركي ووشي بهلدي الباب العالي باستانبول واحاطه بطائفة من التهم والشبه ولطخ سمعته بالريب فاستدعى السلطان اذ ذاك والى الجزائر الى حضرته ، فغادرها حسن باشا سنة ٩٥٨هـ (١٥٥١م) وذهب الى استانبول مستخدفا في مكانه حسن آغا .

وفي هذا التاريخ اهتبل الاسبان فرصة غياب الوالي التركي فغزوا تكسان واحتلوها ومكثوا بها ثلاثة عشر يوما ثم هزموا واخرجوا منها .



ولاية صالح رايس

انتصب علي اريكة الجزائر في شهر جمادى الاولى سنة ٩٥٩هـ (افريل ١٥٥٢ م) فكان لتوليته ارتياح عظيم لدى الاوساط الجزائرية : واهم ما ابتدأ به من الاعمال وباشرها بنفسه في صدر ولايته ان تصدى لاختضاع الثائرين والمتمردين على حكومته من سكان الجنوب الجزائري كبنى الجلاب المستبدين بنواحي بسكرة وتقرت ، وبنى وارجلان - وارجلة - فان هؤلاء جميعا امتنعوا من اداء الجباية والمغرم ، فتصدى لاختضاعهم صالح رايس مستعينا على حركته هذه بصديقه عبد العزيز امير قلعة بنى عباس حيث اتصل به في مجانة ومعه يومئذ ثمانية آلاف جندي فخضعت له قبائل الجنوب واستولى على عاصمة الزاب

الجزائري - بسكرة - وأحوازا

ويذكر عن حسن قورصو عامل تلمسان يومئذ انه تحرك لمقاتلته عبد العزيز امير القلعة في سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥٢ م) وكان اللقاء بينهما في نواحي بوغني والمسيلة، وكان لصالح رايس وولده محمد ضلع في هذه الحرب التي كتب النصر فيها لعبد العزيز

الاستيلاء على فاس

كان مما اشتهر به صالح رايس في مدة امارته على الجزائر الولوع بغزو سواحل امم النصرانية بهذا البحر والزحف نحو اساطيل العدو الراسية بموانئ هذه الشواطىء وكان مما ظفر به بمياه الاندلس في سنة ٩٦٠ هـ - ١٥٥٣ م عشرة مراكب اسبانية فساقتها الى الجزائر وكان من بين اهلها يومئذ الامير ابو حسون - ابو الحسن على بن محمد الشيخ - الوطاسي؛ وجد هناك على ظهر مركب منها محتفيا فارا بنفسه من الدولة السعدية القابضة يومئذ على زمام المغرب الاقصى، فتعرف ابو حسون الى صالح رايس وكانت بينهما مودة ومصافاة جعات من الامير الجزائري الصديق الوفي لاسيره الامير الوطاسي وتواطآ على غزو مراکش واسترداد مملكة بني وطاس المرينيين من يد السعديين،

وفعلا خرج الاسطول التركي الجزائري من العاصمة محتويا على ٢٢ مركبا حربيا فغزا سواحل مليلة والريف المغربي وبادر الجيش الى السير برا نحو المغرب بقيادة صالح رايس نفسه فاحتل تلمسان وتقدم الى فاس فاحتلها ايضا يوم ثالث صفر ٩٦١ هـ (٨ جانفي ١٥٥٤ م) ونصب على عرشها ابا حسون مرتبطا بالباب العالي، ونفى السلطان السعدي، وفي عودة الاتراك الى الجزائر نهض الملك السعدي مغتنام هذه الفرصة ففضى على ابي حسون واعاد الامر الى دولته

الحاق ولاية تلمسان بالجزائر

كان مما قام به بيلرباي الجزائر صالح رايس ايام وجوده بتلمسان ان درس
الوضعية السياسية هنالك فعرف ما كانت عليه البلاد يومئذ من الضعف وسوء
التحصين امام جيش الاسبان الجائم بوهران وانكشفت له بها علائق سرية واتصالات
مريبة مخيفة بين مولاى الحسن حاكم تلمسان والاسبان ، فكتب صالح امرة ريشما
اتهى من عملية الحرب بمراكش وفاس ، وفي منصرفه من تلمسان اعلن عزل
حاكمها المذكور والحقها راسا باعمال الجزائر .

تمكن الاتراك من فتح قسنطينة وبجاية ووهران

من المحقق تاريخيا ان الاتراك تمكنوا من قسنطينة اثر وقعة وادي
القطن - بين ميلة وقسنطينة - حيث احتلها اتراك بونة وتونس سنة ٩٦٢هـ - ١٥٥٥م
والحال انهم قد وجدوا بها منذ سنة ٩٤١ هـ (١٥٣٥ م) ولكننا لا نعلم صفة ذلك
ولا كيفية الغزو ونوع الفتح والاحتلال ، وانما الذى نعلمه من حوادثهم
بهذه النواحي الشرقية انهم فتحوا بجاية بعد حرب طاحنة ومقاتلة للاسبان برا
وبحرا وكان احتلالهم لها يوم السبت ١٢ ذى القعدة سنة ٩٦٢هـ (٢٨ سبتمبر
١٥٥٥ م) وفي نفس هذه السنة استنجد الفرنسيون بالاسطول الجزائري لتعزيز
قواتهم الحربية ضد الاسبان .

وبعد ان فرغ بيلرباي الجزائر من فتح الجهات الشرقية غدا يستعد لفتح
وهران واخذ في تعبئة نحو السبعين سفينة لغزوها واجتمع لديه من الجند ما
يقرب من اربعين الف نسمة ، وكان ينوى اتمام زحفه هذا بالسير الى مراكش
للقضاء على ما نشب هنالك بين الاهالى من فتن واضطرابات واخضاعها
لسلطانه ، ولكن القدر لم يمهلهم واجاهه لم يرجئه فتوفى بالطاعون في شهر
رجب سنة ٩٦٣هـ (ماي ١٥٥٦ م) وعمره سبعون سنة ، فخلقه يومئذ طرغود

بك في فتح وهران فغزاها على رأس أسطولها الضخم فاحتلها وانهزم عنها الأسبان وكان من منشآت صالح رايس وآثاره المعمارية بالعاصمة دار السلطان أو قصر الجينية بأسفل المدينة، مكث في بنائه نحو خمس سنوات ٩٥٩-٩٦٣ هـ (١٥٥٢ - ١٥٥٦ م) ولقد دام هذا البناء الشامخ نيفا وثلاثة قرون، أي طيلة تاريخ أيام الحكم التركي بالجزائر إلى أن هدمته السلطة الفرنسية سنة ١٢٧٢ هـ (١٨٥٦ م) وأقامت مكانه هذه الدار الموجودة اليوم شرقي دار عزبزة بنت الباي - الاسقفية - حيث يوجد بالطابق الأول منها مركز نادي الترقى



ولاية حسن قورصو

انتصب بنفسه على عرش الجزائر يوم وفاة سلفه صالح رايس ٩٦٣ هـ (١٥٥٦ م) وفرض طاعته على الرعية ولم يراع في ذلك جانب الباب العالي باستانبول معتمدا في ذلك على ما أوتيته من البطولة الحربية والشجاعة الأدبية، وأصله من مدينة كورسيكا التي اشتهر بنسبتها إليها ودعى لذلك «قورصو»

وفي أول برهة من ولاية قورصو توجه بنفسه على رأس حملة شديدة إلى وهران فشدد عليها الحصار برا وبحرا وضايق الأسبان بها حتى كاد أن يدركه النصر أو يكون منه قاب قوسين أو أدنى فناداه حينئذ السلطان العثماني باستانبول مستنجدا بأسطول الجزائر لتعزيز قوات المجاهدين ببحر الأرخيل ورد حملة اندرى دوريا عن البوسفور، فعدل يومئذ حسن قورصو عن وهران وعاد بأسطوله نحو بلاد الامبراطورية العثمانية بالمشرق

وفي ذي القعدة ٩٦٣ هـ - سبتمبر ١٥٥٦ م حل بالجزائر من قبل الباب العالي أميرها الشرعي اليلرباي محمد تشلبى كرد أوغلى - طكلىرى - فاعترضه حسن قورصو وبذل في منعه من الاتصال بالجزائر غاية وسعه ولكن طكلىرى اجتهد حتى تمكن من الحلول بجون «تامد فوس» شرقي العاصمة

وهناك اصطدم بقوات حسن قورصو فناشبه الحرب وذهب ضحيتها الوالي السابق وقتل بعده الوالي الجديد ايضا وحكم الجزائر يومئذ والي تلمسان الامير يوسف صديق حسن قورصو ولم يلبث ان توفي بالطاعون فخلفه يحيى باشا مدة ستة اشهر ابتداء من شهر ربيع الاول الى شعبان ٩٦٤ هـ (من جانفي الى آخر ماي ١٥٥٧ م)

وكانت دولة الاشراف السعديين بمراكش تتحين الفرص للانقضاض على مملكة تلمسان فساعدتها الظروف في هذه الفترة من الزمن فاستولت عليها الى ان جاء عصر حسن باشا بن خير الدين وعاد الى منصبه الاول .



ولاية حسن باشا بن خير الدين (ثانيا)

تقلد منصبه هذا للمرة الثانية في شهر شعبان ٩٦٤ هـ (جوان ١٥٥٧ م) فابتهج لولايته اهل الجزائر لما عرفوه قبل وتحققوا منه من حسن الادارة وحزمه الشديد في تسيير شؤون الدولة وكونه ايضا ولدا ام جزائرية فهو اذا منهم بالحوالة كل ذلك كان من دواعي الاقبال عليه في هذه المرة ، والحق انه كان من رجال الاتراك الممتازين في وضع أسس النظم الادارية لهذه الدولة التركية الناشئة بهذه البلاد .

أهم اعمال حسن باشا بن خير الدين

كان من اهم اعمال البيلرباي حسن التي شرع في القيام بها في هذه المرة اخذه في جمع كافة الجند الثائر من فريق الانكشارية فسل منه السخائم واطفا نار غضبه المنصب على الوجاق كما هي عادته في كل مناسبة تحدث عند تولية وال جديد ؛ وذلك رغبة في زيادة المرتبات ورفع اجور الجيش المرتزق ، فعامله البيلرباي يومئذ بما يرضيه ، ثم اشتغل بتنظيم المخزن ، والتفت كذلك الى محاربة دولة

الاشراف السعديين الحالة بتلمسان فأجلاها عنها ، وتشوف الى تتبع هذه الدولة المراكشيه الى عقر دارها بسبب ما بلغه عن ملكها ابي عبدالله محمد المهدي من تصرفه بكلمات اهتظم فيها جناب السلطان سليمان العثماني فنيزه بسلطان (الحواتة) وتوعده مهددا بعزمه على فتح مصر وطرد الاتراك عنها . . . وبلغ خبره هذا الى الباب العالي فبعث السلطان من هنالك اثنا عشر فدائيا حلو بالمغرب وقضوا على حياة سلطان مراكش يوم ٢٩ ذى الحجة ٩٦٤ هـ ٢٣ أكتوبر ١٥٥٧ م . ولقد ادى ذلك الى اعتراف حكومة المغرب الاقصى بسيادة الباب العالي على بلادها ٩٨٨ هـ (١٥٨٠ م)

وفي نفس التاريخ الذى هلك فيه سلطان المغرب (٩٦٤ هـ - ١٥٥٧ م) قضى حسن بن خير الدين على الجيوش الاسبانية المقيمة بماغرران - قرب مستغانم - فأسر منها ١٢ الف نسمة ، وانضم اليه يومئذ الجند التلمساني فاحاط الجميع بالاسبان واوقدت النيران في مخازن البارود فانفجرت وكان من اثر انفجارها سقوط اسوار المدينة وموت الاكثرية من جيش الاسبان وفيهم الجنيرال ماجور الكونت الكودييط ، وعند غروب الشمس من يوم الجمعة ١٢ ذى القعدة ٩٦٥ هـ (٣٦ اوط ١٥٥٨ م) احتل الاتراك نواحي مازغرران .

ثم في السنة بعدها « ٩٦٦ هـ - ١٥٥٩ م » حول البيلارباي نظره من المغرب الى المشرق وتحرك في جنوده الى غزو النواحي الشرقية التي يملكها عبد العزيز امير قلعة بنى عباس ، فاستولى منها على مدينة المسيلة وبنى حصنا ببرج بوعريبيج وآخر بزمورة وذلك للمحافظة على سطوة الاتراك بتلك النواحي الشرقية وتيسيتا لقدمهم هنالك ورتب بهما الحامية التي بلغه عددها اربعمائة جندي ثم غادرها متوجها الى بلاد حمزة - نواحي بويرة -

وفي منصرف حسن من نواحي زمورة والبرج وثب عبد العزيز على الحصنين المذكورين فأسر ما بهما من الجنود ونشبت هنالك معارك كان فيها

حتف ، وحيى براسه الى الجزائر ، وخلفه يومئذ في مقامه اخوه احمد امقران وهو جد الاسرة المقرانية الشهيرة المقيمة بمجانة التي حاربت الاستعمار الفرنسي سنة ١٢٨٨ هـ - ١٨٧١ م ، وحيث ٩٦٨ هـ (١٥٦١ م) تملك احمد امقران نواحي كوكو من بلاد القبائل واضطر الاتراك الى مصالحته .

وكان من اجل احداث السياسة بهذا العصر في الجزائر ظهور شركة صيد المرحان الفرنسية المعروفة باسم لانش Lenche حيث ابرمت مع الحكومة الجزائرية عقدة تجارية احرزت بها على رخصة لانشاء مراكز لها بكامل السواحل الجزائرية الشرقية ، منها ما كان بالقرب من غربى القالة ومنها ما كان بشرقى بونة السخ ، وكل ما اشترطته الدولة الجزائرية على هذه الشركة هو ان لا يكون بهذه المراكز التجارية سلاح وان لا تظهر بمظهر الحصون الحربية ابدا ، فكانت الحال اولا على ذلك الى ما بعد اربع سنوات حيث نزل بها اول قنصل فرنسى ويومئذ ابتداء دور العاباروبا الدبلوماسية يظهر في مجال السياسة الاستعمارية ، فكانت هذه المراكز خير عون للاستعمار مهد بها لاحتلال البلاد وسقوطها بين محالبه فيما بعد ، ثم بعد خمس سنوات جاء دور الانكليز فتدخل في اقتصاديات البلاد بطريق نصب ممثلين معتمدين للتجارة بالجزائر .

وسقطت يومئذ جزيرة جربة بيد الاتراك الجزائريين وانجلي عنها الاسبان ٩٦٧ هـ (١٥٦١ م) فحولوا انظارهم حيثن الى وهران فانتصروا على بعض حصونها واستولوا على بعض المراكب الاسلامية ، ويومئذ اندفع السلطان العثماني الى اعلان الجهاد وتقدم الى فتح جزيرة مالطة مقر رهبة القديس يوحنا الاورشليمي . وكان من الضروري فتح هذه الجزيرة لمريد السيادة بهذا البحر الابيض المتوسط ، ذلك لما وهبتها الطبيعة من اهمية موقعها الجغرافي ومركزها الاستراتيجي ، وكان انهزام الاسبان هذا في جربة وانتصار الاتراك بها باعشا قويا وسببا مباشرا في جلاء حلفائهم السعديين عن تلمسان وتركها للاتراك

وتصدى البيلرباى في السنة التالية لادخال بعض الاصلاحات والتنظيمات في الادارة التركية بالجزائر فقصى على ثورة بلاد الزواوة واصهر الى قبيلة جبل كوكو بتزوجه بنت شيخها واشرك اهلها في الادارة ؛ وباتفاقية كانت بينه وبين الوطاسيين غزا جيشه دولة السعديين بفاس ، ثم انسحب عنها في مقابلة تعويضات عن نفقات الحملة ، وكان لهذه الغزاة اثر كبير في ادخال بعض التقاليد والنظم العسكرية التركية في الجيش المغربي وبالقصر السلطاني ايضا كآداب الاستقبال وحدوث فرقة الانكشارية الخ .

واحاطت الدسائس يومئذ بالبيلرباى وسعى به حسدته ومنافسوه لدى الباب العالي فأخذ مكبلا الى استانبول ثانيا مرة ، وتعين مكانه حسن آغا للمرة الثانية ايضا ثم عزل بقوصة محمد ريشما حضر من الاستانة احمد باشا بستانجي في المحرم ٩٦٩هـ (١٥٦٢م) ولم تطل مدته فتوفي اثر ثلاثة اشهر من ولايته ، فخلفه يومئذ القائد يحيى الى ان اعادت الدولة العثمانية حسن باشا بن خير الدين الى منصبه



ولاية حسن بن خير الدين (ثالثا)

لقد عاد البيلرباى حسن بن خير الدين هذه المرة لولاية الجزائر معززا بعشر سفن حربية ومزودا بقوات عسكرية مسلحة ، وكان تاريخ محيئه هذا سنة ٩٦٩هـ (١٥٦٢م) وان اول عمل جدى قام به في ولايته هذه هو ان غزا في ربيع السنة التالية قوات الاسبان الراضية بوهران فشن عليها غاراته برا وبحرا وكاد ان يتم انتصاره عليها لولا ما لحقتها من النجذات ، فانهزم عندئذ حسن الى الجزائر منقطعا الى اتمام اصلاحاته وتنظيماته الادارية فاحدث اذ ذاك بالقطر الجزائري اربعة بشالك - مقاطعات - : بايلك الجزائر المعبر عنها بدار السلطان وقاعدته العاصمة ؛ وبايلك تطرى ومركزه بالمدية ؛ وبايلك الشرق وقاعدته

قسطنطينة ؛ وبايلك الغرب بمازونة (١) ثم تحول مركز بايلك الغرب الى مدينة معسكر واخيرا الى وهران ، وجعل لكل ولاية من هذه المقاطعات الاربع من غير دار السلطان رئيسا يحمل لقب الباي ، واول من عرفناه من بايات هذا الدور هو باي الغرب بوخديجة بمازونة ٩٧٠ هـ (١٥٦٣ م)

ولقد حاول الفرنسيون بعد ذلك بستتين (٩ صفر ٩٧٢ هـ - ١٧ سبتمبر ١٥٦٤ م) تنصيب سفيرهم بالجزائر فرفضت الحكومة ذلك ، واستمر البيلرباي حسن على خطته الهجومية ضد الاسبان في فترات متفرقة ، كما انه شارك بنفسه في هجوم الاتراك العثمانيين على مالطة سنة ٩٧٣ هـ (١٥٦٥ م) ثم لم يلبث بعد ذلك ان استدعاه الباب العالي ليتولى منصب قيادة الاسطول العثماني باستانبول فانتقل الى منصبه الجديد هنالك سنة ٩٧٤ هـ (١٥٦٧ م)



ولاية محمد بن صالح رايس

اتصل البيلرباي محمد بن صالح رايس بالجزائر في ذي الحجة سنة ٩٧٤ هـ [جوان ١٥٦٧ م] فصادف بها اوبئة ومجاعات رهبة صاحبها هيجان في الجند واضطراب في الشعب ، فاضطر الى صرف اغلب اوقاته في مواساة الضعفاء والمصابين وتسكين الفتن ، وما فتىء يعمل على ذلك اذ فاجأته ثورة عامل قسنطينة المتأثر بولاية تونس الحفصيين ، فعزل البيلرباي وقضى على الثورة هناك وولى على قسنطينة القائد رمضان بن تشولاقي . وفي ربيع الاول ٩٧٥ هـ « سبتمبر ١٥٦٧ م » هاجم الاسباني جان جاسكون مدينة الجزائر فرد عنها مهزوما .

ثم لم تطل ايام البيلرباي بعد ذلك بالجزائر اذ تعين نقله الى ولاية اخرى بانحاء الامبراطورية العثمانية فانتقل من عاصمة المغرب الاوسط في رمضان سنة ٩٧٥ هـ « مارس ١٥٦٨ » ولا يعلم من آثاره المعمارية بالجزائر سوى حصن باب الوادي غربى العاصمة .

ولاية عليج علي

ذكرته بعض المصادر هكذا «اولوج علي» وكان يلقب بالفرطاس - الاقرع -
 واصل من اسرى نصارى «كالابر» الايطاليين بصقلية ، نشأ في احضان القرصنة
 التركية وسبق ان حاز في حياته البحرية مراتب عسكرية خولته درجة الرئاسة
 فيخلف درغوث باشا بطرابلس ، وتولى ولاية تلمسان فيحارب بها الاسبان
 ثم صدر الامر العالي بتوليته بيلرباي على الجزائر فنزل بها يوم ١٤ صفر
 ٩٧٦ هـ (٨ اوط ١٥٦٨ م) ، واشتهر في ولايته هذه بالعزم في تسيير الادارة
 والبطولة الحربية والشجاعة الادبية وسجلت له انتصارات عديدة في البر والبحر ومن
 اشهرها انقاذ بعض المتخلفين من المسلمين بسواحل الاندلس وتحطيم موانئ
 الاعداء هناك وانتصاره الباهر في وقعة «ليانت» الشهيرة ٩٧٨ هـ (١٥٧١ م)
 التي منى فيها الاسطول العثماني لأول مرة في تاريخه بالانهزام بينما والى
 الجزائر عليج علي نجا بسفنه الاربعين واحرز على مغنم كثيرة كان من
 بينها اللواء الباباوى المقدس... ولقد شارك بنفسه في انشاء الاسطول العثماني وتكوينه
 من جديد بعد وقعت ليانت المذكورة

وفي صدر امارته على الجزائر انتزع من الفرنسيين حق احتكار تجارة
 المرجان بمركز القالة بسبب تماطلهم وتخلفهم عن دفع الضريبة لثلاث سنوات
 مضت ، وابع ذلك للانكليز ويومئذ ٩٧٧ هـ (١٥٦٩ م) اعادت الدولة الفرنسية
 مفاوضات مع حكومة الجزائر حول تنصيب القناصل وتنظيم سير الحركة التجارية
 ومما يؤثر عن هذا الحاكم الجزائري انه كان اول من فكر في فتح قناة
 السويس قبل وجود فيرديناند ليسبس بما يزيد على ثلاثمائة قرون

فتح تونس

انك على بصيرة مما آلت اليه الدولة الحفصية في اواخر ايامها - حسبما اسلفنا - من الانحلال السياسى وضعف قواتها الحربية ووهن اخلاق ولايتها وانتشار فتن الاعراب ونشوب الخلاف وافتراق الكلمة بسبب نزوع بعض امراء البيت الحفصى الى العرش وتنازعهم على ذلك واستنجد بعضهم بالاجانب الخ.. (١) فحاققت بهم يومئذ ضربات الاسبان حيث استحوذوا على بعض المدن الهامة والمراكز الاستراتيجية من القطر التونسي وبسطوا نفوذهم على مملكتهم بنى ابي حفص، وكان ظهور الاتراك يومئذ بهذا البحر واستيلائهم على بعض ثغوره ضربت قاسية على مطامع الاسبان والبرتغال المتجهة نحو سواحل المغرب الاسلامى، فاستولى اذاك خير الدين بارباروس على ثغر بنزرت ثم جرت هنالك وقائع بين الترك والاسبان في مختلف انحاء المملكة الحفصية ومنها هذه الحملة التى كانت على يد والي الجزائر عليج على في هذه السنة ٩٧٧هـ (١٥٦٩ م)

كان عليج على يراقب احوال مملكة تونس حين وفد عليه احد وزرائها ابو الطيب الخضار محرضا على امتلاكها ، فجهز والي الجزائر اسرى جيشا وزحف به نحو تونس فلقى اميرها ابو العباس احمد الحفصى بباجية ، ثم بعد قتال عنيف انهزم الامير الحفصى وتقدم والي الجزائر بجموعه الى الحاضرة فامتلكها واخذ بيعة اهلها للسلطان سليم الثانى وقتل ابن الخضار ورتب حامية لحراسة البلاد تحت رعاية حيدر باشا ثم انكفأ راجعا الى مقره بعاصمة الجزائر. وبعد سنة من هذه الواقعة دعى عليج على الى القسطنطينية ليتولى بها رئاسة القيادة العليا للاسطول العثمانى فغادر الجزائر وخلفه عليها موقنا قبطان باشا

تعصب أوروبا المسيحية

انعقد الحلف الاروبى المسيحى الثالث عشر سرا بين قداسة البابا بيوس الخامس وفيليب الثانى ملك الاسبان وجمهورية البندقية بتاريخ فاتح المحرم ٩٧٩ هـ (٢٥ ماي ١٥٧١ م) ، وبعد حين من تاريخ انعقاد هذه المؤامرة وتديرها تقرر اعلان الحرب الهجومية والدفاعية ايضا من طرف الحلفاء ضد تركية لاسترداد جميع الاماكن التى فتحها الاتراك ومن بينها الجزائر وتونس وطرابلس عملا بقاعدتهم التعصبية التى تنص على ان ما استأثر به الصليب واغتصبه من الهلال لا يرد؛ وان كل ما حازه الهلال او ضمه اليه منه تتحتم عليه اعادته

وعن هذا الحلف المسيحى الاروبى نشأت وقعة معركة ليبانت الشهيرة بجنوب بلاد اليونان بتاريخ ١٧ جمادى الاولى سنة ٩٧٩ هـ (٧ اكتوبر ١٥٧١ م) ولا يزال اهل ايطاليا الى اليوم يحتفلون بذكرى هذه الوقعة التى كانت سببا في درىء امتداد السلطة التركية عن بلادهم

مطامع فرانسافى الجزائر

كانت وقعة ليبانت هذه فرصة مواتية لظهار رغائب فرانسافى نحو المغرب الاسلامى ، فانه بمجرد ما اشتهر انهزام الاسطول التركى فى وقعة ليبانت قدم ملك فرانسافى «شارل التاسع» مشروعا الى الدولة العثمانية بواسطة السفير المفوض باستانبول الراهب «فرانصوا دونواى» يتضمن طلب الترخيص لحكومته فى بسط نفوذها على القطر الجزائرى وحماية الاسلام والمسلمين بها وانها مستعدة فى مقابل ذلك لدفع المغرب او الجزية للباب العالى ؟ فاعرض عنه السلطان ولم يعره بالا ولكن رغم ذلك فان دولة فرانسافى اوغلت فى طموحها والحت واكدت فى الحاحها وسلكت للتوصل لغرضها هذا مسالك دبلوماسية غريبة ، واخيرا حصلت على الرخصة لها فى نيل امتيازات خاصة وتصريح من السلطان باقامة محارس تجارية

بالقالة وغيرها من الساحل الجزائري ، فاكتفت اوليا بذلك ، على انها كانت اول خطوة استعمارية خطتها فرنسا نحو هذه البلاد المغربية قبل احتلالها السياسي بما يزيد على قرنين ونصف ، الامر الذي يدلنا دلالة واضحة على ان انفجار شرارة نار الحرب ضد الجزائر سنة ١٨٣٠م لم يكن هكذا فلتة عن مجرد حركة المنشئة المصطنعة المزعومة ...!

والحق اننا قد عرفنا اتجاه همة فرانسالى اخضاع المغرب الاسلامى منذ ايام الصليبيات وحملة الملك لويس التاسع عشر على تونس التى انتهت هنالك بموته وهزيمة جيشه سنة ١٢٦٩هـ - ١٢٧٠م .



ولاية احمد عراب

تولى الحكم بالجزائر فى شهر ذى الحجة ٩٧٩هـ (افريل ١٥٧٢م) واشتهر فى مدة ولايته كلها بالاجتهاد فى نشر الامن وتطمين السابلة وتنظيم الادارة ، ومن اشهر مواقفه قضاؤه على ثورة اهالي قسنطينة ومشاركته فى الدفاع عن تونس ومناصرة اميرها العاج على ضد الاسبان فى جمادى الثانية ٩٨١هـ (سبتمبر ١٥٧٤م) ويومئذ نزع الاسبان عن تونس وانجلدوا عنها نهائيا وتمحض الحكم بها للاتراك وفى نفس التاريخ استولى بعض القرصان الجزائريين على سفن فرنسية كانت تتجول بمياه الجزائر ، فاحتجت دولة فرانسالى هذا الصنيع لدى الباب العالي ، وذلك بناء على ما كان امضاه السلطان من المعاهدة التى تنص على عدم المباغطات البحرية ، وجاء حينئذ امر الباب العالي الى الجزائر برده ما استحوذ عليه القرصان من المراكب الفرنسية وحاول احمد عراب استخلاص السفن من يد القرصان فلم ينجح ، ثم عزل من ولايته .

ولاية القائد رمضان

ولى رئاسة حكومة الجزائر سنة ٩٨١ هـ - ١٥٧٤ م ، ولم يكن لتاريخ ايامه بالجزائر شأن كبير يذكر به سوى مشاركته في تأييد العاج علي لعبد الملك بن الشيخ واخيه احمد الاميرين السعديين على انتزاع الملك من اخيهما الغالب بالله ، فغزا الاثراك فاسا سنة ٩٨٣ هـ - ١٥٧٥ م وحققوا لعبد الملك منيته ثم عادوا من مراكش بمبلغ عظيم من الهدايا المغدقة عليهم .

وفي اواخر ايام حكومة القائد رمضان بعث الفرنسيون بقنصلهم الى الجزائر فردده البيلرباي ورفض قبوله ما لم يؤد إتاوة ، ولم يتمكن السفير الفرنسى من النزول بالعاصمة الا بعد ان جاء الالزام الحتمى من طرف الباب العالي ؛ ثم لم تطل ايام الوالي هذا فنقل من الجزائر الى ولاية تونس سنة ٩٨٥ هـ - ١٥٧٧ م .



ولاية حسن فنزيانو

جلس على سرير الحكم بالجزائر في شهر ربيع الثاني سنة ٩٨٥ هـ (جوان ١٥٧٧ م) واصله من ايطاليا ؛ نشأ محترفا مهنة الكتابة بمدينة البندقية Venise ولذلك دعى بفنزيانو ، اسره درغوث باشا فباعه لعلي ؛ وأسلم وكان ينسب اليه فيقال له ابن القبطان علي .

اشتهر حسن بشدة الشكيمة والنشاط والحزم ومضاء العزيمة ، هاجم الاسبان في عقر دارهم مرارا فاقلق راحتهم في عدة مرات ؛ ومن بينها حركته الهجومية ضدهم سنة ٩٨٦ هـ - ١٥٧٨ م . وكانت له عناية واجتهاد في تحصين مدينتي الجزائر على الخصوص بجعلها في مناعة ووقاية من هجمات العدو ، وفي هذه السنة انتضمت مملكة مراكش ضمن دائرة نفوذ الدولة العثمانية ، وصار شمال افريقية باجمعه تابعا لها تماما او خاضعا لنفوذها على الاقل .

والامير فنزيانو هذا هو اول من عقد معاهدة تجارية بين دولة الجزائر وانكلتيرا ، وذلك سنة ٩٨٧ هـ - ١٥٧٩ م ، وبعد ان قضى نحو مدة ثلاث سنوات من ولايته بالجزائر دعي الى استانبول فسافر اليها سنة ٩٨٨ هـ - ١٥٨٠ م .

□

ولاية جعفر باشا

يقال ان اصله من اسرى المجر ، وانه بعد ان ظهرت كفاءته ومقدرته الحربية للباب العالي ولته الحكومة العثمانية باداراتها فباشر هنالك بالمشرق عدة وظائف ومناصب عسكرية واخيرا عينته السلطة العليا باستانبول حاكما عاما بالجزائر في رجب سنة ٩٨٨ هـ (اوط ١٥٨٠ م)

وان ابرز عمل قام به هذا الوالي الجديد في ولايته الجديدة ، هو صرف عنايته وبذل مجهوداته في ادخال بعض الاصلاحات والتحسينات في الادارة العسكرية بالجزائر ، ومنها انشاؤه لقلعة الكيفان الموجودة بناحية حصن الماء Fort de l'Eau شرقي العاصمة ، اسسها سنة (٩٨٩ هـ - ١٥٨١ م) وفي هذه السنة اتصلت العلاقات بين السلطان مراد الثالث وبين حكومة فرنسا .

ويذكر مؤرخوا الافرنج ان في صدر ولاية هذا الباشا كان تعيين اول قنصل فرنسي بالجزائر ، وهو م . بيونو : كما ان الفضل في توحيد الوجهة السياسية لبلاد المغرب الاسلامي وضمه الى الامبراطورية العثمانية يرجع الى هذا الوالي نفسه مع رفيقه في العمل عليج علي .

وبينما الرجال يعملان بمراكش على تحقيق خطة هذه الوحدة السياسية اذ فوجئا بأمر الباب العالي يامرهما بالتخلي عن العمل بالمغرب والانتقال الى الحجاز لاختاد ثورة نشأت هناك ، فتخلياعن عملهما هذا سنة ٩٩٠ هـ - ١٥٨٢ م (١)

(١) في اليوم الخامس من شهر اكتوبر من هذه السنة الميلادية ١٥٨٢ م كان ابتداء تطبيق الحساب بالتقويم الغريغوري المعتبر اليوم في ضبط التاريخ المسيحي وهو المتعارف عند الفلكيين بالزيج الجديد والجاري به العمل عند اغلب الامم وفي معظم بلدان العالم الان

وذهبا الى المشرق

وبومئذ تولى قيادة الجزائر للمرة الثانية القائد رمضان فيحاول من اول مرة الزام قرصان الجزائر بررد المركبين الفرنسيين الذين استولى القرصان عليهما منذ سنة ٩٨١ هـ ١٥٧٣ م فلم ينجح في ذلك بل احدث صنيعة هذا ضجة وثورة عنيفة ضده فاضطر الى التخلي عن منصبه وذهب الى طرابلس حيث اغتيل هناك وتولى مكانه في هذه الفترة بالجزائر مامي الارناؤوط مؤسر المركب الذي كان يحمل الكاتب الاسباني الكبير ميكال سيرفانطيس في سنة (٩٨٨ هـ ١٥٨٠ م)

□

ولاية حسن فنزيانو (ثانيا)

ثم بعد انتقال القائد رمضان الى طرابلس اتخذ القوم المسمى يونس ريشما حضر من غزواته البحرية الرئيس حسن فنزيانو الذي بادر الى عودته للجزائر حينما بلغه انتشار الفوضى واضطراب الجند لحادثة المركبين الفرنسيين فنصب نفسه على عرش الجزائر للمرة الثانية وفرض طاعته على الرعية وذلك في شهر ربيع الثاني سنة ٩٩١ هـ (أفريل ١٥٨٣ م) ولم يعارض الباب العالي في توليته هذه ذلك لما كان له من الفضل في حسم الخلاف واطفاء لهيب نار الفتن واستتباب الامن بالجزائر

ولقد باشر الوالى دفعة تسيير الادارة الجزائرية هذه المرة بما عهد منه من النشاط والحزم ، فانه لم يترك قط قيادة الاسطول الجزائرى لغيره ولم يكن ليثق في المهمات بغيره ابدا، وكثرت في ايامه المغانم بما كانت تجلبه السفن والمراكب الجزائرية من سواحل اسبانيا والجزر الشرقية وصقلية وسردانية من النفائس وبما كان يستولى عليه هو بنفسه من الاسرى وخيرات البلاد في غزواته وزحوفه على الاعداء

ومن أشهر غاراته وأهمها حملته العنيفة على ثغر بلنسية (٩٩٢ هـ ١٥٨٤ م) حيث أبحر بأسطوله إلى هنالك وحمل من الموريسكيين (١) ألفى وثلاثمائة نسمة جاء بها إلى الجزائر فانقذها من اضطهاد الأسبان وفي السنة التالية استطاعت سفنه المغيرة أيضا أن تحمل إلى الجزائر جميع سكان كالوسا. ولقد بلغت غارات المسلمين البحرية التي وقعت على الشواطئ الأسبانية ما بين سنتي ٩٣٣ و ٩٩٢ هـ (١٥٢٨ - ١٥٨٤ م) ثلاثا وثلاثين غزوة ما عدا الغارات المحلية التي كانت تقوم بها سفن صغيرة لحمل جماعات من العرب المنتصرين المهاجرين.

وبقى حسن فنزيانو على رأس الحكومة الجزائرية إلى أن استدعاه السلطان إلى استانبول ليتولى منصب إمارة البحر في مكان عالج على المتوفى سنة ٩٩٥ هـ (١٥٨٧ م) عن ثمانين سنة؛ فانتقل الحاكم فنزيانو إلى استانبول في شعبان سنة ٩٩٣ هـ «أوط ١٥٨٥» وترك من آثاره بالعاصمة حصن باب عزون أنشأه حوالي سنة ٩٨٩ - ٩٩٣ هـ «١٥٨١ - ١٥٨٤ م» وتولى مكانه مؤقتا محمد مامي عتيق المعروف بقارج علي، وبانتقال حسن فنزيانو انتهى دور حكومة البيلرباي وهو الدور الثاني من عصر الأتراك بالجزائر.

(١) أصلها Moriscos وهي تصغير لكلمة Moors الأسبانية ومعناها المسلمون أو العرب الأصغر المنتصرون رمزا إلى ما انتهت إليه الأمة الاندلسية من السقوط والانحلال. انظر نهاية الاندلس لمحمد عبد الله عذان ط القاهرة ١٩٤٩ م

بیلر بايات الجزائر

تاريخ التولية

١٥٤٤ هـ - ١٥٥٠ هـ	بیلر باي	حسن باشا بن خير الدين
١٥٥١ هـ - ١٥٥٨ هـ	»	حسن آغا - موقتا -
١٥٥٢ هـ - ١٥٥٩ هـ	»	صالح رايس
١٥٥٦ هـ - ١٥٦٣ هـ	»	حسن قورصو
١٥٥٧ هـ - ١٥٦٤ هـ	»	حسن باشا بن خير الدين (ثانيا)
١٥٦٢ هـ - ١٥٦٩ هـ	»	احمد باشا بستانجي
»	»	القائد يحيى - موقتا -
»	»	حسن باشا بن خير الدين (ثالثا) بیلر باي
١٥٦٧ هـ - ١٥٧٤ هـ	»	محمد بن صالح رايس
١٥٦٨ هـ - ١٥٧٦ هـ	»	عليج علي
١٥٧٢ هـ - ١٥٧٩ هـ	»	احمد عراب
١٥٧٤ هـ - ١٥٨١ هـ	»	القائد رمضان
١٥٧٧ هـ - ١٥٨٥ هـ	»	حسن فنزيانو
١٥٨٠ هـ - ١٥٨٨ هـ	»	جعفر باشا
١٥٨٢ هـ - ١٥٩٠ هـ	»	القائد رمضان - موقتا -
»	»	مامي الارناؤوط
١٥٨٣ هـ - ١٥٩١ هـ	»	حسن فنزيانو (ثانيا)
١٥٨٥ هـ - ١٥٩٣ هـ	»	محمد مامي عتيق - موقتا -

سلطان آل عثمان

تاريخ التولية

١٥٢٠م - ٩٢٦هـ

١٥٦٦م - ٩٧٤هـ

١٥٧٤م - ٩٨٢هـ

السلطان الغازي سليمان خان

السلطان الغازي سليم خان - الثاني -

السلطان الغازي مراد خان - الثالث -

مشاهير الجزائريين

عمر بن الكمام

٩٦٠ هـ - ١٥٥٣ م

هو العالم المحقق الشيخ ابو حفص عمر بن محمد الكمام الانصارى القسنطينى المعروف بالوزان اشتهر رحمه الله بتحرير المسائل والتحقيق في دروسه عند الالتقاء وكان جامعا مشاركا في العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ذكره صاحب نيل الابتهاج نقلا عن فهرست المنجور فائى عليه وقال : انه كان من عباد الله الصالحين ، رحل اليه الشيخ ابو زكرياء يحيى بن عمر الزواوى وسمعه يقرر الفقه بنقل اللخمى وغيره ويقرئ الفنون فكان اذا ذكره يعجب به ويعجب ويرجحه على كل علماء عصره وسأله عن مسائل كثيرة في الفقه والكلام فاجابه الشيخ عنها بتأليف خاص

وكان فيمن اخذ عنه جماعة منها اليسيتى ، وعبد الكريم الفكون ، وابو الطيب البسكرى ويحيى بن سليمان ،

ولقد عرض عليه حاكم الجزائر حسن آغا خطة القضاء فاعتذر اليه برسالة طويلة فأعفاه. وله من المؤلفات كتاب «البضاعة المزجاة» كتبه على اسلوب طوالم البيضاء ومواقف العصد، وهو في غاية التحقيق والايضاح، وله تعليق على قول خليل «وخصصت نية الخالف» وشرح لصغرى السنوسى وتأليف في الرد على المرابط عرفة القيروانى وصحبه قال في نيل الابتهاج : واخبرني بعض اصحابنا ان وفاته رحمه الله كانت سنة ٩٦٠ هـ «١٥٥٣ م» ، وذكر غيره ان وفاة ابن الكمام كانت يوم ٢١ شعبان ٩٦٥ هـ ٨ جوان ١٥٥٨ م ودفن بمدرسة صهرة الشيخ ابن افونس على يمين البناهب الى باب الوادى من مدينة قسنطينة، ولا وجود اليوم لهذه المدرسة حيث حطمت بعد الاحتلال

محمد الخروبي

٩٦٣ هـ - ١٥٥٦ م

هو الامام المتضلع ابو عبد الله محمد بن علي الخروبي صدر علماء الجزائر في الدور الثاني من العهد التركي ، اصله من طرابلس الغرب كان رحمه الله متمكنا من علوم الشريعة والتصوف متبحرا في معرفة احوال الدول والممالك ذا دراية واسعة بسياسة الملوك وخبرة تامة بشؤون الحكومات عالما اديبا بليغ القلم واللسان خطيبا مصقعا ، شجاعا هماما شديد النكير على اهل البدع والضلالات لا تأخذه في الله لومة لائم ، ذاجلا ووجهة عظيمة عند الملوك والسلاطين اوفدته حكومة الجزائر مرتين الى المغرب الاقصى لتسوية قضية الحدود السياسية بين المملكتين الاولى سنة ٩٥٩ هـ والثانية سنة ٩٦١ هـ «١٥٥٢-١٥٥٤م» فاقبلت بحكومة مراكش بما يليق بجلال فضله واكرمت وفادته وجرت له هنالك مع علماء المغرب مساجلات ومناظرات واستجازه بعضهم فأجازه بسنده وكان رحمه الله ذا ولوع خاص بجمع الكتب النفيسة حتى اصبحت مكتبته العامة مضراب الامثال بين العلماء وله من التأليف تفسير القرآن الكريم وشرح الحكم العطائية ورسالة في الرد على ابن عمر القسطلي وغير ذلك توفي بعاصمة الجزائر سنة ٩٦٣ هـ «١٥٥٦م» ودفن خارج سور المدينة وقبره الآن مجهول.

على بن يحيى الجاديري

٥٩٧٢ هـ - ١٥٦٥ م

هو العلامة الفقيه الخطيب أبو الحسن علي بن يحيى السلكسيني الجاديري التلمساني كان رحمه الله اماما محققا ذا دراية فائقة في علوم الحساب والفرائض وعلم الكلام والفقه وفن الرسم وضبط القرآن وتفسيره : اخذ عن جماعة منهم الشيخ احمد بن ملوكمة الندرومي وشقرون بن ابي جمعة ومحمد بن موسى الوجدجي والشيخ عيسى الخ....

كان رحمه الله متبلا خاشعا يضل نهاره صائما منقطعا لنشر العلم وتدريسه بجامع اجادير في تلمسان حيث كان اماما خطيبا به فكان لا يفتر عن الدرس ابدا فهو في الصباح يقرئ في المسجد المذكور الى الضحى الا على ثم يخرج من المسجد راكبا دابته الى حقله بوادي الصفصيف فيرافقونه الطلبة الى الحقل وهم في طريقهم ذلك يستفيدون منه ما يملئهم عليهم من مسائل العلم والحكمة ثم اذا وصل الى الحقل نزل عن دابته وافرغ السرحين بنفسه ونزع البردعة عن دابته ويربطها بيده ولا يترك ذلك لاحد ابدا ثم ياخذ الفاس ويباشر اعمال الفلاحة والزراعة وهو مع ذلك مشغول بتقرير مسائل العلم للطلبة وشرح ما يقرأه عليه القاري من المتون وهكذا دأبه دائما وابدا فسادا عاد من حقله فكذلك يصنع وهو يمشي معهم راكبا او راجلا قائما او قاعدا فلا يفتر عن الدرس اصلا واذا حضر وقت الصلاة قام الى الاذان وفي طريقه اليه يذهب معه القاري ويطلع معه في الصومعة فيقرئه في طريقه ذهابا وايابا ويؤذن الشيخ بنفسه ليخرج من الخلاف في اجرة الامام

تخرج عنه جماعة منهم ولدة عاشور، ومحمد الادغم، واحمد ابركان الزكوطي وعلي العطافي، واحمد بن الحاج البيدري؛ واحمد اعراب بن سهلة الراشدي،

ومحمد بن العباس العبادي، وموسى بن ابي عمران، ومحمد بن جوهرة الوجدى وسعيد المقرئ، وعبد الرحمن بن موسى، في آخرين.

توفي رحمه الله في اليوم الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ٩٧٢هـ

(٢٢ فيفري ١٥٦٥م)

مصطفى باش تارزى

٩٨٠هـ - ١٥٧٢م

هو العالم الفقيه الشيخ مصطفى بن العارف بالله سيدى عبد الرحمن باش تارزى القسطنطينى، كان رحمه الله اعجب بمة زمانه فى الفقه والحفظ والورع والتدين وحيدا فى معرفة الفلك شاعرا مجيدا ولى فتوى الحنفية بقسطنطينة ثم القضاء ثم الخطابة بجامع سوق الغزل ثم بجامع القصبة ثم بسيدى الكتاني لما تأليف نفسه منها تحرير المقال فى جواز الانتقال ورسالة فى وقف الحنفية. وشرح منظومة الشيخ عبد الرحمن فى الحساب مقتصرافيا على العمل دون تعرض لشرح كلام المتن، توفي رحمه الله سنة ٩٨٠هـ [١٥٧٢م] ترجم له بلديه الشيخ عبد الكريم الفكون فى كتابه منشور الهداية فى كشف حال من ادعى العلم والولاية وخلاصة ترجمته هو ما قدمناه .

جدول تاريخي

٩٥٠ - ٩٩٥ هـ

١٥٤٤ - ١٥٨٧ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٤٤ هـ ٩٥٠	ولاية حسن باشا بن خير الدين ييارباي على الجزائر
١٥٤٥ هـ ٩٥٢	غزو تلمسان والقضاء على السلطان مولاي احمد وحاميته من الاسبان
١٥٤٨ هـ ٩٥٥	احداث بايلك - مقاطعة - تيطرى وتولية اول البايات بها
١٥٥٠ هـ ٩٥٧	استيلاء دولة السعديين على تلمسان واحوازها ؛ وانشاء مدينة القليعة بالساحل الجزائري - غربا -
١٥٥٤ هـ ٩٦١	غزو الاتراك لمدينة فاس وتولية ابي حسون الوطاسي عليها
	والحاق تلمسان بالجزائر
١٥٥٥ هـ ٩٦٢	تمكن الاتراك من الاستيلاء على اهم مدن عمالة قسنطينة وبجاية
١٥٥٦ هـ ٩٦٣	استيلاء الدولة السعدية على تلمسان ثانيا وانتشار الوباء بالجزائر
١٥٥٧ هـ ٩٦٤	انتصار حسن بن خير الدين على السعديين وايقاعه بالاسبان في وقعة مازجران
١٥٥٩ هـ ٩٦٦	غزو حسن باشا لنواحي قلعة بنى عباس والمسيلت
١٥٦١ هـ ٩٦٨	تملك احمد امقصران على نواحي جبل كوكو من بلاد القبائل
١٥٦١ هـ ٩٦٨	ظهور شركة لانش Lenche الفرنسية لتأسيس مراکز صيد المرجان بالسواحل الجزائرية
١٥٦٢ هـ ٩٦٩	تقسيم القطر الجزائري الى اربع مقاطعات
١٥٦٧ هـ ٩٧٥	انهزام جان جاسكون الاسباني عن مدينة الجزائر وخيسته

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٦٨ هـ ١٥٧٦ م	مزا حمة الانكليز لشركة صيد المرجان الفرنسية بالساحل الجزائري
١٥٦٩ هـ ١٥٧٧ م	مفاوضة فرانساهللحكومة الجزائرية حول فتح قنصلية لها بالجزائر وامتلاك تونس
١٥٧٥ هـ ١٥٨٣ م	سير الحامية التركية الى حماية عبد الملك بن الشيخ بفاس
١٥٧٨ هـ ١٥٨٦ م	انضمام مملكة مراكش الى الامبراطورية العثمانية
١٥٧٩ هـ ١٥٨٧ م	اول تعاقد تجارى وقع بين حكومة الجزائر والانكليز
١٥٨٠ هـ ١٥٨٨ م	تعيين اول قنصل فرانسى بالجزائر
١٥٨٤ هـ ١٥٩٢ م	مجيء الجالية الاندلسية المهاجرة من بلنسية والوسالى الجزائر

«ج» عصر الباشاوات

٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ

١٥٨٧ - ١٦٥٦ م

وقع في هذه السنة تغيير في سياسة الدولة العثمانية نحو ولاية الجزائر فاقتضى لذلك حذف لقب البيلرباي الذي كان يحمله حاكم الجزائر وصار يلقب بالباشا (١) وحددت مدة ولايته بثلاث سنوات وشاركه في نفوذه الوجاق ، او قوة الجيش مع الديوان، وكان اول باشاوات الجزائر دالي احمد باشا

ولاية دالي احمد باشا

تولى سنة ٩٩٥ هـ - ١٥٨٧ م ولا نكاد نعلم عن تاريخ ايام حكمه شيئا سوى انه ذهب على رأس بعثة عسكرية الى طرابلس الغرب لاختصاص شوكتة الثائرين هناك فكان فيها حقيقا وذلك بعد سنتين من ولايته ٩٩٨ هـ - ١٥٨٩ م



ولاية خضر باشا

استلم منصب باشا الجزائر في شهر شوال ٩٩٧ هـ اوط ١٥٨٩ م ، وكان من كبار رجال القرصنة الجزائرية؛ نشاطا في سائر حركاته وغزواته البحرية عاملا على تنشيط غيرها في ذلك، ولم يؤثر عنه - فيما علمناه - كبير عمل في ولايته هذه المرة سوى غزوة لاعمال حجة الخاضعة لاحمد امقران فقضى على الثائرين هناك واحتل المدينة سنة ٩٩٨ هـ - ١٥٩٠ م ثم اندفع بامر السلطان العثماني لغزو اسطول مرسيليا المتحدر على ملكك فرانسوا حليف تركية اذ ذاك

(١) اصل هذه الكلمة جزء من باش آغا ومعناها رئيس الرؤساء ويطلق على ارباب الاقلام والسيف في مراتب معينة من نظام الجندية ثم توسعوا فيه بعد ذلك وصار يمنح كلقب شرقي للمدنيين

وفي نفس السنة هذه تحركت زوبعة بحرية هوجاء فتتخطم لهبوبها اسطول الجزائر الراسى بشعر العاصمة ؛
واحيط الباشا بتهم سياسية لاندرى مكانها من الصحة فقتضت على سمعته لدى الباب العالى فاستدعاه السلطان الى استانبول فحمل اليها مكبلا في الاغلال سنة ١٥٩٩ هـ - ١٥٩١ م



ولاية الحاج شعبان باشا

هو شعبان بن يحيى تأمر على الجزائر في ذى القعدة سنة ١٥٩٩ هـ - اوط ١٥٩١ م، وفي ايامه اشتد لهيب الثورة ببلاد زواوة فانتشر اوارها غربا وجنوبا الى ان كاد يتصل بقاعدة ولاية تيطرى، واجتهد الباشا في اخادها فلم يحصل على طائل،
وفي ايامه تعين القنصل الفرنسى دوفياس بالعاصمة ثم جاء دور الانكليزي بعده



ولاية مصطفى باشا

هو مصطفى بن قية باشا تولى الحكم بالجزائر في شهر ربيع الاول سنة ١٠٠٣ هـ - نوفمبر ١٥٩٤ م حاول اطفاء هيجان الثورة القبائلية التى نشبت على عهد سلفه شعبان باشا فلم ينجح بل انتشر لهيبها واندلع لسانها الى متيجة غربا وما وسعه في ذلك سوى اقامة حصن بسورالغزلان (١) لمقاومة من هنالك من العصاة وقمع الحركة الثورية بتلك النواحي ويومئذ دعى الى استانبول فغادر الجزائر ثم اعيد اليها فتحكم بها ثلاثة اشهر ثم تخلى عنها

[١] اصل الكلمة هذه لاتينية وينطق بها هكذا «اورزا» ثم حرفت الى ما هي عليه الآن

ولاية خضر باشا (ثانيا)

تولى على رأس الحكومة الجزائرية للمرة الثانية في ذي الحجة سنة ١٠٠٣ هـ اوط ١٥٩٥م وكانت ايامه كلها فتن وثرات وكثر حوله الاضداد والخصوم ؛ فجمع اليه الباشا الكراغلة والاعراب ويومئذ نشأ التنافس بين هؤلاء والأتراك واشتد هيجان الشعب واضطرابه وتصدى الباشا لمقاومة المنشقين والمتمردين وكثر الشعب فعزل الباشا خضر من سنته وحيء بسالفه مصطفى فمكث اياما قليلة ثم انعزل

L

ولاية دالى حسن باشا

تولى باشوية الجزائر سنة ١٠٠٧ هـ - ١٥٩٩م وكان يكنى ابا ريشة وذكر بعضهم ان المتولى يومئذ على عرش الجزائر هو مصطفى جاقرجى باشى ثم جاء بعده ابو رشيد ؟ ... والصحيح هو ما ذكرناه بدليل ما اورده صاحب البستان فى ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن موسى التلمسانى المتوفى سنة ١٠١١ هـ حيث قال : وهذه الايات الآتية نظمها - المترجم - عند هدم الباشا حسن حصن المرسى الاعلى - بوهران - وهروب النصارى دمرهم الله للحصن الاسفل وهى هذه :

هنيئا لك باشا الجزائر والغرب	بفتح اساس الكفر مرسى قرى الكلب
ستفتح وهرانا ومرساتها التي	اضرت بدا الاقليم طرا بلا ريب
فتق بالاله واستعن به واصبرن	ينليك المراد يا اميري ومطلبى
وقد وعد الرحمن جل جلاله	مع العسريسر قد اتى ذاك في الكتب

وبعد ان اتى على القصيدة برمتها قال : وكان دخول المسلمين هذا الحصن ليلة السبت خمسة عشر من رمضان عام ١٠٠٧ هـ (١٣ افريل ١٥٩٩م) وذلك هو نفس تاريخ ولاية دالى حسن باشا على الجزائر

طموح الغرب نحو المغرب العربي

جاء في مشروع م لوتسيو الايطالى الذى حرره او قرره على رأس القرن السادس عشر الميلادى ان ملك الاسبان يمكنه ان يصلى الحرب فى افريقية ويطرد الترك منها ، وله الحق فى الاستيلاء عليها ، وانى يجب على البابا ان يجهز الاساطيل لمحاربة الترك فى البحر . ولا ادري والله من اين اكتسب الكاتب هذه السطوة او السلطة التى اوحى اليه باصدار امره الى الملوك والباباوات بالغزو وشن الغارات والحروب ضد المسلمين ؟ ولا كيف اعطى لهم الحق فى ذلك ؟... اللهم الا ان يقال ان ذلك عن تعصب وحمية فيحتمل !....



ولاية سليمان باشا

هو سليمان بن قاطانيا ويعرف بالعديج ، تولى على الجزائر سنة ١٠٠٩ هـ ١٦٠١م وظهر الاحداث فى دولته هو ذلك الانقلاب العسكرى الناشئ عن طغيان جيش الانكشارية ومحاولتهم الاستبداد بتعيين رئيس الحكومة الجزائرية من بينهم فاصبحت عندئذ سطوة السلطان العثمانى ضئيلة جدا بهذه الديار ، وذلك ما يشبه عصر الفوضى فى التاريخ الرومانى (١٩٢ - ٢٧٠م) حيث تدخل الجند فى اسناد الامبراطورية الرومانية لمن وافق هواه ، والتاريخ يعيد نفسه.

ومما كان فى ايام هذا الباشا اخفاق الاسبان فى حملتهم على الجزائر (١٠٠٩ هـ ١٦٠١م) وهم فى سبعين سفينة وعشرة آلاف جندى . أو ما وقع كذلك من تكرار المحاربة بين احمد امقران سيد مجانة وجيوش الباشا بنواحي حمزة والساحل الجزائرى وفيها كانت وفاة احمد امقران بجمعة الصهريج من بلاد زاوة فخلفه ولده ناصر

ولقد حدث خلال السنتين التاليتين من تاريخ ولاية الباشا سليمان زلازال وطواعين اعقبها جفاف ومسغبة شديدة وابلغ ما كان ذلك فى اعمال قسنطينة

ولاية خضر باشا (ثالثا)

عاد الخضر لمنصبه هذا بالجزائر للمرة الثالثة سنة ١٠١١هـ - ١٦٠٣م ويؤرخه الافرنج بشهر ماي عام ١٦٠٤م واستعمل الشدة والقسوة في معاملته للبيعة ، وكانت بينه وبين الحكومة الفرنسية عداوة منشأها تخلف فرانسوا عن دفع ماترتب بذمتها من الاتاوة والواجبات في مقابلة مراكزها التجارية بالسواحل الجزائرية وما ارتكبه كذلك من المخالفة لنصوص المعاهدة السابقة الذكر، فاضلم الجو بينهما وحدثت عن ذلك مشاكل واحداث سياسية فعمد الباشا الى تحطيم المركز الفرنسي بالقالة والقاء القبض على القنصل الفرنسي المتصرف هناك ولم يكن يسمح الباشا بالعفو عنه الا بعد قبضه لضمان مالي جسيم.

ويومئذ سعت فرانسوا في اخذ تعويضات عن ذلك من طرف الباب العالي باستانبول، واتصل الباشا بالمبلغ فصرفه الى القرصنة، فعزله السلطان من ستمه وبعث مكانه محمد قوصة - او كوسة - باشا



ولاية محمد قوصة باشا

كانت ولايته سنة ١٠١١هـ - ١٦٠٣م واول ما قام به من الاعمال هو ان قبض على سلافه الباشا خضر فقتله خنقا (١) وصادر جميع امواله وممتلكاته وابرم مع الحكومة الفرنسية معاهدة يتلخص مضمونها في هذه البنود الاربعة :

البند الاول : تأمين المراكب الفرنسية من القرصنة الجزائريين في كامل البحر الابيض المتوسط

البند الثاني : تحمل الحكومة الجزائرية لضمان ما عسى ان يقع لهذه المراكب من العطب والخسائر من قبل القرصنة

«١» لا يزال قبره ظاهرا معروفا بمقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة

البند الثالث : عتق جميع الاسرى الفرنسيين

البند الرابع : اقامة مركز القالة واعادته من جديد

ولكن هذه المعاهدة لم يرض عنها الديوان فحدث لذلك ضجة في الاوساط الجزائرية المسؤولة وامتنع اعضاء الحكومة وابرز الشخصيات الحاكمة من المصادقة عليها وهدد الباشا بالقتل وبأن ذلك آذان السلطان بالاستانة فأوفد من طرفه مآذونا لحماية الباشا وتنجز المعاهدة فاصر الديوان على الرضى ولم يلبث الباشا ان توفي ولم يبلغنا عن تاريخ هذا الباشا بالجزائر سوى ما قدمناه او ما كان من رده لغارة الاسبان عن مدينة زفون بالساحل



ولاية قوصة مصطفى القابجى

تولى باشوية الجزائر في شهر ذى الحجة سنة ١٠١٣ هـ - افريل ١٦٠٥ م وسعى بكل مجهوداته في تطبيق نص المعاهدة السالفة الذكر فعارضه الديوان بسبب مظهره على حكومة فرانس يومئذ من التهاون بالشروط التى هى في مصالح الجزائر واخيرا رضخ الديوان لراى الباشا الجديد امثالاً لامر السلطان وقبل تنفيذ المعاهدة وتطبيقها على ان يكون الاعتراف بها ودخولها في حيز التنفيذ بعد ان لايبقى من اسرى المسلمين الذين هم بمرسيليا تحت تصرف الفرنسيين احد فكان ما اراد

وحدث في السنة التالية من ولاية القابجى هذا (١٠١٤ هـ ١٦٠٦ م) (١)

«١» ان من اعظم احداث هذا العصر وارهاساته المتقدمة بين يدى تقيقر آل عثمان ان انعقدت في هذه السنة بين الدولة العثمانية والنمسا معاهدة ثوروك «Sitvolorok» فنزلت تركية بحسبها عن قبض الجزية او الاتاوة السنوية التى كانت تدفعها لها النمسا ، وهى ثلاثون الف دوكة واكتفت بقبض مائتى الف ريال غرامه حربيه وكان من خصائص هذه المعاهدة ان الدول المسيحية امكنها ان تناقش الدوله العثمانية في كيفيه تحرير الصكوك والمعاهدات وقبل ذلك كانت الدوله تملئ مثل هذه المعاهدات باللغة التركية وتبلغها اعداءها وكان عليهم ان لايرجعوا فيها

ان حارب الاسبان اهالي عمالة وهران فاستنجد هؤلاء بباشا الجزائر فانجدهم بالحامية فاحققت وضاع من الجيش نحو الثلاثة ارباع، ولكن الباشا نجح في اخضاع من هناك من الثوار، ويذكر ان عاقبته كانت في السجن بسبب تصلبه في تنجيز المعاهدة مع فرانسأ وفي السنة هذه ظهر الوباء بالعاصمة



ولاية رضوان باشا

كنيته ابو نعيم رضوان بن عبد الله وهو من مماليك رمضان باشا، تقلد منصبه هذا بالجزائر في شهر صفر سنة ١٠١٦هـ - ماي ١٦٠٧م واشهر الاحداث في ايامه غزوة الطوسكان (١) وحملتهم على مدينة بوننة انتقاما لما قام به الاتراك من قبل في ليفورنيا فنزلوا بميناء عنابة فنهبوها وسلبوا ارزاقها واحتلوا المدينة ايضا فغنموا ما بها من مغنم كثيرة ثم ادبروا عنها، وفي هذه الواقعة كان استشهاد والي قسنطينة محمد بن فرحات الذي جاء منجدا كما انه حدث في ايام هذا الباشا وحشة بين الحكومة الجزائرية وفرنسا بسبب مدفعين من الفولاد كانا تحت القرصان المفلنكي المدعو سيمون دانزير يعمل بهما لفائدة الجزائر ففر بهما يوما الى فرنسا وقدمهما امامه هدية لاحد كبار ولاية فرنسا وهو الدوك دو كيز، فغضب لذلك ديوان الجزائر ورفع قضيته الى حكام فرنسا مطالباً باسترجاع المدفعين المذكورين، فأهملت القضية ورفض النصارى الاصغاء الى هذه الدعوى ويومئذ اعلنت حكومة الجزائر قطع العلائق بينها وبين فرنسا والغت معاهدة احترام مراكبها في البحار وشرعت حينئذ في شن غاراتها ضد السواحل الفرنسية فظفرت منها بغنائم اربت على نحو مليون ليرة وتأثرت فرنسا من الجزائر بتنظيم غزاة شنتها على ميناء مدينة برشك -- بين شرشال وتنس -- فحطمتها ثم ذهبت شرقا الى شواطئ جيجل وهنالك

قدفتها المدافع الجزائرية بقنايلها فانسحبت الحملة الفرنسية الى ليفورنيا

ولاية قوصة مصطفى « ثانيا »

عاد هذا الباشا الى منصبه للمرة الثانية بظهير من الدولة العالمة مؤرخ في جمادى الثانية سنة ١٠١٩ هـ - اوط ١٦١٠ م، وفي ايامه هذه اشتهرت البحرية الجزائرية بشدة الشكامة وقوة الباس، فجاء يومئذ الانكليز ومعهم الهولنديون والاسبان فغزا الجميع تونس ثم عرجوا على السواحل الجزائرية قدمروا منها نواحي جيجل وخربوها

ثم بعد سنة من ولاية هذا الباشا ظهر الوباء بالجزائر ففتك بعدد وافر من الانفس، وفيها كان تأسيس المسجد الجامع بمدينة القليعة الساحلية (١٠٢٠ هـ ١٦١١ م) ثم اننا لا نعلم بعد هذا من مهام حوادث هذا الباشا سوى وقوفه في وجه ثوار زواوة فأخضعهم ونشره الامن في البلاد واخيرا تخلى عن منصبه لابن اخيه مصطفى باشا فتولى مكانه يوم ٢٦ جمادى الثانية عام ١٠٢٠ هـ ٦ سبتمبر ١٦١١ م

ولاية حسين الشيخ باشا

كانت ولايته سنة ١٠٢٢ هـ - ١٦١٣ م وعلى عهده كان ذلك الخلاف المشهور بين حكومة تونس والجزائر في شان الحدود فكان هناك قتال بين الطرفين انتصر فيه الجزائريون ثم وقع الاتفاق من الجانبين على جعل نهر سراط هو الحد الفاصل للتخوم الجزائرية الشرقية

وبسعى هذا الباشا وقع عتق كثير من الاسرى المسلمين الذين هم بفرانسا، واطهرت الدولة الفرنسية يومئذ تقربا من الحكومة الجزائرية فاستجابت لعتق الاسرى ولم تشترط في مقابلة ذلك سوى تامين مراكبها

واحترام اهلها، ثم نقضت غزلها واخلفت وعودها فأبطلت المفاوضات وتعطل المشروع وجاء اسطول الدوك دو كيز فاتهب من الجزائر مائتي اسير وتخلي الباشا المذكور عن منصبه فتولى مكانه مصطفى خزناجي حسين سنة ١٠٢٥ هـ ١٦١٦ م ولكن لا يعلم عن سيرته شيء



ولاية سليمان قاطانيا باشا

الظاهر ان اصله من مدينة «قاطانيا» بصقلية وكان تعيينه لمنصبه هذا بالجزائر في اليوم الثاني من شهر رمضان المعظم سنة ١٠٢٦ هـ - ٣ سبتمبر ١٦١٧ م وفي ايامه تظاهرت الدولة الفرنسية بمظهر الصداقة للجزائر واخذت في مصانعة الباشا وجاءت بعق طائفة من الاسرى كتكفير لما سلف منها من المخالفات فصانعها الباشا بالمثل، والحرب خدعة ...!

حتى اذا اكتمل نزول الاسرى بمدينة الجزائر انبرى الاتراك حينئذ الى مهاجمة مركز القالة الفرنسي فهدموه انتقاما لما سبق من فرانس حتى لم يبقوا فيها حجرا على حجر واستعبدوا اهلها

وفي ايام سليمان هذا بلغت اساطيل الجزائر بقيادة مراد راييس الى جزيرة مادير بالمحيط الاطلسيكي بل والى شواطئ جزيرة ايزلاندة باعلى الشمال ثم كانت وفاة الباشا يوم الاربعاء ودفن يوم الخميس ١ جمادى الثانية سنة ١٠٢٧ هـ - فاتح جوان ١٦١٨ م



ولاية حسين الشيخ باشا (ثانيا)

اعيد اليه زمام الحكومة الجزائرية للمرة الثانية عصر يوم الاربعاء ٢٩ رمضان سنة ١٠٢٧ هـ ٢٠ سبتمبر ١٦١٧ م فاشتغل اولا باخماد نار الفتن والاضطرابات الداخلية واعادة الهدوء والدعة للبلاد، وبعد سنتين من ولايته كانت حادثة تحطيم الاسطول

الجزائرى المرباط بثغر العاصمة بسبب زوبعة بحرىة شدىة ذهبت ضحىتها المىنة وفى اوائل رمضان سنة ١٠٢٩ هـ - ٨ اوط ١٦٢٠ م ظهر فى المىدان السىاسى من سعى من تجار فرانس فى رأب الصدع ونشر الوئام بين الحكومتىن الجزائرىة والفرنسىة وعمل على استرجاع المدفعىن السالفى الذكر الى الجزائرىة مع من وجد هنالك فى بلاد الثغور الفرنسىة من اسرى المسلمين فانشرح لذلك صدر الباشا واخذ هو بدوره يعمل على تحرير اسرى الفرنسىىن واوفد سنان اغا مبعوثا مفوضا الى فرانسىا وكممثل لحكومة الجزائرى لدى البلاط الملكى هناك، وما كادت الاتفاقات تتم بين الطرفين حتى احاط بها الرىب والشك وداهمتها اشاعات وقلاقل زائفة مضمونها ان احد قرصان الجزائرى - رجب رابىس - قد استحوذ على سفىنة فرنسىة بخلىج مىنة لىون فحطمها وقتك باصحابها؟.

ورغم بطلان هذه الاشاعة المزورة فان الجوى الفرنسى تكهرب واظهر اهل مرسىلىا عداوتهم للجزائرىىن بتعطىم مفوضىة الدولة التركىة بمرسىلىا وتقتىل اهلها بما فىهم من السفىر سنان آغا نفسه، ولكن العدالمة الفرنسىة ساءها ذلك فلم تكن لترضى عن هذا الاعتداء الشنىع فحاكمت شرذمة ممن شاركوا فى هذه العملىة الاثىمة وساقط اربعة عشر منهم الى المشنقة، غير ان الجزائرىىن راعهم ما فعله اهل مرسىلىا بالمفوضىة التركىة وعظم علىهم موت ممثل حكومة الجزائرى هكذا غدرا لمجرد فرىة وبهتان فاعلنوا حرب القرصنة ضد المراكب الفرنسىة واطلقوا العنان للقرصان فى القاء القبض عليها انىما حلت وارتحلت واسر يومئذ جمىع الفرنسىىن الذىن وجدوا بالجزائرى.

وعادت العداوة جذعة وانقطعت العلائق بين الطرفين.

ثم اعتزل الباشا حسن الحىكم سنة ١٠٢٨ هـ - ١٦١٩ م وحل محله موقتا الباشا سلىمان وىقال ان المستخاف هو خسرف باشا تأمر يوم الاحد ٢٦ شعبان ١٠ اوط من هذه السنة؟ ... وكلاهما لانعلم عنه شىئا؟....

ولاية خضر باشا

قيل انه هو نفسه خضر باشا السالف الذكر وانه تولى الحكم بالجزائر اربع مرات ...؟ فان صح ذلك فيكون تاريخ موته غير ما ذكرناه سلفا ...؟

وايا ما كان فان الخضر هذا تولى عرش الجزائر سنة ١٠٢٩ هـ - ١٦٢٠ م فناهضته دولة فرانسا فقاومها وكسر شوكتها ، ثم اعادت عليه الكرة حتى تمكنت من رغبها باقامة وانشاء مركز تجاري لها بالقالة وانزلت به الحامية ، ولم يكن ليستقر به الفرنسيون حتى حمل عليه الاتراك فحطموه وقضوا على من كان به من الجند والحامية.

وفي صفر ١٠٣٠ هـ - ديسمبر ١٦٢٠ م جاء الاميرال الانكليزي «مانصيل» الى الجزائر يحمل امر ملكه جاك الاول الناطق بتخليص اسرى الانكليز وفدائهم فرفض الديوان قبوله ثم حاول الاميرال يومئذ التوصل الى غرضه بالمقاومة الحربية فلم ينجح

الغزاحم الهولاندي الانكليزي بالجزائر

لقد اثارت هذه المراكز التجارية التي يحتلها الفرنسيون بالساحل الشرقي من الشواطئ الجزائرية امتعاضا شديدا واضطرابا في صدور المنافسين الغربيين ، وخاصة منهم الهولانديين والانكليز واهل جنوة ، فهم كانوا من اسبق الناس ركضا بهذا الميدان كل ذلك طمعا وحرصا على احتكار تجارة الرقيق والمرجان واستئثارا بخيرات البلاد وتركيزا لسطوتهم القرصانية على ضفاف غربي هذا البحر ...

ففيما بين سنتي ١٠٢٩ - ١٠٣٣ هـ (١٦٢٠ - ١٦٢٤ م) حلت قافلة هولاندية بحرية بمياه الجزائر تشتمل على ست وحدات حربية واتصل اهلها بالديوان فاظهروا له رغبتهم في النزول بمراكز المرجان المنبثة بالشواطئ فلم يعرهم الديوان بالا ويومئذ كشف هؤلاء الهولانديون عن عداوتهم فجاءوا بطائفة من

الاسرى المسلمين فاعدموهم شنقا امام الجزائر وعلى مرأى ومسمع من السكان ويومئذ استجاب الديوان لهولاندة فعقد معها معاهدة سلام

وفي نفس هذه الآونة من التاريخ غزا الانكليز عاصمة الجزائر محاولا هـ و بدوره ايضا احتكار التجارة والاستقرار بالمراكز المذكورة فرمى المدينة بالقنابل واستقر حيث اراد بشواطئ الجزائر ومكث بها عدة سنوات يزاحم الهولانديين بدون جدوى ، ثم ضمت المجهودات الى بعضها بعض وتعاقدت الشراكاتان على العمل معا فلم يكتب لها النجاح

ويذكر الاخباريون ممن عني بتدوين احداث هذا العصر انه حدث خلال سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦٢١ م وباء رهيب بولاية تونس وانتشر منها الى الجزائر فهلك منه نحو الخمسين الف نسمة ويعرف هذا الحادث بالوباء الكبير وباتره كان انهزام الاتراك امام الاسبان بسهول الهبرة من اعمال وهران

وهنا تذكر لنا الرواية التاريخية عدة باشاوات اعقبوا خضر باشا من غير ان تعطينا تفاصيل عنهم ولا يسعنا نحن الاسرد اسمائهم هكذا مجردة تأدية لامانة التاريخ: اولهم مصطفى حافظ كوسته او قوصة؟ سنة ١٠٣٠ هـ - ١٦٢١ م ثم حسين باشا قائد سوسة تولى يوم السبت ثاني شوال من هذه السنة نفسه؛ وبعده حسين بن الياس باي عام ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٣ ، ثم في نفس السنة مراد باشا الاعمى ٢٢ رمضان - جويليت - ثم ابراهيم باشا يوم ١٤ جمادى الثانية ١٠٣٣ هـ افريل ١٦٢٤ م



ولاية خسرف باشا

تولى منصب الباشاوية بالجزائر يوم ٢٢ ذى الحجة ١٠٣٤ هـ - ٢٥ سبتمبر ١٦٢٥ م ويذكر ان اسمه اسراف...٤

كثرت في ايامه الثورات وانتشرت بنواحي جبل كوكو شرقا الى اعمال تلمسان غربا وليج الانكشايرية بالعاصمة في عتوهم وطغيانهم فبعث بهم الى نواحي الثوار فاختدوا حركاتهم وسكنت العاصمة

وفي اليوم الثالث من شعبان ١٠٣٤ هـ - ١١ جوان ١٦٢٥ م اوفدت فرانسفا سفيرها لدى الباب العالي باستانبول لاسترضاء السلطان وطلب العفو عن الاسرى والحصول منه على تصريح بعودتها الى فتح باب المعاملة مع الجزائر والنزول بتلك المراكز التجارية المنبثة بالساحل الجزائري فاذن لها السلطان في ذلك وامر الباشا بالعفو عن الماسورين وجاء القنصل الفرنسي الى الجزائر فنزل بهذه المؤسسات وتولى بنفسه ادارة حركتها التجارية

ولقد بلغت المراكب التركية الجزائرية في اعمالها القرصانية ايام هذا الباشا مبلغا عظيما فانها بلغت الى ايزلاند بعا على الشمال واسرت منها اربعمائة اسير، وبلغت كذلك الى سواحل اكادى Acadie بامريكا الشمالية ، ثم كانت وفاة الباشا خسرف يوم ٢٢ رجب ١٠٣٥ هـ - ١٩ افريل ١٦٢٦ م

حسين باشا

وبعد فترة تولى الحكم بالجزائر حسين باشا سنة ١٠٣٦ هـ ١٦٢٦ م وفي ايامه اتصلت الجزائر بمائتي اسير ممن كان بمرسيليا من الجزائريين كما انها حصلت على المدفعين المغصوبين منها الموجودين بفرانسا منذ ولاية رضوان باشا ١٠١٦ هـ - ١٦٠٧ م وبذلك فتحت فرانسا طريقا لتمر كرها بالجزائر وبذلك

في ذلك اموالا شتى بعضها رشى لولاة الامر وبعضها الآخر قروضا واموالا باسم الدولة، واستطاع بذلك سانصون نابولون المفوض الفرنسي ان يحصل من الدولة التركية بتاريخ ٢٩ المحرم ١٠٣٨ هـ - ٢٨ سبتمبر ١٦٢٨ م على تصريح باقامة محرس تجارى حصين عرف باسم Bastion على الساحل الشرقى واحتكار صيد المرحبان بالسواحل الافريقية نظير دفع ستة عشر مليون فرنك سنويا وتمت المعاهدة بين الحكومتين الجزائرية والفرنسية على الشروط الآتية

ا تبادل الاسرى

ب احترام مراكب الطرفين

ج رقع الاسرى بين المتعاهدين

د حماية المحارس والقنصلية الفرنسية ورجالها

ولم يكن مصرحا للمفوض الفرنسي سانصون نابولون كما ترى بهذه المعاهدة ان يجعل من هذه المحارس التجارية حصونا او يتخذها وسيلة للتدخل في شؤون البلاد ولكنه استعملها مراكز للاستطلاع والتجسس واتخذ منها محطة لتزويد اعداء الجزائر ومحاربها من الدول الاجنبية والتجسس لهم ثم تناول تصدير القمح وامتدت يده الى متاجر شتى من بلاد المغرب.

وقعة السطارة

السطارة او الستارة هي اسم مكان قرب الكاف من اعمال تونس وبها كانت هذه الوقعة الشهيرة بين التونسيين والجزائريين في ١٣ رمضان ١٠٣٧ هـ - ١٧ ماي ١٦٢٨ م بسبب تجدد الخلاف بين اهل هذين الولايتين حول التخوم والحدود المقررة بينهم منذ سنة ١٠٢٣ هـ - ١٦١٤ م فانتصر فيها اهل الجزائر وغنموا من سلاح تونس اثنين وعشرين مدفعا ويومئذ بادر والى تونس يوسف داي الى حقن الدماء فتم الصلح بينهما بعقد معاهدة السلم وجعل الحدود هكذا .

يمتد خط الحد من البحر الى راس جبل الهفا، ومنه الى قلوب الثيران؛ ومنه الى الكرش، ثم الى وادى ملاق، ومن هناك الى وادى السيرات في الجنوب، وتنص المعاهدة في مادتها الرابعة على ان قوانين الدولة المحلية بتونس والجزائر تعم جميع من يوجد داخل الحدود من رعايا الجانبين ولا يمكن بحال تعقب احكامهما

وهنا كذلك تسوق لنا الرواية التاريخية طائفة من اسماء الباشاوات ممن حكم الجزائر بعد حسين ولا نعلم عن تاريخهم سوى ذكر اسمائهم حسبما يلي : اولهم حسن خوجة سنة ١٠٣٨ هـ - ١٦٢٨ م، وفي هذا التاريخ كان سقوط مدينة تلمسان بيد دولة مراكش السعدية ثم انتزعت منها. وفي السنة بعدها اتحد الكراغلة مع طائفة الرياس ضد الحكومة المركزية ابتغاء المزاخمة في الحكم فاقودوا النار في خزينة البارود فانفجرت ومات يومئذ ستة آلاف نسمة وتهدم بالمدينة ما يقرب من خمسمائة منزل، ولم تسجل لهم مع ذلك تسمية، ثم تولى يونس باشا بتاريخ اليوم الرابع من ذى الحجة سنة ١٠٣٩ هـ - ١٥ جويلية ١٦٣٠ م، ثم حسن باشا سنة ١٠٤١ هـ - ١٦٣١ م

وتقص علينا الرواية التاريخية ان البحرية الجزائرية بلغت في هذا العصر الى ايرلاندة شمال بلاد الانكليز وجات فيما حولها من بحار الجزر البريطانية وصافحت قناة القديس جورج وان الحسائر التي منيت بها دولة فرانس في البحر تجاه الاسطول الاسلامي ما بين سنتي ١٠٣٧ - ١٠٤٤ هـ (١٦٢٨ - ١٦٣٤ م) بلغت الى ثمانين مركب مشحونة بمختلف البضائع وان قيمتها تقدر بعملة ذلك العصر : ٤٠٧٥٢٠٠٠ ليرة

ثم تولى حسين باشا الشيخ للمرة الثالثة وذلك يوم ٢٢ ربيع الثاني سنة ١٠٤٢ هـ - ٨ نوفمبر ١٦٣٢ م، وفي ايامه حدث زلزال هائل اندك له اكثر دور العاصمة ومات من جرائه عدد وافر من الناس ولا يبعد ان يكون هذا

الحادث هو نفسه تلك الكارثة التي زلزلت لها الجزائر في حركة الكراغلة اثر انفجار خزينة البارود التي اشرنا اليها فيما تقدم ...؟
ويذكر عن هذا الباشا انه اختلف مع اعضاء الديوان فنشأت عن ذلك ثورة الانكشارية والقي القبض على الباشا فاودع السجن



ولاية يوسف باشا

تدخل الجند في تولية الولاية هذه المرة وكانت يومئذ فترة انقطاع اضطرب لها جبل الحكومة الجزائرية وحصل تشويش اعقبه انحلال وقتور في الادارة الى ان بادرت حكومة استانبول الى انقاذ الموقف هذا فقضت على الفوضى الشائعة يومئذ بتعيين يوسف باشا يوم ٢١ المحرم سنة ١٠٤٤ هـ (جويليت ١٦٣٤ م)
ولكن الديوان تصلب في وجهه معاكسا لسلطته ومقاوما لسياسته المعتدلة وكان مما حاول هذا الباشا السعى في حسم الخلاف بين الجزائر وفرنسا واستمر الديوان على اظهار عداوته للفرنسيين المقيمين بالمحارس التجارية واخيرا رضخ الباشا للديوان والقي القبض على القنصل الفرنسي م بيون ، ويومئذ هوجمت الجزائر من طرف الفرنسيين بحملة بحرية فخابت وكان هناك غلاء في الاسعار وازمة في التجارة.



ولاية علي باشا

اتصل بمنصبه هذا في فاتح صفر سنة ١٠٤٧ هـ - ٢٥ جوان ١٦٣٧ م وصادف ان كان الصراع والخلاف قائمان بين الفرنسيين والجنوبيين حول المنشآت والمتاجر الساحلية ولقد بلغ التزاحم والتنافس بين شركات هذين الامتين اشده فاشتد النزاع وتفاقم امر الخلاف حتى ازعج حكام الجزائر واقلق بالهم فاصدر

الديوان يومئذ امره للرئيس على بتشنى (١) بالقضاء على هاتيك المراكز ومصادرة اموالها وما احتوت عليه من ارزاق فخرج الرئيس في مراكب القرصانية يوم ٢٤ رجب ١٠٤٧ هـ - ١٣ ديسمبر ١٦٣٧ م فدمرها وهاجاءهم بما فيها من الغنائم منها ٣١٧ أسير ومعلوم ان هذه المحارس كانت قائمة بناحية القالة وبونة من العمالة القسنطينية وكان سكان تلك النواحي منتفعين بما يجرى بينهم وبين اصحابها من المعاملات التجارية فكانت الحركة الاقتصادية يومئذ رائجة بين الاهالي والاجانب ولما نضب ذلك الميعين بعملية التدمير التي قامت بها الحكومة المركزية نقص عن السكان ما كانوا يستغلونه من الموارد والمداخل، فكان من الضروري ان يعلن هؤلاء استيائهم وتذمرهم امام الحكومة وفعلا قطع القوم صلتهم بالدولة وامتنعوا من دفع الزمة - المغرم - لحاكم المقاطعة - مراد باي - واعلنوا ثورتهم فحملوا السلاح برئاسة شيخ العرب ابي عكاز ابن الصخرى وقاتلوا الحامية التركية ففوضوا عليها فاستنجد الباي يومئذ بحاكم الجزائر فانجده باربعمائة جندي وجاءت النجدة الى قسنطينة برئاسة القائدين يوسف وشعبان وحمى هنالك وطيس الحرب فانهمز الاتراك بالمكان المعروف باسم قجال - بالقاف المعقودة - قرب ميله وذلك يوم ١٢ جمادى الاولى سنة ١٠٤٨ هـ - ٢٠ سبتمبر ١٦٣٨ م

ولم تلبث الحكومة الجزائرية حينئذ ان منحت امتيازات جديدة لشركة فرنسية مرسيلية صرحت فيها للشركة بان تقيم هذه منشآت لحماية اموالها وارواح اصحابها (٢)

واثر هذه الحادثة تحركت النعرة... التعصية في الاتراك - وهم المباشرون

«١» ايطالي الاصل من البندقية ويكتب اسمه هكذا Piccini او Picenino كان امير البحر فاسلم واسس ذلك المسجد الانيق القائم الى اليوم بحى باب الوادي بالعاصمة بناء سنة ١٠٣٢ هـ - ١٦٢٢ م ثم حوله الاستعمار الى كنيسة مسيحية سنة ١٢٥٩ هـ - ١٨٤٣ م كما حول غيره كذلك من المعاهد الاسلامية بالجزائر الى كنائس ومراكز عسكرية ومصحات الخ....

«٢» انظر E. Vayssettes : Histoire de Constantine sous les Beys p. 94-110 Alger 1869

والمسيطرون طبعاً على الحكم فقاوموا الكراغلة واجلوههم العاصمة (١٠٣٩هـ ١٦٢٩م) وصادروا اموالهم مخافة استقوائهم وتطلعهم بعد ذلك الى مناصب الحكم



ولاية الشيخ حسين باشا

كانت ولاية سنة ١٠٤٩هـ ١٦٣٩م ولا نعلم عن تاريخ ايامه القليلة التي قاضها على العرش سوى النكبة التي اصابته الاسطول الجزائري بغير فالونا Valona من بلاد البانيا، وذلك ان الدولة العثمانية كانت في حرب مع اهل البندقية فحمتها مراكب الجزائر برئاسة علي بيشني في بحر الادرياتيک، وفي ثغر فالونا هذه خسر الاسطول الجزائري ثمانية عشر قطعة، حيث غرق منه اربع سفن واسرت اربعة عشر ومات من الجند الف وخمسائة نسمة وحصلت الجزائر على تصريح من الباب العالي بدفع تعويضات عن هذه الخسائر كلها ولم يلبث الباشا ان توفي من ستمه بالطاعون



ولاية ابني جمال يوسف باشا (ثانياً)

تقلد منصب الحكم بالجزائر للمرة الثانية في ٢١ من المحرم سنة ١٠٥٠هـ (ماي ١٦٤٠م) وكان يعرف بلقب قرطاليج او قرطالجي؛ واهم ما علمناه من الحوادث على عهده هو عقده للمعاهدة التجارية بين الجزائر وفرنسا بتاريخ ١٧ ربيع الاول - ٧ جويليت من هذه السنة وتصريحه للشركة الفرنسية باسترجاع مراكزها الجزائرية او ما كان كذلك من اندلاع لسان نار الثورة الاهلية التي لم ينطفئ لهيبها ضد الحاکم الاجنبي منذ خلق الله الجزائر وولدت له امه حراً الى اليوم وتمكن الباشا من اخماد هذه الثورة المنتشرة يومئذ باعمال قسنطينة وغيرها ثم اعقبها تمرد الجنود الانكشارية بسبب تخلف الحكومة عن دفع مرتباتهم فتغلبوا على الباشا وقبضوا عليه فاودعوه السجن ثم افرجوا عنه واعادوه الى منصبه.

ولاية محمد برصالي باشا

تولى زمام الامر بالجزائر سنة ١٠٥٢هـ - ١٦٤٢م وكان يلقب بسر قوشلى وهو الذى اكمل فتح اعمال قسنطينة واتم الاستيلاء التركى على تلك الجهات الشرقية من القطر الجزائري

وحدث في ايامه ان كان الاسطول العثمانى متوجها الى غزو جزيرة مالطة فاراد السلطان تعصيد هذه الحملة بمرافقة اسطول الجزائر الذى كان يرأسه يومئذ على بتشنى فرفض الديوان ذلك بحجة تخلف الباب العالى عن انجاز وعده السابق من دفع التعويضات عن الخسائر التى منى بها الاسطول الجزائرى في وقعة ليفورنيا من بلاد إيطاليا فاوفد السلطان الى الجزائر مندوبين للنظر في القضية فاشاع الناس وارجفوا بان ما جاء المندوبان الا لقتل الرئيس على بتشنى وكثر القال والقال وكاد الناس ان يصدقوا بذلك وخشى الباشا من اغتيال الوفد فانزله بزوايته سيدى عبد الرحمن الثعالبى ومكث معه الباشا نفسه الى ان دخل عليهم الرئيس على بتشنى فأمن خيفتهم واذهب عنهم الروع وخرج الجميع من الزاوية آمنا وعند ذلك منح على بتشنى منصب الامارة العليا على الاسطول العثمانى باستانبول وماكاد يتصل بقرمان التولية حتى اودت به المنية رحمها الله

ولاية احمد دغانجى باشا

انتصب على عرش الجزائر يوم السبت ٤ جمادى الاولى سنة ١٠٥٤هـ ٩ جويلية ١٦٤٤م وكانت ايامه كلها ايام قلق واضطراب بسبب اشتداد وطأة القرصنة من كلا المعسكرين وامتلات العاصمة على عهده بالاسرى وشارك الاسطول الجزائرى بخمسين قطعة في وقعة كريت بجوار خييل اليونان (١٠٥٥هـ - ١٦٤٥م)

ثم تضععت قواته بعد ذلك في وقعة مالطة فاستشهد فيها يومئذ مائتان وخمسون نسمة واسر نحو المائة والخمسين جزائري
وفي ايام هذا الحاكم تاسست الارسالية المسيحية بالجزائر على يد القديس فانسان
دوبول (١٠٥٦هـ - ١٦٤٦م)



ولاية يوسف باشا (ثالثا)

كان جلوسه على سرير الباشاوية للمرة الثالثة بالجزائر يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٠٥٧هـ - ٢٨ ماي ١٦٤٧م وكان هنالك خلاف قائم بين الديوان وحكومة فرانسفا فانتقم الباشا من شخص القنصل الفرنسي فاودعه السجن ترضية للرأي العام الجزائري وحينئذ جاءت الحملة الفرنسية يقودها الاميرال دو كين ولم تنزل تقذف بقنايلها العاصمة فامطرتها وابلا من المقذوفات النارية حتى اضطر اهليها الى الافتداء فنزلوا عن جميع الاسرى الفرنسيين ودفعوا للحملة مليون ومائتي قرش فكف عنهم الاميرال وصرف اسطولهم عن الجزائر.

وفي شعبان - سبتمبر - من هذه السنة خرج الباشا بنفسه الى اخضاع العصاة المنشقين من الدواودة وغيرهم من اهل الارحاء الشرقية الجزائرية

استشراف الدولة الشريفيية العلوية للجزائر

صرف المولى محمد بن الشريف العلوى سلطان المغرب الاقصى - جد الاسرة المالكة اليوم - عنايته لاهياء ما اندرس من عهد ملوك المغرب في دولة الموحدين والمرابطين وعصر الفاتحين الاولين فحاول ضم الجزائر الى مملكته وبذلك يتم توحيد المغربين الاقصى والاوسط تحت سلطانه فخرج في قومه سنة ١٠٦٠هـ الى الترخوم الشرقية من حدود مملكته فبلغ الى انكاد واخذ البيعة لنفسه من اولائك الاقوام ثم حملهم معه الى منازل قبيلة بنى يزناسن - سنانسن - فاستولى

عليها وقصد وجدة فاحتلها وشن غاراته على ما جاورها من القرى والقبائل كولد زكري وبني سنوس فخضع الجميع لطاعته وتقدم سائرا بجيوشه الى ندرومة ثم عاد الى وجدة فمكث بها مدة ومنها توجه الى تلمسان فنازل احوازها واحاط بقرائها وواقع هنالك بالحامية التركية فاذاقها قوارعه ثم ادر كم فصل الشتاء فعاد الى وجدة يستجم

ثم بعد انصرام فصل الشتاء خرج السلطان العلوي الى الصحراء الغربية فاغار على الجعافرة وبايعته هنالك قبيلة حميان ثم جاء من دله على مدينة الاغواط وعين ماضي والغسول فتوجه اليها السلطان واحتلها فاحدث ذلك قلقا عاما بالقطر الجزائري اضرب لم حبل الحكومة التركية وكادت الرعية ان تنقض على حكومتها

تعجز الاتراك للقتال

وعم الخطر بلاد الجزائر فاخذت الحكومة التركية تعمل على اخذ احتياطاتها في الدفاع والتأهب للحرب ضد الدولة الشريفة فشمرت عن ذيلها وشرعت في حفر الخنادق حول ايالة معسكر وبادر حاكم الناحية - الباي - الى استنصار باشا الجزائر فخرجت الحامية من العاصمة يقودها نائب الباشا الى نواحي تلمسان فاستقرت هناك ويومئذ انكفأ مولاي محمد بن الشريف متقهقرا الى وجدة عن غير قتال وهناك اخذ في تقسيم الغنائم واقتسام الاسلاب ثم قفل الى سبجلماسة - تافيلالت -

وائر مغادرة سلطان المغرب للجزائر اوفد الاتراك الى حضرته لجنة من العلماء للمفاوضة في شأن الحدود بين القطرين وتوثيق عرى الصداقة بين المملكتين فتقرر جعل وادي التافنا هو الخط الفاصل بين الحكومتين وتاكّد ذلك بابرام معاهدة مؤرخة سنة ١٠٦٤هـ - ١٦٥٤م

وفي عهد هذا الباشا يوسف تحصّلت الجزائر على تعويضات الدولة العثمانية

الموعد بها من قبل في مقابلة الحسائر التي تكبدتها الجزائر في حماية الاسطول العثماني ببحر الادرياتيك ايام الشيخ حسين باشا سنة ١٠٤٩هـ - ١٦٣٩م فاتصل الديوان بمبلغ ستين الف سلطاني وهو ما يقدر بنحو مليون ونصف فرنك بعملته ذلك الزمن،

وبعد مهلك الباشا يوسف خلفه المسمى مراد فاتح ربيع الاول عام ١٠٦٠هـ ٤ مارس ١٦٥٠م ولا يعلم من حوادث تاريخ ايامه في الجزائر الا ما يذكر من هيجان الاسرى الاربين واضطرابهم في السجون



ولاية:وشناق محمد باشا

تراس على حكومة الجزائر بلقب باشا يوم ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٠٦١هـ منتصف ماي ١٦٥١م واشتهر امره بنشر الامن في الرعية وحماية شعبه واهتمامه براحته ورفقته

ولا يعلم من تاريخ الحوادث الجديرة بالذكر على عهده سوى انهزام الاسطول الجزائري مرتين امام مدينة البندقية وفي بحر الارخبيل، او ما كان من هجوم بريطانيا العظمى على الجزائر وخبثتها

ثم تولى بعده طوبال محرم باشا يوم ١٧ محرم ١٠٦٤هـ - ٩ ديسمبر ١٦٥٣م ولم يحفظ لنا التاريخ فيما علمناه عن هذا الباشا شيئا



ولاية احمد طوشان باشا

كانت ولايته يوم ٢٢ رمضان سنة ١٠٦٥هـ - ٢٦ جويلية ١٦٥٥م وابرز حادثة كانت في ايامه القصيرة بالجزائر هي حملة بريطانيا على العاصمة ورميها بالقنابل فاحترقت بعض المراكب الراسية ولم يكن بالثغر من رؤساء البحر يومئذ احد اذ كان كلهم بالغزو فتخطفت الحملة كل من ظفرت به من اسراها والاسرى

الهولانديين من غير فداء ثم انصرفت
ولم تطل ايام هذا الباشا فعزل من سنته وخلفه البكباشى عبد الله باشا وكذلك
هذا لم تطل ايامه ولا يعلم من شأنه شىء سوى انعقاد الصلح في هذه الآونة
بين الجزائر وبريطانيا



ولاية ابراهيم باشا

تقلد زمام الحكم بالجزائر يوم ١٢ ربيع الثانى سنة ١٠٦٦ هـ (٩ فيفري
١٦٥٦م) فغزا الاسبان وحاربهم بوهران، وكانت ايامه هادئة مطمئة لم يرعها
غير حادث القنصل الفرنسى حيث توهم معاداة الجزائر لحكومته فبادر الى القاء
القبض على نحو الخمسين نسمة من الجزائريين فاسرهم وخف الى حمل متاعه
وكل ما استطاع نقله من مستودعات المحارس فاستصحب ذلك كله معه الى فرansa
فاشماز من ذلك اهل الديوان فاجمعوا على عزل الباشا حيث لم يعجل بحجز القنصل
ونصبوا مكانه الحاج احمد باشا الذى كان سجيننا باحدى الحصون الجزائرية، وذلك
عصر يوم الجمعة ٢٤ رجب - ماى - من هذه السنة وفيها ايضا كان استيلاء
الاميرال الهولاندى ليتير على ثمانية عشر سفينة جزائرية بجبل طارق
ثم ادركت فرansa خطأ القنصل فى عمله هذا فجاءت مسترضية، واعيد
ابراهيم باشا الى منصبه عصر يوم السبت ٢٢ ذي القعدة ١٠٦٧ هـ فاتح سبتمبر
١٦٥٧م، وكان هذا آخر العهد بحكام الجزائر وباشاوتها اصحاب السلطة الفعلية
التابعة للباب العالى باستانبول .

نهاية حكومة الباشاوات

هناك قسط وافر من المسؤولية في سقوط سمعة حكومة الباشاوات واضمحلال
سيادتهم بالجزائر ملقى على عواتق هؤلاء الحكام - الباشاوات انفسهم - ذلك ان

الباشا قد شعر بالاستقلال في هذه المدة واخذ في الاشتغال بنفسه منصرفا عن الادارة مجتهدا في التمول بطرق الرشى والسرققات فلم تلبث هيئته ان سقطت واجترأ عليه الانكشارية

والى هؤلاء الباشاوات ايضا ترجع مسؤولية الاسراف في التعدى على السفن وانثغور فقد كان هنالك من الباشاوات من يدفع اهل البلاد الى ذلك دفعا بل نكلفون بعض القرصان بان يقوموا بعملية القرصنة لحسابهم ومن ثم لم يعن الباشا بان يحسن تمثيل السلطان او يقوم بالمهمة الملقاة على عاتقه فلم يكن الجند او الاهلون ليحسون بوجوده بينهم الا في الاحتفال العظيم الذى يقام لاستقباله يوم يصل من القسطنطينية والا في هذه الاجتماعات التى كان مجلس الشورى يعقدها للنظر فى شؤون البلاد من حين الى حين

وربما حاول الباشا ان يخضع شوكة الانكشارية بالاستعانة عليهم بقبائل من اهل البلاد فنشأت، عن ذلك حروب وويلات شتى

وقد حاول احدهم ان يستولى على المنحة التى كان السلطان يبعثها كل عام لاعانة الاسطول الجزائرى فكانت النتيجة ان قرر الديوان - وكانت السلطة فيه للانكشارية - ان يسحب من الباشا آخر ما بقى له من مظاهر السلطان وهو القيام على الاموال والاحتفاظ بالحزينة فتولاها يومئذ الأغا يعاونه الديوان، واصبحت السلطة الفعلية بيد الاغوات (١)

باشاوات الجزائر

تاريخ التولية	باشا	دالى احمد
١٥٧٨ هـ - ١٥٩٥ هـ	»	خضر
١٥٨٩ هـ - ١٥٩٧ هـ	»	الحاج شعبان
١٥٩١ هـ - ١٥٩٩ هـ	»	مصطفى
١٥٩٤ هـ - ١٦٠٣ هـ	»	خضر «ثانيا»
١٥٩٥ هـ - ١٦٠٣ هـ	»	دالى حسن
١٥٩٩ هـ - ١٦٠٧ هـ	»	مصطفى جاقرجى
»	»	سليمان
١٦٠١ هـ - ١٦٠٩ هـ	»	خضر «ثالثا»
١٦٠٣ هـ - ١٦١١ هـ	»	محمد قوصة
»	»	كوسة مصطفى القبايجى
١٦٠٥ هـ - ١٦١٣ هـ	»	رضوان
١٦٠٧ هـ - ١٦١٦ هـ	»	كوسة مصطفى «ثانيا»
١٦١٠ هـ - ١٦١٩ هـ	»	مصطفى
١٦١١ هـ - ١٦٢٠ هـ	»	حسين الشيخ
١٦١٣ هـ - ١٦٢٢ هـ	»	مصطفى خزناحى
١٦١٦ هـ - ١٦٢٥ هـ	»	سليمان قاطانيا
١٦١٧ هـ - ١٦٢٦ هـ	»	حسين الشيخ «ثانيا»
١٦١٨ هـ - ١٦٢٧ هـ	»	سليمان
١٦١٩ هـ - ١٦٢٨ هـ	»	خسرف
»	»	

١٦٢٠ هـ - ١٠٢٩ م	باشا	خضر
١٦٢١ هـ - ١٠٣٠ م	»	مصطفى حافظ كوسة
« «	»	حسين
١٦٢٣ هـ - ١٠٣٢ م	»	حسين بن الياس
« «	»	مراد
١٦٢٤ هـ - ١٠٣٣ م	»	ابراهيم
١٦٢٥ هـ - ١٠٣٤ م	»	خسرف
١٦٢٦ هـ - ١٠٣٦ م	»	حسين
١٦٣٤ هـ - ١٠٤٤ م	»	يوسف
١٦٣٧ هـ - ١٠٤٧ م	»	على
١٦٣٩ هـ - ١٠٤٩ م	»	الشيخ حسين
١٦٤٠ هـ - ١٠٥٠ م	»	ابو جمال يوسف - ثانيا -
١٦٤٢ هـ - ١٠٥٢ م	»	محمد برصالى
١٦٤٤ هـ - ١٠٥٤ م	»	احمد دغانجى
١٦٤٧ هـ - ١٠٥٧ م	»	ابو جمال يوسف - ثالثا -
١٦٥٠ هـ - ١٠٦٠ م	»	مراد
١٦٥١ هـ - ١٠٦١ م	»	بوشناق محمد
١٦٥٣ هـ - ١٠٦٤ م	»	طوبال محرم
١٦٥٥ هـ - ١٠٦٥ م	»	احمد طوشان
« «	»	عبد الله بلكباشى
١٦٥٦ هـ - ١٠٦٦ م	»	ابراهيم
« «	»	الحاج احمد
١٦٥٧ هـ - ١٠٦٧ م	»	ابراهيم - ثانيا -

سلاطين آل عثمان

تاريخ التولية

١٥٦٦ هـ - ٩٧٤ م	السلطان الغازي سليم خان «الثاني»
١٥٧٤ هـ - ٩٨٢ م	السلطان الغازي مراد خان «الثالث»
١٥٩٥ هـ - ١٠٠٣ م	السلطان الغازي محمد خان «الثالث»
١٦٠٤ هـ - ١٠١٢ م	السلطان الغازي أحمد خان
١٦١٧ هـ - ١٠٢٦ م	السلطان مصطفى خان
١٦١٨ هـ - ١٠٢٧ م	السلطان عثمان خان «الثاني» (١)
١٦٢٢ هـ - ١٠٣١ م	السلطان مصطفى خان «ثانيا»
١٦٢٣ هـ - ١٠٣٢ م	السلطان الغازي مراد خان «الرابع»
١٦٤٠ هـ - ١٠٤٩ م	السلطان إبراهيم خان
١٦٤٨ هـ - ١٠٥٨ م	السلطان الغازي محمد خان «الرابع»

(١) في ثامن رجب سنة ١٠٣١ هـ — ٢٠ ماي ١٦٢٢ م كان قتل السلطان عثمان الثاني بالابراج السبعة في استانبول ، وهو اول سلطان قتل في الدولة العثمانية .

مشاهير الجزائريين

ابو العباس احمد المقرئ

١٠٤١هـ - ١٦٣٢م

علامة الجزائر ومفخرة المغرب العربي الامام الحافظ الحجة والمؤرخ الاديب الكبير ابو العباس شهاب الدين احمد بن محمد بن احمد المقرئ (١) التلمساني اشتهر بيت المقرئ هذا بتلمسان منذ ان انتقل اليها اعضاء هذه الاسرة الاولون من مقرة في اواخر القرن السادس الهجري اعني حين استقرت دولة بنى زيان على عرش الجزائر، وبها ولد المترجم حوالى سنة ٩٨٦هـ - ١٥٧٨م وفيها درج ونشأ وبها حفظ القرآن الكريم وتأدب وأخذ علمه عن مشائخها المشهورين في التاريخ واخصهم عمه ابو عثمان سعيد مفتى تلمسان ستين سنة،

ارتحل الشيخ الى المغرب الاقصى فدخل مدينة فاس سنة ١٠٠٩هـ ولقى بها المشيخة فاخذ عن امثال الشيخ احمد بابا التنبوكتي وغيره من علماء العدوتين، ثم عاد الى بلاده فمكث ستينين ثم غادرها الى فاس ثانيا سنة ١٠١٣هـ وبها القى عصاه منقطعا الى العلم والتعمق في البحث والدرس حتى برع في علوم الشريعة والادب والتاريخ فكان آية في الحفظ وسعة الاطلاع واستحضار ابواب الفقه ونوازله راسخ القدم حديد القريحة قوى البديهة مترسلا بليغا وكاتباً محمداً وشاعراً متفتناً ومحاضراً ظريفاً

(١) نسبة الى قرية (مقرة) احدى قرى الزاب الجزائرى المشهوره بجنوب جبال الحضنة وشرقى المسيلة - المحمدية - ضبطها المترجم نفسه في ازهار الرياض ج ١ ص ٣ بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحه، وهى كذلك عند الثعالبي في «العلوم الفاخرة» والوانشريسي ايضا، وضبطها ابن مرزوق الحفيد في شرحه على الالفية بفتح الميم وسكون القاف وقال فى النسبه اليها مقرئ كبدري، وهى كذلك عند ابن الاحمر فى فهرسته والشيخ زروق

ولاه السلطان احمد المنصور الامامة والخطابة بجامع القرويين بفاس سنة ١٠٢٢ هـ ثم صارت اليه الفتوى في ايامه

ولما اختلت احوال مملكة المغرب السياسية اثر وفاة السلطان المذكور وكثرت الفتن وانقسمت الدولة السعدية الى مملكتين السخ... . ازمع المقرئ على الرحيل الى المشرق تاركا المنصب والاهل والوطن والالف، فهاجر المغرب في اواخر رمضان سنة ١٠٢٧ هـ - سبتمبر ١٦١٨ م فركب البحر الى مصر فمكث بها قليلا ثم توجه الى الحجاز فحج وطاف بالاماكن المقدسة واملى بتلك المعاهد والاماكن المشهودة علومه ومعارفه الغزيرة فظهر هنالك فضله ونبله، ثم عاد الى مصر فدخل القاهرة في شهر رجب سنة ١٠٢٨ هـ - جوان ١٦١٩ م فتزوج بها من اسرة السادة الوفاة وبقي يتردد على الحجاز خمس مرات ثم استقر الشيخ بالازهر الشريف متجردا للعلم، فاشتهر يومئذ علمه بين الناس وطار صيته في الآفاق؛ فعلت منزلته وتمكنت محبته وتبارى الادباء والشعراء في مدحه بقصائد ورسائل بلغة وجرت لهم معه مساجلات شعرية ومطارحات علمية نفيسة بعضها مذكور في كتب السير والتراجم (١) وفي نقح الطيب.

وبعد ان تبوأ الشيخ مكانه في المجتمع الاسلامي بالمشرق واصبح به كقطب من اقطاب العلم وامام من ائمة الاسلام عقد اثناء ذلك رحلات في ربوع الشرق الادنى ومنها رحلته المشهورة الى بيت المقدس سنة ١٠٣٧ هـ حيث القى هنالك بالمسجد الأقصى دروسا قيمة كانت سببا في اتصاله بكثير من علماء وادباء فلسطين والتفات الاعيان اليه، ثم دخل دمشق فابتهج لمقدمه علماء الشام وافاضلهم ونزل فيها بالمدسة الحنبلية فبالغ اهلها في اكرامه وهنالك اقترحوا عليه تدريس صحيح البخاري فابى اقتراحهم وشرع في اقراءهم الكتاب دراية فاحتشد الناس لدروسه وضاعت رحاب مجالسه بالجامع الاموي وتسابق الفضلاء والاعيان الى لثم يده والتجشؤ بين يديه...

ذكر من ترجم له من علماء المشرق انه تكلم يوم ختمه للصحيح بكلام في العقائد وعلم الحديث لم يسمع له نظير قط، وكان فيما ساقه في درسه المشهود ان تعرض لترجمة الامام البخاري بافاضة وانشد له هذين البيتين وافاد ان ليس للبخاري غيرهما :

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى ان يكون موتك بغتة
كـم صحيح قد مات قبل سقيم ذهبـت نفسه النفيسة فلتـه

واستغرق مجلس الختم هذا من شروق الشمس الى قرب صلاة الظهر وبالشام اقترح عليه العلماء تصنيف كتاب جامع لتاريخ الاندلس فجاءهم بهذا الاثر الجليل والصنيع النفيس العجيب والسجل العظيم الخالد : نفح الطيب بغصن الاندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. فرغ من تأليفه واملائه سنة ١٠٣٩هـ اي نحو سنتين قبل وفاته وطبع كتابه هذا بمصر مرارا في اجزاء كما طبع منه الجزءان الاولان بليدن سنة ١٨٥٥ - ١٨٦١م وترجم الى الانكليزية ونشر بلندن سنة ١٨٤٠ - ١٨٤٣م وهو خزانة علم وادب وفن وتاريخ، انفرد فيه مؤلفه بجمع وتدوين اخبار ذلك الفردوس المفقود

ولسـه رحمـه الله ثبت حافل بالمؤلفات النفيسة يزيد عددها على ثمان وعشرين مؤلفا، منها المطبوع ومنها غير المطبوع عرفنا منها كتابه ازهار الرياض في اخبار عياض طبع منه بمصر ثلاثة اجزاء ولا يزال الرابع تحت الطبع، وطبع بعضه في تونس ايضا واطاعة الدجـنة في عقائد اهل السنة مطبوع بمصر اقراه مرارا واملاه دروسا بنفسه على طلاب مصر والشام والحجاز، وفتح المتعال في اوصاف النعال - النبوية - وقفت على نسخة مخطوطة منه بمكتبة الجزائر الوطنية، وحسن الثنا في العفو عمن جنى، وشرح على مقدمة ابن خلدون وحاشية على مختصر خليل في فقه المالكية وازهار الكمامة في العمامة، الفقه بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان تصنيفه بالحجرة النبوية الطاهرة تجاه السراس الشريف،

ولا يخفى حسن المناسبة في ذلك، وقطف المهتم من افنان المختصر، واتحاف المغربي في تكميل شرح الصغرى - للسنوسي في العقائد - وعرف الششق في اخبار دمشق وروض الآس العاطر الانفاس في ذكر من لقيته من اعلام مراكش وفاس، والدار الثمين في اسماء الهادي الامين، والغث والسمين، والراث والثمين، وكتاب البداية والنشأة، كاه ادب وفن، وحاشية على ام البراهين في علم الكلام، ومزدوجات شعر مطبوعة بعصر الى غير ذلك مما لا يتسع ذكره في هذا الموجز وهو مع ذلك يعد من فحول الشعراء المطبوعين فشعره جيد رشيق ليس فيه تكلف ولا تعسف فانصت الى قوله في الحنين الى الجزائر :

بلد الجزائر ما امر نواها كلف الفؤاد بحبها وهوها
يا عادلى في حبها كن عاذرى يكفيك منها مأوها وهوها
وقوله ايضا :

قطر كان نسيمه نفحات كافور ومسك
وكان زهر رياضه در هوى من نظم سلك
وفيه يقول ايضا :

اضواؤه طبق المنى وهوؤه يشتاقه الولهان في الاسحار
والطبع معتدل قليل ما شئت في الظل والازهار والانهار
واستمع الى هذه القطعة الشائقة الرقيقة في الحنين الى وطنه ايضا :

واربع احباب اذا ما ذكرتها بكيت وقد يبكيك ما انت ذاكر
بطاح وادواح يرويك حسنهما بكل خليج نممته الازاهر
فما هو الافضة في زبرجد تساقط فيه اللؤلؤ المتناثر
بحيث الصبا والترب والماء والهوى عبير وكافور وراح وعاطر (١)
وما جنة الدنيا سوى ما وصفته وما ضم منه الحسن نجد وحاجز

[١] ذكر اربعة اشياء وشبهها باربعة اشياء على سبيل اللف والنشر المرتب

بلادى التى اهلى بها واحبتي
 تذكرنى انجادها ووهادها
 اذ العيش صاف والزمان مساعد
 بحيث ليالىنا كغض شبابنا
 ليالى كانت للشيبية دولة
 سلام على تلك العهد وفانها
 وروحي وقلبي والمنى والخواطر
 عهد دامضت لي وهى خضر نواضر
 فلا العيش مملول ولا الدهر جائر
 وايماننا سلك ونحن جواهر
 بها ملك اللذات ناه وامر
 موارد افراح تلتها مصادر

واستمر ادينا العالم الكبير متناقلا فى ربوع المشرق مترددا بين معالم
 مصر ومعاهد الشام متجولا بين ضفتى بردى والنيل الى ان اصطفاه الله لجواره
 فى شهر جمادى الثانية سنة ١٠٤١ هـ - جانفي ١٦٣٢ م ودفن بقرافة المجاورين
 بمصر وقيل بالشام تعمده الله برحمته

عبد الكريم بن الفكون

١٠٧٣هـ - ١٦٦٣م

بيت ابن الفكون بقسنطينة مستطير الشهرة منتشر السمعة، فهو بيت علم وادب ورئاسة ودين؛ توارث ابناؤه المجد والسؤدد منذ دهر طويل وقرون متتابعة بالجزائر ولا يزال هذا البيت الماجد ملحوظاً بعين الوقار والاحلال الى اليوم.

وكان ممن اشتهر وذاع صيته في الآفاق من اعضاء هذه الاسرة الجزائرية الماجدة في القديم ابو علي الحسن بن الفكون اكبر شعراء الجزائر وابرع كتابها وفي الحديث - اي العصر الذي نؤرخه - الشيخان العالمان عبد الكريم بن الفكون وولده محمد

قال الشيخ العياشي في رحلته : وممن لقيته بطرابلس الشيخ الفقيه المشارك النبيه سيدى محمد بن العلامة الفهامة الناسك الخاشع الجامع بين علمي الظاهر والباطن سيدى عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون القسنطيني رضى الله عنه ونفعنا به، قدمها حاجا وهو امير ركب اهل الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي على نهج ابيه وعادته في ذلك محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والوقار فاجتنب القلوب ومالت اليه النفوس ولم يطلع اميرا الا في هذه السنة وقبل ذلك انما كان يطلع بالركب والده - عبد الكريم - رضى الله عنه، فلما توفي الوالد قام ولده مقامه في ذلك اعانه الله وسدده،

..... قال وكانت لنا به - اي بالشيخ عبد الكريم - رضى الله عنه وصلة وانتساب بالخدمة والولاء والاعتقاد الصالح لما حججت معه في سنة اربع وستين (والف) وقد قال لي رضى الله عنه لما طلبت منه الاتصال بحضرته والانخراط في سلك اهل خدمته : اني اقول لك كما قال الامام الشاذلي رضى الله عنه لك ما لنا من الخدمة وعليك ما علينا من الرحمة

.... قال وكان في غاية الانقباض والانزواء عن الخلق ومجانبة علوم اهل الرسوم بعد ما كان اماما يقتدى به فيها وله في كثير منها تأليف شهد له فيها بالتقدم اهل عصره فالقى في قلبه ترك ذلك والعكوف على حضرته بالقلب والقلب والتزود الى الحرمين الشريفين مع كبر السن، وكان يقول اذا ذكر له شيء من هذه العلوم : قراتها لله وتركتها لله!....

قال العياشي : وقعت منه رضى الله عنه باللمعة التي قالها لى لما علمت حاله وخشيت ان اثقل عليه واكلفه مالا تطيب به نفسه فانه رضى الله عنه من اهل القلوب، ومروياته رضى الله عنه مستوفاة في فهرسة شيخنا ابي مهدي عيسى الثعالبي فنحن نروى عنه جميعها بواسطته؛ قال فلما لقيت ولده - محمدا - تقربت له واتسبت له بمعرفة والده فوجدت عنده بعض علم بى وقال اما انت الذى وصل كتابك المبعوث الى والدى من وادي ريغ قبل موته بعام ؟... فقلت نعم ورحب بى وهش وبش وانس، ووجدت عنده عدة من مؤلفات والده وبعضها بخطه رضى الله عنه فأعارها لى مدة اقامتي هناك، فمنها شرحه على ارجوزة الماكودي في التصريف وهو مجلد اجاد فيه غاية الاجادة.... فرغ من تأليفه اوائل صفر من عام ثمانية واربعين والف،... ومنها ديوانه في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المرتب على حروف المعجم وكتب عليه «مما يمدح به عند الغمة وساعة الغياب المدلهممة» والتزم ان جعل مبدأ كل شطر حرفا من حروف «الاهى بحق الممدوح اشفنى ءامين» وجملة ذلك خمس وعشرون حرفا، ففي كل قصيدة مثلها ابياتا وهنا اورد العياشى نماذج من قصائد هذا الديوان، ثم قال «وبآخرها بخطه تم بحمد الله وحسن عونه هذا المديح في المصطفى المليك الفصيح في ليلة الجمعة وقت العشاء منها ليلة ثلاثة وعشرين من جمادى الآخرة من سنة واحد وثلاثين والف...» ومن تأليفه ايضا جزء في تحريم الدخان سماه «محدد السنن في تحور اخوان الدخان» وهو في عدة كراريس مشتمل على اجوبة عدة من الايمة وقد لخصنا

بعضه بحسب ضيق الوقت ولانذكر ذلك تنميما للفائدة وهنا اورد العياشي ملخص الكتاب (١) وللمترجم شرح على شواهد الشريفة على الاجرومية التزم فيه عقب كل شاهد ذكر حديث مناسب للشاهد، وشرح جمل المجردات ومخارج الحروف من الشاطبية وتأليف في حوادث فقراء الوقت، ولعله هو كتابه المسمى بمنشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية،

وهذه رسالة لطيفة من نوع الاخوانيات كتبها الشيخ عبد الكريم بن الفكون الى صديقه بالمشرق ابي العباس شهاب الدين احمد المقرئ، احبنا ادراجها هنا كنموذج لاسلوب النشر - والشعرايض - المستعمل في المكاتبة بين الادباء والعلماء في ذلك العصر قال :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على من انزل عليه في القرآن «وانك لعلى خلق عظيم» وآله وصحبه وسلم افضل التسليم، من مدنس الايزار المتسربل بسرايل الخطايا والاوزار، الراجي للتوصل منه رحمة العزيز الغفار، عبد الله - سبحانه عبد الكريم بن محمد الفكون اصلح الله بالتقوى حاله، وابلغ من متابعة السنة النبوية آماله، الى الشيخ الشهير؛ الصدر النحرير، ذى الفهم الثاقب والحفظ الغزير الاحب في الله، المؤاخي من اجلي سيدي ابي العباس احمد المقرئ، احمد الله عاقبتى وعاقبتى واسبل على الجميع عافيته. اما بعد فاني احمد الله اليك واصلى على نبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ولا اريد الاصلاح الدعاء وطلبه منك، فاني احوج الناس اليه واشدهم في ظني الحاحا عليه لما تحققت من احوال نفسى الامارة، واستبطنت من دخيلاتها المثابرة على حب الدنيا الغرارة كانها عميت عن الاهوال التى اشابت رؤوس الاطفال وقطعت اعناق كمل الرجال، فتراها في لحج هواها خائضة وفي ميدان شهواتها راكضة طغت في غيها وما لانت وجمحت فما انقادت ولا استقامت فويلي ثم ويلي من يوم تبرز فيه القبائح وتنشر الفضائح

ومنادى العدل قائم بين العالمين «وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين» فالله اسأل حسن الاطاف؛ والستر عما ارتكبناه من التعدي والاسراف وان يجعلنا من اهل الحمى العظيم وممن يحشر تحت لواء خلاصته الكريم، سيدنا ومولانا وشفيعنا النبي الرؤوف الرحيم ولنكف من القلم عنانه، لما ارجو من اجله ثواب الله سبحانه. وقد اتصل بيدي جوابكم اطال الله في العلم بقاءكم فرايت من عذوبة الفاظكم وبلاغه خطابكم ما يذهل من العلماء فحولها وبنيها لدى الجثو لسماعه سؤالها ومأمولها بيد ما فيه من اوصاف من امره قاصر وعن الطاعة والاجتهاد فاتر وأصدق قول فيه عند مخبره ومرآه ان تسمع بالمعيدي خير من ان تراه، لكن يجازيكم الله بحسن النية البلوغ في بحبوحة الجنان غاية الامنية وقد ذيلتم ذلك بايات انا اقل من ان اوصف بمثلها على اني غير قائم بفرضها ونقلها فالله تعالى يمدكم بمعونته ويجعلكم من اهل مناجاته في حضرته ويسقينا من كاسات القرب ما تتمتع منه بلذيذ من دمه وقد ساعد البنان الجنان في اجابتكم بوزنها وقافيتها والعذر لى اننى لست من اهل هذا الشأن والاعتراف بانني جبان واي جبان والكمال لكم في الرضا والقبول؛ والكريم يغضى عن عوارث الاحق والجهول وظننا - حققه الله تعالى - ان نجعل على منظومتكم الكلامية - يعنى اضاءة الدجنة - تقييدا، ارجو من الله توفيقا وتسديدا بحسب قدرى لاعلى قدركم وعالى مثل فكرى القاصر لا على عظيم فكركم، وان ساعد الاوان وقضى بتيسيره رب الزمان فاتى بما ان شاء الله الا اجل معى لانتى بالاشواق الى حضرة راكب البراق ومخترق السبع الطباق وكنت عازما على ان ابعث لكم من الايات اكثر من الواقع الا ان الرفقة اعجلت وصادقتنى ايام موت قعيدة البيت فلم يتيسر عاجلا الا ما ذكر وعلى الله قصد السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل

عليها تعاضده الرواية

يروى به الطالبون غايمة

يا نخبته الدهر في الدراية

لا زلت بحرا بكل فن

لقد تصدرت في المعالي
من فيك تستنظم المعاني
رقاك مولاك كل مرقى
اعجوبة ما لها نظير
يا احمد المقري دامت
بجاه خسر العباد طرا
صلي عليه الاله تتري

واختم كتابي بالصلاة والسلام على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكتب بغاية عجلة يوم السبت سابع اوثامن رجب من عام ثمانية وثلاثين والفس
للهجرة على صاحبها الصلاة والسلام (١)
وقد توفاه الله اليه عشية الخميس ٢٧ ذى الحجة سنة ١٠٧٣ هـ - ٣ اوط
١٦٦٣ م سقي الله ضريحه

جدول تاريخي

٩٩٥ - ١٠٦٩ هـ

١٥٨٧ - ١٦٥٩ م

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٥٨٧ هـ ٩٩٥	ابتداء عصر حكومة الباشاوات
١٥٩٠ هـ ٩٩٨	قمع حركة الثورة الوطنية بمجانة
١٥٩١ هـ ٩٩٩	اشتداد لهيب الثورة الوطنية بناحية زواوة
١٥٩٤ هـ ١٠٠٣	قمع الحركة الثورية بناحية «سورالغزلان» وانشاء مركز للحراسة
١٥٩٩ هـ ١٠٠٧	استيلاء الاتراك على حصن المرسى الاعلى بوهران وانهمزام الاسبان الى الحصن الاسفل
١٦٠١ هـ ١٠٠٩	حدوث الاضطراب السياسى والعسكرى حول منصب الامارة واخفاق الاسبان في حملتهم الشعواء ضد العاصمة
١٦٠٣ هـ ١٠١١	نشاء الخلاف السياسى والاقتصادى بين حكومة الجزائر وفرانسا ورد غارة الاسبان البحرية عن مرسى ازفون
١٦٠٦ هـ ١٠١٤	انتصار الاسبان بوهران
١٦٠٧ هـ ١٠١٦	اغارة الطوسكان على بونة - عنابه - وقطع العلاقات بين الجزائر وفرانسا وتحطيم مرسى برشك
١٦١٠ هـ ١٠١٩	حملة الانكليز والهولانديين والاسبان على سواحل جيجل
١٦١٣ هـ ١٠٢٢	تسوية الخلاف الناشئ بين حكومة الجزائر وتونس حول تخطيط الحدود السياسية بين القطرين.
١٦١٧ هـ ١٠٢٦	تحطيم السلطة المركزية للمحرس الفرنسى بالقالة

تاريخ الحوادث	اهم الحوادث
١٦٢٠هـ ١٠٢٩م	تجدد الخلاف بين الجزائر وفرنسا وشن الغارات البحرية الجزائرية ضد المراكب الفرنسية
١٦٢٠هـ ١٠٣٠م	خيبة حملة الاميرال الانكليزي «مانفيل» على الجزائر
١٦٢٣هـ ١٠٣٣م	تقدم البحرية الجزائرية واتصالها باعلى جزر بحر الشمال
١٦٢٣هـ ١٠٣٣م	التزاحم الهولاندي الانكليزي بالجزائر
١٦٢٨هـ ١٠٣٧م	نشوب الخلاف بين الجزائر وتونس حول قضية الحدود وانفجار وقعة السطارة
١٦٣٢هـ ١٠٤٢م	تدمير الزلزال الهائل لاكثر دور العاصمة وموت الاكثرية من السكان
١٦٣٤هـ ١٠٤٤م	انكسار الاسطول الفرنسي بمياه الجزائر
١٦٣٧هـ ١٠٤٦م	تحطيم مركز القالة الفرنسي وعلان الحرب ضد فرنسا
١٦٤٠هـ ١٠٥٥م	انكسار الاسطول الجزائري في حرب البندقية ببحر الادرياتيك
١٦٤٢هـ ١٠٥٢م	الاستيلاء النهائي على اعمال قسنطينة
١٦٤٤هـ ١٠٥٤م	انكسار اسطول الجزائر امام قرصان مالطة
١٦٤٦هـ ١٠٥٦م	تأسيس ارسالية القديس «فانسان دوبول» بالجزائر
١٦٤٨هـ ١٠٥٨م	هجوم الاميرال الفرنسي دوكين على مدينة الجزائر
١٦٥٠هـ ١٠٦٠م	محاولة الدولة الشريفة العلوية الاستيلاء على الجزائر
١٦٥٥هـ ١٠٦٤م	اتخاذ وادي التافنا حدا فاصلا بين حكومتى الجزائر ومراكش
١٦٥٦هـ ١٠٦٦م	تسرع القنصل الفرنسي الى مغادرة المحرس التجاري وتاسيسه لطائفة من المسلمين
١٦٥٩هـ ١٠٦٩م	نهاية عصر حكومة الباشاوات

الفهرست

صفحة :

٦ استهلال الجزء الثانى

الدولة الحفصية ٧—٦٨

- | | |
|--------------------------------------|-------------------------------------|
| ٢١ امارة بنى مزنى ببسكرة | ٧ نشأتها |
| ٢٢ حزب السنية وابن مزنى | ٩ نظامها الحكومى |
| ٢٤ الجزائر بين الحفصيين والمرينيين | ١١ حدود الجزائر الحفصية |
| ٢٧ خريطة المغرب الاسلامى | ١٢ كيف كان استيلاء الحفصيين على |
| ٢٨ حركة السلطان الى بسكرة | الجزائر |
| ... تنازع امراء بنى ابى حفص على | ... فتح ولاية تلمسان |
| ولاية قسنطينة وبجاية | ١٣ المباعدة بالخلافة |
| ٢٩ مشاركتها الجزائر فى هزم الصليبيين | ١٥ تربص يغمراسن وانتصاره |
| ٣٠ مقاومة القرصنة الاروية | ١٦ اضطرابات وفتن |
| ٣٢ الاسلام والنصرانية بالمغرب | ١٧ مقاومة العصاة المنشقين |
| ٣٣ المعتقدات والمذاهب الدينية | ١٨ انتفاض مدينة الجزائر وفتحها |
| ٣٥ احصاء اتباع المذاهب الاسلامية | ... ظهور ابن ابى عمارة الدعي |
| المشهوره (هامش) | ١٩ انفصال الجزائر عن الحكومة |
| ٤٠ الثقافة والحضارة والعمران | المرکزية |
| ٤٥ انهيار الجزائر الحفصية | ٢٠ اعتداء الافرنج على مدينة الجزائر |
| ٤٦ ولاية الجزائر وزعمائها | |

صفحة:

٥٨ عبد الله بن السكات

٥٣ ملوك الدولة الحفصية

٥٩ محمد بن منداس

٦٠ محمد بن الحسن القلعي

مشاهير الجزائريين

٦٣ ابو زيان ناصر بن مزني

٥٥ يحيى بن عبد المعطي

٦٤ احمد بن ابي القاسم الخلوف

٥٧ عبد الرحمن بن السطاح

٦٧ جدول تاريخي

٥٠ احمد بن هلال العروضي

الدولة المرينية ٦٩—١١٣

٨٠ ثورة بني عبد الواد

٦٩ بنو مرين

٨١ عودة الجزائر لبني عبد الواد

٧٠ نظامها الحكومي

٨٢ استيلاء السلطان ابي عنان على

٧١ حدود الجزائر المرينية

اعمال تلمسان

٥٠ المرينيون وبنو عبد الواد

٥٠ تملك بجاية

٧٢ الزحف على مملكة تلمسان

٨٣ انتفاض بجاية وفتح فسنطينة وبونة

٧٤ وقعة وادي اسلي

٨٤ الجزائر بمن بني عبد الواد وبني

٧٥ وقعة وادي تافنة

مرين

٧٦ تأسيس حاضرة المنصورة

٨٥ انقسام بني مرين وتملك بني عبد

٧٧ معركة مرسى الرؤوس

الواد

٥٠ تنازل بني مرين عن ولاية تلمسان

٨٦ المذاهب والمعتقدات

٧٨ نقض الصلح

٨٧ فتخامة بلاط بني مرين

٥٠ تحالف بني مرين والحفصيين

٨٩ الثقافة والحضارة والعمران

ضد تلمسان

٩٦ انهيار الجزائر المرينية

٧٩ الوثوب على عمالة الجزائر ووهران

٩٧ ولاية الجزائر وزعمائها

٥٠ القضاء على امارة بني مزني

١٠٠ ملوك الدولة المرينية

٥٠ فتح الاعمال الشرقية

صفحة:

- ١٠٩ ابراهيم بن فائد الزواوى مشاهير الجزائريين
- ١١٠ سالم بن ابراهيم الصنهاجى ابو الحسن على الخزاعى التلمسانى
- ١١١ محمد بن عمر المليكى ابن مرزوق الخطيب
- ١١٣ جدول تاريخى احمد المغراوى
- ٢٦٩ - ١١٤ - الزيانىة - الدولة العبد الوادىة
- ١١٤ منشأها ونشأتها
- ١٢٧ ولاية السلطان ابى سعيد عثمان
- ١١٦ وصف ما بالمصحف العثمانى من
- ٠٠ اشهر فتوحاته ووقائعه
- ١٢٨ محاصرة تلمسان ووفاة ابى سعيد
- الخرقة (هامش)
- ١٣٠ ولاية السلطان ابى زيان (الاول)
- ١١٩ نظامها الحكومى
- ١٣٢ مقاومة القبائل المشاقة
- ١٢١ حدود الجزائر الزيانىة
- ١٣٣ ولاية السلطان ابى حمو (الاول)
- ٠٠ ولاية السلطان يغمراسن
- ٠٠ غارات ابى حمو وفتوحاته
- ١٢٢ اغارة الحفصيين على تلمسان
- ١٣٤ القضاء على امارة الثعالبة بمتيجة
- ٠٠ اخفاق الموحدىن فى حملتهم على
- ٠٠ اغارة بنى مرين وثورة الاعراب تلمسان
- ١٣٥ مصرع السلطان ابى حمو (الاول)
- ١٢٣ منشأ الخلاف بين بنى عبد الواد
- ٠٠ ولاية السلطان ابى تاشفين عبد
- ونى مرين
- الرحمن (الاول)
- ٠٠ طموح يغمراسن نحو المغرب
- ١٣٦ القضاء على سلطة مغراوة
- الاقصى وخيبته
- ٠٠ فتح اعمال قسنطينة وبجاية
- ١٢٤ المنافسة وحب الاستئثار
- ١٣٧ ظهور الدعوة الموحدية بوهران
- ١٢٥ حزم يغمراسن ونشاطه
- ٠٠ نهاية الدور الزيانى الاول
- ١٢٦ غدر الفرقة الافرنجية بالسلطان
- ٠٠ وفاة يغمراسن

صفحة :

١٣٩ ملوك الدولة الزيانية - في الدور الاول -

مشاهير الجزائريين

١٦٤ ولاية السلطان ابي تاشفين عبد الرحمن (الثاني)

.. محاربة الاخوين ابي زيان وابي تاشفين

١٦٥ تنكرومرين لابي تاشفين (الثاني) .. تقوض عرش بني زيان

١٦٦ ولاية السلطان ابي زيان محمد (الثاني)

.. التعريف ببني عامر ومواطنهم (هامش)

١٧٠ ولاية السلطان ابي محمد عبدالله (الاول)

.. ولاية السلطان ابي عبد الله محمد (الثالث)

١٧١ ولاية السلطان عبد الرحمن (الثالث)

.. ولاية السلطان السعيد بن ابي حمو ١٧٢ ولاية السلطان ابي مالك

عبد الواحد .. اغارة الحفصيين على تلمسان

١٧٣ ولاية السلطان محمد (الرابع) ١٧٤ السلطان ابو مالك (للمرة الثانية)

١٤٠ ابننا الامام : عبد الرحمن وعيسى

١٤٤ محمد بن ابراهيم الآبلي

١٤٦ محمد بن خميس

١٥٠ جدول تاريخي

١٥٢ سيادة بني مرين

.. نهضة بني عبد الواد

١٥٤ انبعاث الدولة الزيانية

١٥٦ ولاية السلطان ابي حمو موسى (الثاني)

١٥٧ فتح مدينة وهران

.. مقاطعات ومشاغبات بني مرين

١٥٨ التنافس على العرش

١٥٩ وقعة بجاية وتبعاتها

١٦٠ اعتداء قراصنة الافرنج

.. حصار مدينة الجزائر

١٦١ الزحف المريني على تلمسان

١٦٢ مبايعة تدلس والمجاعة العامة

.. عصيان ابي تاشفين واستشهاد

ابي حمو (الثاني)

صفحة :

- ١٧٤ ثورة (ابن الحمرة) ونهايتها
١٧٥ ولاية السلطان ابنى العباس احمد
المعتصم
٠٠ ثورة ابنى يحيى واستيلاؤه على
وهران
٠٠ ظهور المستعين بالله وقتله
١٧٦ انهزام ابنى يحيى عن وهران
٠٠ ثورة محمد المتوكل ونهاية العقاب
١٧٧ الزحف الحفصى
١٧٨ ابتداء الهجرة الاندلسية وسقوط
بوننة
٠٠ ولاية السلطان ابنى ثابت محمد
(الرابع)
٠٠ رفض الدعوة الحفصية
١٧٩ ولاية السلطان تاشفين بن ابنى
ثابت
١٧٩ ولاية السلطان محمد (السادس)
١٨٠ ولاية السلطان محمد (السابع)
١٨١ ولاية السلطان ابنى حمو موسى
(الثالث)
٠٠ احتلال الاسبان لوهران والسواحل
الجزائرية
١٨٥ ثورة الامير يحيى بن الثابتى
١٨٦ ثغور الجزائر تحت نير الاسبان
١٨٨ ملوك الدولة الزيانية - للدور
الثانى -

مشاهير الجزائريين

- ١٩٠ الشريف النلمسانى
١٩٤ احمد بن على المليانى
١٩٥ ابن مرزوق الحفيد
١٩٩ محمد بن يوسف الثغري
٢٠١ جدول تاريخى
٠٠ ولاية السلطان ابنى ثابت محمد
(الرابع)
٠٠ رفض الدعوة الحفصية
١٧٩ ولاية السلطان تاشفين بن ابنى
ثابت

القسم الثالث

الجزائر المكافحة

- ٢٠٥ الحملة الاسبانية والاتراك
٢٠٦ ولاية السلطان ابنى زيان احمد
(الثانى)
٢٠٦ زحف ابنى حمو واستشهاد عروج
٠٠ ولاية السلطان ابنى محمد عبد الله
(الثانى)

صفحة :

- ٢٠٧ ثورة الامير ابي سرحان وتملكه
٠٠ عودة ابي محمد الى الملك
٢٠٨ نقض معاهدة الاتراك
٠٠ ولاية السلطان محمد (السابع)
- ثانيا -
٢١١ ولاية السلطان ابي زيان احمد
(الثاني) - ثانيا -
٢١٢ زحف السلطان المخلوع الى
تلمسان
٠٠ خيبة ابي عبد الله وعودة ابي زيان
٠٠ استشراف الدولة السعدية
٢١٣ ولاية السلطان مولاي الحسن
٠٠ خلاصة حوادث الاسبان على عهد
بنى زيان
٢١٥ المجتمع الجزائري
٢١٦ الاقتصاد والانتاج الصناعى
- ٢٣٣ المذاهب والمعتقدات
٢٣٤ المذهب الشيعى بالجزائر (هامش)
٢٣٦ الثقافة والحضارة والعمران
٢٤٤ انهيار دولة بنى عبد الواد
الزيانية
٢٤٥ ولاية الجزائر وزعمائها
٢٥١ ملوك الدولة الزيانية - فى الدور
الثالث والاخير -

مشاهير الجزائريين

- ٢٥٢ ابو الفضل محمد المشدلى
٢٦٢ ابو زيد عبد الرحمن الشعالي
٢٦٦ احمد بن يونس القسنطيني
٢٦٨ يحيى بن ابي عمران المازوني
٢٦٩ جدول تاريخي

الدولة التركية - العثمانية -

- ٢٧٠ الترك
٢٧٥ اتصال الاتراك بالجزائر
٢٧٧ نظامها الحكومى
٢٨٤ جيش الينكشارية (هامش)
٢٨٨ حدود الجزائر التركية
٢٨٩ خريطة الجزائر التركية
«ا» عصر الفتح التركى
٢٩٠ عروج وخير الدين
٢٩١ اضطراب المسلمين الى شن
الغارات البحرية

صفحة :

- ٢٩٢ فتح مدينة جيجل
٢٩٣ فتح حصون بجاية
٢٩٤ الاستيلاء على مدينتى الجزائر
وشرشال
٢٩٦ خيطة حملة دون ديقو دوفيرا
على الجزائر
.. تقدم الفتح التركى
٢٩٧ فتح تلمسان
.. وقعة هواره
٢٩٨ استشهاد عروج وعودة ابى حمو
الى العرش
.. انهزام الاسبان عن الجزائر
٢٩٩ الحاق الجزائر بالامبراطورية
العثمانية
٣٠٠ انبعاث الاضطراب والفتن
بالجزائر
٣٠١ غزو ولاية تلمسان
.. حركة احمد بن القاضى
٣٠٢ خيانة قارة حسن واستيلاء
ابن القاضى على الجزائر
٣٠٣ عودة خير الدين الى الجزائر
.. فتح قلعة البينون Penon
٣٠٤ انكسار اندري دوريا
٣٠٥ نزوح الاتدلسيين الى الجزائر
٣٠٧ ملك غرناطة بتلمسان (هامش)
٣٠٨ استخلاف محمد حسن آغا الطواشى
٣٠٩ اغارة الاسبان على تلمسان
.. تاريخ بناء جامع سفير بالعاصمة
(هامش)
٣١٣ فتح بونمة ومستغانم وبسكرة
وتأسيس مدينة البليدة
٣١٥ اندحار حملة شارلكان الكبرى
٣١٧ مخطط حملة شارلكان على مدينة
الجزائر
٣١٩ ولادة عصر الفتح التركى
.. سلاطين آل عثمان
مشاهير الجزائريين
٣٢٠ محمد النقاوسى
٣٢٢ محمد بن عبد الكريم المغيلى
٣٢٦ احمد الوانشريسى
٣٢٨ عبد الرحمن الاخضرى
٣٣٠ جدول تاريخى

صفحة :

- ٣٤٧ ولاية جعفر باشا
٣٤٨ ولاية حسن فنزيانو (ثانيا)
٣٥٠ بيلربايات الجزائر
٣٥١ سلاطين آل عثمان
مشاهير الجزائريين
٣٥٢ عمر بن الكماد
٣٥٣ محمد الخروبي
٣٥٤ محمد بن يحيى الجاديري
٣٥٥ مصطفى باش تارزي
٣٥٦ جدول تاريخي
«ج» عصر الباشاوات
٣٥٨ ولاية دالي احمد باشا
٠٠ ولاية خضر باشا
٣٥٩ ولاية الحاج شعبان باشا
٠٠ ولاية مصطفى باشا
٣٦٠ ولاية خضر باشا (ثانيا)
٠٠ ولاية دالي حسن باشا
٣٦١ طموح الغرب نحو المغرب العربي
٠٠ ولاية سليمان باشا
٣٦٢ ولاية خضر باشا (ثالثا)
«ب» عصر البيلرباى
٣٣١ ولاية حسن باشا بن خير الدين
٠٠ رسوخ قدم الاتراك بتلمسان
٣٣٢ رسم حدود الجزائر وتخطيط
تخومها الغربية
٣٣٣ انتقال البيلرباى الى استانبول
٠٠ ولاية صالح رايس
٣٣٤ الاستيلاء على فاس
٣٣٥ الحاق ولاية تلمسان بالجزائر
٠٠ تمكن الاتراك من فتح قسنطينة
وبجاية ووهران
٣٣٦ ولاية حسن قورصو
٣٣٧ ولاية حسن باشا بن خير الدين «ثانيا»
٣٤١ ولاية محمد بن صالح رايس
٣٤٢ ولاية علج على
٣٤٣ فتح تونس
٣٤٤ تعصب اوروبا المسيحية
٠٠ مطاعم فرansa في الجزائر
٣٤٥ ولاية احمد عراب
٣٤٦ ولاية القائد رمضان
٠٠ ولاية حسن فنزيانو

صفحة :

- ٣٦٢ ولاية محمد قوصة باشا
٣٦٣ ولاية قوصه مصطفى القابجى باشا
٣٦٤ ولاية رضوان باشا
٣٦٥ ولاية قوصة مصطفى (ثانيا)
.. ولاية حسين الشيخ باشا
٣٦٦ ولاية سليمان قاطانيا باشا
.. ولاية حسين الشيخ باشا (ثانيا)
٣٦٧ ولاية خضر باشا
٣٦٨ التراحمر الهولاندى الانكليزى بالجزائر
٣٧٠ ولاية خسرف باشا
.. ولاية حسين باشا
٣٧١ وقعة السطارة
٣٧٣ ولاية يوسف باشا
.. ولاية على باشا
٣٧٥ ولاية الشيخ حسين باشا
.. ولاية ابى جمال يوسف باشا «ثانيا»
٣٧٦ ولاية محمد برصالى باشا
.. ولاية احمد دغانجى باشا
٣٧٧ ولاية يوسف باشا (ثالثا)
.. استشراف الدولة الشريفة العلويه للجزائر
٣٧٨ تجهز الاتراك للقتال
٣٧٩ ولاية بوشناق محمد باشا
.. ولاية احمد طوشان باشا
٣٨٠ ولاية ابراهيم باشا
.. نهاية حكومة الباشاوات
٣٨٢ باشاوات الجزائر
٣٨٤ سلاطين آل عثمان
مشاهير الجزائريين
٣٨٥ احمد المقرى
٣٩٠ عبد الكريم بن الفكون وولده محمد
٣٩٥ جدول تاريخى
٣٩٧ الفهرست

فهرس الخرائط والصور

صفحة :

- ٢٧ خريطة المغرب الاسلامي منذ القرن السابع الهجرى الى العاشر
 ٨٨-٨٩ صورة باب المسجد الجامع بربض العباد بتلمسان
 ٢١٤-٢١٥ بقية من بناية قصر القصبة الاسباني بوهران
 ٢٦٥ محراب مسجد سيدى عبد الرحمن الثعالبي بالعاصمة
 ٢٨٩ خريطة الجزائر التركية
 ٣١٧ مخطط حملة شارلكان على مدينة الجزائر

تصويبات واستدراكات

صفحة	سطر	خطاً	صواب
	٦ سقط من السطر الاول ذكر الآل		
١١	١٤	الخوم	التخوم
بالحامش	١	دولنا	دولنا
١٣	١٦	التر	التمر
١٨	٥	نوقلوا	نقلوا
١٩	٨	غازا	غازيا
٢١	١٥	تارة	وتارة
٢١	١٦	ان	آن
٢٢	١٧	واذنههم	وآذنههم
٢٥	٥	بنى حفص	بنى ابي حفص
٢٩	١٢	يستفزههم	يستفزههم
٣١ بالحامش	١	٣١	٤١
٣٢	٤	ن	ان
٣٣	١٦	تقى	تاج
٣٨	٣	مذهب السنة	مذهب اهل السنة
٤٠	٤	فان	فلا تزال
٥٠	٢٣	منظما	منتظما
٤١	٢٣	القاسى	النقاسى
٤٤	١٤	او كسفور	او كسفورد

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٤٦	٨	يبي	يحيى
...	١٥	لم يزالوا	ولم يزالوا
٤٧	١٩	الداعى	البدعى
٥٠	١	اصتجب	استصحب
...	٧	لمكان صغيرة	لصغره
٥٢	١٧	راحح	راحج
٥٥	٥	من قبلية	الى قبيله
٦٣	١٢	٣٠٨	٨٠٣
٦٤	١٤	الولد	الوالد
٦٥	٨	كتب	كتبت
٧٠	١٢	لكتاب	الكتابة
٧٩	١٥	لاعما	الاعمال
٨٢	١٦	شكواه	لشكواه
٨٣	١٩	بقصبتها	بقصبتها
٨٩	٨	حالا	حلا
٩٠	١٩	خلدوى	خلدون
٩٤	١	مايفتخر	يفتخر
...	٤	فيه جملة مكررة تدرك بادننى تامل	
٩٥	١٨	زرباب	زرباب
...	١٩	الغناء	الالحان
٩٦	١٩	زبر	زير
٩٧	٢٣	والي	الى

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٩٩	١٢	نسبة	نسبة
١٠٦	١٧	تواريخ	تواريخ
١١٢	١٣	١٣٠	٧٣٠
١٢١	٨	يغمراسن بن ثابت	يغمراسن بن زيان
			بن ثابت
١٢٦	٢١	وعمره	عمره
«	٢٢	لولده ابي	ولده ابا
١٢٨	١٢	في هذه	وفي هذه
١٣٣	٢	ابو حمو بن السلطان	ابو حمو بن موسى
			« الاول » الخ
١٣٤	١٤	سبب	بسبب
١٣٧	٥	الدولة استيلاء	استيلاء الدولة
«	٩	عودة	دعوة
١٤٥	١٠	ذكره	ذكر
١٥١	١	٨٠٦	٧٠٦
١٥٦	١٦	يضاف الى اول السطر :	توج يوم الخميس ٨ ربيع
		الاول ٧٦٠ هـ - ٧ فيفري ١٣٥٩ م	
١٥٩	٣	بـ	تحتـ
«	٩	العامرين	العامرين
«	١٥	احمال	الاحمال
١٦٣	١٤	اللقاء	اللقاء
١٦٤	١٤	عند	عند

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٧٠	١٢	توجهت	ثم توجهت
«	٢١	ورحمه	رحمه
١٧١	١٦	فاضهت	فاظهت
١٧٦	١٥	انئذ	آنئذ
١٨٠	٢ تعليق	هسيانيا	هسيانيا
١٨٢	١	طورزلاس	طورد يسيلاس
١٨٤	١٣	عشر	عشرة
١٨٨	«	الوثق	الوائق
١٩٠	٣	١١٠	٧١٠
«	٥	العلوين	العلوين
١٩١	١٦	مدرسته	المدرسة
١٩٢	٣	اذ	اذا
١٩٣	١٠	لم يسهى	فلم يتسع له
«	١١	فانه لم يبلغنا	فلم يبلغنا عنه
٢٠٠	٢٢	غرار	غرر
٢٠٥	٧	سنه	منه
«	١٩	الانجاد	الامجاد
«	٢٢	ابا زيان الثالث	ابا زيان احمد الثاني
٢٠٨	٩	« السابع »	« الثامن »
«	١٠	« السابع »	« الثامن »
«	٢٠	يضاف الى الجلياءة : المرفعة الاصلية ؛ وتبدل	كلمة الحسيبة بالمكرمة

صفحة	سطر	خطاً	صواب
٢٠٨	٢١	تُحذف الاصلة ويجب	
٢١٢	١	الخبانة	الخبانة
«	٩	خبة	خيبة
١١٣	٣	الحسين	الحسن
٢١٤	٥	تليها	تلتها
«	٢٠	الغاضبين	الغاصبين
٢١٥	٨	يضاف الى كلمة شعب : كان	
٢١٦	١٠	يضاف الى كلمة الانتاج :	
		الصناعى	
٢١٧	١	على ناحية	على اى ناحية
«	١٦	يتجهز	يتجهز
٢١٩	٩	يتجهز	يتجهز
٢٣٥	٢	نوحى	نواحي
«	٣	واصلة	واصلية
٢٣٦	٢١	والفتيان	والفتيا
٢٣٧	١	وأضحت	وبذلك اضحت
٢٤٠	١ هامش	الصحيح	الصحيح
٢٤٣	١٤	والخوانيت	والخوانيت
٢٤٨	١٦	بمدية	بالمدية
٢٥٣	٥	الشاطبيتان	الشاطبيتين
«	٦ تعليق	احمد العديم	احمد بن العديم
٢٥٤	١٤	بقانونه	بقانونه

صواب	خطأ	سطر	صفحة
أبى	ابن	٦	٢٥٥
رواه	روا	١١	«
تلامذتهما	تلامهذتما	١٨	»
بهما	بها	٢١	»
صوريا	صورة	٤ تعليق	٢٧٣
وجه	وجهه	٥	٢٧٤
حدد	حد	٢٢	٢٧٧
لهؤلاء	لهؤلاء	١٠	٢٨٠
مقتضى	مقتضى	١٠	٢٨١
وتسعر	تسعر	١٠	٢٨٢
توطيد	تطويد	٢٢	٢٨٣
ونكلوا	وكلوا	١٤	٢٩٠
المدينة	مدينة	١٩	٢٩٢
الامدادات	الامداد	١٨	٢٩٣
جاءت	جات	٢	٢٩٦
معجمة	مجمعة	١ تعليق	٢٩٧
رمزاً	رمز	١٩	٢٩٨
أوما	واما	٦	٣٠٧
بقريّة	بقربة	١٨	٣١٠
فاعتقلهما	فاعتقلها	١٦	٣١٣
الرهينة	الرهبة	٤	٣١٥
	يضاف الاوسط الى المغرب	١٠	٣٢١

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣٢٨	٨	الفق	التأليف
٣٣٧	٢١	رغبة في	رغبة منه في
٣٤٢	١٠	٩٧٨	٩٧٩
٣٥٨	١٥	نشاطا	نشاطا
٣٦٠	٣	ثرات	ثورات
٣٧٥	١	اجلوهم العاصمة	اجلوهم عن العاصمة

اتمهى طبع الجزء الثانى من تاريخ الجزائر العام ؛ ويتأوه الجزء الثالث اوله
الدور الرابع من عصر الدولة التتركية العثمانية : حكومة الاغوات .



الجيلاني، عبد الرحمن بن محمد
تاريخ الجزائر العام

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



